الحرف والصورة في عالم قرطاج

محمد حسين فنطر



Alif أليف
منشورات البحر الأبيض المتوسط

مركز النشر الجامعي

الحرف والصورة في عالم قرطاج

الترقيم الدولي الموحد للكتاب أليف 6-148-22-9973
الترقيم الدولي الموحد للكتاب مركز النشر الجامعي 1-04-948-9973

محمد حسين فنطر

الحرف والصورة في عالم قرطاج

أليف - منشورات البحر الأبيض المتوسط



مركز النشر الجامعي

تمهيد

كتاب أفردناه للحرف والصّورة في عالم قرطاج فالجزء المخصوص للحرف يتناول القراءة والكتابة عند البونيين في مختلف الرّبوع التي تشبّعت بمياه الحضارة الفنيقية القرطاجية. وفي هذا الباب حاولنا تسليط ضوء على بعض النقائش البونية بالوصف والتحليل والتقييم كما جمعنا من الأدب البوني ما أمكن جمعه وفصّلناه أغراضا على أساس ما أورده القدماء في كتبهم ومصنّفاتهم. فهي نتف يتناول بعضها الأسطورة وعبيقها وبعضها يقصّ أدب الرّحلة وفيها ما يخصّ السّياسة والتّربية والسّلوك والعقليات.

لقد قطفنا تلك الزهور الفنيقيّة البونية من مروج الأدب اليوناني الرّوماني وتجاسرنا على نقلها الى العربيّة وعلّقنا عليها بما قد يساعد القارئ على تمثّلها فيدرك الإفادة والإستمتاع مع التعرّف الى قرطاج وحضارتها والتخلّص من أفكار وأحكام ومقولات تسعى الى حشر قرطاج والقرطاجيين في سجن المادّة متّهمة إيّاها وإيّاهم بالضّحالة والعجز على الخلق والإبداع. وكم ردّدوا جازمين أن لا أدب لقرطاج. فمن طموحات هذا العمل المتواضع إبراز الحقيقة في ضوء الوثائق والمعطيات تحت راية الواقع والموضوعية بعيدا عن الأحكام الذّاتية المتطرّفة.

أمّا الجزء الثّاني من هذا الكتاب فهو مخصوص لبعض ميادين الفنون والحرف كالمثالة والزّبر والنّحت والرّسم وغيرها. وهو عمل يستند الى ما أسفرت عنه الحفريات والمكتشفات. وكانت المقاربة ذات أبعاد ثلاثة: التشخيص والوصف والتحليل.

وجعلنا الجزئين المشار إليهما محفوفين بمقدّمة وفهارس. ففي الأولى معطيات تساعد القارئ على رسم ملامح قرطاج وحضارتها وحضورها في

البحر المتوسّط من ميلادها الى نهايتها مرورا بنظمها السّياسية والإدارية وشؤون الإقتصاد والمجتمع.

أمّا الفهارس، فلقد تناولت الأسماء الجغرافية والأعلام كالمؤرّخين والجغرافيين والأدباء وغيرهم ممّن ورد ذكرهم في المتن كما تمّت فهرسة اسماء الالهة وأبطال الأساطير والكائنات الخرافية وغيرها. ومن بين الفهارس التي بها ذيّلنا هذا الكتاب تيسيرالقراءته واستعاب محتواه، خصّصنا فهرسا للمصطلحات، فيها المعرّب وفيها ما تمّ نقله الى العربية نقلا صوتيّا مع التزام بعض القواعد والمعادلات. فالمصطلح الإغريقي *Skyphos* نقلناه الى العربية في صيغة إسكوف وهو يشير الى وعاء للشّراب له عروتان افقيّتان وشكله يحكي جذع المخروط.

وتجدر الإشارة الى امرين لكليهما أهميّة كبرى في حقل التّاريخ القديم والاثار: فالأمر الأوّل يخصّ نقل الأعلام الأعجمية كالاغريقية واللاّتينية الرّومانية، فالمتداول أنّك ترى النّاقل ينطلق من اللّغة الفرنسية أو الإنجليزية أو من بعض اللّغات الأخرى حسب ثقافته ومراجعه، حتّى أنّ الإسم الواحد قد يأتي في صيغ مختلفة رسما ونطقا فيتيه القارئ بين أشكال متباينة. فتجنّبا لذلك، رأينا من الأفضل الرّجوع الى الإسم في لغته الأصلية يونانية كانت أو لاتينية؛ فلا نقول ديودور الصقلّي انطلاقا من الفرنسية بل نقول ديودوروس الصّقلّي. ولا نقول بوليب (Polybe) بل نقول بوليبيوس. امّا إذا ورد الأسم في نصّ عربيّ قديم فعلينا تكريس الصّيغة المعربّة احتراما للتّراث؛ فنقول إفلاطون تأسيّا بما أشاعته الكتب العربيّة في العصور القديمة. ونقول شبيون استنادا الى رواية البكري. على أنّ الإقتداء بقدماء العرب لا يلزم دوما فلا نقول مثلا أنبيل على غرار البكري بل يجب أن نقول حنّبعل رجوعا الى النّقائش البونية التي تضمّنت الإسم في صيغته الأصلية.

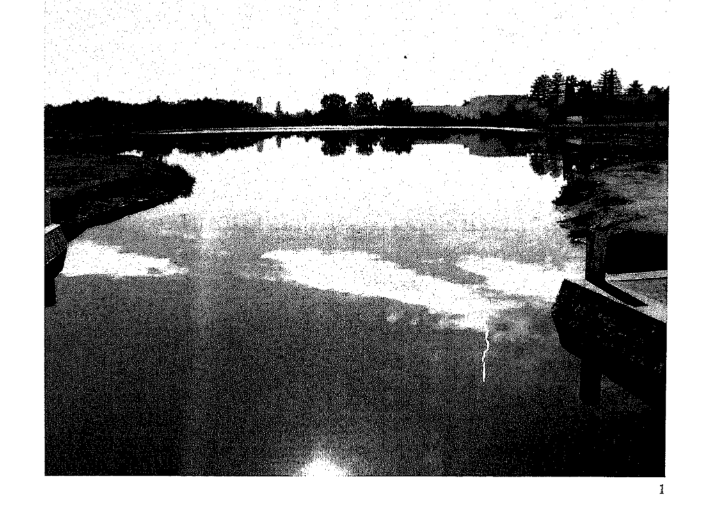
وفي نقل الأعلام والأسماء الجغرافية وغيرها توخّينا المعادلات الصّوتية؛ فحرف الجيم اللاّتيني الإغريقي ينظّر بالجيم العربيّ. فاسم القنصل الرّوماني «Regulus» عرّبناه صوتيّا في صيغة ريجولوس. والإمبراطور الرّوماني «Augustus» يكتب في النّص العربي أوجستوس مع امكانية نطق الجيم على الطّريقة المصرية. وإذا سميّنا عالم الزّراعة القرطاجي *Magon* قلنا ماجون مع العلم أنّ حرفي الألف والواو أضيفا تيسيرا للنّطق :فالألف يوصي بفتحة على الميم والواو

يشير الى ضمّ الجيم. فينبغي الإقلاع عن صيّغ اعتباطية كقولهم ماغون أو ماقون. وبالنّسبة لبعض الأعلام الفنيقية البونية فضّلنا الرجوع الى الصيغ الأصلية فلا نقول أملكار بل عبد ملقرت ولا نقول صدر بعل بل عزربعل.

أمّا عن المعادلات الصوتية المعتمدة فهي كالتالي: حرف الكابا «K» الإغريقي الذي يساويه حرف «C» اللاّتيني ينظّر بحرف القاف وهي معادلة توخّاها العرب قديما فقالوا قيصر تعريبا لاسم «Caesar». والحرف الإغريقي "اكهي" وهو الذي ينقل الى الفرنسية بحرفي «Ch» ينظّر بحرف الكاف. ومعلوم أنّ حرفي القاف والكاف يتبادلان.

أمّا حرف «U» اللاّتيني وحرف «Y» الإغريقي فلقد نظّرناهما بحرف الواو العربي. على أننا اعتمدنا تنظيرهما أحيانا بحرف الياء للتّخفيف ومثل ذلك في *Polybios* فالقاعدة تفرض نقل هذا الإسم الإغريقي في صيغة بولوبيوس ولكن فضّلنا صيغة بوليبيوس تخفيفا للنّطق وتماشيا مع المعتاد وكذلك *Sos.los* فقد عرّبناه في صيغة سوسيلوس عوض سوسولوس.

ومهما يكن من أمر، فهذا عمل متواضع نريده إسهاما في إثراء المكتبة العربية وأداة تساعد القارئ العربي ومن يرغب في معرفة ما قدّمته قرطاج وما ساهمت به بلادنا في سبك الحضارة المتوسّطية.



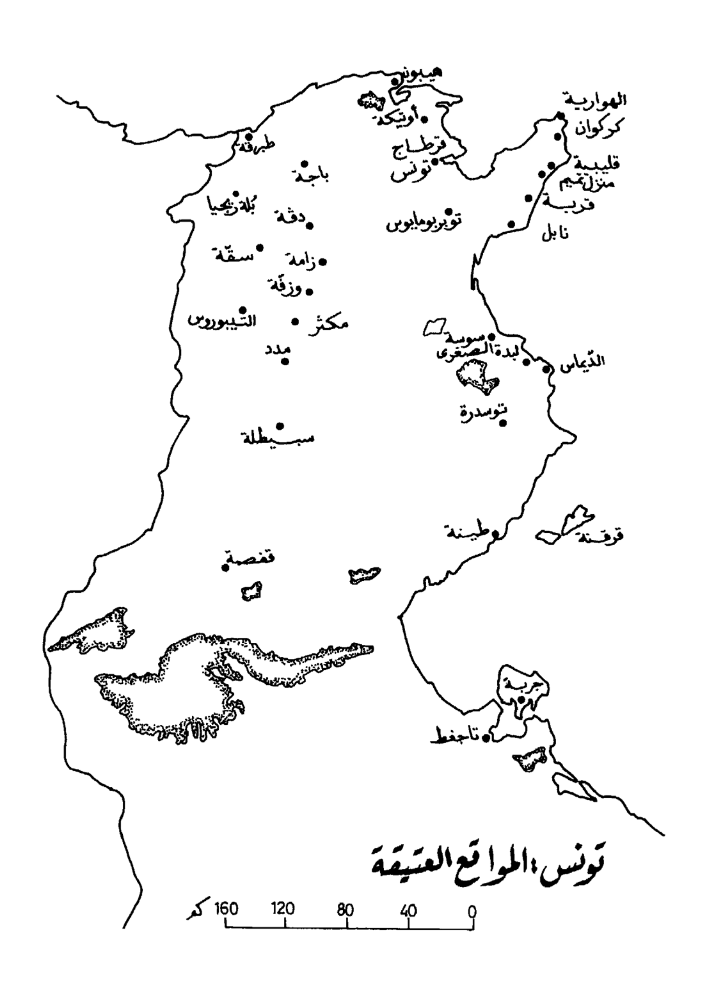
1

1. الميناء التجاري : شبهت قرطاج بسفينة راسية مستعدة للإبحار.

معطيات تأريخية

الفنيقيون وقرطاج في شمال افريقيا

(1101-146 ق.م)



هيبون
أوتيكة
قرطاج
تونس
الهوارية
كركوان
قليبية
منزل تميم
قربة
نابل
طبرقة
باجة
بُلة رجيا
دقة
توبربومايوس
سقة
زامة
وزقة
التيبوروس
مكثر
مدد
سوسة
لبدة الصغرى
الديماس
توسدرة
سبيطلة
قرقنة
وطينة
قفصة
جربة
تاجغط
تونس: المواقع العتيقة
0
40
80
120
160 كم

الفصل الأول

تأسيس الكيان

بدأ الفنيقيون يتردّدون على غربي البحر المتوسط منذ أواخر الألف الأولى قبل ميلاد المسيح وقد أقاموا جسرا عملاقا بين الحوضين مستفيدين من ظروف عسكرية وتقنية منها أفول نجم الاسطول الإجّي. مّا جعل أبواب البحر مفتوحة أمامهم. وكان ذلك حوالي 1200 قبل ميلاد المسيح أي غداة زحف شعوب البحر[1]. أمّا عن العوامل التقنية فتجدر الإشارة الى تطوّر بناء السفن[2] وقد اصبحت السفينة تقام على صالب كأنه عمودها الفقري ويستند حيزومها الى روافد متينة كأنّها أضلع قفص الصّدر، فاشتدّ عودها وباتت تستطيع شق اليمّ بيسر وتتحمل ضغوط الأمواج. فالاداة اضحت تستجيب لطموحات المدن الفنيقية لاسيما وقد عزّزها المسمار الذي انتشر استعماله منذ بداية عصر الحديد. ودخل دور الصناعة ومعامل النجارين عامة وعوّض أو دعّم التشريج المقام على مبدإ اللسان والفرض.

1. Pour l'invasion des peuples de la mer, cf. éd. Lipinski, (édit.) *Dictionnaire de la civilisation phénicienne et Punique*, Brepols, 1992, S.V ; on y trouve une bibliographie récente.

2. J.-G. Février, « Les origines de la marine phénicienne », in *Rev. d'histoire de la philosophie et d'histoire de la civilisation*, 1935, p. 97-125 et pl. I- III. Id., « L'ancienne marine phénicienne et les découvertes récentes », in *la Nouvelle Clio*, n° 3, janvier 1950, p. 128-143 ; – J. Rougé, *La marine dans l'Antiquité*, Paris, PUF, 1975 ; – L. Basch, « Phoenician cared Ships », in *Mariner's Mirror*, 55, 1969, p. 139-162 et p. 227-245 ; Id., *Le musée imaginaire de la marine antique*, Athènes, 1987.

فثابت أنّ الفنيقيين استفادوا بما جدّ في المتوسط إثر تحوّلات أنجبها زحف شعوب البحر وقد ارتدت تلك التحولات أبعادا عرقية حضارية فضلا عن البعد العسكري حتى قيل إنّ الفنيقيين هم الكنعانيون الذين ثبتوا في المدن الكنعانية الساحلية وتأثروا بما حدث لمّا كان زحف شعوب البحر. ولذلك لايصحّ الحديث عن الفنيقيين قبل تلك التحولات العرقية الحضارية التقنية الجغرافية السياسية وقد تأثّروا بها أيّما تأثير حتّى أنّهم كنعانيون وزيادة.

ومن تلك التحوّلات قيام بني اسرائيل كدولة جديدة على حساب الكنعانيين ومنها قيام دولة فلستيّة ورد ذكرها في التوراة. ومهما يكن من أمر فالاساطيل الفنيقية أصبحت تصل بين مختلف ضفاف البحر المتوسط مستندة الى جزره ومرافئه الطبيعية. فحلّ الفنيقيّون بالعديد من جزر اليونان كما أثبتته نصوص قديمة ولقى أثرية لا تترك للشك مجالا وانتصبوا بصقلية ومالطة وسواحل شمال أفريقيا.

المؤسسات الفنيقية في الأقطار المغاربية

لقد تحدّث المؤرخون القدامى عن الحضور الفنيقي في الأقطار المغاربية، تلك الربوع التي كانوا يطلقون عليها اسم لوبة. وأشاروا في مصنّفاتهم إلى مستوطنات أقاموها وأقاموا فيها. ومن بين هؤلاء المؤرخين والجغرافيين القدامى نذكر صلّوستيوس وابلينيوس الأكبر ويوستينوس.

وعن حضور الفنيقيين في لوبة لابدّ من الرجوع الى الاطلال والمخلّفات الأثرية. ففي ضوء النصوص القديمة والشواهد الأثرية ثبت أنّ للفنيقيين حضورا في الأقطار المغاربية تنغمس جذوره في عمق التاريخ وتدرك نهاية الألف الثانية قبل المسيح. ويبدو أنّ وتيكة من أقدم المصارف التي أقاموها بالسواحل التونسية. فقد يعود تأسيسها الى سنة 1101 ق.م وهي تقع على بعد ثلاثين كلم شمال تونس العاصمة على طريق بنزرت. على أنّ الاطلال التي كشف الغطاء عنها لا تتجاوز حدود القرن الثامن ق.م. وقد تسفر حفريات المستقبل عن مخلّفات أخرى تقرّبنا من الذين مرّوا بوتيكة واستوطنوها. ومعلوم أنّ غالب الاطلال

التي تمّت تعريتها تتمثّل في قبور أقدمها يعود الى القرن الثامن وأحدثها يتزامن مع سقوط قرطاج سنة 146 ق.م. وفي هذه المعالم الجنائزية شتى المعطيات حول عالم الأموات فضلا عمّا تجود به من بيانات تخصّ العمارة والصناعة والتجارة وغيرها ممّا تميّزت به الحياة اليومية عندهم. ذلك أنّ القبور، منقورة في الأرض كانت أو مشيّدة، تحتوي على رفات الميّت وعلى ظهرة جنائزية تتكون من قوارير وأوعية مختلفة الأشكال والأحجام وقد تجد في الغرفة الجنائزية أدوات وأسلحة ومجوهرات وتمائم كلّها عناصر تعكس المحيط الذي ألفه الميت قبل موته ومنها يستمد المؤرّخ العناصر التي تفيده لرسم ملامح المدينة وسكانها عبر العصور[1].

ولا يستغنى عمّا أورده القدماء في كتبهم. فمن بين الذين تحدثوا عن وتيكة أو اكتفوا بالاشارة اليها لابدّ من ذكر بوليبيوس وهو مؤرخ يوناني عاش في القرن الثاني قبل ميلاد المسيح ويرجّح أنّه نزل فيها وتعرّف اليها لما أتى أفريقة صحبة شبيون إيمليانوس، قائد الجيوش الرّومانية وقتئذ. وأشار ابلينيوس الأكبر الى أحد المعابد التي أقامها الفنيقيون بوتيكة اجلالا لاله سمّاه أبلّو ولم يتّفق المؤرخون المعاصرون حول اسمه الكنعاني. فبعضهم رأى فيه بعل حمّون وآخرون يقترحون تشخيصه باله كنعاني يدعى رشف.

ولئن سماه ابلينيوس أبلّو فذلك لأنّ المؤرّخين القدامى من اغريقيين ولاتينيين تعوّدوا ترجمة الثيونيمات أي أسماء الآلهة فكانوا يعوّضون الثّيُونيمَ الكنعاني بثِيُونيمٍ يونانيّ أو لا تيني : فلا يقولون بعل بل يشيرون اليه بثِيُونيمٍ آخر يختارونه من بين أسماء آلهتهم على أساس تشابه أو تقارب يلمسونه بين إلههم والاله الكنعاني. ولمّا ظلّت طريقة هذا النقل اعتباطية اختيارية ظرفية ترى المؤرخين المعاصرين يبحثون عن المعادلة دون تجاوز حدود الافتراض. ففي خصوص أبلّو وتيكة الذي أشار اليه ابلينيوس الأكبر في الجزء السادس عشر من كتابه "تاريخ الطبيعة" يرى بعض المؤرّخين أنّ الثيونيم اللاتيني يغطّي بعل وآخرون يقترحون رشف ولكليهما علاقة بالطبيعة والشمس، شأنهما في ذلك شأن أبلّو في

1. P. Cintas, *Manuel d'Archéologie punique*, vol. I, Paris, 1970, p. 283-308. En ce qui concerne le toponyme Utique, nous préférons l'hypothèse qui lui reconnaît une origine libyque, à l'instar de tant d'autres toponymes africains dont l'initiale est u.

الديانة اليونانية اللاتينية. ومّا أثبته ابلينيوس حول معبد أبلّو بوتيكة أنّ عوارض سقفه، وهي من خشب الارز النوميدي، مازالت اذاك قائمة متينة لم تتغيّر بل ظلّت كما كانت لمّا وضعها البنّاء زمن تأسيس المدينة. وجاء في كتاب عنوانه، "الغرائب المسموعة"، نُسِبَ خطأ الى أرسطو، أنّ مدينة وتيكة أسست 287 سنة قبل ظهور قرطاج. والكتاب في رأي المؤرّخين المعاصرين لا يتجاوز حدود القرن الثاني بعد ميلاد المسيح. تلك عينات مّا يجده الباحث عن تاريخ وتيكة في كتب القدماء. إنّها جدّ ضئيلة ولكن لا يستطيع الإستغناء عنها أحد إذا أراد رسم ملامح المدينة وضبط مراحل تاريخها.

وفيما يتعلّق باسم المدينة فلقد قيل الكثير دون الوصول الى معرفة معنى هذا العلم أو قل هذا التُوبُونِيم. فهذا أعطاه معنى المحطة أو المرحلة وأشار ذاك الى معنى الجمال والرّوعة. وقدّمت فرضيات أخرى حول اسم المدينة فنسبه البعض الى مادة "عتق" وفيها معنى الفصل والخروج عن، وفيها معنى الفرع والتفرّغ عن. فقالوا سميت كذلك لانها فرع من صور وكأنّها عتق شجرة. وقال مفسّرون مجازفون انها العتيقة أي القديمة.

على أنّ هذه التفاسير تبقى جميعها رهينة العثور على وثيقة تمدّنا باسم المدينة مسطورا بالأحرف الكنعانية. وقد يبقى الجدل قائما. ذلك أنّ الجذور السامية ميزتها الثراء والتشعب. وفي اعتقادي أنّ اسم "وتيكة" منحدر عن جذر لوبيّ محليّ وجده الفنيقيون لمّا حلّوا بتلك الربوع. ولئن تبنّيت هذا الإفتراض فذلك استنادا الى وجود مجموعة كبيرة من الأعلام الجغرافية تبدأ بمقطع يتركّب من وَاو مُتَحَرِّكَة تكون غالبا مرفوعةً وقد تكون مفتوحةً أو مجرورة، ومنها وُرَقَّةُ، وُذْنه، وَرْوُ، وُقْلّه، وَلاَّس، وُكِي، وُكُوبي والقائمة قد تطول. فاسم وُتِيكة ينتمي الى سلالة هذه التُوبُونيمات اللوبية المحلية.

ومهما يكن من امر هذه القضية، فلقد اجمع المؤرّخون القدامى على أنّ مدينة وتيكة من أقدم المصارف التي أقامها الفنيقيون في بلاد المغرب فكانت محطة يرتكز عليها الاسطول الفنيقي للتزّود بالماء والميرة ولتمكين النَّوَاتِّي من الراحة وترميم السفن إن عُطِّبت أثناء رحلة طويلة في بحر متقلّب، ذي نزوات، لا يخلو من الصخور ويعجّ بالقراصنة. فيبدو أنّ وتيكة أقدم المصارف التي ساهمت في تأمين التجارة الفنيقية بين مشارق البحر المتوسط ومغاربه

ولقد كانت إذاك السفن تتردّد على مملكة ترشيش الواقعة جنوب شبه جزيرة الإيبيريين وهي اسبانيا.

ومن المدن التي أسسها الفنيقيون بالقطر التونسي تجدر الإشارة الى هبيون وهي التي تحمل اليوم اسم بنزرت. وأسّس الفنيقيون مدينة هدريم وهو اسم فنيقيّ الأصل حوّله الرّومان الى "هدروميتوم" بإضافة اللاّحق اللاّتيني "توم" على الجذر السّامي. وأصبحت المدينة بعد الفتح العربي تسمّى سوسة عاصمة الساحل التونسي. ومن المستوطنات الفنيقية لابدّ من ذكر مدينة لمطة وهي تقع على الشاطئ جنوب سوسة تفصلها مسافة عنها تقدّر بثلاثين كلم. أمّا عن اسمها القديم فلا نعرف الا الصيغة اللاتينية. فبعد الغزو الروماني أصبحت المدينة تدعى لبتيس وتسميها بعض النصوص لبتيس الصغرى ولعلّها لقّبت بالصغرى مقارنة بمدينة أخرى تقع بالجماهرية الليبية وتسمى لبتيس الكبرى مع العلم أنّ اسم هذه المدينة الليبية ورد في بعض النقائش البونية في صيغة لفقي. فهل كانت لبتيس الصغرى تحمل اسم لفقي على غرار المدينة الليبية ؟ قد يكون. الا أنّ البتّ في ذلك لا يجوز الاّ في ضوء وثيقة مسطورة بالأحرف الكنعانية.

ومن المدن التي أقامها الفنيقيون على الشواطئ المغاربية في نهاية الألف الثانية قبل ميلاد المسيح نذكر مدينة ليكش وهي مستوطنة تقع على الضفة الجنوبية من المضيق الفاصل بين اسبانيا والمغرب الأقصى ذلك الذي كان يعرف باسم "عمودي ملقرت" أو عمودي هرقليس وقد أصبح يسمى جبل طارق بعد دخول العرب الى الأندلس بقيادة طارق بن زياد سنة 711. وكان لمدينة ليكش اسم ثان سطر على نقودها وهو مقم شمش ومعناه مقام أو معبد الاله شمس وقد تكون للإله شمس في مدينة ليكش أصول كنعانية وأصول لوبية. ذلك أنّ عبادة الشمس كانت معروفة لدى الكنعانيين والساميين عامة وكانت الشمس أيضا ممّا يعبد اللوبيون كما عرّفنا به المؤرّخ اليوناني هيرودوتس في السفر الرابع من تاريخه الشهير. فقد تعكس هذه الثنائية في تسمية المدينة وضعا تاريخيا يعسر على المؤرّخ الوقوف عليه بكلّ دقّة. ويرجّح بعضهم أن التوبونيم ليكش من أصل لوبي وقدتعني هذه التسمية المزدوجة أنّ الموقع لم يكن قفرا لمّا حلّ به الفنيقيون واستوطنوه لكنّهم أطلقوا عليه اسما جديدا

يشير الى انتصابهم حول قُدّس أقاموه اجلالا الى أحد آلهتهم وهو شمش[1]. ولا شكّ أنّ للفنيقيين مستوطنات أخرى نشأت على السواحل الجزائرية والسواحل الليبية، ومن أهمّها تفاشة وهي التي تعرف باسم تبازة وتقع غرب مدينة الجزائر[2]. وعلى السواحل الغربية من الجماهرية الليبية أقام الفنيقيون مدن ومنها لفقي وويّة وسبراطة على أن قرطاج تبقى أعظم المستوطنات الفنيقية وأجّلها بالمغرب الكبير.

ميلاد قرطاج وحضارتها (814-146 ق.م)

ما انفك الحضور الفنيقي في المغرب الكبير ينتشر ويتعدّد ويتنوع ويتكثّف طيلة قرون حتى أدرك أوجه بتأسيس قرطاج في نهاية القرن التاسع ق.م أي سنة 814 ق.م وهو تاريخ ضبط على أساس معلومات أوردها القدماء، نقلا فيما يبدو، عن تيمايوس التّاورميني الذي عاش في القرن الثالث ق.م. فكان يستطيع مراجعة المصادر البونية الشفوية منها والمكتوبة. وتناول ستفان إكسال النصوص التي تخصّ تأسيس قرطاج ودرسها درسا نقديا محلّلا ايّاها تحليلا دقيقا أملا في الوصول الى ما قد تحتويه غضونها من عناصر ثابتة تفيد المؤرّخ، وهو عمل مازال قائما لا يُستغنى عنه[3].

حاول بعض المؤرّخين المعاصرين التشكيك في توريخ نشأة قرطاج مستندين الى غياب معطيات أثرية تعود الى القرن التاسع قبل ميلاد المسيح، وهو افتراض عماده الصمت أو غياب الوثيقة. ومعلوم أنّ حجة الصمت لاغية لاوزن لها[4]. وأيّا كان الأمر، فلا أحد اليوم يجرأ على الطعن في التوريخ التقليدي، فقد أصبح

1. M. Tarradel, *Lixus : Historia de la Ciudad. Guia de las Ruinas y de la seccion de Lixus del Museo Arqueologico de Tetuan*, Tetuan, 1959. M. Bekkari, « Le Maroc », in *Espansione fenicia nel Mediterraneo*, Roma, 1972, p. 29-46.
2. M. Bouchenaki, « Algérie », in *l'Espansione fenicia nel Mediterraneo*, Roma. 1970, p. 47-62. A. Di Vita, « Libia », in *l'Espansione fenicia nel Mediterraneo*, Roma, 1971, p. 77-98. Id., « Le date di fondazione di Leptis e di Sabrata sulla base dell'indagine archeologica e l'eparchia cartaginese d'Africa », in *Hommages M. Renard*, vol. III, 1969, p. 196-202.
3. S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, vol. I à IV, 1913-1920.
4. Pour cette thèse hypercritique, cf. P. Cintas, *Manuel d'archéologie punique*, vol. I, Paris, 1970, p. 22-24.

2



3

2. أطلال بونية تعلوها أطلال رومانية على ربوة بيرصة.

3. ميناء قرطاج الحربي.

يحظى باجماع المؤرّخين المعاصرين لاسيما بعد الحفريات التي أجريت في قرطاج ضمن الحملة الدولية التي نضّمت بالتعاون مع اليونسكو تحت اشراف المعهد القومي للاثار[1].

فما انفك ملف قرطاج الاثري يزداد سمكا من حيث الكمّ والنّوع : هذه قبور بونية تعود الى القرن الثامن ق.م. وفي التوفاة أدرك المعول طبقات نسبت الى القرن الثامن ق.م. ولابدّ من اشارة خاصة الى نتائج حفرية قامت بها بعثة ألمانية خلال السنوات الأخيرة : ومن نتائجها كشف الغطاء عن أطلال فنيقية على عمق أمتار عديدة تحمل ملامح القرن الثامن ق.م. إنّها أقدم الوثائق المتوفّرة حول فضاء تحرك فيه سكان المدينة كأحياء خارج المعابد والمدافن. ولئن لم ترق الوثائق المكتشفة الى حدود القرن التاسع ق.م فلقد قرّبتنا من سنة 814 ق.م وأبعدتنا عن القرن السابع الذي اقترحه بعض غلاة النقد لتوريخ مولد قرطاج.

مازالت مسافة تفصلنا عن بداية المدينة الحديثة وقد يكون مرّد ذلك الى عدم تعميم الحفريات على كامل المساحة التي غطّتها قرطاج البونية ولا نرى اليوم كيف يمكن التفكير في تعميمها نظرا لزحف العمران وتواضع الامكانيات المرصودة للبحث والتنقيب. ثمّ انه يعسر الوقوف على أولى خطوات مدينة. فقد تكون بداية العمارة فيها أخصاصا أو أكواخا من طوب أو بنايات أخرى تقام بمواد هشّة لاتصمد ولا يستطيع الباحث تشخيص بصماتها. وكم من مستوطنة يقيم فيها المؤسسون أحياء ويموتون في أوطانهم. فلا غرو إذا ما لم يجد الاثاريون قبور القرن التاسع ق.م. فلقد أسست مدينة القيروان سنة 670 ميلاديا ولكن لايوجد فيها حتى اليوم عنصر أثري واحد يرقى الى ذلك التاريخ. انّ أقدم العناصر المتوفّرة لا يتعدّى في القدم حدود القرن التاسع ميلاديا. فماذا يقال عن قرطاج إذن ؟

فمهما يكن من أمر. فالنصوص القديمة تتلاقى والوثائق الاثرية لتثبت أنّ تأسيس قرطاج يعود الى نهاية القرن التاسع قبل ميلاد المسيح. ولامانع لقبول الرواية التي تثبت أنّها أسّست قبل الالعاب الاولمبية الأولى بثمان وثلاثين سنة أي سنة 814 ق.م. وعلى كلّ. فبتأسيس قرطاج تخلّى الفنيقيون عن سياسة

1. A. Ennabli (édit.), *Pour sauver Carthage : exploration et conservation de la cité punique, romaine et byzantine*, UNESCO-INAA, Paris, 1992.

المصارف الوقتية وتوخّوا سياسة جديدة تقوم على المستوطنات والحضور المستديم. ودون ما دخول في التفاصيل حول الأسباب والأهداف التي أدّت الى تأسيس هذه المدينة الفنيقية فثابت أنّ ما صنّف حول الأميرة عليسة أقرب الى الخيال منه الى الواقع التاريخي، اذ هي قصة خيالية من وحي الواقع شأنها في ذلك شأن الأساطير عامة. على أنّ الذين أوردوها وتناقلوها لم يتردّدوا في اثرائها بعناصر اقتبسوها من محيطهم. كذلك فعل ورجليوس وكذلك فعل يوستينوس وغيرهما من السابقين واللاّحقين.

أمّا الأسباب والأهداف التاريخية التي انجبت تلك المدينة فقد يستشفّها المؤرّخ في الأوضاع التي سيطرت في الشرق والغرب مختلفة متزامنة. فشرقا كانت المدن الفنيقية اذاك تعيش خطرا أشوريّا يهدّد كيانها وأموالها، فما انفكّ ملوك أشور يعبرون الفرات في طريقهم نحو السواحل الفنيقية حيث يغنمون. ففي حولياتهم ما يفيد أنّ أول حملة قاموا بها نحو البحر وجبال الارز تعود الى عهد تجلتفلّسر الاول (1120-1074 ق.م). وتواصلت الحملات الاشورية ومنها غزوات أشور ناصر بعل الثاني (888-859 ق.م) وفي حولياته ما يشير الى ما كانت تعانيه المدن الفنيقية من قهر وجبروت وثبت أنّ الاشوريين كانوا يريدون ضمها والقضاء على كيانها السياسي واحتواء قدراتها الإقتصادية[1].

فليس من الغريب أن تتوقع المدن الفنيقية هذا التصعيد في سياسة الاشوريين ازاءها. وليس من الغريب أن تفكّر في حلّ يخلّصها من ملزمة بات فكّاها يتقاربان للقبض عليها وتهشيم هياكلها. أليس الحلّ في الهروب بعيدا حيث لا يستطيع الاشوريون ملاحقة ثرواتهم ؟ تلك هي الظروف القاسية التي كانت تسيطر على حياة المدن الفنيقية شرقا ولقد أصابها وهن من جرّاء ذلك وأثّر سلبا على حضورها في غربي البحر المتوسط.

وتزامن ذلك مع استفاقة المدن اليونانية من سباتها وقد استفادت من تجارب الفنيقيين الذين كانوا يتردّدون عليها، يأتونها ببضاعة الشرق وبحضارته. وكم أينعت فسائل الشرق في أرض اليونان. قد يطول الكلام عمّا يدين به الاغريق الى الفنيقيين وليس المجال هنا لتناول مثل هذه القضايا الخطيرة بل

1. S. Moscati, *L'épopée des Phéniciens*, Paris, Fayard, 1971, p. 36-47.

نكتفي بالاشارة الى الكتابة الأبجدية والى نشأة الإنسان المؤمن بفرديته وحريته وقدرته على صناعة مصيره بعيدا عن القبيلة أو العشيرة دون ما انفصال عنها، بل يساهم في بناء مجتمع يتعدّى الاواصر الدموية العرقية. فالكتابة الأبجدية والفرد المؤمن بفرديته مكسبان يدين بهما الاغريق الى أولائك الذين كانوا يأتونهم من السواحل الفنيقية على متن سفن حبلى بضاعة وحضارة وهم القَدْمِيُّون الذين تحدّثت عنهم الكتب اليونانية ورفعت ذكرهم. فلمّا استيقظ الاغريق من سبات دام قرونا واستفادوا من تجارب القَدْمِيِّين الفنيقيين أضحوا يلاحقونهم ويزاحمونهم في غربي البحر المتوسط بهجرة منظّمة تشرف عليها المدينة الدولة وأخرى غير منظمة يتزعمّها مغامرون قادرون على الاغراء والقيادة. ففي بداية القرن الثامن قبل المسيح أرسلت مدينة خلقيس جالية وأسست فَيْنَقُوسَة. وتلاحقت المستوطنات اليونانية على سواحل صقلّية منذ منتصف القرن الثامن ق.م. ومنها مَيْجَرَة هُبْلَيَا سنة 750 ق.م وقُرُوتُونَة سنة 734 وغيرها.

فواضح أنّ المدن اليونانية اصبحت تهدّد الحضور الفنيقي في غربي البحر المتوسط. فكان على الفنيقيين أن يتهيّؤوا ويحزموا أمرهم حتى لايطردوا من مياه سيطروا عليها أو تلك التي يرغبون في البقاء فيها والمحافظة عليها. فليس من الغريب أن يتنَبَّؤُوا بهذا الخطر اليوناني ولم يكونوا من الذين يترقّبون حلول الخطب لمواجهته بل كانوا ينظرون الى بعيد. يتصوّرون المستقبل ويخطّطون له حتى لا يفاجئهم[1].

فمن قراءة تلك الأوضاع استتنج الفنيقيون في صور أن لابدّ من تغيير سياستهم تجاه غربي البحر المتوسط وذلك بتحويل المصارف الى مستوطنات قارة، وبتأسيس مدينة تستطيع حماية الاموال والعباد ومناطق النفوذ فتكون فيها كنوزهم بعيدة عن جشع أشور وتستطيع أساطيلهم مواجهة الضغوط اليونانية.

تلك هي الظروف التي انجبت قرطاج. فهي فسيلة حضارية مشرقية غرست في أرض أفريقة وتغذّت من تربتها وتجذّرت وزكت الشجرة وأثمرت وساهمت في

1. G. Charles et C. Picard, *Vie et mort de Carthage*, Paris, Hachette, 1970, p. 42-46.

تصوير البحر المتوسط واعطائه ملامحه الحضارية. فمن نتائج الحضور الفنيقي في غربي البحر المتوسط ومن ثمار تأسيس قرطاج. اتساع الفضاء السياسي : كانت الحياة من قبل مقصورة على الشرق وتواصل ذلك الى نهاية الالف الثانية قبل ميلاد المسيح. فقد كانت مراكز الثقل وقتئذٍ في وادي الرافدين وفي السواحل الكنعانية ومصر وجزيرة اقريتش ومُوقِينِية وغيرها من أقطار المشرق وبلاد الأناضول وبقي غربي البحر المتوسط في الظل مجهولا أو يكاد الى أن أتاه الفنيقيون وأسسّوا قرطاج.

لقد حاولت الاساطيل المُوقِينيّة الاتصال ببعض الربوع المطلّة على غربي البحر المتوسط ومنها صقلية وسردانيا واسبانيا. ولكن في شمال افريقيا لم يعثر الأثاريون حتى اليوم على شيء يمكن اسناده الى حضور مُوقِينِيّ أو إجّي. فإلى الفنيقيين يعود الفضل في اقامة جسر عملاق بين الحوضين. والفنيقيون هم الذين اخرجوا أقطار غربي البحر المتوسط من ظلمات العصور الحجرية الى نور التاريخ وسجّلوا فيها حضورهم ومآثرهم فكانت مصارف ومستوطنات أدخلت تحويرا هيكليا على الخارطة السياسية. فمنذ نهاية الالف الثانية أصبح غربي البحر المتوسط موطنا لقوّة بحرية برية ذات وزن فاعلة حملت في ثبانها تجارب الشرق القديم وتقنياته وعقائده وأذواقه ومخياله واتسع العالم حتى أدرك ما وراء عمودي هرقليس.

الفصل الثاني

شـــؤون الحيـــاة

المجتمع والنظم السياسية والادارية في قرطاج

إنّ للباحث الذي يريد التعرّف الى المجتمع القرطاجي ونظمه السياسية والادارية وثائق عديدة مختلفة من حيث الزمن والمضمون : منها ما أورده القدماء ومنها ما نستشفّه في ضوء النقائش البونية والمخلّفات الاثرية كالتى عثر عليها في انقاض قرطاج وفيما كشف عنه الغطاء في مواقع أخرى كهدريم وكركوان وقليبية وكان الاغريق يسمّونها أسبيس وفي وتيكة ولبتيس الصغرى (لمطة بالساحل التونسي) والديماس وهي من المدن البونية الشهيرة وقد مرّ بها القائد القرطاجي حنّبعل ولعلّها كانت تحمل اسم تفاشة أو تفاشن ذلك الذي حرّفه الرومان فقالوا تبسوس وجعل منه العرب طبسة. ومن المواقع البونية التي قدّمت وثائق عن المجتمع القرطاجي ونظمه لابدّ من ذكر لفقي وهي لبدة ووية التي خلفتها طرابلس وسبراطة التي حافظت على اسمها القديم. وعلى سواحل الجزائر والمغرب الاقصى مواقع جادت بوثائق اثرية ونقائشية يفيد منها المؤرّخ لرسم ملامح المجتمع القرطاجي. ومنها تيبازة ولعلّها كانت تسمى هي الأخرى تفاشة أو تفاشن. وفي مدينة جُنُجُن على مقربة من غُرَيَّةَ بالقطر الجزائري تمّ العثور على مدافن بونية كشف الغطاء عنها ونشر محتواها بمجلّة المدرسة الفرنسية بروما سنة 1933. ففي ضوء هذه المعطيات الاثرية والادبية يمكن التعرّف الى المجتمع القرطاجي البوني ونظمه السياسية وهياكله الادارية.

المجتمع القرطاجي

إنّ المجتمع القرطاجي حضري مدني متفتّح يتميّز بالحركية والتعايش بين مختلف الفئات. مع التفاوت الذي يفصل بينها من حيث القدرات الاقتصادية والوزن الاجتماعي والفاعلية السياسية. فهو مجتمع حضري ومعنى ذلك أنّه يعيش في محيط تفرزه المدينة وهو مجتمع مدني ومعنى ذلك أنّه مؤطر بقوانين يساهم المواطن في بعثها وتكريسها.

يتكوّن المجتمع القرطاجي من أصناف ثلاثة : المواطنون والاجانب والعبيد. فالمواطنون هم الذين يتمتّعون بالحرية وبحقوق المواطنة والاسهام في بناء المجتمع والدولة والاضطلاع بالمهام السياسية والادارية على أساس الثروة والثقافة والمعرفة. ويتصدّر الاثرياء هذا الصنف من المجتمع وهم يستندون الى ممتلكاتهم العينية والعقارية والمالية ممّا يرشّحهم للقيام بدور خطير في مختلف الميادين الاقتصادية والسياسية والدينية والثقافية. فهم الذين كانوا يستطيعون بعث المشاريع الصناعية والتجارية والزراعية وهم الذين يمتلكون الاساطيل ويجهّزونها بضاعة توّزع في مختلف الموانى والاسواق المتوسطية وتكسبهم ارباحا طائلة فيزدادوا نفوذا وهيمنة على دواليب الحكم. ففي القرن الثالث قبل ميلاد المسيح تألّق نجم أسرة حنون وأسرة عبد ملقرت المعروف باسم أملكار برقة واليها ينتمي عبد ملقرت وابنه حنّبعل الذي اشتهر بعبقريته العسكرية ورؤيته السياسية الثاقبة[1].

ويمثل الحرفيون الصنف الثاني وهم الذين يتعاطون مختلف الصناعات والحرف كالنجارة والحدادة وسبك الجوهرات والحلي والفخارة والبناء. وينضمّ الى هذا الصنف كلّ الذين يعملون في البحر أو في المزارع من صيادين وملاحين وفلاحين ممّن يملكون حقولا أو بساتين توفّر لهم وسائل عيش متواضعة تقيهم شرّ الخصاصة. ويبدو أنّهم كانوا واعين بدورهم معتّزين بِحِرَفِهم. وقد ينوّهون عنها كِتَابةً على متن الانصاب التي يقدّمونها قربانا للالهة.

وينتمي الى هذا الصنف المتوسط الفعّال بعض الذين يتعاطون مهنا حرّة كالاطباء والمدرّسين والمهندسين وبعض الذين يعملون في دواوين الادارة كالكتبة

1. Pour les Barcides, cf. G. Charles et C. Picard, *Vie et mort de Carthage*, p. 199-269.

والساطرين وغيرهم. ومن المواطنين من لا يملكون سوى قوة عضلاتهم كالجذّافين والعُتُل وعملة المزارع والمصانع والمقالع الحجرية والمناجم وكلّ الذين يساعدون الحرفيين المختصين. وتتميّز هذه الفئة الضعيفة بكثرة العدد وضعف الفاعلية. على أنّها قد تنضّم أحيانا الى الطبقة المتوسطة فتزيدها قوّة ونفوذا في الظروف المتأزمة وقد يجد فيها المغامرون السيّاسيون أنصارا عند الحاجة.

وفي قرطاج والمدن البونية الكبرى جاليات أجنبيّة من اغريق ومصريين وأترسكيين وإيبيريين وغيرهم فضلا عن اللوبيين الذين كانوا يغادرون قراهم وأريافهم متّجهين الى مدينة تغريهم مفاتنها. فمنهم من يجد شغلا في الميناء أو في بعض المصانع وقد ينضّم كثيرهم الى صفوف البطالة والتسكّع. أمّا عن الاغريق والمصريين والاترسكيين فكان بعضهم يقيم في قرطاج ويتعاطى فيها عملا وكان بعضهم يأتيها للتجارة أو لمهمّة وقتية. وتجدر الإشارة الى الذين يلجؤون اليها تحت وطأة ظروف سياسية أو اجتماعية قضائية تدفعهم الى مغادرة أوطانهم.

على أنّ هذا المجتمع القرطاجي كان يتميّز بالتعايش بين الفئات والتفتّح يوفّر للاجانب فرص الاندماج فيه عن طريق المصاهرة والتثقّف : فلقد أشار المؤرّخون القدامى الى ضابطين من أصل يوناني كانا تحت إمرة حنّبعل. أقبل أبوهما نازحا من سرقوسة واستقرّ بقرطاج وتزوج قرطاجية، أنجبت له طفلين. وانصهرت أسرته في نسيج المجتمع القرطاجي. فلم تكن الحواجز بين الفئات كتيمة بل كانت نفيذة تساعد مَنْ كدّ وجدّ على الارتقاء في سلّم المجتمع[1].

المرأة في المجتمع القرطاجي

وكانت المرأة مؤهلة للاسهام بقسطها في بناء المجتمع وتنشيط الاقتصاد. فتُسْنَدُ اليها الوظائف الدينية وتتعاطى التجارة وبعض الحرف المنزلية كالحياكة وغزل الصوف وشاركت في حروب قرطاج وضحّت بأثمن ما لديها في سبيل الوطن.

1. M.-H. Fantar, *Carthage : approche d'une civilisation*, vol. I, Tunis-Paris, 1993, p.165-209.

صُفُنِيبة

ومن شهيرات قرطاج صفنيبة وقد رفع ذكرها المؤرّخون القدامى ومنهم بوليبيوس وتيتوس ليفيوس وديودوروس الصقلّي وأبيانوس. فالحديث عنها توارثه المؤرّخون وتناقلوه على مرّ الأجيال أقدمهم يعود الى القرن الثاني قبل الميلاد وهو بوليبيوس ولعلّه تعرّف على من زامن حسناء قرطاج. ولد بوليبيوس في مدينة يونانية تدعى ميجالوبوليس سنة قبل معركة زامة وتوفي وقد تجاوز الثمانين من عمره. أمّا حديثه حول صفنيبة فورد في السّفر الرابع عشر من تاريخه.

ومن المؤرّخين المتأخرين الذين اعتنوا بأخبار هذه المرأة القرطاجية تجدر الإشارة الى المصنّف زونراس وهو يوناني الأصل عاش في القرن الثاني عشر بعد الميلاد وقد نقل ما أورده مؤرّخ يوناني يدعى ديون قسّيوس وهو أصيل مدينة نيقيا البيثينية وعاش فيما بين سنة 155 وسنة 235 بعد الميلاد وكان ممّن عرفوا بولائهم للنظام الرّوماني حتّى أصبح من أعيان الامبراطورية.

ومانفكّ المؤرّخون المعاصرون يولون أخبار صُفُنِيبة اهتماما فائقا يريدون التعرف اليها رسما لملامحها الشخصية وتقييما لمنزلتها ضمن المجتمع القرطاجي وتقديرا للدّور الذي قامت به لما تزوّجت الملك النّوميدي سيفاكس وأصبحت تؤثّر بكلّ مفاتنها الجمالية والثقافية داخل القصر المسَيْصُولي بمدينة سِيجَنَ أو بمدينة كِرْطَنَ. ومن هؤلاء المؤرّخين المعاصرين نخصّ بالذّكر ستيفان إكسال وجلبار بيكار ومن أحدث ما كتب حول هذه الشخصية النسائية إشارات أفردت لها من قبل سارج لانسال في كتاب تناول فيه سيرة حنّبعل وقد صدر بباريس سنة 1995 [1]. كما تعرّض المؤرّخ ينّ لي بوهيك إلى صُفُنِيبَةَ في كتاب حول تاريخ قرطاج العسكري نشر بباريس سنة 1996 [2].

ومعلوم أنّ لهذه الغادة القرطاجية أصداء في الأدب والفنون الغربية ومنها مسرحية من تأليف بيار قرناي تعود الى سنة 1663 [3]. وقد تناول هذه الشخصية

1. S. Lancel, *Hannibal*, Paris, Fayard, 1995.
2. Yann Le Bohec, *Histoire militaire des guerres puniques*, Paris, éd. du Rocher, 1996.
3. Pierre Corneille (1606-1684).

التاريخية الكاتب الفرنسي جان ميري[1] وبنى حولها مسرحية مأسوية سنة 1634. وفي القرن الثامن عشر حظيت صفنيبة بعناية الفيلسوف الفرنسي[2] فلتير سنة 1770. كما ألهمت الشاعر الايطالي[3] فتّوريو ألفياري سنة 1784. قد تطول قائمة الروائع التي مسرحت شخصية صفنيبة ومنها رواية نخصّها بالذكر لأنّ فيها نحتت ملامح البطلة بطريقة جمعت بين التاريخ والاسطورة الموروثة وخيال المبدع. إنّها رواية مسنسن البربري وهي من تأليف كاتبة فرنسية تدعى ماري فرانس بريس لانس[4]. وصدرت بباريس سنة 1990. ومادامت الرواية قائمة حول الملك النوميدي الشهير وحول الملحمة التّى عاشها ليستردّ عرشه ويعيد بناء مملكة أجداده كان لا بدّ من توظيف صفنيبة القرطاجية تلك التي رفع التاريخ ذكرها وخلّد المؤرّخون اسمها وذاع صيتها في مختلف الأصقاع وعلى تعاقب الأجيال.

ففي هذه الرواية ترافق الفتاة أباها الى مدينة سِيجَنَ عاصمة الملك سيفاكس وكان القرطاجيون يرغبون في التحالف معه وقوفا في وجه الرّومان : السفينة البونية تشقّ عباب البحر وعلى متنها عزربعل بن جَرْسَكُن وابنته صفنيبة تجاذبه أطراف الحديث حول المهمّة الخطيرة التي أنيطت بعهدتها. وتنوّه الكاتبة بجمال صفنيبة وما يتضمّنه ذاك الحسن من قوّة إغراء. تزوّج العاهل النوميديّ هيفاء قرطاج وأصبحت سيّدة القصر. طلباتها أوامر مطاعة. فكانت دائما وراء الملك تغريه وتحرّضه على مواصلة القتال مشدودا الى صفوف قرطاج حتّى الهزيمة وسقوطه بين يدي شبيون. وكان غريمه مسنسن، صانع النصر الرّوماني، قد أبْلَى وأبلت فرسانه البلاء الحسن.

وبقيت الملكة صفنيبة في كِرُطَنَ تنظّم المقاومة والدّفاع وتمكّنت من ربط الصلة بالأمير النوميدي. فلمّا فتح المدينة كان اللّقاء مثيرا وقد استقبلته بجمالها ومفاتنها جاثمة على عتبة القصرفي كتّانة فضفاضة. فلم يستطع تأجيل الزواج منها. فكان زواجا لم يحظ برضى شبيون. وتستفيد مارى فرانس بريس لانس من هذه الظروف لترسم مشاهد رائعة تصوّر الحبيبين وتصوّر قساوة

---

1. Jean Mairet (1604-1686).
2. Voltaire (1697-1778).
3. Vittorio Alfieri (1749-1803).
4. M.-F. Briselance, *Massinissa, le Berbère*, éd. de la Table Ronde, Paris, 1990.

القضاء والقدر والصراع العنيف. ولمّا آثر العريس لعروسه موتا يضمن الكرامة لها والحرية أرسل اليها كوبا لم تتردّد في احتساء محتواه قائلة : لاتبكي. صفنيبة ! إنّك تموتين موت الأمجاد.

ليس المجال هنا للتعليق على ماورد في هذه الرواية حول صفنيبة. فلا شكّ أنّ المبدعة استفادت ممّا تضمّنته كتب المؤرّخين القدامى وأفضت عليها من المحيط ومن خيالها ما قد نستطيب وما قد لا نستطيب. وأيّا كان الأمر. فالثابت أنّ حسناء قرطاج مازالت حيّة في الذّاكرة تثير وتلهم.

ولئن يحقّ للمبدعين تجاوز حدود التاريخ والاستفادة من جود الخيال. فالمؤرّخ المعاصر. تراه حريصا كلّ الحرص على احترام الشواهد الموثّقة مع العلم أنّ للمؤرّخين القدامى ميولهم وقد لايتأففون من استغلال سخاء الخيال وكنوزه الرائعة ليمتحوا منها حتّى تكتمل الشخصية ملامحها ويرتدي الحدث جلبابا يزيده قدرة على الاقناع والإثارة.

فكيف تبدو صفنيبة في ضوء ما أورده المؤرّخون القدامى؟ إنّها في الواقع عناصر ضئيلة تعرّف ببعض جوانب هذه الشخصية الثرية التي ورد اسمها في المصادر اليونانية اللاّتينية مرخّما أو قل محرّفا في صيغة صفنيبة. ففي قرطاج كانوا ينادونها صَفَنْبَعَلُ. إنّه اسم ثيوفوري يتركّب من مادة صفن ومن اسم الاله بعل ومادة صفن تحتوى على معنى الحماية والوقاية فصفنبعل يعني رعى بعل أو رعية بعل. وعن نسبها تُفِيد المصادر أنّها تنتمي الى أسرة مجيدة. كان أبوها عزر بعل بن جرسكن ممّن يتصدّرون الحياة السياسية في قرطاج.

ولعلّه كان يذكر عبد ملقرت البرقيّ ذاك الذي لم يعرف الهزيمة أثناء الحرب البونية الاولى بل استطاع الصمود أمام الجيوش الرّومانية في صقلية فكان يترصّدها متربصا بها مستعدا للانقضاض على كلّ كتيبة تقترب من ربوع يراقبها من حصن حصين شيّده فوق جبل إيركسة. ولمّا أمرته السلطات القرطاجية بالنزول للتفاوض مع قيادة الجيش الرّوماني امتثل مشترطًا الاّ يهان جنوده وأن تتم عودتهم الى أفريقة آمنين مطمئنين على حياتهم وأمتعتهم والاّ يجردّوا من سلاحهم. وقبل العدوّشروطه وتخلّى الجيش القرطاجي عن صقلية وغادر عبد ملقرت البرقي الجزيرة.

ثمّ كان له الفضل في انقاذ قرطاج من هروات حرب المرتزقة سنة 237 ق.م وهو الذي ساعد بلاده على تعويض صقلية بالتوسّع في اسبانيا ضمن سياسة أتقن تخطيطها وأحسن إنجازها بالإستناد الى حزب شعبي يبدو أنّه كان يضمّ طبقة وُسْطَى يتنمي الحرفيون اليها وصغار التجار الى جانب بعض الأسر العرقية في المجد والثراء وكانت ممّن عرفوا بطموحهم لقرطاج ولحضورها في البحر الأبيض المتوسط.

وكان عزربعل بن جرسكن يعمل ضمن بعض التيّارات السياسية المسؤولة. فلا شكّ أنّه كان يستطيع الوصول الى الهياكل الفاعلة في قرطاج ولعلّه كان عضوا بمجلس الشيوخ توكل اليه مهمّات سياسية ودبلوماسية. فهل كان من المقرّبين الى حنّبعل القائد الشهير ؟ أو هل كان من الذين يناصرونه في قرطاج ؟ ذاك هو إذن عزربعل أبو صفنيبة. أمّا عن أمّها وبقية أفراد عائلتها فليس لدينا شيء مفيد!. متى ولدت صفنيبة ؟ سؤال تعسر الإجابة عليه بكلّ دقّة. على أنّ سياق الأحداث يسمح بتوريخ ميلادها حوالي سنة 221 قبل ميلاد المسيح وقد تكون ولدت في السنة التي أصبح فيها حنّبعل قائدا أعلى للجيوش القرطاجية في اسبانيا.

اعتنى أبوها بتربيتها وتثقيفها وليس من الغريب أن تمتح من رحيق الأدب والفن عن طريق معلمين فلاسفة وأدباء مبدعين. فكانت تحسن لغات عصرها فضلا عن الرقص والموسيقى حتّى أنّها الأديبة الحسناء يرتاح لمنطقها الفكر ويخشع لها السمع والبصر. ومعلوم أنّ الأسر الميسورة في قرطاج كانت تعير اهتماما كبيرا لتربية الأبناء والبنات ولتزويدهم بثقافة متينة تساعدهم على شقّ طريقهم في الحياة وتجعل منهم زينة وفخرا.

فصفنيبة فتاة تجمع بين جمال الخلق والظرف ولا شكّ أنّها كانت معشوقة الفتيان في قرطاج والأمراء والملوك وكل الذين قد يحظون برؤياها. فلمّا فتحت عينيها وأصبحت تدرك الأشياء واعية بجمالها كان أبوها ممّن يتصدّرون الساحة في قرطاج وكانت تسند اليه مهمّات سياسية خطيرة كالتى تحوّل من أجلها الى العواصم النّوميدية وفتحت أمامه ابواب القصور ليتّصل بالملوك والأمراء ورؤساء القبائل ضمن سياسة قرطاجية هدفها الحفاظ على الصداقة النوميدية. ولعلّه كان يستضيف أبناء الملوك والأمراء النوميديين ويعمل على

تكريمهم وتكوينهم تكوينا قرطاجيّا يجعلهم يميلون الى قرطاج وحضارتها ويتمرّسون على العيش في محيطها.

فمن بين الذين أتوا قرطاج لينهلوا من معين حضارتها ويتدرّبوا على أساليب العمل فيها والترف تجدر الإشارة الى الأمير مسنسن[1]. قيل إنّه تعرّف على صفنيبة الحسناء فهام بها. وقيل إنّ أباها وعده بتزويجه إيّاها فتحمّس الأمير وهو في عنفوان الشباب ولم يتردد في التحوّل الى اسبانيا على رأس كتيبة من الفرسان الأشاوس منضمّا الى الجيش القرطاجي وساهم في معارك شتّى حتى أصبح معروفا لدى القيادة الرّومانية بشجاعته وإقدامه وطموحه. فلا غرو أن تعمل مصالحها المختصّة على ربط الصلة به وتحاول إغراءه بما قد لايستطيعه القرطاجيون لا سيما في ظروف مكّنت الرومان من التفوّق في اسبانيا وليس في الأفق ما قد يبشّر القرطاجيين بالإنتصار وكأنّ الهة النصر غادرت معسكر حنّبعل واختارت الإقامة في معسكر شبيون.

كان مسنسن يتابع الأحداث ويحاول قراءتها وتأويلها تأويلا يساعده على اختيار الطريق الدافعة الى العرش ولاسبيل الى ذلك الاّ إذا شاءه الحظّ في صفوف المنتصرين. أمّا عن حبّه لصفنيبة فلقد جلّلته الأحداث السريعة بحجاب سميك. فلا شئ في النصوص المتوفّرة يمكّننا من تقييمه. والأرجح أنّ مسنسن كان إذّاك مشدودا الى قضية العرش مهجوسا بها حتّى أنّه لم يتحرج من مقابلة شبيون في اسبانيا واعدا إيّاه يد المساعدة في أفريقة.

أمّا عن صفنيبة فعلّه أدرك أنّ حِلْفًا بين قرطاج والملك النوميدي سيفاكس لن يخلو من زواج سياسيّ وتكون الحسناء مرشّحة لمثل تلك الظروف. وأيّا كان الأمر. فلقد ارتمى مسنسن بين يدي شبيون وألقيت صفنيبة في أحضان الملك سيفاكس فَزُفَّتْ له سنة 205 قبل ميلاد المسيح. وتعاقبت الأحداث سريعة مريعة وانهزم سيفاكس وسقط أسيرا جريحا ومثل مغلولا في موكب اقيم احتفالا بانتصار شبيون في معركة زامة سنة 201 قبل الميلاد[2].

---

1. G. Camps, « Aux origines de la Berbérie : Massinissa ou les débuts de l'histoire », in *Libyca*, VIII, 1960.

2. Fr. Décret et M.-H. Fantar, *L'Afrique du Nord dans l'Antiquité, Histoire et Civilisation (des origines au Ve siècle)*, Paris, Payot, 2e éd., 1998, p. 81-99.

أمّا صفنيبة فما أن أبصرها مسنسن حتى تذكّر حبّه لها. وجاء في كتب القدماء أنّه تزوّجها اثر دخوله إلى كِرْطَنَ وقد استقبلته في كتانة فضفاضة أمهرتها جمالا وأنوثة وإغراء. وجادت الكلام فرقّ لها القلب وازدادت نار الوجدان تأججا. ولـمّا علم شبيون بزواج مسنسن أنّبه على ذلك وأمره بتسليمها فلم يفعل. بل آثر أن تموت بِسمٍ يقدّمه لها في كوب يضمن الحرية لها والكرامة.

غادرت صفنيبة الحياة وهي في العشرين وكأنّها ضحّت بأنفس أنفاسها في سبيل قرطاج. وقد قامت بدور خطير في القصر النوميدي بمدينة سيجن. وادعى بعضهم أنّ، لولاها، ما كان سيفاكس لينضمّ الى صفوف القرطاجيين : فهي التى، في رأيهم، جرّته وألقت به في الهاوية. وقيل إنّ الملك سيفاكس ندد بها لدى شبيون لمّا مَثُل بين يديه وأوصى بالتخلّص منها لأنّها الشرّ بجمالها وبسلطان أنوثتها. تلك مأساة فتاة قرطاجية يستشفّ المؤرّخ من ورائها ما كانت تحظى به المرأة في قرطاج وما كانت تقدّمه خدمة للوطن وحرصا على الكيان. فللمرأة حضور في الخيال الجماعي نستشفّه من خلال أسطورة عليسة.

الرق في قرطاج

لم يخل المجتمع القرطاجي من العبيد بل كان كغيره من المجتمعات القديمة يَعْتَمِدُ الرقّ طاقة لتنشيط الإقتصاد. فكان للدولة عبيدها كما كان القرطاجي يملك عددا من العبيد، ذكورا واناثا، يختلف باختلاف مستوى الثروة والحاجيات. وكانوا يعملون في المزارع والمناجم وقد تجدهم في المصانع يساعدون أصحابها ويلحق المحظوظون منهم بالبيوت خدمة للاسرة. يحتفظ العبد في قرطاج بانتسابه الى البشر، فلقد كان معترفا به كانسان يتزوّج ويقوم بواجباته الدينية وله حق بعض الملكية ممّا قد يساعده على استرجاع حرّيته نقدا، فينضمّ الى صنف المعتوقين. ولقد اعتنت قرطاج بقضايا الرق والعتق فكان التحوّل من وضعية الى أخرى يتّم طبقا لمقتضيات القانون. فلم يكن العبد في قرطاج مشيّأ.

تلك ملامح المجتمع القرطاجي البوني وتلك أهمّ أصنافه وفئاته على أنه لم يكن محجّرا بل كان ذا حركية تتجلّى في ضوء النصوص القديمة ومن خلال

ماورد في النقائش البونية : فله نظام لتصريف الشؤون العامة والخاصة ومؤسّسات تعتمد القانون والانتخاب وتشريك المواطن.

دستور قرطاج[1]

يتميّز دستور قرطاج بالواقعية والتوازن بين الفئات. فكان يستجيب لمقتضيات المجتمع وقد نوّه به أرسطو ووصف دواليبه ونُظُمَه وطرق تكوينها ويتضمّن الدستور القرطاجيّ سلطا تشريعية وسلطا تنفيذية وأخرى قضائية على أنّها لم تكن مستقلّة بعضها عن بعض تمام الاستقلال.

مجلس الشعب

يسمّى مجلس الشعب في قرطاج عم قرت حدشت ويضمّ كلّ المواطنين الذين تتوفّر فيهم شروط ضبطها القانون على أنّ الوثائق المعتمدة لا تمدّنا بمعطيات واضحة حولها. إنّ صلاحيات هذا المجلس عديدة تتعلّق بالحرب والسلم والحياة الإقتصادية والثقافية والإجتماعية بل له حق النظر في كلّ القضايا لا سيما إذا لم يتمكّن مجلس الشيوخ من أخذ القرار المناسب في الغرض.

مجلس الشيوخ

تعود هذه المؤسّسة الى تقاليد الممالك الفنيقية لكنّها اتخذت في قرطاج بعدا دستوريا : من ذلك أنّ الأعضاء ينتخبون من قبل الشعب طبقا لما تقتضيه القوانين من شروط كالمواطنة والسنّ والثروة والمستوى الثقافي فضلا عن الوجاهة والقدرات الشخصية. ولم يخف على القرطاجيين ما للدعاية من وزن للحصول على ثقة الناخبين وأصواتهم يوم الاقتراع. ويبدو أنّ العضو في مجلس

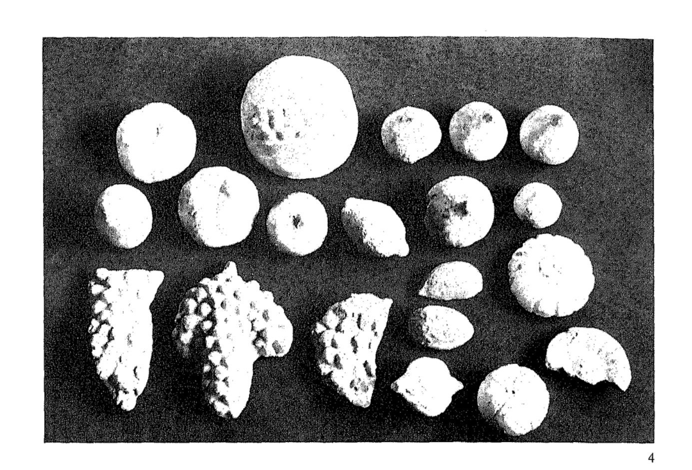
1. Aristote, *Politique*, II, IX, 8 ; – S. Gsell, *Hist. anc. de l'Afrique du Nord*, vol. II, Paris, 1918, p. 183-330 ; – M.-H. Fantar, *Carthage : approche d'une civilisation*, t. I, Tunis, 1993, p. 211-258 ; on y trouve une bibliographie récente.

الشيوخ في قرطاج كان يسمى بعل قرطاج ويسمّى مجلس الشيوخ بعول قرطاج. وعددهم لا يقلّ عن ثلاثمائة عضو كانوا يجتمعون في مقرّ خاص وقد يكون ذلك في المعابد عند الاقتضاء. إنّ صلاحيات هذا المجلس عديدة متنوّعة تتولّى كامل الميادين السياسية والادارية فهو مركز التصوّر والتنسيق والمتابعة.

الأسباطية

تمثّل الأسباطية السلطة التنفيذية المكلّفة بتطبيق وتنفيذ ما يقرّر في المجلسين وتتكوّن هذه المؤسّسة من سبطين. والسبط في قرطاج هو القاضي أي ذلك الذي يوكل اليه القضاء بين النّاس وإدارة شؤونهم طبقا للقوانين المصادق عليها. يقوم السبطان بمهامهما بعد انتخابهما من قبل مجلس الشعب لسنة واحدة مع امكانية الترشّح للخطة مرات عديدة. ويعتمد في اختيارهما مقاييس منها الثروة والكفاءة والمستوى الثقافي. فضلا عن الوجاهة والقدرة على كسب الثقة والقيام بحملة انتخابية ناجعة. يتولّى السبطان دوعة المجلسين للانعقاد وهما اللّذان يهيّئان جدول الأعمال بالتعاون مع لجان مختصة منتخبة. ويترأسان الجلسات ويديران النقاش ممّا يمكّنهما من القيام بدور خطير فعّال. ويوكل اليهما تنفيذ السياسة المتفّق عليها ويتابعان دواليب الادارة ويشرفان على كلّ ما قد يستوجبه الإجراء ويديران شؤون العدالة بممارسة القضاء أو بتفويض شؤون العدالة الى قضاة مختصّين مكلّفين بالنظر في قضايا المواطنين يصدرون أحكامهم في ضوء القانون وتطبيقا له.

والى جانب المحاكم العاديّة توجد محكمة مختصّة تعرف باسم مجلس المائة تتولّى النظر في القضايا المتعلّقة بالتصرف وبأمن الدولة. وتتميّز هذه المحكمة العليا بسلطان أعضائها الدائمين. فلقد كانت كالسّيف المسلول فوق رقاب الذين يتحمّلون المسؤولية، إدارية كانت أو عسكرية، ممّا جعل المواطن يخشى مخالب تلك المحكمة الرهيبة حتّى كان الانكماش والابتعاد عن المبادرة. فلمّا تولّى حنّبعل الأسباطية سنة 196 بادر بحلّ تلك المحكمة العليا أملا في اعادة الثّقة للناس وطمأنتهم على أموالهم ونفوسهم.



4

5

اعتنى القرطاجيون بالفلاحة وتناولت موسوعة ماجون الأشجار المثمرة والبساتين.

4. خضر وفواكه من طين مفخور: مدفنة سانت مونيك بقرطاج (*القرن III-IV ق.م*).

5. نصب من توفاة قرطاج عليه نخل "*من طلعها قنوان دانية*" (*القرن IV ق.م*).

ومن بين الذين كانوا يمارسون السلطة بتفويض، تجدر الإشارة الى عديد اللجان المختصة والهيئات النظامية : منها لجان خماسية ذكرها أرسطو وكان يوكل اليها القيام بمهام داخل البلاد أو خارجها. فهذه تهتّم بشؤون الديانة والمعابد وأخرى تعتنى بقضايا الحسبة والضرائب وغيرها.

الإقتصاد القرطاجي

يستند الإقتصاد القرطاجي الى قطاعات ثلاثة : الفلاحة والصناعة والتجارة. ولقد اعتنى القرطاجيون بمختلف هذه الميادين فوفّروا الظروف العلمية والتقنية والقانونية لازدهارها واشعاعها وحمايتها حتى عمّ الرّخاء في قرطاج ونمت ثروتها.

الفلاحة

كانت الفلاحة عندهم محلّ رعاية فائقة وقد أورد القدماء في كتبهم اخبارا عنها مشيرين الى موسوعة في علوم الزراعة صنّفها عالم قرطاجي يدعى ماجون. تضمّ تلك الموسوعة 28 سفرا تناولت الضيعة بما تتضمنه من زراعات كبرى وغراسة أشجار وتصريف شؤونها وتناولت تربية الحيوانات ومعالجتها. وانتشرت تلك الموسوعة في أقطار البحر المتوسط عن طريق ترجمات يونانية ولاتينية[1].

لقد حاول العديد من المؤرّخين المعاصرين البحث عن سيرة ماجون، صاحب الموسوعة، دون الحصول على نتائج كافية مرضية. فلا نعرف عن عائلته شيئا ولا عن مسقط رأسه. ومعلوم أنّ مدينة قرطاج لم تكن مسقط رأس كل البونيين. فما نعرفه عن طريق النصوص القديمة وفي ضوء الفقرات التي وصلتنا من الموسوعة يتمثّل في عناصر تتعلّق بالإطار الزمني الذي عاش فيه ماجون وبالمحيط الثقافي الذي اليه ينتمي والفئة الإجتماعية التي فيها ترعرع. فأورد ابلينيوس

1. J. Heurgon, « L'agronome carthaginois Magon et ses traducteurs en latin et en grec », in *CRAI*, 1976, p. 442-456.

الأكبر أنّ ماجون كان من قادة الجيش القرطاجي الاّ أنّ ذلك لا يعني أنّه من العسكريين المحترفين فلعلّه كان ممّن تتوجّه الدّولة اليهم وتكلّفهم بمهام مدنية أو عسكرية عند الإقتضاء.

وفيما يتعلّق باطاره الزماني، فقد تعدّدت الروايات والاقتراحات : فهذا يعتقد أنّ ماجون، صاحب الموسوعة، هو مؤسّس الإمبراطورية القرطاجية خلال القرن السادس قبل ميلاد المسيح، لكنّها نظرية لم تصمد أمام النقد. فالفقرات التي وصلتنا من الموسوعة لا تناسب ذلك التاريخ إذ يوجد فيها أثر لمؤلفات يونانية تعود الى القرن الرابع قبل الميلاد. ومعلوم أنّ الحضارة البونية تفتحت إلى عناصر الحضارة اليونانية وبلغ هذا التفتّح أوجه خلال القرن الرابع قبل الميلاد. فكان القرطاجيون يحسنون اللغة اليونانية ومنهم من كان محيطا بالفلسفة اليونانية.

على أنّ ذلك لا يفيد قطعا أنّ ماجون صاحب الموسوعة عاش خلال القرن الرابع قبل الميلاد فكلّ ما قد نستطيع اثباته في ضوء ما سبق أنّ القرن الرابع هو الحدّ الأقصى بالنسبة للحقبة الزمنية التي عاش فيها ماجون. أمّا الحدّ الأدنى فهو في رأي أغلب المؤرّخين يزامن الحروب البونية. فالحقبة الزمنية التي قد تتنزّل فيها حياة ماجون تبدأ في القرن الرابع وتنتهي خلال القرن الثاني قبل الميلاد. فيكون ممّن عاشوا بين القرن الرابع والقرن الثاني قبل الميلاد دون ما تدقيق. فجلبار بيكار ينسبه الى عصر الحروب البونية ولم يتردّد أحد الإيطاليين في نسب الموسوعة الى أخي حنّبعل وقد كان يدعى ماجون وشارك في الحرب البونية الثانية ورافق أخاه الى ايطاليا. ففي رأي الباحث الإيطالي اسبيرنسا[1] تتوفّر في أخي حنّبعل كلّ الصفات التي نسبت لماجون صاحب الموسوعة : فهو قائد عسكري وعاش خلال الحرب البونية الثانية، ومعلوم أنّ الأبارقة كانوا معجبين بالحضارة اليونانية وكانوا مغرمين بالفلاحة ولهم مزارع وبساتين. فهل من الغريب أن تنجب هذه العائلة عالما في شؤون الفلاحة ؟ ثمّ لا ننسى أنّ من مآثر حنبّعل أنّه كلّف جنوده بغراسة الزياتين في ربوع الساحل تلك التي كان القدماء يسمّونها موزاق، فلقد كلّفهم بذلك حتّى لا تَسُوؤُهم البطالة.

1. F. Speranza, *Scriptorum Romanorum de re rustica Riliquiae*, Messine, 1974.

فلا شكّ أنّ نظرية الإيطالي اسبيرنسا طريفة مغرية لكنّها ليست قادرة على فرض كيانها. فقد تكون صحيحة لكن ليس لنا في الوثائق ما يثبت صحّتها بصفة قطعية. ومهما يكن الأمر، فصاحب الموسوعة ينتسب الى عائلة ثرية مثقّفة لها علاقة متينة بالأرض والزراعة، ذلك أنّ العمل الذي قام به ماجون لم يكن نتيجة مطالعات في دور الكتب بل كان حصيلة عمل نظري وعمل تطبيقي أساسه الملاحظة والتجربة. وأثبت القدماء ذلك عندما أقرّوا أنّ العديد من توجيهات ماجون لا تفيد الاّ الذين يستغلّون الأرض الأفريقية.

لم يصلنا من الموسوعة الماجونية الا بعض فقرات مبعثرة في كتب علماء الزراعة طيلة العهد الروماني. ولعلّ بعض أصدائها تجاوزت حدود العصر القديم وأدركت دنيا المسلمين عن طريق المصنّفات البيزنطية، فيبدو أنّ ابن العوام استفاد من مؤلّفات ماجون عن طريق موسوعة فلاحية بيزنطية صنّفها قسّيانوس.

ومن موسوعة ماجون بقيت فقرات مقتضبة عددها 66 تتعلّق بزراعة القموح وغراسة الأشجار المثمرة كالكروم والزيتون واللوز والرمّان والتين وكذلك بعض النباتات البرية التي قد تكون لها فائدة صيدلانية ثمّ انّ هناك قسم يتناول تربية الماشية وتربية النحل لإنتاج العسل وأخيرا نجد قسما يخصّ التصرف في الضيعة ويحتوى على مجموعة من النصائح منها قولته الشهيرة المأثورة ومضمونها إذا اشتريت ضيعة فعليك ان تبيع بيتك في المدينة. وفي المقولة إشارة الى ضرورة الإقامة في الضيعة ضمانا للإنتاج والإنتاجية. هكذا نتبيّن أنّ القرطاجيين كانوا يولون الفلاحة عناية فائقة. ولمّا كانوا حريصين على ازدهارها سخّروا لها العقول حتّى أصبحت عندهم من العلوم التطبيقية.

الصناعة

ساهمت الفلاحة القرطاجية في تنشيط القطاع الصناعي ويتجلّى ذلك في تحويل أو تكييف بعض المنتوجات كتجفيف التين والعنب وصناعة الزيوت والخمور وتصبير الأسماك فضلا عن النسيج والكسافة والنجارة والصباغة

لاسيما تلك التي تستمدّ مادّتها من بعض الأصداف كالموريكس. ومن المواد التي تستند اليها الصناعات القرطاجية، الطين والمعادن والخشب والعظم والعاج والأحجار الكريمة وشبه الكريمة وغيرها.. وكانت تلك الحرف والصناعات تنتج للسوق الداخلية وتزوّد الأسواق الخارجية.

التجارة

اكتسب القرطاجيون في ميادين التجارة شهرة لدى شعوب البحر الأبيض المتوسط جميعها بل أدركت ما وراء الصحراء فكانوا يغامرون بحرا وبرّا ويتصدّون للمخاطر ويتعلّمون لغات حرفائهم ويحاولون التعرّف على تقاليدهم وأذواقهم ليتمكّنوا من اقناعهم واغرائهم بأنجع الطرق. أولت سلطات قرطاج التجارة عناية كبرى لتوفير الظروف المساعدة : منها بناء السفن وتهيئة موان تمكّن الاساطيل التجارية من القيام بما يستوجبه الشحن والتفريغ من أرصفة ومخازن جيّدة تضمن سلامة البضاعة. وكانت سلطات قرطاج تعمل على حماية الاساطيل من شرّ القرصنة وحماية السوق بالاستناد الى معاهدات كالتي أبرمتها مع روما سنة 509 قبل ميلاد المسيح وتمّ تجديدها مرارا تماشيا مع الظروف الراهنة وتجاوبا معها : فكان لقرطاج قناصل يمثّلونها لدى السلطات الأجنبية ويسهرون على حماية مواطنيهم وضمان حقوقهم. كما كان لتلك الدول أعوان يمثّلونها في قرطاج.

ومن أهمّ البضاعات التي تناولتها التجارة القرطاجية المعادن، فكانت سفن قرطاج تتردّد على جَنُوب اسبانيا ومنها تتزوّد بمعادن مختلفة كالنحاس والرصاص والفضة، وقد تتجاوز تلك الربوع نحو الشمال. فمن مدينة جديرة تبحر السفن نحو القرنوال جنوب شرقي بريطانيا العظمى حيث توجد مناجم القصدير. وتتوجّه سفن أخرى نحو السواحل الافريقية المطلّة على المحيط الأطلسي. ولا شكّ أنّ رحلتي حنّون وخيملك تندرجان ضمن سياسة تستهدف التعرّف الى مسالك وأسواق تستفيد منها التجارة القرطاجية.

كان تجّار قرطاج يتعاملون مع حرفائهم في الأسواق الخارجية بطرق شتى تتماشى مع الظروف. فلقد استخدموا الذهب والفضة سبائك موزونة أو

عملة تضمن الدولة قيمتها. على أنّ أولى المسكوكات القرطاجية لا تتجاوز حدود القرن الخامس قبل ميلاد المسيح. وانتشر استعمالها خلال القرن الرابع وزمن الحروب الرومانية القرطاجية. وكانت دور الضرب تحت رقابة قضاة مختصّين في الشؤون المالية[1]. وبالرغم من ظهور العملة وانتشارها، فلم تتخلّ التجارة القرطاجية عن المقايضة وخاصة مع الشعوب البدائية كالتى تقيم على سواحل المحيط الاطلسي[2].

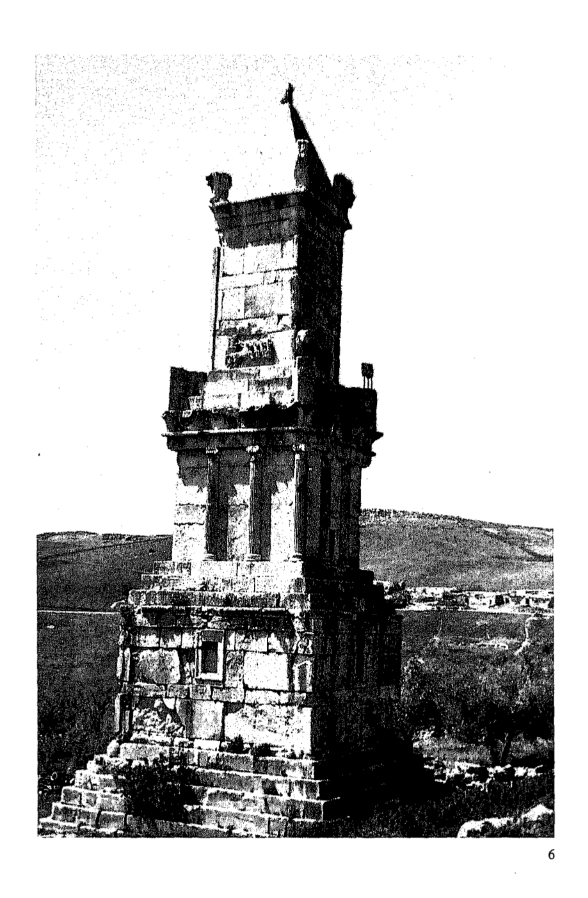
الممالك النوميدية والماوورية

تنغمس جذور هذه الممالك في أعمق طبقات الماضي المغاربي. ويتجلّى ذلك في الأساطير كالتى تحدّثت عن الملك اللّوبي يرباص مشيرة الى وقوعه في هوى الأميرة عليسة. على أنّ صورة الممالك النوميدية الماوورية لم تبرز بوضوح الا في القرن الثالث قبل ميلاد المسيح. ذلك أنّها حشرت في الحروب التي شبّت بين روما وقرطاج ممّا جعل المؤرّخين القدامى يهتمّون بها ويصفونها منوّهين بالذين تشيّعوا للرّومان مندّدين بمن آثر الصفوف القرطاجية.

لقد كانت نوميديا تمسح مناطق شاسعة من غربي البلاد التونسية الى واد الملوية شرق المغرب الأقصى وتقاسمت هذه الربوع مملكتان : المملكة المسَيْصُولية وعاصمتها سيجن قرب وهران والمملكة المصولية وعاصمتها كرطن وهي التي نسميها اليوم قسنطينة. أمّا عن حدود هاتين المملكتين فقد يعسر ضبطها. فالثابت أنّ المملكة المَسَيْصُولية كانت تفوق جارتها مساحة وكان لها من الوزن ما جعل عاهلها سيفاكس (220-203) يبسط نفوذه نحو الشرق حتّى استولى على كِرُطَنَ وكان يريد القضاء على كيان المملكة المصولية في عهد كان عرشها شاغرا لكن تصدّى له أمير من الاسرة المالكة يدعى مسنسن وقد استعان بالقوات الرومانية منظمّا الى صفوفها ضدّ قرطاج وحليفها سيفاكس ابّان الحرب البونية الثانية (218-201 ق.م).

---

1. E. Acquaro, « Le monete », in *I Fenici*, Milano, Bompiani, 1988.
2. Hérodote, IV, 196.



6

6. ضريح أمير نوميدي بدقة. تولّى تصميمه وتنفيذه مهندس معماري نوميدي يدعى أتبن (فيما بين القرنين III و II ق.م).

ولمّا وضعت الحرب اوزارها وأسّر الملك سيفاكس سنة 203 ق.م تبوّأ مسنسن العرش المصولي واتخذ من كرطن عاصمة له واجتهد هذا الملك الطموح الجسور في تصريف شؤون مملكته مستفيدا من تجارب الحضارة القرطاجية منفتحا على البحر المتوسط. فكانت اللّغة البونية لغة رسمية في القصر والادارة والمعبد وقد أشاد المؤرّخون القدامى بسياسته الفاعلة في مختلف الميادين الاقتصادية والاجتماعية. فحضّر البلاد وشجّع القبائل النوميدية على الاستقرار في المدن والقرى وعلّمها فنون الزراعة ودرّبها على الحداثة والاستفادة من الغير بالتعرّف اليه والتعايش معه والاتجار. فكانت كرطن، عاصمة المملكة المصولية، قطبا حضاريا يتعايش فيه النوميديون مع البونيين واليونانيين وغيرهم ممّن كانوا يتردّدون على قصر الملك أو يأتون المدينة للتجارة أو لتعاطي بعض الحرف المتطوّرة.

والى جانب كرطن وهي التي تركت مكانها لقسنطينة كانت المملكة المصولية تعجّ بالمدن والقرى الريفية منها باجة وتبرسق ودقة وبلّة وتبسّة وهيبون وهي التي نسمّيها اليوم عنّابة وتاجسط وهي التي خلفتها مدينة سوق أهراس وغيرها. كان الملك يشرف على تصريف شؤون مملكته بالإستناد الى مساعدين يصطفيهم من بين المقرّبين لديه كما كان يتعاون مع شيوخ القبائل. ثمّ تراه لا يتحرّج من التواطىء مع السلطات الرومانية ليتمكّن من نهش الربوع القرطاجية : فكان يقوم بالغارة تلوى الغارة داخل الأرض القرطاجية للإستلاء عليها وضمّها الى مملكته ظلما وعدوانا. وساعده على ذلك أولي الأمر في روما ضمن سياسة خطّطوا لها ورسموا أهدافها القريبة والبعيدة.

ولمّا كانوا يخشون طموح ملك شيطاني العبقرية باتوا يبحثون عن وسائل بها يستطيعون اتّقاء شرّه ووضع حدّ لطموحه. ولعلّ ذلك من الأسباب التي جعلتهم يقبلون على اغتيال قرطاج والقضاء على كيانها السياسي وغزو الأراضي التابعة لها.

وما ان توفي مسنسن حتى بادرت روما بتقسيم النفوذ في مملكته المترامية الأطراف وقد كانت تمتدّ من طبرقة الى نهر الملوية وتحتوى على مدن عديدة كانت تابعة لقرطاج منها لفقي وويّة وسبراطة بالجماهرية الليبية. وعلى كلّ فالثابت أنّ السلطة في المملكة النوميدية قسّمت على ابناء مسنسن إثر

وفاته سنة 148 قبل ميلاد المسيح وكانوا ثلاثة فـأُسْنِدَتْ إدارة شؤون المملكة المدنية الى مكوسن[1] وهو أكبرهم سنّا. واستأثر مستنعبأ[2] بالقضاء بين الناس أمّا قيادة الجيوش فكانت من نصيب جُولُوسن وتوارثهم أبناؤهم وأحفادهم ومن أشهرهم يوغرطة الذي شقّ عصا الطاعة في وجه روما حتى أثار حفيظتها فكسّرت شوكته وقضت عليه القضاء المبرم وأسرته واغتيل في سجن روما سنة 105 ق.م. ولكن تَصْفِيَةَ المملكة النوميدية كانت على يدي يوليوس قيصر سنة 46 قبل ميلاد المسيح وقد أمر بـضـمّها الى الولاية الرومانية بأفريقة وسمّيت أفريقة الجديدة.

أمّا المملكة الماوورية فهي تقع غرب نهر الملوية، وكان المؤرّخون القدامى يطلقون على ربوعها اسم موريطانيا أي بلاد الماوُوريين، ويبدو أنّ أقدم الأخبار حولها تعود الى القرن الرابع قبل ميلاد المسيح. وتجدر الإشارة الى ملك مَاوُوريّ اسمه باجا وهو من الذين زامنوا الملك مسنسن ووقف الى جانبه لمّا استولى ملك المسَيْصُوليين على عرش أبيه وبات يطارده للقضاء عليه. ثمّ تبرز معالم المملكة الماوورية بوضوح في نهاية القرن الثاني ق.م. ابّان حرب يوغرطة. ففي سرده لأطوار هذه الحرب الرومانية النوميدية أشار المؤرّخ صلّوستيوس الى المملكة الماوورية والى الدّور الذي قام به ملكها بُقُّسُ. وكانت المملكة اذّاك ممتدّة بين واد الملوية شرقا والمحيط الأطلسي غربا. ويحدّها مضيق هرقليس شمالا. أمّا تخومها الجنوبية فقد كانت متموّجة متأرجحة تتوغّل في الجنوب تارة وتتقلّص نحو الشمال طورا. فوراء الحدود الجنوبية كانت تعيش قبائل جدالة وقد عرفت بِتَشَبُّثِها بالحرية لا ترتاح لمن قد يريد السيطرة عليها ويخضعها لنظمه وقوانينه.

وفي القرن الثاني قبل ميلاد المسيح إتّسعت المملكة الماوورية نحو الشرق وتجاوزت نهر الملوية وتمكّن الملك بُقُّسُ من الإستلاء على جزء من مملكة يوغرطة جزاء له من قبل الرومان على المساعدة التي قدّمها لهم أثناء الحرب. ومعلوم أنّه مكّنهم من القاء القبض على عدوّهم وكان يوغرطة ألّد عدّو لهم وقتئذ. ويرجّح أنّ حدود مملكته شرقا باتت تمرّ بين مصبّ الوادي الكبير والشلف.

1. Hérodote, IV, 198.
2. S. Mazzarino, *Fra Oriente e Occidente*, Firenze, 1947 ; – P. Lévêque, *Pyrrhos*, Paris, édit. De Boccard, 1957 ; – S. Consolo Langher, « I Trattati tra Siracusa e Cartagine e la genesi e il significato della guerra del 312-306. a.C. », in *Athenaeum*, nuova serie, vol. LX VIII, 1980, p. 309- 339.

وفي عهد يوليوس قيصر أي في منتصف القرن الأول قبل ميلاد المسيح انقسمت المملكة شطرين فكان بُقُّشُ الثاني على عرش مورطانيا الشرقية واستأثر بُجُود بشطرها الغربي متخذا تينجي عاصمة له.

وفي سنة 38 ق.م كان بجود في صفوف أنطونيوس المنهزم فجرّد من تاجه وتمكّن بقّش الثاني من توحيد المملكة الماوورية مستأثرا بعرشها الى مماته سنة 34 قبل ميلاد المسيح وبقي العرش شاغرا الى أن تبوأه يُوبى الثاني بتوصية من الإمبراطور الروماني أوجستوس سنة 25 ق.م. ولمّا توفي سنة 24 ميلاديا خلفه ابنه بطليموس الى أن تمّ اغتياله بأمر من الإمبراطور الروماني قَلِّيجُولة سنة 40 بعد ميلاد المسيح.

أفادت الممالك النوميدية والممالك الماوورية من المدّ الكنعاني فلقد دخلت الكتابة إليها وانتشرت فيها. ولم يكتف النوميديون والماووريون بتبنّي الحرف الفنيقي القرطاجي بل دفعهم ذلك الى استنباط حروف للهجاتهم. هذا ولم تعرف أقطار غربي البحر المتوسط الكتابة قبل الحضور الفنيقي. ودخلت الحياة الحضرية هذه الربوع بدخول الفنيقيين عليها. كانت للقرى اللوبية ملامح ريفية بدائية فأتى الفنيقيون بنموذج مشرقي متطور من حيث هيكلته المعمارية ومن حيث نظمه السياسية والإدارية ويتمثّل ذلك في مواد بناء وتقنيات واشكال وأحجام وتهيئة فضلا عن أساليب التنظيم والإدارة والدفاع عن المكاسب وحماية الأرض.

وبتأسيس قرطاج تعرّفت المنطقة على نظام المدينة الدولة وعلى معنى المواطنة ومساهمة الفرد في بناء الكيان. فلا شكّ أنّ الممالك النوميدية والممالك الماوورية استفادت من تجارب قرطاج ونظمها السياسية والإدارية ؛ فهذه مدن نوميدية تتبنّى الأسباطية ويتبنّى الملوك نظام السكّة فيضربون نقودا تحمل صورهم وأسماءهم ولا يتردّد الافريقيون في عبادة آلهة قرطاج وليس في ذلك تنكّر للأصول ولا تقليد أعمى بل هي مواقف حضارية تفيد ارادة التطوّر والكسب مع احترام الخصوصيات والوفاء للذّات.

الفصل الثالث

الدفـــاع عن الـــذات

الصراع القرطاجي اليوناني (580-276 ق.م)

بدأ التنافس بين قوى غربي المتوسط منذ عهد قديم ولقد أنشئت قرطاج لتواجه المنافسة اليونانية وتسعى الى احتوائها وفلّ شوكتها ومنع الاغريق من اقتحام مناطق نفوذها وقدكانت حريصة كلّ الحرص على حماية ما يمكن تسميه بالمثلّث القرطاجي وهو مثلّث استراتيجي يتكوّن من جزيرة سردانيا وغربي صقلية وهما منطقتان تمثّلان قاعدة المثلث أمّا قمّته فهي قرطاج. وكم حاول الاغريق التوّسع على حساب القرطاجيين : من ذلك محاولات قامت بها مدينة قورينة لاكتساح الربوع البونية القريبة من السرت الاكبر بشرقي الجماهرية الليبية. وقورينة مستوطنة يونانية أقامتها مدينة ثَيْرةُ سنة 630 ق.م على الساحل الليبي في منطقة تدعى اليوم الشحّات.

وما ان استوت على قدميها واشتّد عودها حتىٰ باتت تبغي التوسّع نحو الرّبوع القرطاجية ولكن بدون جدوى. ممّا جعلها تشجّع المغامرين وتدفعهم الى القيام بحملات تجاه المناطق الغربية مستفيدة من غياب القوة القرطاجية أو مّا قد يطرأ عليها من تقلّص وفتور. ومن أولئك المغامرين تجدر الإشارة الى مواطن اسبرطي يدعى دوريوس وقد توغّل داخل الأراضي القرطاجية حتى أدرك

مصبّ وادي القُونَيُفِسَ على بعد 18 كم جنوب مدينة لفقى. وهي ربوع خصبة ما انفك الاغريق في قورينة ينظرون اليها بعين الجشع. نوّه بها المؤرّخ اليوناني هيرودوتس قائلا : انّها من أطيب الاراضي في العالم انتاجا للقموح : تربتها سوداء ترويها عيون سخيّة فلا تشكو الجدب ولا تخاف الفيضان بل كانت جيّدة معطاء حتى أنّ الحبّة فيها تتضاعف ثلاث مائة مرة[1].

أقام دوريوس مستوطنة قرب مصبّ القُونَيُفِسِ لكنّها لم تعمّر طويلا وقد تظافرت جهود القرطاجيين وجهود القبائل الاهلية المقيمة هناك فحاصروها وأطردوا الدخيل. فتحوّل الى غربي صقلية يريد الانتصاب فيها لمضايقة قرطاج، لكن جهوده باءت بالفشل. كما فشل من قبل مغامر يوناني آخر يدعى فَنْتَتْلُوس وقد لقي حتفه في صقلية القرطاجية سنة 580 ق.م وتواصل الصراع بين الاغريق وقرطاج حتى بداية القرن الثالث قبل ميلاد المسيح. وكانت المعارك سجالا بين الطرفين تتخلّلها فترات سلم وتبادل تجاري مشفوع بحوار حضاري. ففي القرن الخامس ق.م. واجهت قرطاج طموح سلاطين مدينة سرقوسة ومنهم جِيلُون الذي تحالف مع صاحب مدينة جرجنته في محاولة للقضاء على الحضور القرطاجي كي يستأثر الاغريق بصقلية، وقد يفتح لهم ذلك أبوابا أخرى. كان الالتحام بين المتصارعين بالقرب من مدينة هيمَيُرة سنة 480 ق.م. وانتهت المعركة دون أن يدرك الاغريق الهدف رغم الخسائر الفادحة التي ألحقت بالجيش القرطاجي ممّا دفع قائده عبد ملقرت الى الإنتحار.

وفيما بين نهاية القرن الخامس وبداية القرن الرابع قبل ميلاد المسيح هاجم دِيُونيسُوسُ السرقوسي صقلية البونية وتمكّن من دخول مُطْوة وحطّمها سنة 397 ق.م ولكن صمد القرطاجيون وتراجع الجيش اليوناني ولاحقه القائد القرطاجي خيملك وحوصرت سرقوسة وعيث في كورتها فسادا. وفي سنة 310 ق.م. زحف أجَاثُكْلِيس على السّواحل القرطاجية وكان يريد مهاجمة العاصمة البونية وضرب الحصار عليها وترويع سكانها حتى ينسحبوا من صقلية لكنّ المغامرة لم تفلح بل صمدت قرطاج وعاد أجاثُكْليس الى سرقوسة منهزما

1. C. Nicolet, « Les guerres puniques », in *Rome et la conquête du monde méditerranéen 2/Genèse d'un empire*, Paris, PUF, 1978, p. 594-626 ; – B. Combet Farnoux, *Les guerres puniques*, Paris, PUF, 1967 (Que-Sais-je ? N° 888).

مهزوزًا سنة 307 ق.م. وفي بداية القرن الثالث ق.م. تزعّم الملك اليوناني بُرُّوس شؤون الاغريق في صقلية. وفي سنة 277 ق.م. حاول الانقضاض على الربوع القرطاجية في الجزيرة بجيش يعدّ 000 30 راجل و 500 2 فارس وقطيع من الفيلة المدرّبة على المعارك في ساحة الوغى. لكنّه أخفق ولم يستطع دخول مدينة لَيْلُوبيّة فعاد الى سرقوسة مخدوش الكبرياء.

ولعلّه فكّر في مهاجمة السواحل الافريقية أملا في تكسير شوكة قرطاج والقضاء عليها. لكنّه لم يجد في المدن اليونانية أنصارا يتحمّسون لمشروعه وفي سنة 275 ق.م. غادر الجزيرة عائد الى مملكته بإيفيروس الواقعة شمال غربي اليونان. وتمكّن القرطاجيون من البقاء في صقلية بل امتدّت نفوذهم وباتت قرطاج تندسّ في شؤون المدن اليونانية فتساعد هذه وتقف في وجه أخرى وتفرض حلولها على المتخاصمين.

الحروب الرومانية القرطاجية (264-146 ق.م)

لمّا كان الملك بُرُّوس يغادر صقلية خائبا تأمّل في الجزيرة وقال : يالها من ساحة وغى نتركها للقرطاجيين والرّومان! قد يصحّ للقارىء أن يشكّ في تاريخية هذه القولة المأثورة لكنّها تعكس واقعا تاريخيا لا جدال فيه. اذ اندلعت الحرب بين روما وقرطاج سنة 264 ق.م. أي بعد أن غادر بُرُّوس الجزيرة باثنتي عشرة سنة. وكانت المعارك بين القوّتين طاحنة ولم يبق للمعاهدات جدوى وقد أبرمت منذ نهاية القرن السادس ق.م. فالاولى تعود الى سنة 509 ق.م وأخرى كانت قبيل مُغَامَرَة بِرُّوس. ولعلّها أبرمت سنة 279 ق.م.

وتضمّنت هذه المعاهدة تكريس ما اتفق عليه سابقا وفيها بنود ظرفية تخصّ الملك الاغريقي بُرُّوس باعتباره عدوّ الدولتين. وتعهّدت كلتاهما بألا تفاوض الخصم على انفراد وبتقديم النجدة عند الطلب وتعهّدت قرطاج بتأمين النقل البحرى ذهابا وايّابا وفي المعاهدة بنود اخرى تتعلّق بالمؤونة والتعاون العسكري.

ولئن تمّت المصادقة على هذه المعاهدة فلقد ثبت أنّها لم تكن مجدية : فلمّا زحف جيش بُرُّوس على المناطق القرطاجية لم تأت روما لنصرة حليفتها ولم

يكن القرطاجيون في ذلك راغبين. ومعلوم أنّهم لم يطلبوا تطبيق المعاهدة وكأنّهم كانوا يرغبون عن حضور حلفائهم في صقلية بل يريدونهم بعيدين عن شؤونها.

واتخذت روما نفس الموقف فلم تدع قرطاج لنجدتها. فمواقف الطرفين كانت إذ ذاك تتصّف بحذر تشوبه الريبة. ولّما فرضت روما سيطرتها على ايطاليا باتت لا تستطيع البقاء بعيدة عن شؤون صقلية وكأنّ فشل الملك بُرُّوس أغلق باب الجزيرة في وجه الاغريق ليفتحه أمام الرّومان. ونشأت في الاوساط السياسية الرومانية قناعة مفادها أنّ مصير بلادهم مرتبط أوثق ما يكون الارتباط بحضورهم في صقلية والاستئثار بها.

تلك هي الارضية التي ماانفكت تغذّي تنافسا بين قرطاج ورومامع اختلاف الرّهان. ففي حين أنّ قرطاج كانت تسعى الى تأمين بقائها في صقلية وضمان أمن التجارة في البحر المتوسط، كان الرومان يسعون الى الاستئثار بالجزيرة ضمن سياسة توسعية تتجاوز حدودها. واستفادت روما من الازمات التي كانت تعيشها بعض المدن اليونانية للتدّخل في شؤونها ممّا تسبّب في القطيعة بين الدولتين المتنافستين والتهب الفتيل سنة 264 ق.م. ولم ينطف قبل سقوط قرطاج سنة 146 ق.م.

كانت الحرب طويلة دامت أكثر من مائة سنة وان مرّت بمراحل ثلاثة، تلك التي نسميها حروبا بونية أو حروبا رومانية قرطاجية. فالحرب الاولى كان رهانها جزيرة صقلية ودارت رحاها برّا وبحرا في الجزيرة وفي أفريقة وقد كلّف القنصل ريجولوس بقيادة حملة تستهدف نقل الحرب الى ربوع قرطاج وضربها في عقر دارها : كان ذلك فيما بين سنة (256-250) ولكن صمدت قرطاج واستفادت من خبرة قائد يوناني مرتزق يدعى إكْسَنْتِبُّوسُ للقضاء على ريجولوس قضاء مبرما.

ولئن تمّ تحرير الارض الافريقية من الزاحفين عليها فالجيوش القرطاجية انهزمت في مياه صقلية ممّا جرّها الى طلب الهدنة والصلح. وتخلّت عن الجزيرة مع دفع ضريبة عسكرية قدرها أربعة آلاف وأربعمائة طلنت أُوبِيّ من فضة أي ما ينيف عن 114 400 كلغ تسدّد أقساطا على عشرين سنة. هذا وأطردت قرطاج من جزيرة سردانيا في ظروف عصيبة لم تتحرّج سلطات روما من

استغلالها للضغط عليها وهي تعيش حربا داخلية أضرم نارها مرتزقة وجدوا مساندة من بعض القبائل اللوبية. ولم تنج قرطاج من براثين حرب المرتزقة الا بفضل القائد عبد ملقرت البرقي الذي سخّر عبقريته وتجاربه العسكرية لاحتواء نار الفتنة والقضاء على زعمائها الثلاثة وهم اليوناني اسْبَنْدِيُوس والجِلِّي أُوتَارِيتُ واللّوبي مَاثُو الذي أقضّ مضجع القرطاجيين وجرّعهم ألوان الخوف وحرّم عليهم دفء السلامة والطمأنينة[1].

ولمّا انتهت "حرب المرتزقة" سنة 237 تألّق نجم عبد ملقرت البرقي في سماء قرطاج وانطلقت الجماهير تردّد اسمه وتشدو بمآثره حتى أصبح من ألمع الشخصيات القرطاجية. وهو القائد المظفّر في صقليّة ذاك الذي لم تستطع جيوش روما الاستلاء على مواقعه بجبل إيركسة. ولئن غادر عرعورة الجبل فلقد فعل ذلك عن مضض تطبيقا لاوامر قرطاج. على أنّ نزوله من قلعته الحصينة كان مشفوعا بشروط تضمن له ولجنوده الكرامة وتقيهم شرّ الامتهان.

وما ان استتّب الامن وتنفّست قرطاج الصعداء حتى بادر عبد ملقرت بعرض مشروع يخصّ الحضور القرطاجي بشبه جزيرة الايبيريين فطلب التحوّل الى تلك الربوع الثرية بمناجم الفضة والنحاس والمعادن الاخرى فضلا عن خصوبة أرضها ممّا قد يعوّض لقرطاج بعض ما انتزعه الرومان منها بالقوة. انّه مشروع طموح ولود. يساعد على انجاز مشاريع اخرى سياسية واقتصادية.

نالت الخطّة موافقة أصحاب الحل والعقد في قرطاج وتحوّل عبد ملقرت الى اسبانيا سنة 237 واصطحبه صهره عزربعل وابنه حنّبعل وكان طفلا صغيرا لمّا يتجاوز إذاك التاسعة من عمره. وكم تحدّث المؤرّخون القدامى عن نوايا عبد ملقرت وكم تعدّدت الروايات دون أن تفلت من قبضة الخيال بل سيطر عليها وألبسها من ألوانه ما كان يرغب فيه الرّواة : من ذلك قالوا إنّه طلب من ابنه حنّبعل أن يقسم بين يدى بعل حمّون أن يُضْمِرَ الحقد والعداوة للرومان طيلة حياته. ودخلت الاسطورة مخيلة المعاصرين فصوّروها تصويرا بالقلم والريشة والمنحات. وأيّا كان الأمر فثابت أنّ عبد ملقرت البرقي تحوّل الى شبه الجزيرة

1. Luigi Loreto, *La grande insurrezione libica contro cartagine del 241-237 A.C., una storia politica e militare*, Ecole Française de Rome, Palais Farnèse, 1995.

الايبيرية ونجح المشـروع دون أن يخفى ذلك على روما بل كانت تتابع سياسـة البرقيين وقد أوجست خيفة من تـوّسعهم في شبه الجـزيرة ومن سيطرتهم على القبائل الايبيرية ترغيبا وترهيبا.

ولمّا توفّي عبد ملقرت سنـة 228 ق.م. غرقا فـي قُحَافٍ اثر معركة تفـوّقت فيها القبائل المحليّة خَلَفَه صهره عزربعل وهو الذي أسّس مدينة جديدة فـي اسبانيا وسمّا ها قرطاج تيمّنا واعتزازا بالمدينة الأم ومـازالت تحمل هذا الاسم وتعتزّ به أيّما اعتزاز. واحتفظ به عرب الاندلس فكانوا يقولون قرطاجنة واليها ينتسب ابن حزم القرطاجـنـي. ولمّا اغتيل عـزربعل سنـة 221 ق.م بايع الجيش حنّبعل قائدا وهو في السادسة والعشرين من عمره. وكان قد تمرّس على حياة المعسكرات بحسن الانضباط والقيادة سخيّا بما له من عبقرية ومؤهّلات بدنية وذهنية وهو الجميل خلقا وخلقا يجسّم صورة البطل المثالي. فلاشكّ أنّ ذلك ساعده على تسوية جيش مطواع مخلص لا يتخلّف عن تنفيذ أوامره بل يجد سعادته في تحقيق مشاريع القائد واحترام خططه.

ولم يخف ذلك على السلطات الرومانية فقد كانت حـريصة على مراقبة الاحداث عن كثب، جادّة في الحصول على كلّ معلومة تخصّ الحضور القرطاجي في شبه الجزيرة الايبيرية ومواقف القبائل الاهلية منه. وأيقنت أنّ الرّجل خطير يجمع بين الاقدام والحكمة والطموح المشـروع دون تهوّر. فهو ذو خيال خصب لكنّه حريص على مسايرة الواقع والارتباط به أمتن ما يكون الارتباط أملا في تغييره وتجاوزه عند الحاجة. فثبت لـدى الـرّومان أن لا مندوحة من عرقلـة هـذا الطموح الجارف الرهيب. الـذّريعة وفّرتها مدينـة سَاجُنْت وهي التي حاصرها حنّبعل وحطّم أسوارها فباتت روما تتهيّأ لارسال جيش يؤدّب القرطاجيّ. لكنّه افتكّ المبادرة وأسرع بالتوجّه الى ربوعها ومعه جيش عتيد يصارعها في عقـر دارها طبقا لخـطّة محكمة أفرزتها عبقـرية قائد يتقن فنون الحرب ولا يخـاف مساجلة كبار السياسيين والدبلوماسيين.

انطلق حنبّعل من اسبانيا سنـة 218 متجّها نحو ايطاليا مُقْدِمًا على ما قد ينجرّ عن عبور الجبال والانهار. فكانت ملحمة جبال الا لب. تلك التي أدهشت القدامى ومازال المعاصرون يعتبرونها آبدة. وكم حاولوا تشخيص المسالك وتصوير المشاهد في ضوء النصوص القديمة كالتي أوردها تيتوس ليفيوس وهو مـؤرّخ

لاتيني عاش في القرن الاول ق.م. واعتمد في مصنّفاته كتب المؤرّخ اليوناني بوليبيوس وهو من القرن الثاني ق.م. ولئن اختلفت قراءات هذه الأحداث وتنوّعت الصّور وتعدّدت الالوان والاشكال. فثابت أنّ حنّبعل عبر وجيشه أنهارا مياهها عارمة وجبالا قممها شامخة تكسوها ثلوج أبدية وتشقّها مهاوي تبعث الرّعب في النفوس والفزع. وتسيطر على شعابها ومسابئها قبائل من الجَلّيين شداد.

وما ان تخطى حنّبعل الوعار وأدرك السهل حتى بادر بمجابهة العدوّ الروماني وجرّعه كُؤُوسَ الهزيمة في معارك خلّدها التاريخ. ومن أشهرها معركة ترازمانة. وقد دارت رحاها على ضفاف بحيرة في 21 جوان 217 ق.م. ومعركة قنّاي في الثاني من شهر أوت سنة 216 ق.م. ثمّ تباطأت الاحداث ولم يتمكّن حنّبعل من تجديد قواته العسكرية تجديدا فاعلا.

وغيّر العدوّ خطط المقاومة ونقل الحرب الى اسبانيا ثمّ الى افريقة. وهي خطّة جريئة كلّف بها القائد شبيون فانتصرفي اسبانيا واستولى على العاصمة البرقية قرطاجنة. ثمّ تحوّل الى أفريقة وقد انضمّ اليه الامير النوميدي مسنسن ذاك الذي يجمع بين الفطنة وروح المغامرة. ولمّا كان يطمح في خلافة أبيه على العرش المصولي وتحالفت قرطاج مع خصمه سيفاكس ملك المسَيُصوليين لم يبق له الاّ الالتحاق بالقيادة الرّومانية. فهل وعده شيبون بالعرش المصولي بعد الإنتصار؟ قد يكون ! ومعلوم أنّ القائد الروماني كان جذّابا يحسن ممارسة الاغراء وتقديم الوعود.

والثابت أنّ مسنسن أسدى للجيش الرّوماني خدمات جليلة فكان قائد فرسان أشاوس ودليلا عارفا بكلّ خصائص البلاد وخفاياها المناخية والجغرافية. فكان لا يتخلّف عن المعارك بل يساهم فيها بكلّ ما أوتي من خبرة وشجاعة. ومن الخدمات التي قدّمها للرّومان أن تمكّن من القبض على خصمه سيفاكس وسلّمه الى القيادة الرّومانيه إثر معركة دارت رحاها بالقرب من كرطة في 24 من شهر جوان سنة 203 ق.م. لقد قيل الكثير حول هذا الحدث. والثابت أنّ الملك المسَيُصولي أُسّر في هذه الحرب الضروس. وأصبح طريق العرش مفتوحا في وجه مسنسن. فلقد كان لفرسانه دور فاعل في معركة زامة الحاسمة. فلولاهم لما تمكّن شبيون من الفوز سنة 201 ق.م.

وتراجع حنّبعل وفضّل الاعتراف بواقع مرّ وقبل معاهدة ثقيلة أملاها شيبون. ومن بنودها أن يحتفظ القرطاجيّون بأراضيهم وتُضمن لهم حرية العيش فيها دون مضايقة شريطة أن يعيدوا ما استولوا عليه ويتخلّوا عن أسطولهم ، باستثناء عشر ثلاثيات ويسلّموا الفيلة جميعها. ومن شروط المعاهدة الاّ يدخل القرطاجيون في حرب إلاّ بعد الحصول على موافقة الرّومان. ومنها أيضا تمكين مسنسن من استرجاع كلّ المدن والأرياف التي كانت تتبع المملكة المصولية. هذا وتتعهّد قرطاج بتموين الجيش الرّوماني قموحا وبدفع رواتب الجنود فضلا عن ضريبة عسكرية قدرها 10 000 تلنط أوبيّ من فضّة تسدّد أقساطا على عشر سنوات. وفي المعاهدة بند يتعلّق برهائن تسلّمهم قرطاج الى روما ويقع اختيارهم من بين الأعيان على أن تكون أعمارهم بين الرّابع عشرة والثلاثين.

لقد استفاد مسنسن من نصّ هذه المعاهدة فبات ينهش الرّبوع القرطاجية ولا يتحرّج من نهبها والاستلاء عليها حتّى عيل صبر قرطاج فتصدّت له عسكريا بعد شكاوى تقدّمت بها الى روما دون جدوى ولا شكّ أنّ الرّومان كانوا يشجّعون الملك المصولي بطرق ملتوية.

فلمّا واجهت قرطاج خصمها أقامت روما عليها الحدّ متّهمة إيّاها بنقض المعاهدة وكانت الحرب الرّومانية القرطاجية الثالثة (149-146). والمرجّح أنّ الرّومان كانوا يبحثون عن مثل هذه الذرائع القانونية للإجهاز على قرطاج وذلك لأسباب عديدة منها الخوف من أن تستعيد قوّاها وكان كبار المزارعين الرّومان يخشون منافستها لاسيما وقد أصبحت الزّراعة القرطاجية تستند الى أبحاث علمية من أشهرها موسوعة ماجون. ومن دعاة القضاء على الدولة القرطاجية سياسيون كانوا يخشون طموح الملك المصولي حليفهم مسنسن وقد بدا لهم يفكّر في الإستلاء على قرطاج ليجعل منها عاصمة لملكته وهو ما لا يتماشى والمصالح الرّومانية في البحر المتوسط عاجلا وآجلا. ومهما يكن من أمر، فقد أقرّت روما العزم على وضع حدّ لدولة قرطاج دون أن يكون ذلك مفاجأة إذ تعوّد الرّومان الاستماع لشيخ من شيوخهم المرموقين يدعى قاتو وهو يردّد من أعلى منبر الخطابة : **واعتقادي أن لا بدّ من تحطيم قرطاج.**

وشبّت نار الحرب وأسند الرّومان القيادة لشيبون إيمليانوس وهو من عائلة شبيون الذي كسب معركة زامة ولقّب بالافريقي تنويها بالإنتصار الذي سجّله

بأفريقة. قاوم القرطاجيون وخاضوا معارك عنيفة من أجل المدينة والكيان وضحّوا بالنفس والنفيس رجالا ونساء وأثبتوا أنّهم يؤمنون بما يفوق المادّة ويتجاوزها حتّى كأنّ الهزيمة لم تكن هزيمتهم.

ولمّا دخل شبيون وجيشه المدينة انقضوا عليها نهبا وتخريبا ثمّ أضرموا النار فيها ودام الحريق مؤجّجا سبعة عشر يوما بلياليها فكان لا يبقى ولا يذر : انهارت البنايات الشامخة واختفت تحت الركام وبقيت مدفونة الى أن جاء الأثاريون وأزاحوا عنها اللّثام فانتعشت بنور الشمس وحرارتها ونطقت بحديث طريف عن قرطاج والقرطاجيين :

فهذه أشلاء سور المدينة وهذا ميناؤها بحوضيه المستطيل والمستدير أولهما كانت تأويه السفن التجارية وكان الثاني مقصورا على الأسطول الحربي وفيه جزيرة يعلوها برج الإمارة. ومن بين الأطلال التي كشف عنها الغطاء بيوت تعود الى زمن حنّبعل وعاش بعض أصحابها الحرب الرّومانية القرطاجية الثالثة. فهل قتلوا أثناء المعارك أم أسرّوا وتقاسمتهم أسواق العبيد؟ سؤال يبقى مطروحا على مرّ العصور. وهذه بنايات أخرى تحذو شاطئا يحميه جدار سميك يرتطم على أبراجه غضب الأمواج. ولئن اختلفت البيوت مساحة وزخرفا فهي فصل ثريّ من تاريخ العمارة السكنية : إنّها معلومات مفيدة عن مواد البناء وعن تقنيات العمارة والأشكال والأحجام. ولكلّ عنصر من عناصر البيت وظيفته : ممرّ معكوف يتصدّى لفضول الشارع وفناء فسيح الأرجاء يزوّد البيت نورا وهواء ويحتضن الغرف وبأروقته يَقِيها شرّ الحرّ والقرّ. والصّهريج لخزن ماء المطر.

ومن المعالم التي تمكّن الأثاريون من تشخيصها تجدر الإشارة الى فضاء مقدّس سمّاه المؤرّخون المعاصرون توفاة قياسا على ما أورده التوراة حول توفاة بورشليم. على أنّ القرطاجيين كانوا يدعونه **قدس بعل حمون** وفي الفضاء المقدّس كانوا يقيمون شعائر تخصّ عبادة بعل حمون وتانيت صاحبته وقيل تجنيا عليهم إنّهم كانوا يقرّبون أطفالهم لبعل على غرار ما ورد عن ابراهيم الخليل وابنه. والواقع أنّهم كانوا يرفعون الى بعل أطفالا يموتون صغار السنّ وكأنّهم مطالبون بتسليمهم طاعة لربّ أراد استرجاعهم. ففي إعتقادهم، أنّ الأطفال الذين يموتون صغار السنّ أو يجهضون لا ينتسبون لصنف الأموات بل اصطفاهم بعل واستعادهم. على أن تكون العودة طبق طقوس مضبوطة :

يرمّد جسم الطفل الميت ويوضع رماده في أرن يودع في بطن الأرض المقدّسة وقد يقام فوق الأرن المدفون نصب يذكّر بالحدث كتابة وزخرفا، تعبيرا عن الطاعة والورع. فهو نذر ودعاء وامتنان. لقد تختلف الزّخارف من نصب الى آخر، أمّا النّصوص فهي متشابهة وهذا نموذج ممّا سجّل في ديوان النقائش السّامية تحت رقم 4024 :

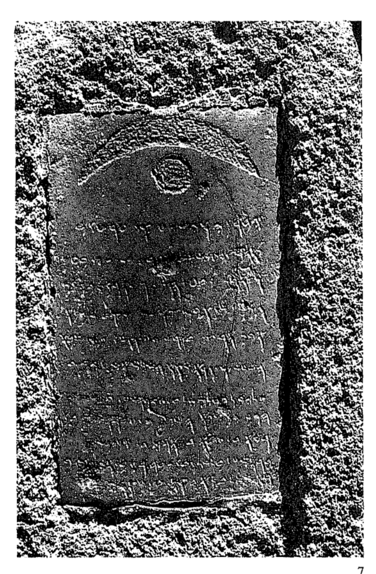
الى الرّبة تانيت وجه بعل والى
المولى بعل حمون مانذر
بدملقرت بن شفط بن
أرش بن جرملقرت.
تسمع قوله باركه.

أمّا الأموات العاديون فكانوا يُقبرون دفنا أو ترميدا في قبور تمّ العثور على الكثير منها في أواخر القرن التاسع عشر زمن الأب دي لاتر وهو الذي أوصته الكنيسة الكاتوليكية بالتنقيب عن كنوز قرطاج الأثرية. وتبدو تلك القبور كجباب نقرت في جوانبها غرف جنائزية توفّر الرّاحة والسكينة للذين غادروا عالم الأحياء. ويدفن الميّت أو يرمّد ومعه ظهرة جنائزية تختلف كمّا ونوعا لأسباب اجتماعية وعقائدية : فهذه أوعية من فخّار وهذه أقنعة وتمائم ومجوهرات وتلك أدوات عمل أو أسلحة وغيرها ممّا يستعمله النّاس في حياتهم الفردية والجماعية. وتقدّم للميّت عند دفنه أو ترميده هدايا وقرابين مصحوبة بأقوال وحركات تضبطها الطقوس.

في ثبات الحضارة البونية[1]

ولئن تمكّن الرّومان من القضاء على دولة قرطاج فالحضارة البونية بقيت حيّة بل كأنّها ازدات حضورا في بعض المدن النوميدية، فضلا عن ثباتها في مدن أخرى يقال إنّها استفادت من عطف الرّومان وصداقتهم. ومن تلك المدن

1. M.-H. Fantar, « Survivances de la civilisation punique en Afrique du Nord », in *l'Africa Romana*, VII, Sassari, 1990, p. 53-71.



7

7. نصب من توفاة قرطاج نقيشته سطرت بالحرف البوني، لصاحبه أصول مصريّة.
(متحف قرطاج : القرن IV ق.م.).

8. نقيشة معبد عشترت بمدينة مديديم سطرت بالحرف البوني الحديث.
(مستودع مكثر : القرن I ق.م.).



8



9

9. نصب من توفاة قرطاج فصّل على شكل
طلسم تانيت أقامه ساطر ابن ساطر.
(متحف باردو : القرن IV ق.م).

10. نقيشة "يجر" سطرت على وعاء من طين
مفخور.
(متحف سوسة : القرن III ق.م).



10

11. نصب من تبرسق عليه نقيشة سطرت بالحرف البوني الحديث.
(مستودع دقة : القرن I ق.م).

12. نصب نوره بجزيرة سردانيا عليه نقيشة سطرت بالحرف الفنيقي العتيق.
(متحف قالياري : القرن IX ق.م).

13. نصب نذري أقامه بُعُولُ مدينة مديديم. سطرت النقيشة بالحرف البوني الحديث.
(المعهد الوطني للتراث : القرن I ق.م).

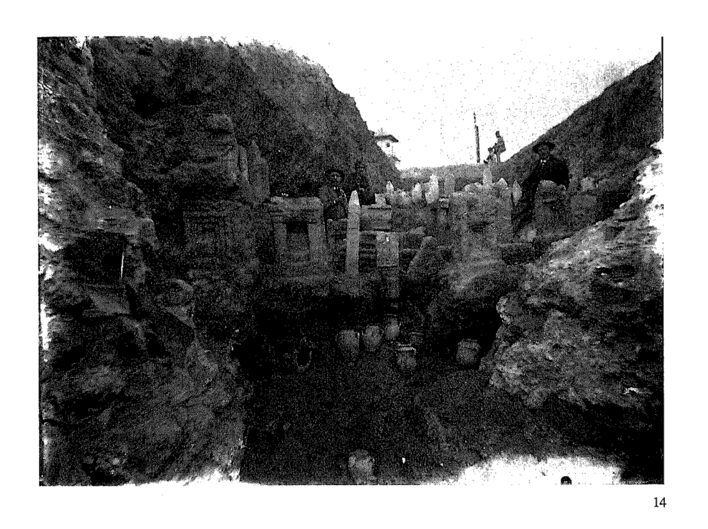
11



12



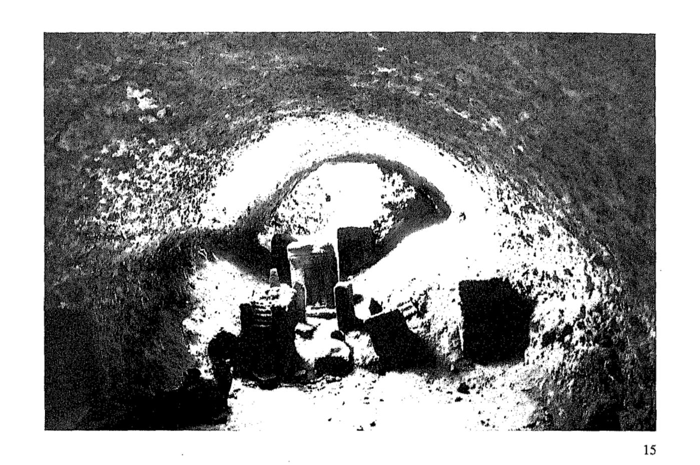
13



14

توفاة صلامبو بقرطاج.

14. بداية الحفريات.



15

15. أنصاب وقِفَفٌ يعلوها قَبْوٌ روماني.

وتيكة وهدريم وهي التي سمّاها الرّومان هدريميتوم رُوُمَنَةً لاسمها العتيق ومنها لبدى الصغرى وتفاشة وغيرها.

أمّا عن ثبات الحضارة البونية فتجدر الإشارة الى الديانة : فمانفك الأفريقيون يعبدون آلهة قرطاج ويشيّدون لها المعابد وقد تمّت تجلية أطلال فضاءات مقدّسة بونية تعود الى ما بعد سقوط الدّولة القرطاجية. وثبت في ضوء نقائش لاتينية أنّ العديد من المدن الافريقية حافظت على نظمها القديمة : فنجد في النقائش إشارات الى أسباط وهم القضاة الذين كانوا يشرفون على تطبيق القوانين والاوامر الصادرة عن مجلس الشيوخ أو عن مجلس الشعب. فمن بين المدن التي بقيت وفيّة الى النظم والهياكل البونية الأصل كالأسباطية نخصّ بالذكر دقّة ومكثر وقفصة ولمسة.

ولثبات قرطاج مظاهر أخرى عديدة تتجلّى في ميادين مختلفة كالعادات والتقاليد والرموز والتمائم كالخمسة والسّمكة. ثمّ لا بدّ من ذكر ما يسمّى عندنا بخبز الطابونة أي خبز التنّور فمازالت المرأة في الأرياف التونسية تصنع خبزا على الطريقة القرطاجية من حيث شكل التنّور وحجم الرغيف والحركة التي بها يلصق الرغيف على جنب التنّور بعد إحمائه. والى جملة العناصر التي توارثتها الأجيال عن الحضارة القرطاجية البونية تنضاف اللّغة. فقد بقيت حيّة في أفواه أهل الريف الأفريقي طيلة العهد الرّوماني بل تجاوزته الى تخوم الفتح العربي الإسلامي ولنا شواهد عديدة على ذلك يتمثّل بعضها في نقائش بونية تعود الى أيّام الامبراطورية الرّومانية وجاء بعضها في رسائل القدّيس أوجستنوس اسقف عنابة خلال القرن الخامس وبعضها في تاريخ بروقُبْيُوس البزنطي في القرن السادس ومازالت بعض مفردات معجم اللهجة التونسية يشتّم عنها رائحة اللّسان القرطاجي العتيق.

الباب الأول

اللّغــة والأدب



16

16. نقيشة سطرت بالحرفين البوني والبوني الحديث تنوه بإقامة معبدين أحدهما لبعل والثاني لتانيت وجه بعل تم العثور على هذه النقيشة الطريفة بين أطلال قرية ريفية تسمى تنسمة كانت في ربوع بئر بورقبة. (متحف نابل : القرن I ق.م.).

الفصل الأول

القــراءة والكتابـــة

اللّغة والأدب

يغوص بك الأدب والفنّ الى أعماق الإنسان فتحيط به من كل جانب وتتعرّف الى أبعاده جميعها، الذّاتية منها والمنتحلة. فتراه كما هو وتراه كما يريد أن تراه وتقف على مشاعره الدفينة ومشاغله كما قد تبدو في طيّات الحروف وأشكال الصور وألوانها وأحجامها.

فهو مشروع متعدد الوجوه يتناول الإنسان وتورطه في شعاب المعيش دينية كانت أو دنيوية كالتى تخطها الحياة في البيت والشارع، وكالتي تفرضها علاقة الإنسان بالآلهة، وهي عبادة وسعادة ورهبة ومنها الصلة بين الحياة والموت، وثابت أنّ الأموات لا يفارقون الأحياء بل يملؤونهم بهواجس خطيرة كثيرة. كل هذه العناصر تطفو متداخلة متشابكة لحوك نسيج خيوطه متنوعة متضافرة متلاحمة لا تحصى.

كيف الوقوف على مكونات أدب الحرف وعلى مضمون الأسطورة التي تقاذفتها الأفواه والتقطتها الآذان وتوارثتها الأجيال ؟ فالدين والدنيا يتقاسمان الفضاء، كلاهما يوحي بالشكل والكلمة والحركة وكلاهما يوصي بموقف وينهى عن آخر.

إنّه عالم فسيح الأرجاء ثناياه عديدة تتناظر وتتقاطع وتتظاهر وتتراكب حتى يعسر إدراك ما فيها. ولا أحد يستطيع ضمّها الى صدره بين ذراعيه حتى ولو كان من أحفاد جلجامش الجبّار. كذلك يتحتم الإختيار وما يتضمنه الإختيار من ضغوط وحرمان على كل من قد يحاول رسم ملامح الأدب والفن في قرطاج.

إنّ المجازفة خطيرة لكنّها جديرة بكل مبادرة موضوعية واعية بمضمون الوثائق المتوفرة وبحدودها ونقائصها. فعمل كهذا يستوجب استقراء ما ورد في كتب القدامى من بني اليونان والرّومان كما لا بدّ من جمع شتات ما كشف عنه الغطاء من أطلال قرطاجية، ورصد ما في النقائش البونية.

القراءة والكتابة

لقد انتشرت اللغة الفنيقية البونية لدى شعوب عديدة في غربي البحر الأبيض المتوسط : ففي ربوع شمال افريقيا وصقلية وسردانيا وجنوب اسبانيا ومالطة تمّ العثور على نصوص فنيقية وأخرى بونية وهي تلك التي تعود الى أيّام قرطاج. وقد تسربت هذه اللغة الى الممالك النوميدية الماوورية : ففي كرطن وسيجن ووليلي كانت النصوص الرسميّة تحرر بالحروف واللّغة التي أدخلها الفنيقيون الى غربي المتوسط. واللّغة الفنيقية البونية تنتمي الى شجرة اللّغات السامية، بل هي غصن من فرعها الشمالي الغربي[1] ومن لغات هذا الفرع الأرمية والعبرية. فالفرق بين لسان التوراة ولغة الكنعانيين يبدو ضئيلا الى حدّ جعل بعضهم يعتبرونهما وجهين لكيان لغوي واحد.

وفي القرن الثامن عشر وجد القس الفرنسي برتلّيمي[2] مفتاح اللّغة الفنيقية إستنادا الى نصّين فنيقيين شهيرين سطرا على نصبين من رخام عثر عليهما بجزيرة مالطة. وبذلك تمّ عجم النصوص الفنيقية وكسب الإنسان المعاصر لغة كانت ضمن عالم الأموات. فبعجم تلك النصوص نطق الفنيقيون وباتوا

1. G. Garbini, *Il semitico di Nord-Ouest*, Napoli, 1960 ; – M. Gras, P. Rouillard et J. Teixidor, *L'univers phénicien*, Paris, 1989, p. 28-32.

2. Pour J.-J. Barthelemy, cf. A. Dupont-Sommer, « Les débuts des études phéniciennes et puniques et leur développement », in *Atti del I Congresso internazionale di Studi Fenici e Punici* (Roma, 5-10 novembre, 1979), Roma, 1983, p. 9-13.

الحرف العربي	الحرف البوني الحديث	الحرف البوني	الحرف الفنيقي	الحرف العبري القديم	الحرف العبري	الحرف اللاتيني
ا	𐤀	𐤀	𐤀	𐤀	א	ʾ
ب	𐤁	𐤁	𐤁	𐤁	ב	b
ج	𐤂	𐤂	𐤂	𐤂	ג	g
د	𐤃	𐤃	𐤃	𐤃	ד	d
هـ	𐤄	𐤄	𐤄	𐤄	ה	h
و	𐤅	𐤅	𐤅	𐤅	ו	v
ز	𐤆	𐤆	𐤆	𐤆	ז	z
ح	𐤇	𐤇	𐤇	𐤇	ח	ḥ
ط	𐤈	𐤈	𐤈	𐤈	ט	ṭ
ي	𐤉	𐤉	𐤉	𐤉	י	y
ك	𐤊	𐤊	𐤊	𐤊	כ	k
ل	𐤋	𐤋	𐤋	𐤋	ל	l
م	𐤌	𐤌	𐤌	𐤌	מ	m
ن	𐤍	𐤍	𐤍	𐤍	נ	n
س	𐤎	𐤎	𐤎	𐤎	ס	s
ع	𐤏	𐤏	𐤏	𐤏	ע	ʿ
ف	𐤐	𐤐	𐤐	𐤐	פ	p,f
ص	𐤑	𐤑	𐤑	𐤑	צ	ṣ
ق	𐤒	𐤒	𐤒	𐤒	ק	q
ر	𐤓	𐤓	𐤓	𐤓	ר	r
ش	𐤔	𐤔	𐤔	𐤔	ש	ṡ,š
ت	𐤕	𐤕	𐤕	𐤕	ת	t

تطور الأبجدية الفنيقية.

يمدّوننا بمعلومات عن كيانهم ولغتهم ودينهم وأدبهم. ولئن أفلح القسّ برتلّمي واستولى على مفاتيح اللّغة الفنيقية فذلك بفضل الترجمة اليونانية المصاحبة لكلا النصّين. ولا شكّ أنّه استفاد من معرفته للغة التوراة، فكانت له خير مساعد: إنهما نصبان متطابقان شكلا ومضمونا : بيتل منصوب على قاعدة تزخرفها أوراق خرشف وعلى واجهة كليهما نصّ فنيقي مرفوق بترجمة يونانية. يوجد أحدهما في متحف اللوفر بباريس وكان قد أهداه أمير فرسان مالطة الى الملك الفرنسي لويز الرابع عشر ومازال الثاني محفوظا في دار الكتب الوطنية بمدينة لافاليت.

ومضمون النصّ المسطور عليهما إهداء موجه الى ملقرت إله مدينة صور :

سيدنا ملقرت ملك صور ما أهداه إيّاك عبدك عبد أسير وأخاه أسير شمر ابنا عبد أسير سمع صوتهما ليباركهما[1].

يرى بعضهم أنّ لغة التوراة لهجة كنعانية نشأت بعد انتصاب العبريين على أرض كنعان وقد وجدوا فيها حضارة عميقة الجذور يانعة الأغصان مزدهرة، وكانت لها لغة متميّزة متطوّرة أدركت مستوى جعلها تستجيب لثنايا الفكر والوجدان ولها ديانة تستند الى مجمع إلهيّ منظم مرتب والى أساطير تمتاز بمضمونها وبقدرتها على التطور واستعاب الحدث الطبيعي والمعيش البشري. وفي بيوت الآلهة والآلهات كهنة وسدنة يسهرون على شؤون العباد وسلامة الأساطير ونشرها وإنمائها وسطرها على الحجر والجلد والبردي فضلا عن سردها وترتيلها حتى تأخذ مكانها في الذاكرة الجماعية وتصبح مخزونا موروثا.

ولّما كان عجم الكتابة الفنيقية سنة 1758، انطلقت البحوث متنافسة لمعرفة لغة الفنيقيين وكنوزها الأدبية وبات المختصون يواصلون التنقيب وينكبّون على الدرس حتّى استعادت الشجرة العديد من جذورها وتسرّب نسغ الحياة لفروعها من نحو وصرف وشكل وأسلوب فكان الوقوف على المادة وهيكلة الجملة المفيدة ونحت الصور وبثّ الصوت وولوج عالم الجمال.

---

1. *CIS, I*, 122-122 *Bis*.

ماانفكّت ثروات اللغة الفنيقية البونية تتدفّق من دنيا الفنيقيين والقرطاجيين مشرقا ومغربا : فهذه نقائش من صور وصيدا وجبيل وأرواده وسارفْتَ وغيرها من المدن الفنيقية وهذه أخرى التقطت في عديد المواقع بغربي البحر المتوسط ومن أهمها قرطاج وسوسة ومكثر وبلة ودقة وطبرسق وقسنطينة ووليلي، وتجدر الإشارة الى نقائش فنيقية بونية عديدة متّت بها ربوع كانت تحت سلطان قرطاج في سردانيا وصقلية ومالطة وجنوب اسبانيا. ضف اليها نقائش أخرى وجدوها في بلاد اليونان وفي جزيرة قبرص.

ولما كانت هذه المادة اللغوية في نمّو مطّرد، أقبل العالم الفرنسي أرنيست رينان على جمعها في ديوان يحميها وييسّر الإستفادة منها. فلمّا تقدم بمشروعه الى الأكادمية الفرنسية للنقائش والحروف الجميلة سنة 1867 تبنته وقررت بعث **ديوان النقائش السامية** ونشره وقد ظهر جزؤه الأول سنة 1881 وساهم ثلّة من علماء أوروبا وأمريكيا في اثراء المعرفة وتطوير هذا الميدان المختص، ومن هؤلاء العلماء ولهام جيسنيوس الذي نشر في سنة 1873 كتابا عنوانه : **من معالم لغة الفنيقيين وكتابتهم**[1]. وتعدّدت البحوث اللّغوية في هذا الميدان حتى أصبح لسان صور وقرطاج معتمدا لدى المختصين على اختلاف اهتماماتهم : فهذه دراسات حول النقائش وهذه كتب في النحو والصرف وتلك معالم وأعلام وألفاظ وأغراض.

وسعيا وراء المزيد من العلم والمعرفة في هذا الميدان الخطير، توجه بعض المختصين الى النصوص التي أوردها القدماء في كتبهم نقلا صوتيا بحروف يونانية أو لاتينية كالخطاب الذي جاء على لسان "بوني" في مسرحية لإفلاوتوس وهو من أدباء روما في القرن الثاني قبل ميلاد المسيح. وتمكّن العالم الفرنسي موريس شنيسر[2] من تفكيك ذلك النّص طبقا لقواعد اللغة الفنيقية فكانت الحصيلة معلومات عديدة تخصّ المعجم والصرف والنحو والصوت فضلا عن تلك التي ألقت نورا أضاء بعض ثنايا المجتمع القرطاجي، كما كان يتصوره الرّومان خلال القرن الثاني قبل ميلاد المسيح.

---

1. W. Gesenius, *Scripturae linguaeque phoeniciae monumenta quotquot supersunt*, Leipzig, 1873.
2. M. Sznycer, « Les passages puniques en transcription latine », in *le "Poenulus" de Plaute*, Paris, 1967.

انتشرت لغة قرطاج إذا في شمال افريقيا وصقلية وسردانيا ومالطة وجزر البليار وشبه جزيرة الإيبيريين وتمكنت من العيش فيها والإزدهار قرونا طويلة بل ثبتت بعد انهيار الدولة القرطاجية على أنّها وجدت في تونس ظروفا مواتية جعلت نجمها يتألق في السماء ومانفكّت رقعتها تتسع في الأرض حتّى شملت ربوعا مترامية الأطراف تمتد من وتيكة وقرطاج الى رمال الصحراء. ففي ضواحي تطاوين ورمادة عثر على نقائش بونية تعود الى ما بعد الغزو الروماني. وكان للغة قرطاج حضور مكثّف على سواحل غربي ليبيا لا سيما في طرابلس وسبراطة ولبدة الكبرى، وكانت تسمى "لفقي" أمّا في الجزائر والمغرب فلقد اختارها الملوك والكهنة لتكون لغة القصر والمعبد. فضلا عن حضورها في العديد من المدن والقرى الريفية التي اتّخذها الفنيقيون والقرطاجيون من بعد مستوطنات كان فيها الحوار تجارة وثقافة. ومنها أشعّت حضارة قرطاجية كما تشهد به أنصاب عثر عليها في عديد المواقع ومنها الحفرة[1] بقسنطينة في الجزائر ووليلي و ليكش بالمغرب الأقصى[2] ولنا في النقود شهادات لا يستهان بها، وقد حمّلوها نقوشا ونقائش بونية[3] ومنها ما ضرب في سيجن وليكش وروسادير. وقد تكون مليلة وإيقوسيوم وهي مدينة الجزائر.

كذلك نرى للغة قرطاج حضور في المدينة والريف ولا شكّ أنّها كانت تدرس في مؤسسات قد تكون ملحقة بالمعابد ضمن وظائفها التربوية[4]. فهذه الشواهد، بكمّها ومضمونها، تثبت مدى انتشار القراءة والكتابة في المجتمعات البونية اللوبية. وإضافة لكل هذه المعطيات، لا بدّ من الإشارة الى نقيشة عثر عليها في ضواحي مدينة قالمة[5] بالقطر الجزائري : قرأها ونقلها الى الفرنسية جامس جرمان فيفريي بما معناه **قف أيّها المار واقرأ**. فاستنادا الى هذه النقيشة رأى العالم الفرنسي أنّ التعليم كان منتشرا في المدن والأرياف البونية، وقد تَبنّى هذا الرأي آخرون نذكر منهم بيارسنتاس وقد كتب ما يلي :

1. A. Berthier et R. Charlier, *Le sanctuaire punique d'El-Hofra à Constantine*, Paris, 1955 ; – F. Bertrandy et M. Sznycer, *Les stèles puniques de Constantine*, Paris, 1987.
2. J.-G. Février, « Inscriptions puniques du Maroc », in *BAC*, 1955-1956, p. 29-35 ; Id., « Inscriptions puniques et néopuniques du Maroc », in *Inscriptions antiques du Maroc*, Paris, 1966.
3. J. Mazard, *Corpus Nummorum Numidiae Mauritaniaeque*, Paris, 1955.
4. Pour le rôle éducatif du temple punique, cf., en dernier lieu, G. et C.-Ch. Picard, *La vie quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal*, Paris, 1958, p. 154.
5. J.-G. Février, *BAC*, 1951-1952, p. 38-43.

إنّه من الخطإ الفادح تصوّر الكتابة وقفا على كبار القوم وعلى السّاطرين في دور الكتب أو على الكهنة في المعابد. فالخربشات العديدة التي تحملها كسرات من فخار عثر عليها بين صخور جزيرة مجادورة تثبت أنّ المغامرين والصيادين الذين تردّدوا على تلك البقاع بعيدا عن العواصم كانوا يقبلون على الكتابة. ففي كل مكان وحتّى في أقصى الأرياف تجد من كان يَسْطُرُ بالمرشق اسما أو بدايته على جنب آنية أو على قعرها[1].

وتجدر الإشارة أيضا الى محابر من فخّار[2] ومساطير من عظم أو عاج وكلّها أدوات تستخدم للكتابة على البردي والرق وعلى الكسرات والأنصاب والجرار وغيرها من الأواني. وقد كانوا يستعملون الجدران أحيانا لسطر ما يريدون تبليغه وتخليده. ومن أدوات الكتابة لديهم أقلام من القصب. أمّا الأحبار فكانوا يستمّدونها من خضب طبيعيّة مختلفة كالمغرة والزنجفر والسخام[3].

مازالت معرفتنا للمدارس القرطاجية ضئيلة. على أنّ نصوصا قديمة تشير الى حرص العائلة البونية واهتمامها بتربية أبنائها وبناتها. فكان لحنبعل ولأخوته حظ الإستفادة من تربية متينة تجمع بين الأصالة القرطاجية والتفتح على حضارات البحر الأبيض المتوسط. ومنها حضارة اليونان.[4] فلقد أفلح أبوهم عبد ملقرت في اختيار المعلم الكفء. كما تغذت صفنيبة (صفنبعل بنت عزربعل بن جرسكن) من رحيق تربية أدبية فينقية جيّدة[5] فكانت أديبة حسناء تجيد العزف والغناء حتّى كأنّها إلهة وكأن الملوك والأمراء لم يكونوا إلا ليعبدوها.

1. P. Cintas, *Karthago*, XII, 1963-1964, p. 161.
2. A.-L. Delattre, *La nécropole des Rabs, prêtres et prêtresses de Carthage, 3e année des fouilles*, Paris, 1906, p. 40 et fig. 96 ; – J.-P. Morel, *Antiquités Africaines*, 15, 1980, p. 50-51 et fig. 27.
3. S. Gsell, *Hist. anc. de l'Afrique du Nord*, IV, Paris, 1920, p. 181-183.
4. G.-Ch. Picard, *Hannibal*, Paris, 1967, p. 113-114 ; – G. Brizzi, *Annibale, strategia ed immagine*, Spoleto, 1984, p. 5-7.
5. Dion Cassius, frag. 56, 54 ; – J. Carcopino, *Profils de conquérants*, Paris, 1961, p. 149 où, parlant de l'aristocratie carthaginoise l'auteur ajouta : *Elle entendait doter même ses filles de la culture la plus ample et la plus délicate et, par exemple, la beauté d'une Sophonisbe, érudite et musicienne, était rehaussée par tous les ornements dont s'augmentait le prestige des Hellènes.*

فلقد كانت المعابد مؤهلة لإستعاب الأطفال ففيها يتعلّمون القراءة والكتابة ويتلقون أسس التربية التي مازلنا نجهل عنها الكثير بلنقتصر معلوماتنا على أصداء ضئيلة : منها إشارة وردت في خطاب ألقاه يوليانوس المرتد في شهر نوفمبر سنة 355 ميلاديا بمناسبة عيد الإمبراطورقنسطنتيوس الثاني (337-361) وجاء في تلك الفقرة ما يلي :

ومن بين الشعوب الأعجمية هؤلاء القرطاجيون الذين أصدروا قوانين أخرى تجاه الملوكية. فالذى يسلّمونه السلطة العليا لا يمتاز بتربية أجود وأنجع... كانت التمارين ودراسة الفضيلة منظمة وفقا لقوانين موحدة تجعل المواطنين جميعهم إخوة أيّا كانوا : من يهيّؤون للقيادة أو من أولائك الذين يطالبون بالطاعة. فالتربية التي يتلقّاها الرؤساء لا تختلف عن تلك التي تتلقّاها الرعية. أمّا أبناء القرطاجيين فكانوا لا يحلمون بالتمتّع بنفس الفائدة، بل كان الأبوان يطردانهم من البيت ويأمرانهم أن يعملوا على كسب الرزق شرط ألاّ يقترفوا أي عمل مشين[1].

إنّ الإشارة الى قرطاج والتربية القرطاجية على لسان يوليانوس تثبت ضمنيا أنّ الذي ألقى الخطاب أو قام بتحريره تمكّن من الوقوف على مصادر بونية وقد يكون ذلك عن طريق كتب يونانية أو لا تينية. وأيّا كان الأمر، فيبدو أنّ التربية في قرطاج تعتمد مبادئ أخلاقية يمكن تلخيصها كالتالى : المسؤولية الذاتية والإتكال على النفس ثم الإبتعاد عن الرذيلة وعن كل سلوك مشين، إنّها مبادئ أساسية ثلاثة : العمل والمبادرة والإستقامة.

ماذا عن النقائش البونية

إنّ الحفريات التي أجريت في قدس بعل بقرطاج، وهو المعروف عموما بتوفاة صلامبو، أسفرت عن جمع أنصاب لا تحصى عددا دقيقا بل تقدّر بما ينيف عن

1. Julien l'Apostat, *Discours* 1, p. 15 ; – Cf. H. Renault, « L'éducation des enfants à Carthage », in *Rev. Tun.*, 1913, p. 552-554.

عشرة آلاف. بعضها في المتاحف التونسية والكثير منها مبعثر في بلاد الغربة كفرنسا وبريطانيا العظمى والولايات المتحدة وبلجيكيا وروسيا وهولندا وغيرها من أقطار أوربا الشمالية.

وعلى العديد من تلك الأنصاب نجد نصا يتضمّن الإهداء والتعريف بصاحب النذر، وكثيرا ما ينتهي بدعاء. ولئن تتواتر العبارات والتراكيب فذلك لا يقلّ من قيمتها.كما نتبينه في ضوء هذه الأمثلة :

الى الربّة تانيت وجه بعل والى المولى بعل حمون
ما نذره عكبرم بن عبد صد بن اشمنيحن لتسمع صوته وتبارك[1].

وما من شكّ أنّ النصوص تختلف من حيث هوّية المتعبّد ومن حيث المعلومات التي قد يريد تقديمها. وتتباين النصوص أحيانا من حيث هيكلتها وقد يحتوى بعضها على إشارات طريفة قيّمة تتعلّق بصاحب النذر أو القربان ومن ذلك ما ورد في نقيشة سجلّت في الجزء الأول من ديوان النقائش السامية تحت عدد 3783 ومضمونها :

الى الربّة تانيت وجه بعل والى المولى بعل حمون
حمل رفعه شفط بن بد ملقرت بن أرشتي بن أدي
وكل من جنب هذه العطية قضت عليه تانيت وجه بعل

إنّها نقيشة متميّزة تضمّنت إهداءًا وترهيبا أو نذرا ونذيرا. فتفيد أنّ التقدمة أو القربان كانت حملا. ثمّ حماية للنصب، وحرصا على مكانه في ذلك الفضاء المقدّس. تُلَوِّحُ النقيشة بعقاب تسلّطه تانيت على كلّ من قد يدنس النصب ويجنبه. فهي معلومة طريفة قيّمة تلج بنا الى ثنايا العقلية البونية وتلقي ضوءا على المجتمع وسلوكه داخل الحرم.

1. *CIS*, I, 4579.

وبالإضافة إلى تلك المعلومات الدقيقة، يوقفنا النصّ على الضمير الأخلاقي لدى البونيين كما يوثّق شعور الورع والخوف من الآلهة. فقد كان القرطاجيون يتّقون تانيت ويخشون حفيظتها وعقابها ثمّ نراهم حريصين كل الحرص على سلامة النصب وحمايته وذلك لأسباب دينية وأخرى اجتماعية. فالقرطاجي الذي يقدّم قربانا في قدس بعل كان يؤمن بقداسة المقام وبقيمة القربان في العقيدة، ويعتقد أنّ احترام الحرم واجب مقدّس. ومن يتعدّى حدود الحرم فقد ظلم نفسه وعرضها الى سخط الآلهة. أمّا الأسباب الإجتماعية فهي تتمحور، في رأينا، حول التنويه بصاحب القربان ورفع ذكره : فالنصب دعاية وإشهار ولن يتسنى ذلك إلا بسلامته واحترام موقعه حتّى لا يكون عرضة للتعتيم والإهمال.

ونلمس هذه المشاغل في نقيشة أخرى سطرت على نصب مبتور عثر عليه في توفاة صلامبو خلال شهر جويلية 1934 ولم يبق من نصّ النقيشة إلاّ سطور منقوصة. وتولى ج.ب. شابو[1] التعريف بها في مداخلة أمام أعضاء لجنة شمال افريقيا أثناء دورة 16 نوفمبر 1942 ثمّ تناولها جامس جرمان فيفريي وترجمها كالتالي[2] :

وإذا لم يعظم هؤلاء ربتنا تانيت
فلتحكم ربتنا تانيت على مشاريع هؤلاء الناس وعلى
مشاريع ذريتهم
ومن يلحق ضررا بهذه الأسس ويجتثها ويقض عليها فلتجفّ يده
وكل من لا يؤدي الشعائر فليدمّر من قبل ربتنا تانيت وجه بعل
ومن قبل المولى بعل حمون
ومن يقرأ باسم ملقرت فليثبته ملقرت
ويحفظه مزدهرا مبسوطا وله الثروة وعليه السلام.
أقيمت هذه الأسس عند ظهور قمر فعله
من سنة اشمنعمص بن أدنبعل الرب

1. *BAC*, 1941-1942, p. 387-394.
2. *BAC*, 1946-1949, p. 166-173.

وحنون بن بد عشترت بن حنون الربّ
وبرهن الرّبّان ادنبعل بن سكن الرّب وخملكة بن حنون الرب
عن روح المثابرة والثبات فهما اللذان
أتما سياج الأجنة والأساطين بمساعدة بعلنوس المهندس المعماري
ومنار بن عبد مسكر وبعلعزر بن زيق.

تلك ترجمة النصّ البوني كما قدّمها جامس جرمان فيفريي واقترحها على لجنة شمال افريقيا في التاسع من شهر ديسمبر 1946. ولمّا عرضها سنة 1962 للنشر في ديوان النقائش السامية[1] أدخل عليها تحويرا فألغى ترجمة السطر العاشر من النصّ البوني مفضلا عدم الإشارة الى الأجنة والسياج والأساطين. وأيّا كان الأمر. فهي نقيشة طويلة جديرة بالإعتناء والدرس لنتسلم رسالتها ونقدر كنوزها اللغوية حق قدرها. فلا بدّ من الوقوف عند كلماتها واحدة واحدة والتمعّن في عباراتها حتّى ندرك معرفتها شكلا ومضمونا. فثابت أنّ للنص أبعاد دينية اخلاقية توصي بالورع والعبادة وتقوى الآلهة واحترام مكاسب الغير.

وفي نقيشة مسجلة في ديوان النقائش السامية تحت عدد 5606 معلومات أخرى : فبعد الإهداء يفيدنا صاحب القربان أنّه من شعب إينصم. فهذا مواطن من إينصم حضر الى قرطاج وقدّم قربانا في قدسها. ولعل القيمة التوثيقية لهذا النّص تكمن في الإشارة الى بعض النظم السياسية الإدارية : ذلك أنّ موريس شنيسر يرى في صاحب القربان واسمه شلّم أحد أعضاء مجلس الشعب بإينصم وهي جزيرة من جزر البحر الأبيض المتوسط. وإن لم يتم تشخيصها فما من شكّ أنّها عرفت حضورا بونيّا له من الكثافة ما فرض بعث مجلس شعبي لإدارة شؤونها المحلية.

وتوجد أنصاب أخرى تلقي ضوءا على النظم السياسية والخطط الإدارية كالأسباطية. كما تشير الى استئثار بعض العائلات الثرية بها : فلننظر في محتوى هذه النقيشة مثلا :

---

1. *CIS*, I, 5510.

الى الرّبّة تانيت وجه بعل والى المولى بعل حمون ما نذره
أدنبعل السبط بن حنو السبط بن بد عشترت[1].

فمن حيث تركيبها ورسمها تثبت هذه النقيشة أنّ حروف الحلق باتت تميل الى السقوط : فهاء التعريف عوضت بألف ذي قيمة صوتية بحتة ولعله جعل لتسجيل الفتحة بمختلف أجراسها.

وبفضل النقائش النذرية تمكّن الدارسون من إثبات حضور المرأة في قدس بعل حمون. فمن حقها وفي إمكانها تقديم القرابين فلا فرق بينها وبين الرجل في هذا المقام. فهذه إحدى النقائش التي لا تترك للشكّ مجالا وهي كما يلي :

الى الرّبّة تانيت وجه بعل والى المولى بعل حمون
ماندرته متنبعل زوجة إتنو بن خملك السبط لأنه سمع صوتها[2].

تلك أمثلة تمكّن من جمع ثروة إخبارية وثائقية كامنة في نقائش سطرت على أنصاب نذرية مازال بعضهم ينظر اليها بعين الترّفع والإحتقار أحيانا، مشيرا الى بخلها وضحالتها. والواقع أنّك إذا نظرت اليها بإمعان وأعرتها ما تستحقه من عناية منّت عليك بمعلومات ثمينة تتعلّق بالدين والدنيا وحدّثتك عن الآلهة والناس أفرادا وجماعات في البيت والمعبد والشارع والمتجر والمصنع فضلا عن معجم اللّغة الفنيقية البونية وصرفها ونحوها.

ففيها لدارس الحضارة البونية معين لا ينضب. وفي النقا ئش الجنائزية أو شواهد القبور يجد الباحث عناصر شتّى تقرّبه من المجتمع البوني فضلا عن كنوز لغوية تثري المعجم وتمكّن من الوقوف على قوانين اللّغة الفنيقية البونية نطقا وصرفا ونحوا. لذلك ترى فقهاء اللغات السامية يترقبون الجديد لينكبّوا عليه وصفا وتحليلا وتنظيرا : ففي نقيشة سجّلت في الجزء الأول من ديوان النقائش السامية تحت عدد 5941 ورد ما يلي :

قبر أرشتبعل الكاهنة زوجة ملقرت خلّص.

---

1. *CIS*, I, 370.
2. *CIS*, I, 4808.

وهذه نقيشة أخرى سجّلت في الديوان المذكور تحت عدد 4942 وتمثّل شاهد قبر كاهنة علّها كانت تسهر على شؤون الإلهة تانيت وعبادتها. على أنّ غموضا يسيطر على النص. وقد اكتفى الساطر بذكر ما يلي :

قبر جرملقرت كاهنة ربتنا.

ولكن من هي الإلهة التي أشارت إليها النقيشة ؟ سؤال يبقى مطروحا دون أن يدرك الباحث حلا قطعيا وتبقى المحاولة مشروعة واردة. ففي زمن هذه النقيشة أي فيما بين القرن الرابع والقرن الثالث قبل ميلاد عيسى. كان القرطاجيون يدعون تانيت ربّتنا. فقد تبدو هذه التسمية بريئة والواقع أنّها تشير الى خلفية عقائدية اجتماعية يمكن تعريفها بالضمير الديني الجماعي. ومعنى ذلك أنّ القرطاجيين والبونيين عامة كانوا يشعرون بانتمائهم الى عائلة دينية. فباستعمالهم لعبارة ربّتنا إشارة الى الإلهة تانيت ويثبتون ضمنيا بذلك أنّ الدين لديهم مرجع انتماء. به تتعرّف العائلة الكبرى على ذاتها وبه تبني كيانها وشخصيتها وتعرّف بهما. كذلك يثبت القرطاجيون أنّ لهم قوة تجعلهم متضامنين كالبنيان المرصوص.

وهذه نقيشة أخرى جنائزية تخلّد ذكرى حَدَّادٍ فتقول :

قبر اكبرم، الحدّاد، بن بعلشلك[1].

ومن بين النقائش التي يفيد منها دارس المجتمع القرطاجي نقيشة جنائزية سجّلت في الديوان تحت عدد 5955.

قبر خملك، كاهن بعل شميم بن عزربعل، الثني،
بن اشمنعمص، الثني، بن مهربعل، رئيس الكهنة،
بن عبد ملك، رئيس الكهنة.

1. *CIS*, I, 5943.

تثبت هذه النقيشة أنّ خملك ينتمي الى عائلة عريقة كان لها من الوزن والسلطان ما جعل أبناءها يحتفظون بمكانتهم في الأوساط الدينية حتّى كأنّ بعض الخطط كانت وقفا عليهم.

والى جانب النصوص النذرية والجنائزية توجد أخرى ترتدي صبغة معمارية : فهذه تشير الى بناء معابد وتلك تنوّه بإقامة مذابح أي موائد تُقدّم عليها القرابين من حيوانات تنحر أو هدايا مختلفة من مأكل ومشرب وطيب. ففي الديوان نقيشة تحمل عدد 3914 وتعد تسعة أسطر لكنّها تشكو بترا في يسارها وما تبقى منها يحتوى على 291 حرفا لها من الأناقة وحسن السطر، ضغطا وتخفيفا، ما يجيز توريخها فيما بين القرن الرابع والقرن الثالث قبل ميلاد المسيح. ومضمونها اختزلناه كالتالي :

الى الربتين عشترت وتانيت لبنان معبدان حديثان مع كل ما...
النحوت الحديثة التي بالمعبدين هذين... والمصوغات الذهبية وكل...
والمدارج التي أمام... والسياج... في شهر حيار
وزمن السبطين عبد ملقرت
وزمن السبطين شفط وحنو بن ادنبعل.
والرئيس عبد ملقرت بن مجن بن بعليتن
بن عبد لإي بن بعليتن بن اشمنفلس عبد أرش بن عبد...
بن عبد ملقرت، الرئيس، ورئيس الكهنة عزربعل بن شفط
رئيس الكهنة... بن بعلشلك، رئيس الكهنة.
والمشرف على المشروع عكبرم، المهندس، بن حنبعل.

لا تخلو قراءة هذا النص من صعوبات أشار اليها كلّ الذين تناولوه بالدرس والتحليل، إذ يحفّ الغموض بالكثير من ألفاظه والكثير من معانيه تحتفظ بأسرارها. ولاشكّ أنّ الثغرات التي يشكوها تحول دون الوقوف على كنه المضمون. ولئن أقبلنا على ترجمة منقوصة فذلك اجتنابا لكل نقاش عقيم يثيره الإعتباط في سد الثغرات أو ترجمة بعض الألفاظ المستعصية. فهي ترجمة منقوصة مبتورة لكنّها تساعد على تبيان ما في بعض النقائش من كنوز معرفية تتعلّق

بالمجتمع البوني وحضارته. وأيّا كان الأمر فالنقيشة جميلة عسيرة المراس تتضمّن معلومات جيّدة حول العمارة في قرطاج كهيكلة المعابد وكنوزها وتاريخ إنجازها من التأسيس الى التدشين وتثبت أنّ للشهور عند الفنيقيين أسماء بها تضبط تواريخ الأحداث. ففي شهر حيار تمّ انجاز مشروع المقدسين الذين أقيما لعبادة عشترت وتانيت لبنان. كما تضبط التواريخ بالإشارة الى سنة السبطين الذين يمارسان الحكم وقتئذ.

ومن الطريف أن تراهم يسجلون اسم المهندس المشرف على الأشغال فهو اعتراف بالمكانة المهنية والإجتماعية التي يتبوؤها المهندس المعماري لدى القرطاجيين والبونيين عامة. فبفضل هذه النقيشة، وان كانت مبتورة، يتمكّن المؤرخ من دخول قرطاج والتعرف الى بعض قطاعاتها ومشاغلها ويتيسّر له جمع مصطلحات وعبارات دينية وسياسية وتقنية تساعده على إدراك جوانب العقلية البونية : فترى المهندس حريصا على ذكر اسمه وكأنّه يريد امضاء عمله حتى يرفع ذكره بين الناس. فهو حق معترف به من قبل مجتمع كان يعتزّ بالعاملين المبدعين من أبنائه، ويبدو أنّ القرطاجي كان يستطيب الشهرة ويزهو برفع ذكره بين الناس. أليس في ذلك ومضات تساعد على تمثّل العقلية القرطاجية ؟

ومن النقائش ذات الصبغة الدينية تعريفات تُشَدُّ على واجهات المعابد بالمسامير أو بغيرها لتضمن الحقوق وتضبط الواجبات. إنّها في الواقع لوائح تحدد العلاقة بين الكهنة والزائرين لا سيما أولائك الذين يأتون المعابد لتقديم الأضاحي والهدايا. ومن أشهر هذه اللوائح، تلك التي عرفت باسم تعريفة مرسيليا وهي لوحة كانت مثبتة على واجهة معبد بعل صفن وتتضمن تعليمات تبيّن الحقوق وتحدد الواجبات حتى تكون الزيارات منظمة لا لبس فيها ولا مشاجرة بين الوافدين على المعبد وسدنته.

ولئن عثر على النقيشة في قرطاج فهي اليوم محفوظة في مخازن متحف مدينة مرسيليا الأثري[1]. قيل إنّ ربان سفينة فرنسية أخذها يوما من قرطاج واستعملها صابورة ثمّ لمّا أتى ميناء مرسيليا ألقى بالنّقيشة أرضا فاختفت

1. *CIS*, I, 167.

الى أن تمّ العثور عليها سنة 1844 لّما كانوا يشيّدون الكنيسة الكاتدرالية. لذلك سميّت تعريفة مرسيليا وهذا ما تبقى منها سطرا سطرا.

1 : قدس بعل صفن تعريفة الضرائب التي حددها مجلس الثلاثين المكلفين بالضرائب زمن حكم السبط خلصبعل بن بدتانيت بن بدأشمن والسبط خلصبعل.
2 : السبط بن بد أشمن بن خلصبعل وزملائهما.
3 : مقابل ثور لكفارة أو لتوحد أو لمحرقة يتقاضى كل كاهن عشرة مثاقيل من فضة. وان كان القربان لكفارة فلهم، فضلا عن الضريبة، ثلاثمائة مثقال من اللحم.
4 : وإذا كان قربان توحد فلهم الصدر والفخض الأيمن. أمّا الجلد والأضلع والأسلاب وما تبقّى من اللحم فهي لصاحب القربان.
5 : مقابل عجل لما تبرز قرناه ولما يخص، ومقابل أيل لكفارة أو توحد أو محرقة، لكل كاهن خمسة مثاقيل من فضة. وإذا كانت كفارة.
6 : فبالإضافة الى الضريبة، يتناولون مائة وخمسين مثقالا من اللحم وان كان قربان توحد فلهم الصدر والفخض أمّا الجلد والأضلع والأسلاب وما تبقّى من اللحم فلصاحب الأضحية.
7 : مقابل كبش أو تيس يقدم لكفارة أو لتوحد أو لمحرقة يتقاضى كل كاهن مثقالا وذرتين من فضة وإذا كان قربان كفارة فلهم الصدر.
8 : والفخض الأيمن زيادة عن الضريبة أما الجلد والأضلع والاسلاب وما تبقى من اللحم فلصاحب القربان.
9 : مقابل حمل أو جدي أو شادن يقدم لكفارة أو لتوحد أو لمحرقة لكل كاهن ثلاثة أرباع مثقال وذرتان من فضة، فإذا كان القربان لكفّارة فلهم.

10 : بالإضافة الى الضريبة، الصدر والفخض الأيمن. أما الجلد والأضلع والأسلاب وما تبقّى من اللحم فلصاحب القربان.
11 : مقابل طير من الدواجن أو طير يطير يقدم لمحرقة أولزجر الشياطين أو لنبوءة لكلّ كاهن ثلاثة ارباع مثقال وذرتان من فضة. اما اللحم فلصاحب القربان.
12 : مقابل طير آخر أوبكورات مقدسة أو هبة من دقيق الحنطة أو من زيت، عشر أجُرات من فضة لكل كاهن.
13 : من كل قربان توحد يقدم أمام الإله يعود الصدر والفخض للكهنة وقربان التوحد.
14 : مقابل عجة أو حليب أو دهن أو هبة أخرى تهدى منحة.
15 : كل أضحية أخرى تقدم مع حيوان أو طير فلا شئ منها يعود الى الكهنة.
16 : كل مزرح وكل صفّ وكل طريقة دينية وكل الذين يقدمون القرابين...
17 : هؤلاء المقربون يدفعون الضريبة على قربان واحد طبقا لما ورد في النص.
18 : وكل ضريبة لم تسجّل على هذا اللوح تسدد طبقا للنص الذي وضعه مجلس الثلاثين المكلفين بالضرائب زمن قضاء خلصبعل بن بدتانيت...
19 : وخلصبعل بن بدأ شمن وزملائهما.
20 : كل كاهن يتسلم ضريبة أخرى تختلف عن التي ضبطت على هذا اللوح يغرم.
21 : كل من يضحّي دون دفع الضريبة المالية طبقا للنص[1]...

يرتدي هذا النص قيمة كبرى، إنّه كنز من المعلومات حول الضرائب والمؤسسات المكلفة بتنظيمها والسهر على احترامها. كما يخبرنا عن الأضاحي

1. Pour cette traduction, cf. M. Sznycer, « La littérature punique », in *Archéologie vivante*, 1, 2, décembre 1968 - février 1969, p. 144-145.

والتقدمات الدينية وعن الحيوانات التي تنحر قربانا للآلهة، وفيه اشارات ثمينة تخصّ نظام الأوزان والنقود ومنها المثقال والذرة والأجرة. فضلا عن العقوبات التي قد تسلّط على المبتزين والمختلسين وعلى كل من قد لا يحترم القانون.

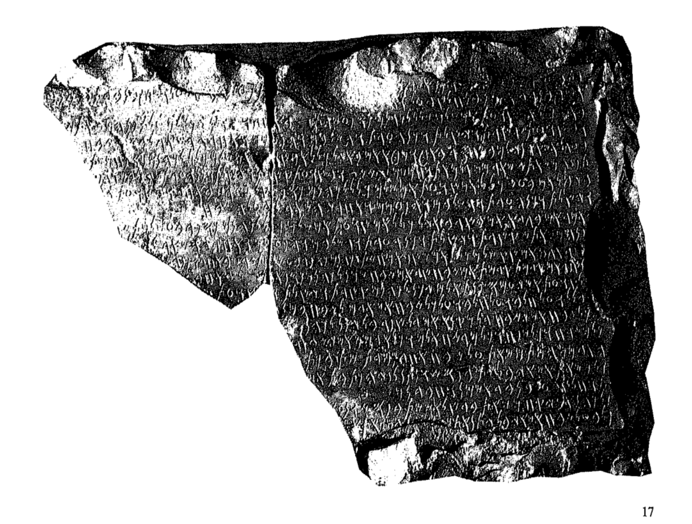
أمّا النصوص المدنية فلم يبق منها إلا القليل النادر ولا شكّ أنّ غالبها كان يُخَطُّ بالقلم على البردي، فانقرضت بانقراض حاملاتها. ذلك أنّ البردي لا يتحمل الضغوط المناخية التي بها تتميّز ربوع المتوسّط. ضف اليها مادها قرطاج في منتصف القرن الثاني قبل ميلاد المسيح لـمّـا حكم عليها الرومان بالحديد والنار، فكان نهب منظّم عقبه حريق هائل رمّد المدينة وبقيت ذكراه راسخة في خيال الشعوب.

وعلى كل، فالقرطاجيون كانوا يَسطُرون بعض النصوص المدنيّة على الحجارة ومنها نقيشة تتحدث عن أشغال أنجزتها السلطات بالتعاون مع الحرفيين والتجار[1] ومضمونها أن شارعا فتح بين المدينة السفلى ورحبة باب الجديد. ولـمّـا كانت النقيشة تشكو كسرا على يسارها رأينا الإقتصار على ما ورد فيها من معلومات ثابتة دون لجوء الى فرضيات قد يسيطر عليها التصوّر الشخصي أو قد تفرضها النعرات الذاتية. ذلك أنّ بعض الدّارسين لا يتحرّجون من سدّ الفرغات وتشييد نظريات مغـرية سرعان ما تتحول الى قواعد لتعميد نظـريات أخـرى فتتولدّ عنها متاهات ماانزل الله بها من سلطان.

فهذه النقيشة المعـمارية تَخُصُّ مدينة قرطاج وتتضمـن نـصـا مـؤرّخا بأسباطية شفط وأدنعل وبولاية أدنبعل بن أشمنخلص. . . وزملائهـم. وأشـار النصّ الى الذي أشرف على الأشغال وهو مهندس مختصّ في بناء الطرقـات أوفي بعض المنشآت الأخرى تتصل بها. وذكرت النقيشة حرفيين علّهم شاركوا في تمويل المشروع. وفي النص إشارة الى عقوبات قد يسلّطها المتفقدون وقضاة الحسبة على من قد يرتكب مخالفة.

فالصعوبات التي تحول دون قـراءة النقيشة قـراءة واضحة ثابتة والعقبات التي تقف دون فهم المضمون فهما دقيقا لا تمس من قيمتها. وقد نوّه العديد من الباحثين بها وبالفوائد التي يستمدها المؤرخ منها لمعرفة النظم السياسية

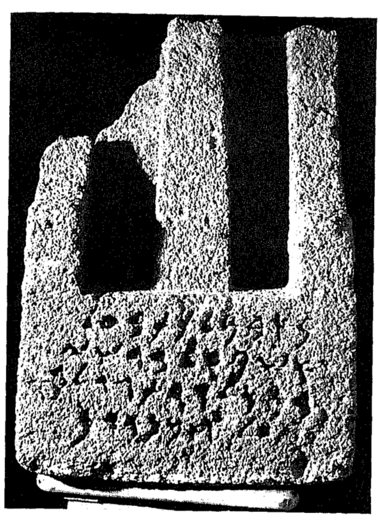
1. A. Mahjoubi et M.-H. Fantar, *RANL, ser. VIII*, 21, 1966, p. 201-209.



17

17. تعريفة مرسيليا : نقيشة كانت مشدودة على مدخل معبد الاله صفن لِتَضْبِطَ مستحقات الكهنة الذين يتولون مساعدة أصحاب القرابين. أخذت من قرطاج إلى مرسيليا في ظروف غير معروفة ولعلها استعملت صابورة.

(متحف مرسيليا : القرن IV ق.م.).



18

18. قِفٌّ من توفاة قرطاج فُصّل عرشا عليه بَيْتَلٌ ونقيشة حرفها بوني عتيق.
(متحف قرطاج : القرن VI ق.م).

19. نقيشة مدنية معمارية تشير إلى فتح طريق يتجه نحو بطحاء باب الجديد.
(متحف قرطاج : ما بين القرنين IV و III ق.م).



19

والخطط الإدارية والتقنية والمهنية ويمكن الإستناد اليها أيضا لولوج طيات المعيش اليومي في الشارع والسوق.

ومهما يكن محتوى هذه النصوص ومهما تكن العراقيل التي تحول دون قراءتها وتفسيرها فهي تشهد قطعا بانتشار الكتابة في المجتمع البوني الذي ينتمي الى أسرة أهل الحرف. لقد كان الناس في قرطاج وفي المدن البونية الأخرى يستطيبون الكتابة وتسجيل أعمالهم ومواقفهم حتى يتعرّف اليها معاصروهم ولعلّهم كانوا يفكّرون في الخلف وفي أجيال المستقبل وهو مظهر من مظاهر الحس التاريخي. فواضح أنّ القرطاجيين كانوا يشعرون بضرورة التبليغ والتواصل. فالنقائش البونية، على تواضعها، تجيز التفكير في كتابات أخرى تناولت مختلف أوجه الحياة المادية والدينية والوجدانية من رسائل علمية وتقنية ورسائل فلسفية وحكم ورسائل دينية من لهوت وأساطير كالتى كشفت عنها رقم أوجاريت[1] والحوليات الأشورية وغيرها من كتب التاريخ والجغرافيا. ففي نقائش قرطاج[2] وكرطة[3] وهي المدينة التي تسمى اليوم قسنطينة وردت الإشارة الى أطباء فهل كان لهؤلاء مراجع دوّنت فيها تجارب عملية تمت معاينتها وسجّلت وهل فيها وصفات متوارثة يعود اليها الأطباء عند الحاجة؟ وهل كانت الوصفة تتضمّن عناصر نباتية أو حيوانية أو معدنية فضلا عن الأكاسيد المختلفة وعمّا يتعلّق بالمريض والمحيط الذي يتولّى العلاج والتمريض. تلك فرضيات يجوز تقديمها والدفاع عنها استنادا الى النقائش البونية وكتب قدامى اليونان والرّومان الذين عاصروا قرطاج أو تعرّفوا الى علمائها وأدبائها وأهل الفن والحكمة فيها.

---

1. C.-H. Gordon, *Ugaritic Textbook*, Roma, 1965. Pour les mythes et les légendes, cf. A. Caquot, M. Sznycer et A. Herdner, *Textes Ougaritiques, I, Mythes et Légendes*, Paris, 1974 ; – P. Xella, *I testi rituali di Ugarit*, Roma, 1981.
2. *CIS*, I, 321-322.
3. F. Bertrandy et M. Sznycer, *Les stèles puniques de Constantine*, p. 20, n° 3.

الفصل الثاني

دور الكتب في قرطاج

رفع المؤرخون القدامى ذكر دور الكتب القرطاجية وكان يسميها ابلينيوس الأكبر ببليوتيقا مستعملا اللفظ اليوناني الذي يعنى دار الكتب. فلا شكّ أنّه يعرف عما يتحدّث معرفة جيّدة. وقد أضاف قائلا : لما كان غزو قرطاج، أوصى مجلس الشيوخ بتوزيع ما في دور كتبها على ملوك أفريقة[1]. أين كانت تقع هذه الدور في قرطاج؟ هل يتمكّن الأثاريون من تحديد مواقعها بالنسبة للمدافن أو للمواني أو لقدس بعل باعتبارها مواقع تمّ ضبطها على الخارطة؟ إنّ المعطيات الأثرية المتوفرة لا تفيد بما قد يساعد على تقديم جواب مقنع : فليس في أطلال قرطاج ما قد ينتسب الى دور الكتب. فهل يمكن الإستنارة بما أورده الكاتب الأفريقي أبوليوس المداورشي الذي أثبت أنّ دار الكتب في قرطاج الرّومانية كانت على ربوة بيرصة قرب معبد أسْقُولِبْيُوسَ وهو إله الطبّ عند الرومان ويبدو أنّه في أفريقة خلف إله الطب القرطاجي أشمن؟ وكان المعبد المشار إليه متربعا على قمّة الربوة مشرفا على البحر : الفرضية واردة لكنّها تبقى فرضية ضعيفة مهلهلة. وما أورده إبلينيوس الأكبر يتضمّن وجود عدة دور كتب في قرطاج البونية قبل سقوطها لقمة للحريق الهائل الذي أمر بإضرامه مجلس الشيوخ في روما. والأرجح أنّ هذه الدور كانت موزّعة في أماكن مختلفة. ثمّ لا ننسى أنّ للمعابد مكتباتها ولها مخازن للوثائق والمخفوظات :فيبدو أنّ

1. Pline, *Hist. Nat.*, XVIII, 22.

لمعبد أشمن مكتبة ثرية كانت تساعد الذين يؤمونها فضلا عمّا كانت تقدّمه الى الكهنة والسدنة عند الحاجة. ومعلوم أنّ المعابد كانت تأوي بعض المجالس والهيئات السياسية التي تجتمع فيها. فيستفيد أعضاؤها من كنوز مكتباتها، وقد يعودون الى محفوظاتها.

فدور الكتب القرطاجية، مهما تعدّدت مواقعها وتنوعت محتوياتها، كانت تستجيب لحاجة الكهنة والأطباء والأدباء والمؤرخين وغيرهم ممن قد يسعون وراء الغذاء الثقافي الأدبي أو إثراء المعرفة التقنية من صناعة وتجارة وفلاحة. وكم كان المجتمع القرطاجي شغوفا بالعلم والمعرفة، فهذا قد يريد التثّبت من شرعية موقف أو سلوك ومن تطابقه مع روح النصوص الدينية أو القانونية وهذا قد يريد الوقوف على كنه الطقوس بما تتضمّنه من أقوال وحركات. ففي الكتب البونية رؤية بونية وجواب عن سؤال الذين قد يريدون التعرّف الى قرطاج والقرطاجيين. ولـمّا كانوا من اهل الحرف فلا عجب أن تراهم يسجّلون مختلف أوجه حياتهم ويعبّرون كتابة عن أفكارهم وعواطفهم وهواجسهم، يسطرونها على كسرات الفخار والعاج والعظم والأخشاب والمعادن فضلا عن الحجارة والجلود والبردي[1]. إنّها ولا شكّ مجرّد فرضيات لكنّها تستند الى ما يستشّف من خلال بعض النصوص.

جاء في كتب القدماء أنّ نصوصا كانت تعلّق في المعابد ويقبل الناس على قراءتها والإستمتاع بها، وهي عادة نجدها عند العرب قبل الإسلام : وقد كانوا يأتون الكعبة لرؤية المعلّقات والإبتهاج بها وحفظ ما دوّن فيها من روائع وأخبار. ولكن لم يبق من تلك الرسائل والوثائق البونية، على اختلافها وتعدّدها، الا دمغات تحملها أقراص من فخار زادها الحريق صلابة وصمودا. وقد أورد إبلوتركوس[2] أنّ وثائق بونية نجت من الحريق لأنّها كانت مقبورة في جباب تقيها كل خطر : ففي ما بين ربوة بيرصة والبحر، تمّ العثور على عدد كبير من تلك الأقراص التي تحمل بصمات تُصوّر عالما تغلب عليه مسحة دينية سحرية تعود بنا الى مصر القديمة وديانتها والى أساطير اليونان ولبعضها جذور سامية كنعانية.

---

1. Les Carthaginois semblent avoir utilisé également le parchemin. On a découvert dans une tombe de Kerkouane une jarre fermée à l'aide d'une feuille de parchemin rabattue et ficelée autour du col. Sur le parchemin, on avait écrit un long texte à l'encre noire: P. Cintas, *Karthago*, XII, 1965, p. 161.
2. Plutarque, *De facie in orbe lunae*, XXVI, 17.

وغالب هذه الأقراص محفوظة في مخازن المتحف القومي بقرطاج وتناولها جن فركوتير فحصا وتحليلا فتمكّن من تشخيص بعض الزخارف المستوحات من عالم الفراعنة كخرطوش توحتمس الثالث والصقر الأقرص والإلهة إيس وهي تمدّ ثديها الى الإله حروس وترى هذا الإله على بعض الأقراص راكعا رافعا يديه والصلّ وراءه.

ومن الدمغات التي تغلب عليها المسحة اليونانية نجد القوّاس والفارس ونجد صور الآلهة والأبطال كأرتميسة وهرقليس وأكِلّوس والأمزونة فَنْثَليسة وهرميس وفان والسواتر والبواكس وغيرها مما أثمره خيال اليونان تجسيدا لآلهتهم وإجلالا لأبطال الأساطير. ولقد أضيفت الى مخزون المتحف القومي بقرطاج كميّة من هذه الأقراص المختومة وافرة التقطت أثناء حفريات أشرفت عليها بعثة ألمانية خلال سنة 1989. أمّا عن توريخها، فيبدوا أنّها تعود الى ما بين القرن الرابع والقرن الثاني قبل ميلاد المسيح. فهي تتزامن مع أقراص شبيهة بها أنتجتها حفريات مدينة سيلينت بجزيرة صقلّية. وتعدّدت الفرضيات وتعاقبت حول وظيفتها. فلقد اعتبرها جن فركوتير أختاما رسمت على لفافات بردية مكتوبة. ثمّ غيّر رأيه قائلا إنّها أختام تثبت صلوحية الأضاحي التي تُقدّم قربانا. واستشهد لتعميد هذه الفرضية برواية أوردها المؤرخ اليوناني هيرودوتس، مضمونها أنّ الكهنة في مصر القديمة، كانوا حرصين على أن تكون حيوانات القرابين سليمة فيتولّون فحصها. فإن سلمت من العيوب صادقوا على سلامتها وصلوحيتها بلف ورقة بردية مختومة على قرن الذّبح وقد أورد هيرودوتس في هذا الصدد ما يلي :

فإن كان الحيوان سليما من تلك العيوب جميعها وضع الكاهن عليه علامة تتمثّل في قطعة من البردي يلفّها على قرنيه وعلى قطعة البردي طين مهيأ لحمل بصمة الخاتم وبعد ذلك يقاد الحيوان. وكلّ من يقدّم ثورا لا يحمل تلك العلامة يعاقب بالموت[1].

---

1. Hérodote, II, 38.

فاستنادا الى هذه الطقوس المصرية أشار جن فركوتير الى إمكانية دمغ حيوانات القرابين في قرطاج على الطريقة المصرية، كما أشار الى امكانية الحفاظ على تلك العلامات بأختامها بعد ترميد الذبُح لأسباب قد لا ندركها على أنّها ليست في رأيه الفرضية الوحيدة : فقد يكون القرطاجيون اكتفوا باستعارة هذه الطقوس لتطبيقها على القرابين البشرية[1].

فهي خاليل وتفاسير متشعبّة مكلفة لا تقنع. ومعلوم أنّ الأختام القرطاجية لم تلتقط في فضاء التوفاة، ذلك القدس الذي كانت تقدّم فيه القرابين لتانيت وجه بعل وللمولى بعل حمون. فالفرضية التي تقدّم بها ستيفان اكسال تبدو أفضل. وقد تبنّاها مؤرخون معاصرون منهم بيارسنتاس[2] وجلبار شارل بيكار[3] وسباتينو مسكاتي[4] وأنّا مريا بيسي[5] : ففي نظر ستيفان اكسال ومن قال قوله كانت الأختام القرطاجية توثّق الكتب والمخطوطات والرسائل وغيرها مما قد يُجْمَعُ في دور الكتب ومخازن المعابد والمؤسسات المدنيّة[6]. ويكون في تعدّد الأختام وتنوّعها إشارة الى هوية الوثيقة ولغتها. ولّما كانت قرطاج متفتّحة على حضارات البحر المتوسط فليس من الغريب أن نجد على رفوف مكتباتها كتبا يونانية الى جانب الكتب البونية.

ومن بين هذه الأختام القرطاجية ما عثر عليه في المدافن : ففي قبر جبابي من قبور مدفنة أرض الخرايب، وجد ألفريد مرلين ولويز درابيى قرصا من طفل مختوم يحمل علامة هيرجليفية[7]. وجاء في تقرير للأب ديلا تر أنّ قرصين توأمين تمّ العثور عليهما في تابوت صغير من حجر فيه بقايا عظام مرمدة[8]. فهل تشير هذه الأختام المدفونة في القبور الى كتب أو الى وثائق خاصة من سجلات

---

1. J. Vercoutter, « Empreintes et sceaux égyptiens à Carthage », in *Cahiers de Byrsa*, II, 1952, p. 42-43.
2. P. Cintas, *Karthago*, XII, 1963-1964, p. 165.
3. G.-Ch. Picard, *Le monde de Carthage*, Paris, 1956, p. 26-27.
4. S. Moscati, *I Cartaginesi in Italia*, Milano, 1977, p. 123.
5. A. Maria Bisi, « Un cas très rare d'emploi de cretulae dans le milieu phénicien d'Occident », in *Cuneiform Archives and Librairies, Papers read at the XXX Rencontre assyriologique internationale*, Leiden-Istambul, 1986, p. 296-304.
6. S. Gsell, *Hist. anc. de l'Afrique du Nord*, IV, p. 95.
7. A. Merlin et L. Drappier, *La nécropole punique d'Ard el-Khéraïb à Carthage*, Tunis, 1909, p. 62.
8. A.-L. Delattre, *La nécropole des Rabs, prêtres et prêtresses de Carthage, 2e année des fouilles*, Paris, 1905, p. 10.

عقارية وعقود وغيرها ختمها صاحبها بخاتمه الشخصي ؟ وهل يكمن في ذلك سرّ تطابق القرصين المشار اليهما ؟

فلا شكّ أنّ لبعض المواطنين وثائق خاصة وكتب ورسائل. فيبدو أنّ لهذه الأختام علاقة بالوثائق والكتب القرطاجية تلك التي أتت عليها نار الحريق. أمّا أختامها وهي من طفل فقد تكون استفادت من الحريق فازدادت صلابة وصمودا فهي كل ما تبقّى من دور الكتب في قرطاج باستثناء الروايات التي أوردها القدماء من يونان ورومان ضمن مصنفاتهم أدبيّة كانت أو تاريخية.

فقد تحدّث هيرودوتس عن الفنيقيين وعن الرحلة البحرية التي قاموا بها حول القارة الافريقية بطلب من نيخاو الثاني. فرعون مصر الذي تبوأ العرش من سنة 609 الى سنة 594 قبل ميلاد المسيح. واستنادا الى رواية قرطاجية قال المؤرّخ اليوناني :

زعموا أنّهم، عند العبور، كانت الشمس على يمينهم وهو أمر لا أصدّقه ولكن قد يصدّقه آخرون. كذلك تمت معرفة لوبة وقد أثبت القرطاجيون ذلك من بعد[1].

إنّ لفظة لوبة في هذا النص اليوناني تشير الى كامل القارة الإفريقية. ولئن أوْمَأ هيرودوتس الى روايات قرطاجية فلم ير من المفيد ذكر تفاصيلها ولا تحديد هوّيتها. فهل كانت شفوية أم مكتوبة؟ الجواب عن هذا سؤال عسير. فالثابت أنّ القرطاجيين كانوا يعيرون عناية متميّزة لكل ما يتعلّق بأجدادهم وأبناء عمومتهم. فهل في هذه الروايات صدى لأدب بحري؟ إني أرجّح ذلك استنادا الى ما أورده المؤرخ هيرودوتس وقد أثبت أنّه استفاد من روايات قرطاجية تخصّ جزيرة قرقنة. وهي التي سمّاها قُورَوِيس في هذه الفقرة من تاريخه :

رُوِي عن القرطاجيين أنّ جزيرة تدعى قُورَوِيسَ تقع قبالة قطرهم. طولها مائتا إسطاد لكنّها قليلة العرض ويمكن

1. Hérodote, IV, 43.

العبور اليها على القدمين. إنّها جزيرة تعجّ بالزيتون والكروم وفيها بحيرة تستخرج الفتيات من أوحالها شذرات من ذهب وذلك بواسطة ريش يطلى بالقار[1].

فيبدو أنّ هيرودوتس كان يستعين بمخبرين مطلعين على العالم البوني. ويبقى السؤال حول المعلومات مطروحا : فهل كانت تلك الروايات مكتوبة أو كان الرواة يتناقلونها بالفيه والأذن؟ أثبت هيرودوتس أنّه سجلّ ما كان يروى. لكن ذلك لا يعني عدم وجود كتب جغرافية الى جانب الروايات الشفوية.

ومهما تكن طبيعة تلك الأخبار، فهي عناصر جدّ مفيدة لمعرفة الأدب القرطاجي وتشهد بالعناية التي كانت تحظى بها القضايا الجغرافية. وثابت أنّ كتّابا من الإغريق استفادوا من المصنفات القرطاجية لمعرفة النظم السياسية ودواليب الإدارة في قرطاج وفي بعض المدن البونية الأخرى. ومن بين الذين استندوا اليها لا بدّ من ذكر الفيلسوف اليوناني أرسطو. فما من شكّ أنّه استعان بوثائق ودراسات بونية عندما أراد التعرف إلى دستور قرطاج. وهو، مع كبريائه اليوناني، لم يتحرجّ من تفضيله على دساتير بعض المدن اليونانية. فلقد وصف الهياكل كالأسباطية ومجلس الشيوخ ومجلس الشعب ومجلس المائة واللجان الخماسية وغيرها، وبيّن طرق الوصول الى المسؤولية السياسية والإدارية والقضائية والعسكرية منوّها، في كلّ ذلك، بسلطان القانون مشيرا الى وزن المال وتوظيفه من قبل الذين كانوا يريدون الإستفادة من القانون. وتجدر الإشارة أيضا الى افلاطون وقد تحدّث عن قانون أصدرته سلطات قرطاجية في خصوص الخمر واستهلاكه :

أصدر القرطاجيون قانونا يحرم الخمر على كلّ الذين يحملون السلاح ويفرض عليهم الإقتصار على شرب الماء مادامت الحرب قائمة وكان ذلك القانون، داخل المدينة، ينسحب على العبيد من رجال ونساء، وعلى الذين يديرون شؤونها سنة تكليفهم،

---

1. Hérodote, IV, 195.

وعلى ربابنة السفن، وعلى القضاة ماداموا يمارسون الوظيفة وعلى كلّ الذين كانوا مطالبين بحضور المجالس للتشاور والتفاوض حول موضوع خطير. ويحرّم شرب الخمر على جميع المواطنين نهارا الا إذا كان الأمر يتعلّق بمعالجة مرض أو يراد منه استرجاع القوى. كما يحرّم شرب الخمر ليلا على المتزوّجين إذا كانوا يريدون الإنجاب. وعلى هذا الأساس تكتفي المدينة مهما كبر حجمها بما قلّ من الكروم فيخصّص لها أصغر المساحات عند تقسيم الأراضي[1].

فهل توفّرت لأفلاطون هذه المعلومات المفصلّة حول الخمر واستهلاكه في المجتمع القرطاجي عن طريق الكتابة أو عن طريق الرواية الشفوية؟ لاندري. وأيّا كان الأمر فيرجّح أنّ كتبا بونية كانت تُنْقَلُ الى اللّغة اليونانية وثابت أنّ العلاقة بين القرطاجيين والإغريق كانت متينة ممّا ييسّر تحوّل الرواية الشفوية بين المجتمعين. وتجدر الإشارة هنا الى نقيشة فنيقية مشفوعة بترجمتها اليونانية تشير الى المسمّى عبد تانيت بن عبد شمس تخليدا لذكراه بين الأحياء[2]. وتثبت النقيشة أنّه صيدويّ، على أنّ القرطاجيين كانوا، هم أيضا، يقيمون ببعض المدن اليونانية شأنهم في ذلك شأن عبد تانيت الصيدويّ.

ومن القوانين البونية التي ورد ذكرها في كتب القدماء قانون أشار اليه مؤرخ لاتيني عاش في القرن الثاني ميلاديا ويدعى يوستينوس : تناول هذا القانون قضية مصاريف الزفاف لتحديدها ومنع الاسراف حماية لثروات المجموعة. فهل يستشف من ذلك أنّ القرطاجيين كانوا يعتبرون القيمة التي ترتديها الثروات الخاصة لضمان المجموعة وكأنّهم يولونها وظيفة إجتماعية أو كأنّ لها واجب إزاء المجموعة؟ وأشار يوستينوس أيضا الى قانون حجّر تعليم اللغة اليونانية في قرطاج. ورأى بعض المؤرخين المعاصرين في صدور ذلك القانون حماية الدولة من شرّ الجوسسة، وقد يكون ناجما عن شعور بضرورة حماية المجتمع من آفة الإنفتاح المسرف. وأيّا كان الأمر، فالغرض من كلا القانونين حماية المجتمع ماديا

1. Platon, *Lois*, II.
2. *CIS*, I, 116.

وأدبيا[1] ذلك أنّ قرطاج دولة تعتمد القانون في تنظيم المجتمع وإدارة شؤونه. فكثيرا ما نوّه المؤرخون القدامى بظاهرة اعتماد القانون والإيمان بسلطانه في مختلف الميادين. بل ترى المشرّع يتدخل في حياة الخواص أحيانا كالثقافة والتّصرّف في أموالهم وفي ما قد يستهلكونه كشرب الخمر. فالقانون في قرطاج يستهدف حماية الفرد والمجموعة ورعياتهما صحة وثروة وأصالة.

ففي الحديث عن قرطاج والقرطاجيين ردّد أرسطو و ديودوروس الصقلي وغيرهما عبارة يونانية مضمونها "حسب القانون" أو "طبقا للقوانين" ومعنى ذلك أنّ في قرطاج حرص كبير على احترام القانون والرجوع اليه حتى لا يبقى باب الإجتهاد الفردي والإعتباط والتجنّي مفتوحا[2]. ثمّ إنّ عبارة كتلك تثبت ضمنيا وجود دواوين جمعت فيها قوانين ونصوص تشريعية أخرى يعود اليها المسؤولون عند الحاجة : فالإداريون يسهرون على شؤون الدولة والمواطنين بمقتضى القانون والقضاة يستمدّون سلطانهم من قوانين أقرّها نواب الشعب وصادقوا عليها.

فثابت أنّ لقرطاج أدب تشريعي يتمثّل في دواوين كانت تسجّل فيها القوانين والأوامر والمعاهدات الدولية كتلك التي كانت تضبط علاقات التعاون بينها وبين دول البحر الأبيض المتوسط. ولقد أشار المؤرخ اليوناني بوليبيوس خلال القرن الثاني قبل ميلاد المسيح الى معاهدات ابرمت بين قرطاج وروما فيما بين أواخر القرن السادس والنصف الأول من القرن الثالث قبل ميلاد المسيح وهذه مقتطفات مختزلة من نصّ المعاهدة الأولى التي أبرمت بين الدولتين سنه 509 قبل ميلاد المسيح (Polybe, III, 22, 8-9) :

تكون الصداقة بين الرومان وحلفائهم من جهة وبين القرطاجيين وحلفائهم من جهة أخرى على أساس الشروط التالية : الرّومان وحلفاؤهم لا يتوغلّون بحرا وراء الشناخ الجميل إلاّ إذا أرغموا على ذلك من جرّاء عاصفة أو عدو. واذا ما أجبر أحد على ذلك لسبب يتجاوزه فلا يحقّ له اقتناء ولا أخذ إلاّ ما

1. Justin, XX, 5, 13.
2. Diodore de Sicile, XIV, 54, 5 ; Diogène Laerce, III, 82.

قد يحتاجه لترميم سفينته أو تقديم قرابين ثمّ يغادر في ظرف خمسة أيام. أمّا الذين يأتون للتجارة فلا يستطيعون البتّ في أيّ عملية بدون وساطة دلاّل أو موثّق. فكلّ ما قد يتمّ بحضورهما يكون مضمونا للبائع بتعهد من قبل السلطة العامة أتمّ ذلك في أفريقة أو في سردانيا. وإذا حلّ روماني بصقلّية التابعة لنفوذ القرطاجيين فالرّومان جميعهم يتمتّعون بالحقوق نفسها...

ويعلّق بوليبيوس على ذلك قائلا :

الشناخ الجميل هو الشناخ الذي يمتدّ أمام قرطاج نفسها نحو الشمال. إنّ القرطاجيين يعارضون اطلاقا وجود الرّومان على متن سفن حربية وراء ذلك نحو الجنوب. ذلك أنّهم، فيما يبدو لي، لا يريدونهم يعرفون ربوع البوسيتيس ولا ربوع السرت الأصغر وهي الربوع التي يسمّونها المصارف وسبب ذلك يكمن في خصوبة الإقليم.

فهل كانت ربوع البوسيتيس، وهي التي سمّاها العرب في بداية الفتح مزاق ونسميها اليوم الساحل، وربوع السرت الأصغر وهي التي تطلّ على خليج قابس، مناطق محروسة مغلقة أمام السّفن الأجنبية ليستأثر القرطاجيون بخصبها وخيراتها ؟ إنّ تعليق بوليبيوس يشجّع على تقديم مثل هذا الإفتراض.

وفي القرن الثاني ميلاديا صنفّت رسالة عنوانها العجائب المسموعة استفاد صاحبها من كتب بونية لتوريخ تأسيس قرطاج وتناول هذه القضية سرفيوس وهو نحوي لاتيني عاش في القرن الخامس وأثبت أنّ أسطورة ميلاد قرطاج مسجلّة في حوليات بونية سمّاها تاريخ البونيين أو التاريخ البوني.

وأورد المؤرخ اللاتيني أميانوس مَرْقَلّنُوس أنّ الملك يوبى حدّد مصدر النيل في موريتانيا استنادا الى كتب بونية[1]. ولنا عن المؤرخ اللاتيني سولينوس رواية مطابقة أوردها المؤرّخ الآنف الذّكر وجاء فيها :

ينطلق النيل من جبل في موريتانيا السفلى قريبا من المحيط. ذاك ما أثبتته كتب بونية وما أورده يوبى...[2].

ومن أشاروا غير ما مرّة الى كتب قرطاج وأدبها لا بدّ من ذكر القديس أوجستنوس : فتنويها بالحكمة القرطاجية، جاء على لسان أسقف هيبون وهي المدينة الجزائرية التي تسمى اليوم عنابة قوله :

يوجد مثل بوني شهير سأقوله لكم باللّغة اللاتينية لأنّ فيكم من لا يفهم اللغة البونية فهذا هو المثل : اذا طلب منك الطّاعون درهما فاعطه اثنين ولينصرف[3].

وفي نصوص أخرى أشير الى كتب بونية أو الى ترجمتها أو الى تلخيصها : كذلك فعل المؤرخ اللاّتيني صلوستيوس في القرن الأول قبل ميلاد المسيح. وكان معاصرا ليوليوس قيصر وصديقا له. فلقد نوّه بالكتب البونية غير ما مرّة مستندا الى تراجم وتلاخيص : فلما تناول موضوع أصل الافريقيين ذكر مصادره البونية معترفا أنّه لخّص رواية مسجّلة فيها وقال :

أمّا عن سكان أفريقة الأول وعن الذين التحقوا بهم وانصهروا فيهم فإني، رغم اختلاف هذا الرأي مع الرواية الشائعة، سألخص رواية قدّمت إليّ مترجمة عن كتب بونية كانت للملك يمبصال مع العلم أنّ المضمون يتطابق مع ما يعتقده الأفريقيون أنفسهم، وعلى أصحاب هذه الكتب عهدة أقوالهم[4].

---

1. Ammien Marcellin, XXII, 15, 8-9.
2. Solin, XXXII, 2.
3. St. Augustin, *Sermons*, CLVII.
4. Salluste, *Jug.*, XVII, 1-2

فلم يترك صلّوستيوس مجالا للشكّ حول اصل الرواية : إنّها وردت في كتب بونية كانت للملك يمبصال عاهل النوميديين خلال القرن الأول قبل ميلاد المسيح. أفلا تكون هذه المصنّفات مما تبقى من دور الكتب القرطاجية؟ إنّها فرضية لا بدّ من أخذها بعين الإعتبار لا سيما وأنّ بعض النصوص القديمة أوردت أنّ الرومان لم يتحرّجوا من بعثرة الكتب القرطاجية وتوزيعها على ملوك النوميديين وأومرائهم. ومهما يكن من أمر تاريخية هذه الرواية. فالملك يمبصال وارث لها ولا علاقة له بإنجابها.

الفصل الثالث

بين الأسطورة والتاريخ

قد يكون من المفيد نقل النصّ الذي كتبه صلّوستيوس استنادا الى ما ورد في الكتب البونية حول سكّان أفريقية الأول :

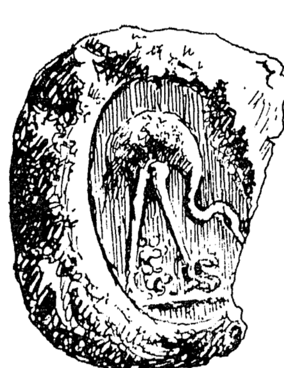
إنّ أقدم سكان أفريقية الجداليون واللّوبيون وهم أقوام تتميّز بالخشونة والتوحّش يقتاتون من لحوم الحيوانات البرية ومن أعشاب المروج كالقطعان. فلا تقاليد لهم ولا قانون، ولا سيدا يسوسهم بل كانوا يجوبون الأرض منتشرين فيها، لا يحطّون رحالهم إلا متى فاجأهم الليل.

فما أن توفي هرقليس باسبانيا حتّى تصدّعت صفوف جيشه، وكان يضمّ شعوبا مختلفة. اختفى الرأس، فبات المتنافسون يتجاذبون الجيش، كلّ واحد منهم يريد الإستئثار بالقيادة. ومن عناصر ذلك الجيش ميديون وفرس وأرمن. عبروا البحر على متن سفن ونزلوا بأفريقية واحتلّوا الربوع الساحلية. على أنّ الفرس فضّلوا الإقتراب من المحيط وقلبوا مراكبهم واتخذوا منها أخصاصا، ذلك أنّ الخشب الصالح للبناء لم يكن متوفّرا في تلك المنطقة. وكانوا لا يستطيعون الحصول عليه من اسبانيا لا عن طريق الشراء ولا عن طريق التبادل : فالبحر بامتداده وجهلهم للّغة كانا عقبتين تحولان دون كلّ تجارة.



20

20. محبرة قرطاجية عثر عليها في قبر من قبور مدفنة الأرباب. (متحف قرطاج : القرن IV ق.م).
21-22. دمغتان بونيتان كانتا على لفافتين من البردي. (متحف قرطاج : القرن III ق.م).



22



21

ثمّ اختلطوا بالجداليين شيئا فشيئا عن طريق المصاهرة. ولّما كانوا يكثرون من الترحال بحثا عن أرض تناسبهم اتّخذوا اسم النوميديين. هذا ويلاحظ حتّى اليوم أنّ بيوت الريفيين النوميديين التي تسمّى مقّاليات تشبه السفن بأشكالها المستطيلة وأضلعها المقوّسة. وانضمّ اللّوبيون الى الميديين والأرمن لأنّ ديارهم كانت أقرب الى بحر أفريقة في حين أنّ الجداليين كانوا أقرب الى الشمس لا يبعدون عن مناطق الحرّ الشديد. وسرعان ما شيّدوا المدن الحصينة. ولّما كان لا يفصلهم عن اسبانيا الا مضيق تمكّنوا من إقامة علاقات تجارية وتبادل معها. وطرأ على اسم الميديين تحريف أدخله اللّوبيون الذين عوّضوه باسم ماووريين وسرعان ما عظم شأن الفرس. وفي زمن لاحق هاجرت جالية من الشبان النوميديين تحت ضغط النمو الديمغرافي. غادروا ديار آبائهم وحلّوا بربوع مجاورة لقرطاج تسمّى نوميديا. ثمّ تظافرت جهود السابقين واللاّحقين فتمكنّوا من بسط نفوذهم على الرّبوع المتاخمة. وتمّ ذلك بقوة السيف والترهيب. فشاع صيتهم واكتسبوا المجد لا سيما أولائك الذين تقدّموا نحو البحر. ومعلوم أنّ اللّوبيين دون الجداليين ميولا الى الحرب. وفي نهاية المطاف كاد جلّ أفريقة السفلى يصبح ملكا للنوميديين. واتخذ المغلوب اسم الغالب وانصهرفيه.

ثمّ أقبل الفنيقيون. وقد هاجر بعضهم الوطن من جراء ضغوط ديمغرافية وآخرون دفعتهم روح الغزو فأغروا العامة ومن كان شغوفا بالمغامرة وأسسوا على السواحل هيبون وهَدْرُومِيتُوم ولبدة ومدنا أخرى. وسرعان ما ازدهرت تلك المدن وأصبحت لأمّهاتها أسباب دعم ومجد. أمّا عن قرطاج فالصّمت عندي أفضل من قول مختصر لا سيما والموضوع يدفعني الى غير ذلك[1].

1. Salluste, *Jug.*, XVIII-XIX.

فالمرجح عندي أنّ هذا النصّ مقتبس من بعض الكتب البونية ولعلّه تلخيص مترجم، وقد لا تبعد الترجمة عن الأصل. امّا المضمون فهو يتعلّق بجذور اللّوبيين أي بجذور الأفريقيين الأول. إنّها قضية تاريخية مازالت تحتفظ بإغرائها وقوة جاذبيتها لدى الخاصة والعامة. فكان القرطاجيون والفنيقيون، من قبل، يعيرون عناية كبرى لكلّ ما يخصّ معرفة البلاد وأصل سكّانها. ففي النصّ إشارة ضمنية الى أبحاث وتحاقيق لدى الأفريقيين أنفسهم. واعترف صلّوستيوس بتطابق بين ما ورد في الكتب البونية والرواية الأفريقية. فلقد كان لبعض الأوساط البونية فضول تأريخي ومنهم من كان يقبل على البحث والتحقيق ويتصّل بالذين يعلمون. أمّا الذين لا يعلمون ويبغون المعرفة فيمكنهم الرجوع الى كتب بونية قد تشفي غليلهم مستجيبة لرغباتهم وفضولهم.

إنّ السعي وراء معرفة الأصول ومولد الأحداث قضيّة قديمة حديثة : فلم يزهد فيها جيل من الأجيال على تعاقبها واختلاف بيئاتها. بل ستبقى مغرية شذّية عطرة كتفّاحة حواء. ويبدو أنّ الكتب البونية التي استمدّ منها صلّوستيوس أخبار الأفريقين قديمة أو قل فيها ما يعكس ظروفا تعود الى ماض سحيق ولعلّها ترقى الى عهد المراكز الفنيقية الأولى فتراها تشير الى توحشّ البلاد وسكّانها وكأن الفنيقيين أتوا أفريقة لنشر حضارة متطوّرة متفوقة. فلا تفوتهم مناسبة دون التنويه بدورهم وبالفسائل الحضارية التي أتوا بها وغرسوها...

كان الأفريقيون قبل الحضور الفنيقي القرطاجي :

> ***يتميّزون بالخشونة والتوحش، يقتاتون من لحوم الحيوانات البريّة ومن اعشاب المروج كالقطعان : فلا تقاليد لهم ولا قانون ولا سيّدا يسوسهم بل كانوا يجوبون الأرض منتشرين فيها ولا يحطّون رحالهم الا متى فاجأهم الليل.***

ورسم أصحاب هذه الكتب البونية ملامح الجداليين واللّوبيين طبقا لرؤيتهم مستندين الى عناصر اقتصادية واجتماعية وسياسية، فيبدو اقتصاد هؤلاء الأفريقيين الأول تخريبيا إذ كانوا يعيشون على حساب المحيط صيدا وجنيا ولم

يكن لهم، في هذه الرؤية الفنيقية البونية، نظام سياسي وكأنّ مجتمعهم فوضوي على غرار المجتمعات البدائية خلال العصور الحجرية. أمّا نظام العيش عندهم، فلا نحو له ولا صرف ؛ فكانوا هائمين في الأرض يسعون وراء القوت والملجإ. تلك رؤية فنيقية بونية والعهدة على أصحابها. ومهما كان بريق هذه اللوحة لدى من قد يكون شغوفا بالغريب والعجيب ومهما كانت جاذبية ألوانها لدى المولعين بدراسة الأقوام البدائية فإنّها لا تخلو من تجاوز وإفراط وتعتيم. فقد تستولى الدهشة على الفنيقيين الذين كانوا يحلّون بأفريقة، ويجدون سكّانا يعيشون ظروف عصر الحجر المصقول، متأخرين عن ركب الحضارة المشرقية بما لا يقلّ عن الفي سنة.

أمّا من حيث أصولهم، ففي النصّ إشارة الى نواة صريحة تتكوّن من عنصرين وهما الجداليون واللّوبيون، ثمّ انضمّ اليهم آخرون أتوا من الشمال ومن الشرق. وبقطع النظر عن تفاسير متأخّرة معاصرة تناولت الروايات التي جمعها الفنيقيون والقرطاجيون من بعد، يستشفّ القارئ أثر أقوام جاءت عبر البحر من اسبانيا والجزر الإيطالية كسردانيا وصقلية وأخرى أتت من آسيا ومن الشرق الأدنى على وجه الخصوص وقد يكون ذلك عبر الصحراء وقد يكون بحرا على متن مراكب وأطواف تحتذى السواحل وتتعقّب الجزر.

فلا شكّ أنّ القارتين الآسيوية والأوربية ساهمتا في نحت ملامح ما قد يجوز تسميته العرق المغربي ذاك الذي نوّه القدماء بوحدته وتعدديته وتشعّبه قبائل وأقوام كما يتجلّى بوضوح في كتابات هيقاتيوس الميليتي وفي تاريخ هيرودوتس. فالكتب البونية التي استفاد منها صلّوستيوس خلال القرن الأول قبل ميلاد المسيح يبدو أنها كانت تلاخيص ومصنّفات وضعها أفريقيون استنادا الى كتب ودراسات قرطاجية، ولعلّهم أثروها بإضافات لا نستطيع حصرها فضلا عمّا حدث إبّان تقديمها لصلّوستيوس مترجمة الى اللّغة اللاّتينية. ومهما يكن من أمر، ففي كتاب حرب يوغرطة ومضات تمكّن من استشفاف عناصر فنيقية أو بونية صريحة منها تلك التي تُنَوِّه بحضور الفنيقيين وتشير الى هجرتهم الى أفريقة ليؤسسوا هيبون وهدروميتوم ولبدة.

فالكتب البونية كانت تزخر بأخبار عديدة تخصّ الظروف التي حفّت بتأسيس قرطاج، ولكن صلّوستيوس فضّل السكوت عنها لأسباب منهجية وخوفا من

الإبتعاد عن القضية التي تولّى معالجتها وهي حرب يوغرطة. فثابت أنّه عاد الى الكتب البونية أو قل الى الروايات البونية غير مامرّة : فقد استفاد منها لمّا تناول قضيّة تأسيس لبدة من قبل فنيقيين غادروا مدينة صور اتّقاء شرّ الإضطرابات المدنية. أقبلوا بحرا ونزلوا على الساحل قرب مدينة الخمس اللّيبيّة[1]. فلمّا تحدّث صلّوستيوس عن المدينة وظروف تأسيسها أشار الى أحداث عاشتها قرطاج حماية لأوطانها ومناطق نفوذها. ومن تلك الأحداث مأثرة أخوين قرطاجيين من آل فيلن أو فيلل على أساس معادلة صوتية بين النون واللام. وقد تكون العائلة أفريقية الأصل وقد يكون اسمها منحدرا من الجذر اللّوبي الذي اليه يعود العلم الجغرافي تافللت واسم عائلة الفلالي وهو معروف في تونس والمغرب الأقصى.

قصّة الأخوين فيلن

ولكن ما هي قصّة الأخوين فَيْلَن أو فَيْلَل؟ لقد أوردها صلّوستيوس ضمن حديثه عن تأسيس لبدة قائلا :

> *وما دامت الأحداث تشدّنا الى هذه الربوع فلا يمسّ من قيمة هذه الرواية أن نشير الى بطولة نادرة عاشها قرطاجيان ذكرتني اياهما هذه الربوع. لمّا كانت قرطاج تسوس القسط الأكبر من أفريقة كانت مدينة قورينة تزاحمها ثروة وقوّة وكان بين المدينتين سهل أطرافه مترامية. لا شئ يحدّ من رتابته.*
> *فلا نهر فيه ولا جبل يصلح أن يكون فاصلا بينهما. فتسبّب ذلك في حرب ضروس دامت زمنا طويلا بين الدولتين. فتصارعت جيوشهما برا وبحرا وكانت الحرب سجالا بينهما وأنهكت قوى كلتيهما. فخوفا من سقوط هذه وتلك فريسة بين يدي منافس ثالث يستفيد من ضعف الغالب والمغلوب اعتمدتا هدنة لإبرام الإتّفاقية التالية :*

---

1. Salluste, *Jug.*, LXXVIII, 1

في يوم محدّد تعين كلتا المدينتين ممثلين عنها ينطلقان من أرض الوطن وتقام الحدود بين الشعبين على خطّ لقاء الفريقين. عيّنت قرطاج أخوين من آل فيلن فانطلقا عدوا سريعا. أما القورينيان فكان عدوهما أقلّ سرعة. فهل كان ذلك من باب الكسل أم لسبب آخر؟ لا ندري. إنّ العواصف في تلك الربوع تعيق السير على غرار ما قد يحدث في عرض البحر. فكلّما هبّت الريح على هذا السهل الصحراوي السويّ، أثارت سحبا من الرمال تدفعها قوّة جبّارة فتملأ الأفواه والعيون وتحجب الرؤية وتعرقل السير. فلمّا أيقن القورينيان أنّ الفريق المنافس تقدّم أشواطا، أوجسا خفية من عقاب قد ينالهما بتهمة الخيانة. فشهّرا بالقرطاجيين مدّعيين أنّهما انطلقا من ديارهما قبل الوقت المحدّد. وعلى أساس ذلك طعنا في نتيجة المناظرة. وقصارى القول، فلقد كانا يؤثّران كلّ شيء على عار الهزيمة. ولمّا كان ذلك كذلك، طلب القرطاجيان ضبط شروط أخرى على أن تتسمّ بالعدل والإنصاف. فعُرِضَ عليهما الخيار بين أمرين : إمّا أن يوءدا في المكان الذي يريدانه لرسم حدود بلادهما أو يُسْمح للإغريقيين مواصلة السير في نفس الظروف حتّى المكان الذي يبغيان. وتمت المصادقة على الإتّفاقية وضحّى الاخوان فَيْلَنُ بحياتهما في سبيل الوطن. ثمّ وأدهما وأقام لهما القرطاجيون نصبا على عين المكان يحمل اسميهما. وفي المدينة حبوهما بشواهد أخرى تمجيدا لهما وتكريما[1].

إنّها ورقات من ورقة الأدب البوني لها من الروعة ما أغرى صلّوستيوس وقرّاءه ونال اعجابهم. فهي قصّة تجمع بين التاريخ والملحمة، وتندرج ضمن

1. Salluste, *Jug.*, LXXIX, 1. La solution de la course pour mettre fin à une contestation de frontières est connue : Polyaenus, VI, 24, d'après Charon de Lampsaque, parle d'un conflit semblable entre Lampsaque et Parium ; une course mit fin au différend. La frontière fut tracée à l'endroit où les héros se sont rencontrés. Mais le texte de Salluste est bien plus riche et semble refléter un contexte punique: le sacrifice des héros qui acceptèrent de se faire enterrer vifs, l'érection des autels, etc.

أغراض تربوية هدفها تغذية الحسّ الوطني لدى القرطاجيين والشباب منهم على وجه الخصوص. فلقد كان الأخوان فيلن رمز البطولة والتضحية.

أمّا عن منشأ هذه الروعة الأدبية فالأرجح أنّها ثمرة من ثمار حِلْفٍ بين الواقع والخيال. كان الوطن لدى القرطاجيين مقدّسا يضحّون في سبيله بالنفس والنفيس ؛ كذلك فعلت عليسة في أسطورة مولد المدينة. ومن حبّهم للوطن فضّل القرطاجيون الموت في مدينتهم على أن يسلّموا ديارهم لجيش الرّومان فالموت كان لديهم أفضل من حياة الذّل والعبودية. إنّ قصّة الأخوين فيلن توقفنا على باب من أبواب الأدب البوني والقرطاجي بالذات وهو باب الأدب التربويّ الذي يوفّر غذاء للرّوح والوجدان وفيه يجد المرء مقومات بدونها لا كينونة ولا يناعة ولا ابداع.

فهل كانت هذه القصص والملاحم المثيرة تسرد في المعابد أو ترتّل ترتيلا. يلقّنها الكهنة والمربّون الى الأطفال والشباب؟ وإذ أرجّح الجواب بنعم فذلك لأنّ المعبد كان مدرسة فيها يتعلّم الطفل القراءة والكتابة وفيها يمتصّ من رحيق الكتب البونية وغيرها كما يمتصّ النحل رحيق الزهورفتكون العزّة ويكون التجذّر والإنتماء ويكون القرطاجي قرطاجيّا له من الحصانة الثقّافية ما يجعله قادرا على الإستفادة من كلّ حوار مع الآخر مهما اختلفت تعابيره ومقاييسه في المعارك المادية والقضايا الأخرى.

فلقد اهتمّ القرطاجيون بحياة المجتمع واستجابوا لحاجته المادية وحاجته الوجدانية ذلك أنّ الإنسان في منظورهم مادّة وزيادة، فتراه يحتاج الى الثروة ويعتقد ألاّ نمو بدون غذاء روحيّ توفّره القصّة والأسطورة والملحمة وغيرها. على أنّ بعض المؤرخين المعاصرين، وغالبهم من غرب منحاز لبني اليونان والرومان، يدّعون خطأ، عن وعي أو غير وعي، أنّ القرطاجيين لا يعيرون قيمة لشئ ولا لعمل إن لم يكن فيه كسب ماديّ حتّى أنّهم، في رايهم، لا ينشغلون إلاّ بما كسبت أيديهم ومكّنهم من جمع الثروة جمعا. وفي نظر هؤلاء المؤرخين، يقتصر الكسب لذى المواطن القرطاجي على المال والسلطان. إنّه رأي باطل لا يتبنّاه إلاّ من شاح بوجهه عن الواقع التّاريخي. فلقصّة الأخوين فيلن أبعاد أدبية أخلاقية لا تخفى على أحد، فهي تنويه بالوطن وبحب الوطن وبالواجب إزاء الوطن. تراها تشيد بالذين لا يبخلون على الوطن بتضحية مهما كان ثمنها. وإذ جرّنا الحديث

عن التضحية بالنفس والنفيس فلنذكر نساء قرطاج إبّان الحرب الرومانية القرطاجية الثالثة : 149-146 قبل ميلاد المسيح. فلقد تركن بيوتهن والأسر لتعملن في الورشات الحربية من بناء حصون وصناعة أسلحة. ومنهنّ نساء تبرّعن بخصلات شعرهن الجميلة لتتحوّل مقالع وأقلسة تحتاجها السّفن.

فالقصّة التي أوردها صلّوستيوس نقلا عن كتب بونية تحمل في طيّاتها شحنة أخلاقية لها خطورتها وتأثيرها وتمكننا من استشفاف الحسّ الوطني لدى القرطاجيين والقرطاجيات وكان لهذا الحسّ عندهم مستوى جعلهم يقبلون على الموت في سبيل الوطن. فكانوا لا يرون الحياة خارجه فهم والوطن وحدة لا تنشطر. فهو الهويّة واليه الإنتماء.

ولا بدّ هنا من الإشادة بموضوعية المؤرخ اللاّتيني الذي نوّه بذكرى الأخوين فيلن وببطولتهما النادرة. أمّا البعد الأدبي في هذه القصّة فله مستويات شتّى : منها وسائل التعبير والإيحاء مجازا بالجيوش والأساطيل والإنتصارات والإنتكاسات وساحات الوغى ومنها وصف المحيط والمشاهد الطبيعيّة حول ربوع قرطاج وقورينة : سهل من الرمال سويّ لا نهر فيه ولا جبل صالحا لرسم الحدود : فهي الصحراء بروائعها تتجلّى لتُغْرِي القارئَ والسّامع. لاسيما والرّاوي أحسن التصوير ودغدغ الخيال بعواصف تعيق السّير وسحب من الرمال تحجب الرؤية وتملأ الأفواه. وتمتاز القصّة بتناسق الأحداث فيها وتناغمها فضلا عن إثارة العواطف وتحريك السواكن وتجلّية البطولة مع تشويق في السرد وطرافة في الوصف وكلّها تقنيات تأنسها في القصّة الشعبية من ملحمة جلجامش الى الخرافة عندنا ومازالت تقال نثرا وشعرا، وقد تصحبها نقرات الدفوف وعزف المزامير أحيانا كالتى تشدو ببطولة الإمام علي بن أبي طالب كرّم اللّه وجهه والمغزى يكون في نهاية المطاف :

> ***وئد الأخوان فيلن وأقام لهما القرطاجيون نصبا على عين المكان يحمل اسميهما وفي المدينة حبوهما بشواهد أخرى تمجيدًا لهما وتكريما.***

فهل أقيم لهما نصب تذكاري في قرطاج ؟ قد يكون !

ميلاد قرطاج

كانت الملحمة فننا غضّا من أفنان الأدب في قرطاج. فهي تعكس شغف القرطاجيين بالبطولات وبمآثر الأسلاف ولعلّهم كانوا الى جانب المتعة الأدبية يمتحون من الملحمة ما يتأسّون به لبناء حاضرهم وتصوّر مستقبلهم. ومن أساطير البونيين التليدة سيرة عليسة أو مولد قرطاج. وردت القصّة في كتب القدماء والأرجح أنّها في البدء كانت رواية شفوية ثمّ تبنّاها القلم والقرطاس وقد يكون القلم برونزا أو عظما أو قصبا وقد يكون القرطاس رقّا أو برديّا أو زبيرة أخرى. ومانفكّ المؤرّخون المعاصرون والأدباء يردّدون سيرة عليسة حتّى تجلببت بجلابيب العصور والأقوام والأجيال زيادة ونقصانا فاعتراها ما اعتراها من خلط وتحريف مقصود أو غير مقصود شأنها في ذلك شأن الملاحم والأساطير التي ترسخ في الذاكرة الجماعية وتعيد الجماهير كتابتها لتجعل منها مرآة تنعكس عليها. ولا غرو أن تختلف القرآت والتحاليل وتتعدّد دروب الاستلهام وأشكال الإبداع.

جاءت سيرة عليسة مختزلة في بعض إشارة عابرة تناولت الأميرة الفنيقية وميلاد قرطاج على أنّها وجدت عناية لدى مؤرّخ لاتيني يدعى يوستينوس وقد عاش في القرن الثاني بعد ميلاد المسيح. فلا شكّ أنّه نقلها عن بعض المصادر القديمة ولاشكّ أنّ قلمه أفضى عليها من روحه دون أن تنعدم أصولها الفنيقية البونية. تحدّث يوستينوس عن ميلاد قرطاج قال :

> ***ازدهرت مدينة صور من جراء اقتصادها وبفضل مابذلته من جهد في سبيل الكسب والثراء. وقبل أن يقع تقتيل الأعيان، كانت المدينة تضيق بالمواطنين وتزخر بالمكاسب والأموال وأرسلت جالية من الشباب الى أفريقة فأسست وتيكة. ففي ذلك الزّمن توفيّ الملك متّن في صور وقد كان أوصى بالعرش لإبنه بجمليون ولعليسة ابنته وهي عذراء حسناء جمالها منقطع النّظير. ولكن الشّعب سلّم الحكم الى بجمليون مع صغر سنّه. أمّا عليسة فقد تزوّجت خالها أشريس وهو***

كاهن هرقليس فكان، بصفته تلك، صاحب المرتبة الأولى بعد الملك، وله كنوز لا تحصى لكّنه يخفيها. وتحسّبا من جشع الملك، عهد بذهبه لا الى سقف بل الى بطن الأرض ولئن كان الأمر غير معروف فما انفك الناس يردّدون القيل والقال حول ذلك حتّى نمت أخبار الى الملك هاجت في نفسه الجشع فاغتال أشريس، وهو خاله وصهره، محتقرا قوانين البشرية، متنكّرا لمشاعر العائلة. بقيت عليسة زمنا طويلا مشبعة كرها إزاء القاتل لكّنها أخفت حقدها محاولة تلطيف قتامة وجهها حتّى توقّفت الى ترتيب هروبها سرّا. فلمّا تمكّنت من جمع ثلّة من كبار القوم حولها لمست فيهم حقدا يشبه حقدها إزاء الملك واقتنعت أنّهم يشاطرونها الرغبة في الهروب اقتحمت أخاها حيلة : تظاهرت بأنّها ترغب في الإقامة عنده حتّى لا يعيد لها بيت زوجها صورة حزن مكدّرة تريد نسيانها وحتى لا تقع تحت بصرها أشياء تثير في نفسها ذكريات مرّة. وسمع بجمليون قول أخته مسرورا معتقدا أنّها ستأتي ومعها ذهب أشريس.

ومع الغروب أمرت عليسة بشحن أموالها ومعها الخدم الذين أرسلهم الملك ليساعدوها على الإنتقال. ولما أدركت عرض البحر أجبرتهم على رمي أكياس مملوءة رملا وأوهمتهم أنّ مالها فيها ثم أخذت عليسة تبكي وتنادي أشريس بصوت كئيب راجية إيّاه أن يتفضّل باستعادة الأموال التي تركها وأن يتسلّم الكنوز التي كانت سببا في هلاكه هدايا جنائزية. ثمّ توجهت الى الخدم قائلة إنّها تتمنّى الموت من زمن طويل. أمّا هم، فمصيرهم قساوة التنكيل وشناعة التعذيب لأنهم كانوا سببا في حرمان الطاغية من أموال أشريس وهو الذي أقبل على اقتراف جريمة الإغتيال أملا في الإستلاء عليها. هكذا زرعت الأميرة الرعب في قلوب الجميع ودفعتهم الى الفرار معها وقد انضمّ اليها جماعة من بعول المدينة كانوا في

تلك الليلة على أهبة الإلتحاق بها. فلمّا أخذوا الأدوات المخصوصة لعبادة هرقليس، وقد كان أشربس كاهنا في قدسه هاجروا بحثا عن مكان يقيمون فيه.
كانت جزيرة قبرص محطّتهم الأولى وفيها أقبل عليهم كاهن يوبيتر صحبة زوجته وأبنائه وقد أوحت له الآلهة بحضورهم. اقترح على الأميرة الهاربة أن يصطحبها ويقاسمها مصيرها شريطة أن يبقى شرف الكهانة مقصورا عليه وعلى ذريته أبد الدهر. لقد بدا هذا الإقتراح نبوءة جلية. ومن التقاليد في قبرص أن تتولّى العذارى قبل الزواج كسب شوارهن في أيّام معدودات. كنّ تتوجّهن الى الشاطئ لتقدّمن البتولة قربانا لوينوس. فاختطفت عليسة ما ينيف عن ثمانين فتاة وأبحرت بهنّ لتزوجهّن فتيانها ضمانا لتعمير مدينتها.
وفيما هم كذلك نما خبر فرار عليسة الى بجمليون فبات يتهيّأ لملاحقتها وسلّ سيوف الفسق في وجهها ولكّنه عدل عن مشروعه مكرها : ذلك أنّ أمّه تضرّعت اليه فخاف. وهدّدته الآلهة فمكث هادئا لا سيما وقد تنبأ له عرّافون ملهمون أنّه لن يسلم من عقاب إذا ما عكّر صفو مدينة حبتها الآلهة في الدنيا قاطبة. هكذا تمّكن الهاربون من تنفس الصعداء. ولمّا أدركت عليسة أحد خلجان أفريقة باتت تسعى الى كسب صداقة السكّان الذين استطابوا مجئ الغرباء ورأوا فيهم ما يساعدهم على الإتّجار والتبادل. ثمّ اقتنت عليسة أرضا تساوى ماسحتها ما يمكن تغطيته بجلد ثور وذلك ليستعيد أصحابها قواهم وقد انهكهم التعب بعد رحلة في البحر طويلة ويقيموا فيها الى أن يحين وقت الرحيل.
لكنّها أمرت بقدّ جلد الثور سيورا رقيقة فتمكنّت من الحصول على فضاء فاقت مساحته حدود المطلوب. وفي ذلك علّة اسم بيرصة الذي أطلق على هذا المكان من بعد. ثمّ أسرع سكّان الربوع المجاورة جماعات يدفعهم أمل الكسب فأتوا الى الغرباء

ببضاعة كثيرة وأقاموا عندهم. ومنهم تكونت شبه مدينة. وأقبل عليهم وفد من وتيكة وقد رأوا فيهم أقارب فأتوهم بالهدايا وأوصوهم بتأسيس مدينة في المكان الذي شاءه الحظ لهم ملجأ. هذا وقد أعرب الأفريقيون أيضا عن رغبتهم في استبقاء الغرباء. فتأسّست قرطاج برضاء الجميع بعد أن تمّ تحديد ضريبة سنوية تدفعها المدينة مقابل الأرض. ففي الأس الأوّل عُثرَ على رأس ثور وهو طالع ينبئ بأرض خصبة لكنّ فلحها عسير كما يشير الى مدينة محكوم عليها بالعبودية المؤبّدة فانتقلوا الى مكان آخر وفيه عُثرَ على رأس حصان مفاده أنّ الشعب سيكون محبّا للحرب عزيزا. أقيمت المدينة في هذا الموقع ذي الطالع السعيد فأصبحت الأقوام تتوافد وقد أغرتهم سمعة المدينة الحديثة. وسرعان ما نما عدد سكّانها وعظم شأنها.

كانت قرطاج مدينة عزيزة مزدهرة بفضل مشاريعها الناجحة لمّا طلب يربص، ملك المَكْسَوِيّين، يد عليسة من الأعيان العشرة الذين أتوه بدعوة منه، وكان يهدّد بالحرب في صورة عدم القبول. ولما لم تكن لهم جرءة ليفاتحوا الملكة في الأمر عمدوا الى اشعارها بطريقة بونية متميّزة قائلين لها إنّ الملك يبغي من يعلّمه والأفريقيين نهجا في الحياة أكثر تحضّرا. ولكن هل يوجد من يَقْبلُ مفارقة أهله ويتحوّل الى قوم لا حضارة لهم، أناس يعيشون كالحيوانات البرّية؟ فقرّعتهم الملكة قائلة : هلاّ تقبلون حياة أكثر خشونة في سبيل الوطن والواجب يدعوكم الى التضحية حتّى بحياتكم إذا مالزم الأمر؟ فكشفوا إذذاك لها عن فحوى الرسالة التي حمّلهم ايّاها الملك فتبيّن أنّها معنية بالأمر وعليها القيام بما توصي بها الآخرين إذا كانت حقّا تريد الذود عن المدينة. فاجأتها الخادعة فقرأت باسم زوجها أشربس مرارا عديدة والدموع منهمرة من عينيها غزيرة وهي تتنهّد من شدّة الأسى.

ثمّ انتهت الى جواب مفاده أن تذهب الى حيث يناديها مصيرها ومصير المدينة واستمهلتهم ثلاثة أشهر حتّى أقامت محرقة على حدود المدينة ونحرت عددا كبيرا من الحيوانات قربانا كأنّها تريد السكينة لروح زوجها وتقديم الهدايا الجنائزية له قبل الزواج. ثمّ أخذت سيفا وصعدت فوق المحرقة وعندها توجهت الى الشعب قائلة إنّها ستلتحق بزوجها طبقا لما فرض عليها القدر ثمّ انتحرت طعنا بالسيف. وظلّت عليسة كالإلهة مشرّفة مكرّمة مادمت قرطاج قوية متألّقة.

أسست هذه المدينة اثنين وسبعين سنة قبل روما. ولئن عرفت ببسالتها العسكرية في الخارج ففي الداخل كان يهزّها التناحر والتطاحن ولمّا كان سكان المدينة يشكون الطاعون فضلا عن امراض أخرى عديدة كانوايقدّمون الى الآلهة قرابين دموية لها مواصفات الجريمة : ذلك أنهم ينحرون من البشر ضحايا ويقدّمون الأطفال قربانا على المذابح دون شفقة. والحال أنّ سنّهم يبعث على الإشفاق حتّى لدى العدو. مدّعين أنّهم يهدّئون الآلهة بدم الذين تستوجب حياتهم الدعاء والإبتهال[1].

تلك هي أسطورة عليسة. فهي نتاج عصر كان فيه السرد التاريخي يتوخّى القوالب والتقنيات الأدبية. فالمعلومات التي تضمنتها تخصّ ظروفا وملابسات أحاطت بمولد قرطاج كما تصوّرها المؤرّخون القدامى أو كما كانت تنعكس على مرآة عصرهم أو في مرايا العصور التي تعاقبت على أجيالهم وتوارثوها. ولا شكّ أنّ للتعاقب والتوارث تأثير على الأحداث وملامحها فتكون الروايات والتعاليق ويكون النقصان من جراء الإختزال فضلا عمّا قد تفرضه اللّغة وقوالبها وضغوطها وقدراتها وقصورها. فلا بدّ من اعتبار تلك المعطيات والمتغيّرات جميعها في كلّ محاولة تستهدف الوقوف على المادة الصريحة أي تلك التي أفرزتها الحضارة الفنيقية القرطاجية. فواضح أنّ الأحداث وردت متتالية في تسلسها

1. Justin, XVIII, 4-6.

التاريخي : جلوس بجلميون على العرش فاغتيال أشربس كاهن الإله هرقليس فهروب عليسة صحبة ثلّة من شيوخ المدينة فالمرور بجزيرة قبرص والإستلاء على العذارى وانضمام كاهن يوبيتر الى ركب الأميرة ثمّ الوصول الى أفريقة والإتصال بسكّانها بما في ذلك حيلة جلد الثور ولقاء الوفود واختيار موقع المدينة الجديدة ثمّ نهاية عليسة المأسوية.

ففي هذه الأحداث وما تعلّق بها نلمس خيوطا تاريخية يمكن الإطمئنان لها والوثوق بها بل يجوز القول إنّ قصّة عليسة تستمدّ مقوّماتها من أرومة فنيقية قرطاجية. فصاحب هذا النسيج الأدبي التاريخي محيط بخصائص العالم الفنيقي القرطاجي حتّى أنّ محلل تلك الأحداث لا يجد عقبة كأداء تمنعه من التثبت من أصولها والعناصر التي وظفت لحوْكها. فأسماء الأشخاص تستند الى المعلمية الفنيقية أو الافريقية. وقد وثّقت في أثبات الأعلام التي كانت متداولة في قرطاج والمدن الفنيقية الأخرى : فمتّن ومعناه عطية وأشربس علم فنيقي الأصل كان شائعا في قرطاج وصيغته الفنيقية زكربعل أو سكر بعل ومعناه ذكر بعل ذلك أنّ فعل زكر في الفنيقية وقد يستعمل في صيغة سكر يفيد الذكر أو الذكرى ويتّضح لك المعنى في قوله تعالى ورفعنا له ذكره. ومعلوم أنّ اسم بجمليون قبرصي الأصل يتضمّن اسم إله قبرصي فوماي وقد تسلّل الى فضاء المعتقدات الفنيقية وتأثل فيها وانتشر : ففي قرطاج نجد أسماء مثل عبد فوماي ومتنفوماي[1]. وفي نقيشة فنيقية سطرت على نوط من ذهب عثر عليه في قبر قرطاجي. جاء ذكر الإله فوماي في صيغته اليونانية أي بجمليون[2] ممّا قد يفيد أنّ اسم أخي عليسة جاء مرخّما وقد حذف منه العنصر الذي يضاف الى اسم الإله على غرار ما قد يحدث في الأعلام العربية قديما وحديثا : فنقول رزّاق عوض عبد الرزّاق ونقول مناف عوض عبد مناف. وممّا يشهد بحضور هذا الاله القبرصي فوماي أو بجمليون في الربوع الفنيقية البونية. لا بدّ من ذكر نصب عثر عليه بين أطلال مدينة نورة بجزيرة سردانيا وعليه نقيشة فنيقية عتيقة تتحدّث عن قدس أقيم اجلالا الى فوماي. ولعلّهم

1. Pour ces noms composés avec le théonyme *Poumaï*, cf. G. Halff, « L'onomastique punique de Carthage », in *Karthago*, XII, 1963-1964. S.V. et p. 71.
2. *RES*, I,5.

كانوا يعتبرونه حامي الملاحة والملاّحين الذين يشقّون عباب البحر وينشرون الحضور الفنيقي في ربوع الجزيرة ومنها ينطلقون الى جزر وسواحل أخرى.

وفي خصوص الأفريقيين اقتصر يوستنوس على ذكر اسم الملك يبرص وهو علم لوبي الأصل وقد اطلق على ملك الأسرة النوميدية المصولية التى أسسّها أو أعاد تأسيسها الملك مسنسن غداة الحرب الرومانية القرطاجية الثانية. فكأنّ يربص النوميدي وقد تبوأ العرش في القرن الأول قبل ميلاد المسيح ورث اسمه عن الملك يربص الذي زامن الملكة عليسة. فهي إذا أعْلاَم لانشاز بينها وبين المحيط الذي تتنّزل فيه أحداث الأسطورة.

ولكن ما حظّ تلك الأحداث من الواقع التاريخي المعيش ؟ فدون الدخول في نقاش حول تاريخية اغتيال أشربس، الكاهن الأكبر لمعبد هرقليس، يمكن اعتباره حدثا واردا محتملا : ذلك أنّ الخلافات والدسائس داخل القصر وخارجه لم تكن غريبة عن واقع المدينة الفنيقية خلال الألف الأولى قبل ميلاد المسيح وخاصّة في النصف الأول منها، كما لم تسلم من شرّ الانتفاضات والاستلاء على الحكم بالقوة والعنف : فقد تكرّرت مثل تلك الأحداث في أكثر من مدينة فنيقية وتحدّث عنها المؤرخون وذكرتها الحوليات الأشورية. فلقد أورد المؤرّخ اليهودى إفْلاَوِيُوسُ يُوسُفُ، استنادا الى حوليات مدينة صور، أنّ يتوبعل، كاهن عشترت، أطاح بالعرش خلال القرن التاسع قبل ميلاد المسيح، وكان يسمّى فلّس مع العلم أنّ فلّس كان قد سطا هو الآخر على عرش أخيه بعد اغتياله.

وأسّس يتوبعل أسرة بقيت على العرش زمنا طويلا، ومن ملوكها متّن[1] أبو عليسة وبجمليون. فالتنافس بين المعبد والقصر أمر لم تخل منه الأوساط السياسية والدينية وذلك في جميع المدن الفنيقية ولا سيما في صور[2]. فليس من الغريب، والحال تلك، أن يشبّ خصام سياسي أو ديني سياسي بين ملك صور وكاهن ملقرت، اله المدينة وحاميها، وقد تذكو الخصومة بأواصر القربى، ومعلوم أنّ أشربس خال بجمليون وصهره. فمن ذلك نتبيّن أنّ الخلاف القائم بين القصر والمعبد كما ورد في قصّة عليسة عنصر من العناصر التي بها تتصف الأوساط السيّاسية الدينية في المدينة الفنيقية، وإن لم تستأثر بها مدينة

1. Le médaillon a été retiré d'une tombe punique de Carthage datable du VI[e] siècle avant J.-C.
2. Flavius Josèphe, *Contre Apion*, I, 124-125.

صور، تبقى مأساة عليسة واردة من حيث وجودها بين بجمليون أخيها وأشربس خالها وبعلها : عمد أخوها الى إقصائها عن العرش دون احترام الوصية الأبويّة ولم يتحرّج من اغتيال خاله أشربس ليؤمّن عرشه ويتخلّص من منافس قد يكون عنيدا ثمّ وضع خطّة للسطو على ثروته.

فهذه العناصر، وان تبق واردة محتملة، فهي لا تثبت تاريخية الدور الذي قامت به عليسة لتأسيس قرطاج. على أنّ أحداث القصّة لم تتجاوز حدود الفضاء الفنيقي : يغادر أسطول عليسة ميناء صور وتكون المرحلة الأولى في جزيرة قبرص والعلاقة بين مدينة صور وهذه الجزيرة متينة عريقة كما بينتها الحفريات والنقائش : فمن الأطلال الفينقية بجزيرة قبرص بقايا معبد تنغمس جذوره في صلب القرن الثامن قبل ميلاد المسيح[1] وتوجد اطلال هذا الفضاء المقدّس في موقع قِتْيون وهي المدينة التي تحمل اليوم اسم لرنقة. وفيما كانت عليسة تتهيأ لركوب البحر ومواصلة الرحيل جاءها كبير الكهنة في قبرص وانضّم الى ركبها. وفي القصّة إشارة الى فتيات كنّ يمارسن العهر المقدس وهي شعيرة دينيّة علاقتها بالخصب متينة كانت معروفة لدى الفنيقين وفي عوالم سامية أخرى نذكر منها بابل في واد الرافدين حسب رواية أوردها هيرودوتس[2]. ثمّ يدرك اسطول عليسة سواحل أفريقة ويكون الإتصال بالسكان. وكان يسوسهم ملك يدعى يربص وأسسّت الأميرة الفنيقية مدينتها وسمّتها قرت حدشت ومعناها في لسان الكنعانيين مدينة حديثة وفي قوالب اللّغة اللاّتينية أصبح قرطاجو حتّى وصل الينا في صيغة قرطاج عن طريق الفرنسيين. على أنّ العرب القدامى كانوا يقولون قرطاجنة كما أثبته محرز بن خلف والبكرى وغيرهما من السلف.

فميلاد قرطاج حدث تاريخيّ لا نقاش فيه. ولا غرو أن يبادر المؤسّسون بربط الصلة مع السكان ومن يسوسهم. ويبقى السؤال حول اسهام عليسة في انجاز هذا المشروع الخطير. ليس المجال هنا لإثارة مثل هذا الجدل بل نكتفي باقرار كَنْعَنَةِ أو فَيْنَقَةِ العناصر التي وُظّفت لسبك هذه الأسطورة التاريخية مهما طرأ عليها من تغيير وتشويه نتيجة الإختزال تارة والحشو والتعاليق طورا. ومن

1. Vassos Karageorghis, « Les fouilles de Kition en 1968 », in *CRAI*, 1969, p. 6-13.
2. Hérodote, I, 199.



23

23. نقيشة بالحرف البوني الحديث عثر عليها في هنشير مدد قرب مكثر. (القرن I ق.م).

ذلك تحريف في نطق الأسماء ومن ذلك، بالخصوص، قضيّة جلد الثور : فثابت أنّها إضافة منّ بها الخيال اليوناني استنادا الى جناس بين لفظتين قد تكون الأولى من أصل فنيقي أو لوبي وتكون الثانية من أصل يوناني وكلتهما تنطق بورسة أو بيرصة. ويبدو أنّ الكلمة الفنيقية تدلّ على القلعة أو على قلب المدينة وهي المنطقة العليا التي تتوسطّها وتشرف عليها، وقد تكون مسوّرة فضلا عن حصانتها الطبيعيّة. فهي تشبه ما يسمّى أقرو بوليس في المدينة اليونانية. أمّ اللفظة الأخرى التي تولّد عنها الجناس فمعناها في اللّغة اليونانية ثور أو جلد ثور : فلمّا التقطت أذن بعض المؤرخين من الإغريق لفظة بيرصة ضمن قصّة عليسة كانت كالبذرة في تربة خصيبة فنبتت قصّة جلد ثور يقدّ سيورا رقيقة لتسييج مساحة تتسع لإقامة مدينة مترامية الأطراف جليلة.

ومهما يكن من تشويه وتغيير واختزال وتطعيم، فالقصّة تبقى ابداعا فنيّا أفرزه الخيال الفنيقي. فهي ألواح رائعة تجسّد لنا كيف كان الفنيقيون والقرطاجيون يتصوّرون نشأة مدينتهم ولا شكّ أنّها تتنزّل ضمن صنف من أصناف الأدب القرطاجي. ومن منّا لا تغريه أساطير الأولين التي تقصّ مولد هذه المدينة أو تلك.

ولسبك مثل هذه الأساطير يمتح الخيال من الواقع، وكم يفرض الواقع على الأساطير أشكاله وألوانه وزخارفه حتّى تصبح نسيجا أدبيا بعيدا عن التاريخ متجذّرا فيه. فتكون البنية من سبك الخيال وتكون مواد بنائها مقتبسة من واقع تاريخي لا جدال فيه. ومعلوم أنّ الأسطورة لا تقتصر على سرد الأحداث بل هي غذاء روحي يفيد منه المواطن فيتجذّر وينتمي وهي مادة من سبك الخيال لإثراء الخيال وتغذية الوجدان حتّى يكون كلاهما ولودا يبدع الجمال. وفي الأسطورة حسّ اخلاقي وطني من ذلك ترى عليسة لا تبخل بحياتها اخلاصا لروح زوجها وحبّا للوطن فتتبوّأ منزلة أمّ القرطاجيين وتصبح مثلا أعلى عندهم. وتتنزّل أسطورتها في صنف الأدب القرطاجي الهادف وقد نستشفّ منه ملامح الأدب الملتزم.

ولكن وإن كان المضمون هادفا يجمع بين الواقع والخيال، فالبعد الأدبي يتراءى لنا في الشحنة العاطفيّة وفي اختيار المشاهد : تنطلق الأحداث بين القصر والمعبد وعلى القارئ أن يتصوّر حياة القصور في المدينة الفنيقية ويتصوّر المعابد

وما قد يجرى فيها من مناسك مختلفة الأقوال والحركات، وقد يتحول القاري أو السّامع إلى كاتب ليسهم في اثراء القصّة بتصوره حياة القصر مثلا : تلك هي اللّوحة الأولى. ثمّ تتمحور الأسطورة حول أميرة حسناء تجمع بين الجمال والحكمة وقوّة الجأش والرّصانة، فهي الجمال خلقا وخلقا، وتكون المأساة : بجمليون يغتال أشربس خاله وصهره : وهي اللوحة الثانية التي اختزلها كاتب الملحمة فيتناظر فيها جمال عليسة وقبح بجمليون وكأنها الخير وكأنّه الشرّ. وتطلعنا اللّوحة الثالثة على هروب الأميرة فنلاحق سفينتها وهي تشقّ عباب البحر حتّى تدرك السواحل القبرصية. وفي المشهد الرابع تصوير لعليسة ورفاقها ومن ذلك لقاؤها مع كاهن يوبيتر واختطاف العذارى الحسنوات ثمّ الرحيل من جديد وركوب البحر وتحدى الأمواج المتلاطمة. ومن ميّزات الأسطورة الإختزال وعبور المسافات الطويلة جغرافية كانت أو زمنية، ولا توصف الأحداث بصريح العبارة بل للقارئ أو للسّامع فرصة ليمتطي صهوة خياله ويتصوّر الرحلة على هواه وتلك لوحة خامسة. وفي المشهد السادس، تصل الأميرة الى سواحل أفريقة ويكون ما يكون حتّى تنشأ المدينة ويستقيم أمرها. ثمّ تنتهى الأسطورة بمشهد سابع مشحون مأساة وعظمة : نار الطهر والقداسة تأخذ عليسة وتقيها شرّ أدران الدنيا وضحالتها وتكسبها الخلود.

لقد جاءت المشاهد السبعة مشحونة بالمشاعر والعواطف من جشع وغدر وجرائم، وحبّ وحقد، وألم وسعادة، واخلاص، وجمال، وقبح، ورفاه وخشونة، وحضارة وتوحش. كما جاءت مخضّبة بألوان المغامرة ومقارعة الأخطار برّا وبحرا وما في كليهما من مشاهد طبيعيّة رائعة رهيبة كالآلهة، وفي ذلك تتجلّى الأبعاد الأدبيّة لأسطورة عليسة الخالدة. ألا يجوز لنا ضمّ هذه النصوص الى روائع قرطاج الأدبية ؟ بلى.

ومن القصص التاريخية التي أوردها الكاتب اللاّتيني يوستينوس تجدر الإشارة الى قصّة ملكو وغيره ممّا احتفظ التاريخ بأخبارهم. على أنّ قصّة ملكو قد تكون وضعت للتنديد لا للتنويه لأنّ البطل لا يصلح قدوة بل هو الباطل وهو شرّ ينبغى احتواءه والقضاء عليه. ذلك أنّ ملكو كان من الذين عمل فيهم الكبرياء وأغرتهم طموحات شيطانية حتّى أنّهم لا يتحرّجون من تجاوز الحدود المشروعة ويدوسون الشرعية ويشقون عصا الطاعة في وجه الدولة والقانون.

وعلى خلاف ذلك ترى عليسة تقبل على الموت في سبيل عفّتها وسبيل قرطاج فكانت رمز التجذّر والإنتماء ومرجعا كلّما تشابهت السبل واحتجبت الرؤية وكان اللّبس واستعصى التمييز بين الخير والشرّ. فعليسة نبراس لمن كان يبحث عن الذات والأصالة حتّى كأن الحريق الذي التهم جسدها ظلّ ينشر نورا في دروب التائهين.

كذلك يستند الأدب القرطاجي الى التاريخ ويتّخذ من أحداثه وأخباره مادة يحوّلها تحويلا كميائيّا فتنشأ القصّة وتحلو الأسطورة وتزكو الملحمة. فكم نأسف لفقدان الكتب والرسائل التي صنّفها مؤرخون بونيون أو يونانيون تنويها بقرطاج وبمآثر أبطالها. فلقد أشار القدماء الى كتب صنّفت للتعريف ببطولات حنّبعل وبحنكته وحلمه وتفتّحه على مختلف الشعوب والحضارات. وقد شارك في تصنيفها مؤرخان يونانيان وهما سيلينوس وسوسيلوس لكنّها تلاشت ولم يبق منها الا اشارات عابرة لا تسمن ولا تغني من جوع.

ومادمنا نتحدّث عن حنبعل تجدر الإشارة الى وثيقتين : الأولى نقيشة بونية يونانية أمرحنّبعل بسطرها أيّام اقامته قرب مدينة قروتونة بإطاليا وكان ذلك بمناسبة زيارة أدّاها الى معبد الآلهة هيرة : فإجلالا لمقامها، أهدى لها حنّبعل مذبحا زبر عليه نصّ مطوّل يعرّف بالقائد وبجيوشه وبنوه بالبوطولات والمآثر التي عاشها الجيش القرطاجي على درب المسيرة الكبرى من جبال البيريني وجبال الألب الى سهول إيطاليا وأنهارها وبحيراتها وهي مآثر تجاوزت قدرات البشر حتّى كأنها من عمل الآلهة، فلا يستطيعها أحد ما لم يحظ بالعناية الربانية. ففي تلك النقيشة، ذكرت أحداث ووقائع تمتّ الى المعجزة بأسباب متينة، وهي على غرار المعلّقات يقرأها كلّ من قد يزور المقام.

ولئن حرص حنّبعل على ترجمتها الى اللّغة اليونانية فذلك لأنه كان يريدها في متناول الزائرين فهو صوت قرطاج وصوت قيادتها موجّه الى الآخرين. ولقد استفاد المؤرخ اليوناني بوليبيوس من هذه النّقيشة ومنها استقى معلومات حول عدد الجيش القرطاجي وعتاده[1] وتحدّث المؤرخ الاتيني تيتوس ليفيوس عنها قائلا :

1. Polybe, III, 33 et suiv.

وفي تلك الصائفة مرّ حنّبعل بقدس يونو فأقام به مذبحا وأهداه وقد زبرت عليه نقيشة مطوّلة بالحرف البوني والحرف اليوناني تقصّ مآثره[1].

أمّا الوثيقة الثانية وتسمى قسم حنّبعل فلقد أوردها بوليبيوس. ومن حسن الحظّ أنّها وصلت الينا كاملة تتمثّل في نصّ معاهدة عرضها حنّبعل على سفارة أرسلها اليه فيلبوّس ملك مقدونيا سنة 215 قبل ميلاد المسيح وجاء فيها ما يلي :

قسم أدّاه القائد حنّبعل وما جون ومورقانوس وبرموقاروس وكلّ الشيوخ القرطاجيين الذين كانوا صحبة حنّبعل وكلّ القرطاجيين الذين يعملون معه وكان ذلك بين يدي اكسينوفانيس بن إقليوماكوس الأثيني السفير الذي أوفده الينا الملك فيلبوّس بن ديمتريوس باسمه وباسم المقدونيين : أمام زيوس وهيره وأبلّو وأمام ديمون قرطاج وهرقليس ويولاووس وأمام أريس وتريتو وبوسيدن وأمام الآلهة الذين يصاحبون جيشنا والشمس والقمر والأرض وأمام الأنهار والبحيرات والمياه وأمام آلهة قرطاج جميعهم وأمام آلهة مقدونيا وربوع بلاد الاغريق الأخرى وأمام جميع آلهة هذه الحملة الذين، أيّا كانوا، يشرفون على هذا القسم. قال حنّبعل وكلّ بعول قرطاج المرافقين له وكلّ القرطاجيين الذين يعملون معه :
من أجل كلّ ما يكون صالحا لنا ولكم نؤدّى هذا القسم عربون صداقة واخلاص لا تشوبه شائبة وهو قسم يجعل منّا أصدقاء وأقارب واخوة طبقا للشروط التالية : الملك فيلبوّس والمقدونيون وغيرهم من الإغريق المتحالفين معهم يتولون حماية القرطاجيين اسيادا كما يحمون قائدهم حنّبعل والذين

1. Tite-Live, XXVIII, 46,16.

يرافقونه والذين يتبعون قرطاج ويعملون بنفس القوانين ويحمون الوتيكيين وكلّ المدن وكلّ الشعوب الخاضعة لقرطاج ويحمون جنودنا وحلفاءنا وكلّ المدن وكلّ الشعوب الصديقة لنا في إيطاليا وجلّية وليجورية ويحمون كلّ الذين يصبحون أصدقاء لنا حلفاء في هذا البلد.

والملك فيلبوس والمقدونيون وغيرهم من اليونانيين المتحالفين معهم يتولّى القرطاجيون الذين يعملون معنا حمايتهم كما يتولّاها الوتيكّيون وكلّ المدن والشعوب الخاضعة لقرطاج وكلّ حلفائها وجنودنا وكلّ شعوب ايطاليا ومدنها وجلّية وليجورية وكلّ الذين يصبحون أصدقاء لنا في هذه الربوع بايطاليا. لا نعدّ مشاريع عدوانية لبعضنا بعض ولا ننصب فخّا لبعضنا بعض. وبكل اخلاص وحزم ودون حيلة ولا خلفية عدائية نكون اعداء الذين يحاربون القرطاجيين باستثناء ملوك ومدن وشعوب تربطنا بهم عهود وعلاقات صداقة ونكون نحن أيضا اعداء الذين يحاربون الملك فيلبوّس باستثناء ملوك ومدن وشعوب تربطنا بهم عهود وعلاقات صداقة. وتساعدوننا أيضا في الحرب القائمة بيننا وبين الرومان حتّى تمن الآلهة علينا وعليكم بالنصر. وتساعدوننا قدر الحاجة وبعد موافقتنا على ذلك.

وعندما تمنّ الآلهة علينا بالنصر في الحرب ضدّ روما وحلفائها فإذا طلب الرومان عقد معاهدة صداقة فَعَلْنَا. مع التوضيح أنّها صداقة تنسحب عليكم طبقا للشروط التالية. يتعّهد الرومان ألا يشنّوا عليكم الحرب أبدا وأن يتخلّوا عن ملكية قرقورة وأبلّونية وأفيدمنة وفاروس وديمالي وبلاد الفرثينيين وأتنطانية. كما يرجعون الى ديمتريوس صاحب فاروس كلّ أصدقائه الذين تحتجزهم الدّولة الرومانية رهائن. وإذا شرع الرومان في حرب ضدّكم أو ضدّنا ساعدنا بعضنا البعض على تلك الحرب حسب حاجة كلا الطرفين وكذلك الأمر في حالة الحرب ضدّ أيّ كان باستثناء ملوك ومدن وشعوب تربطنا بها

عهود وعلاقات صداقة. وإذا قررنا تنقيح نص هذه المعاهدة بالحذف أو بالإضافة يكون الحذف وتكون الإضافة باتفاق الطرفين[1].

إنّه نصّ ذو قيمة تاريخية كبرى يمثّل معاهدة ثنائية أبرمت في ظروف عصيبة عاشتها دول البحر المتوسط في أواخر القرن الثالث قبل ميلاد المسيح، وتندرج ضمن أقدم المعاهدات التي تعود الى تاريخ بلادنا الدبلوماسي. مع العلم أنّ قرطاج أبرمت معاهدات أخرى منذ نهاية القرن السادس قبل ميلاد المسيح كالتي تناولت العلاقات التجارية والتبادل وحدّدت مناطق النفوذ بينها وبين روما فيما بين سنتي 509 و508 قبل ميلاد المسيح.

أمّا عن هذه المعاهدة القرطاجية المقدونية فيبدو أنّها من إملاء حنّبعل وكتب نصّها بعض السّاطرين الذين كانوا ضمن الحملة وحضر الجلسة التي حضرها الوفد القرطاجي برئاسة حنّبعل وضمّت الوفد المقدوني وكان يترأسه إكْسِنُوفانيس بن اقْلِيُومكوس الأثيني باسم الملك فيلبّوس بن ديمتريوس وباسم المقدونيين وحلفائهم. ورد هذا النصّ في تاريخ بوليبيوس ضمن الحديث عن حنّبعل والحرب الرومانية القرطاجية الثانية (218-201 قبل ميلاد المسيح). ولعّله اكتفى بتضمين النص اليوناني للمعاهدة ولا شكّ أنّ القيادة القرطاجية تأكدت من تطابقه مع النصّ البوني، وقد يكون حنّبعل أشرف شخصيّا على نقله حتّى يصبح وثيقة رسميّة تُعْتَمَدُ. فهو يتميّز بهيكلية ثلاثية العناصر : مدخل يتناول تقديم الوفدين والتعريف بكليهما فذكر الآلهة ضمانا للمعاهدة وحماية لها ثمّ يأتي مضمون الإتّفاقية.

إنّها معاهدة صداقة وتضامن بين دولتين وشعبين تناولت الظروف الراهنة ولم تغفل عن المستقبل فهي تخصّ الحرب القائمة وتهيئ لما بعد الحرب. ومن الطريف أنّها تترك الباب مفتوحا في وجه عدوّ اليوم وقد يصبح غدا صديقا. وفي ذلك تكذيب لرواية ردّدها القدماء ومضمونها أنّ عبد ملقرت البرقي قبل رحيله الى اسبانيا سنة 237 مثل بين يدي بعل حمون صحبة حنّبعل وكان في التاسعة من عمره. وقسم الطفل بطلب من أبيه ألا يكون أبدا صديقا لروما.

1. Polybe, VII, 9, 1-17.

لقد أجمع المؤرخون المعاصرون على قيمة نص المعاهدة القرطاجية المقدونية وعلى ما يتضمّنه لمعرفة حنّبعل والحرب الرومانية القرطاجية الثانية ومعرفة هياكل الدولة البونية بما فيها قرطاج ووتيكة والمدن والشعوب التابعة لها بالنظر. فقسم حنّبعل يُهْدِي المؤرخين وكلّ الذين لهم فضول تاريخي ندأة من الشواهد والأخبار تخصّ ديانة القرطاجيين ومجمع آلهتهم. كما تثبت أنّ الحملة كانت تحت رعاية إلهية وإن لم يُسَمِّ النصّ الآلهة الذين يشرفون على مشروع حنّبعل ويقفون صفّا لمساندة جيوش قرطاج بأسمائها البونية. تلك دروب تدفع الى معرفة الدّيانة معرفة أفضل كما توقف على طقوس دينيّة علّها كانت تخصّ الجيش والمعسكرات في حلّها وترحالها.

ومن عناصر تلك الندأة إشارة الى ما كان يمتاز به حنّبعل من خصال وحكمة سياسيّة فضلا عن عبقرية تتجلّى في ساحة الوغى. فلم يغفل القائد القرطاجي عن ذكر حلفاء قرطاج فنوّه بهم معربا عن المكانة التي يحتلّونها ضمن المشروع القرطاجي، كما نوّه بالذين انضمّوا الى قرطاج أثناء الحرب. ومن حكمته السيّاسية أن يترك الباب مفتوحا أمام مستقبل أفضل للعلاقات القرطاجية الرومانية. وقد كنّا أشرنا الى خطإ الذين تبنّوا ما أوردته نصوص قديمة تتعلّق بالقسم العظيم الذي نسبوه لحنّبعل في طفولته. أمّا عن مستقبل العلاقات القرطاجية الرومانية بعد الحرب فلقد تضمّنته فقرة مضمونها قوله : إذا حبتنا الآلهة بالنصر على روما وحلفائها وطلب الرومان منّا عقد معاهدة صداقة فَعَلْنَا مع التوضيح أنّها تنسحب على المقدونيين طبقا للشروط التالية. فمن حكمة حنّبعل أن يترك الباب مفتوحا في وجه الخصم ليتصوّر امكانية ابرام معاهدة صداقة مع خصمه.

ذاك تلخيص لما جاء في قسم حنّبعل وقد تناوله عديد المؤرخين وفقهاء اللّغة اليونانية وتمكّن بعضهم من الوقوف على تعابير تعكس أصولها وتثبت أنّ ما ورد في تاريخ بوليبيوس ترجمة نصّ بوني : ففيه من المعطيات مالا يتناسب مع الحضارة اليونانية ولا ينسجم مع روحها بل تتناغم مع وجدان الشعوب السّامية ودفئها وحماستها ورهافة مشاعرها واحترامها لبعض المبادئ الأخلاقية والسلوك وفيه تعابير من تلك التي يكثر استعمالها فتخفّ موازينها. وبعضها قد يثبت أنّ القسم حرّر باللّغة البونية ثمّ نقلوه الى اللّغة اليونانية

وقد يكون حرّر مباشرة باليونانية ولكن من قبل قرطاجيّ وقد يكون من إملاء حنّبعل وهو يحسن لغة اليونان كتابة وخطابا. فانظر في هذه الفقرة :

قال حنّبعل وبعول قرطاج المرافقون له جميعهم وكلّ القرطاجيين الذين يعملون معه : من أجل كلّ ما يكون صالحا لنا ولكم نؤدّي هذا القسم عربون صداقة واخلاص لا تشوبه شائبة وهو يجعل منّا أصدقاء وأقارب وإخوة طبقا للشروط التالية.

نلاحظ تكرار لفظ كلّ مع أنّ ذلك لا يزيد شيئا للنصّ وبحذفه لا يختلّ ولا يبدو مبتورا. فاعتقادنا أنّ هذا التكرار يناسب الخطاب لدى الشعوب الساّمية ويبرز ذلك واضحا في بعض النصوص الأشورية البابلية وفي نصوص عربية قديما وحديثا. وتجدر الإشارة الى جزئية تستطيبها التراكيب الساّمية وتتمثّل في الإسهاب والإطناب والتصعيد كقوله :

نؤدى هذا القسم وهو يجعل منّا أصدقاء وأقارب واخوة.

فالإطناب التصاعدي الذي نلمسه في استعمال أصدقاء وأقارب وإخوة يعتبر من أساليب البلاغة المستحسنة في خطاب سامي بونيّ. فمن المفيد أن يتناول فقهاء اللّغة اليونانية دراسة هذا النص وتحليله من حيث ألفاظه وتراكيبه وأسلوبه علّهم يجدون فيه مالا يناسب روح اللّغة اليونانية ثم يتناوله فقهاء اللّغات السامية بدورهم بحثا عمّا يتماشى ونواميسها وتقاليدها. فلقد أثبت بيكرمان وهو من علماء الولايات المتحدة أنّ قسم حنّبعل مطابق لما يتميّز به القسم لدى البابليين والأشوريين.

وأيّا كان الأمر. فلا مانع من اعتبار قسم حنّبعل أثرا يساعد على معرفة الأدب القرطاجي : فهو يندرج ضمن باب التاريخ والسياسة. لقد أشرت منذ حين الى امكانية انتساب النصّ الى القائد القرطاجي نفسه : فقد يكون من تحريره أو إملائه والمرجّح أنّ ثقافته كانت تأبى الأفق المسدود بل تكسّر الحواجز



24

24. حنّبعل بن عبد ملقرت البرقي. *(246-183 ق.م.)*. توجد هذه الطلعة في متحف نابلي بإيطاليا.

فكان الرّجل يكرع من الحياض البونية وكان يستفيد من أريج حضارات الآخرين وروائعها ولّما كان يحسن لغة اليونان قراءة وكتابة تمكّن من الوصول الى عوالم الحضارات المتوسطية الأخرى وتعلّم الكثير من تقاليد الشعوب ومميزاتها وقد نسبوا اليه كتبا ورسائل عديدة لم يصل الينا منها أثر وكم يأسف لانعدامها المؤرخون وغير المؤرخين. وممّا نسبوا اليه رسالة قيل إنّه توجه بها الى أثينا ولكن ثبت أنّها منتحلة وقد نشرت ضمن مجموعة البرديات التي تملكها دور الكتب الوطنية والجامعة بمدينة هامبورج.

على أنّ القائد القرطاجي كان أيّام الحملة الإيطالية حريصا على حضور المؤرخين المكلّفين بتدوين الأحداث ووصف المعارك وما يحيط بها وبميادينها. ومن المؤرخين الذين كانوا صحبة حنّبعل تجدر الإشارة الى يونانيين تربطهما به أواصر صداقة عريقة تعود الى طفولته وهما سوسيلوس وسيلينوس. فَمِنْ كُتُبِ كليهما إستفاد المؤرخ بوليبيوس لمّا تناول تاريخ حنّبعل والحرب التي شنّها على ايطاليا بعد عبور جبال البريني وجبال الألب. ومع ذلك فهولم يتحرّج من التنديد بمصادره فتراه يذكرها باستعلاء قد يصل الى درجة الاحتقار والشتم. فلمّا جرّه الحديث الى سقوط ساجنت لم يتردد في كتابة ما يلي :

> ***أمّا تجاه روايات كالتى أوردها كرياس وسوسيلوس فالأجدر بنا عدم الحديث عنها ذلك أنّها، في تصوّري، لا تمتّ الى التاريخ بسبب ولا تفوق مستوى قصص الحلاّقين وثرثرة العجائز من حيث قيمتها وخصالها***[1].

وعاب بوليبيوس على سيلينوس التزامه وانحيازه الى القائد القرطاجي وهو الذي لا يتحرّج من تقديمه محاطا بعناية إلهية ويعلّل انتصاراته الباهرة بمساعدة تمنّ بها الآلهة عليه. وان تحدّث عن مآثره جعلها من صنف المعجزات. فإن صحّ ذلك واعتبرنا ما ندّد به بوليبيوس فهل يمكن تفسيره بالالتزام أو بالإنحياز؟ فهل كان سيلينوس موجّها من قبل القيادة القرطاجية توصيه بتقديم الأحداث في

1. Polybe, III, 20, 5.

ثياب ترتضيها وألوان تستطيبها ؟ إنّه من العسير البتّ في قضية خطيرة كهذه! على أنّه ليس من الغريب أن تنبه القيادة المؤرخين الرسميين باحترام الظروف والملابسات حتى يأتي الخطاب مناسبا يخدم المصالح البونية عسكرية كانت أو سياسيّة.

فقد عرف التاريخ ضغوط الدعاية والإلتزام والإلزام[1] عبر العصور ولم تخل منها حوليات أمّة من الأمم فما اشتكاه التاريخ وما قد يشتكيه. ترى الإعلام يشكوه لدى مختلف الشعوب شرقا وغربا. فالقضية واردة وان تبقى معلّقة. فنحن لا نستغرب وجود تاريخ قرطاجي ملتزم متحيّز. أفلم يكن لروما تاريخها الملتزم المتعصب؟ بلى! وفي كتب التاريخ الرومانية شواهد شتّى كالتى نلمسها في روايات تيتوس ليفيوس وغيره ممّن أرّخوا لروما وأبطالها لا سيما والتاريخ في رؤية العصور القديمة أقرب للأدب منه الى العلم وان كانت له مناهج وأغراض وأهداف تميّزه عن الأدب الصريح. ولما كان ذلك كذلك ترى المؤرخ ميّالا الى القصة المشوقة والى أسلوب يمتاز بجمال العبارة وطرافة الموضوع ولا يتحرّج من الجمع بين أحداث الواقع وصور الخيال للإثارة والإغراء.

ومادام حنّبعل محلّ عناية إلهية محظوظا لدى الآلهة فكيف الإبتعاد عنه والسير في دروب دون دربه ؟ وما من شك أنّ سوسيلوس وسيلينوس كانا يشدّدان على ذلك مباشرة أو عن طريق الإيحاء. وكيف لا يكون ذلك وهما مسخران لخدمة القائد القرطاجي ولكليهما ضلع في تربيته صغيرا وكبيرا ؟ فلم تكن المهمّة لديهم تدوين ما حدث كما حدث. أمّا الموضوعية التاريخية فهي مشغل حديث ومحاولات احترامها أحدث. فلا غرور أن يتناول المؤرخون القدامى التنويه والتمجيد. فلم ينج الخطاب التاريخي إذ ذاك من إفراط واطناب في الاطراء أو في التهويل والترويع. ولم تخل الحرب من معارك كلامية تكون الغلبة فيها بالسيطرة السيكولوجية. وليس من الغريب أن يساهم المؤرخ المعاين في تحرير البلاغات العسكرية والمناشير التي توجّه الى أولى الأمر في المدن والأرياف قصد اغرائهم ترغيبا وردعهم ترهيبا.

---

1. Les Carthaginois semblent avoir pratiqué l'art de la propagande et de la publicité : Elien, compilateur grec du IIe siècle après J.-C , rapporte qu'Hannon le Carthaginois fit l'acquisition d'oiseaux parleurs et leur apprit de répéter " Hannon est dieu"; *Var. Hist.*, XIV, 30, in S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, II, p. 190.

الفصل الرابع

الجغرافيا وأدب الرحلة

والى جانب الأسطورة والمأثرة والرواية التاريخية كان القرطاجيون شغوفين بأدب الرحلة وما يحف بها من مغامرات وتنزّه في ربوع تعجّ بالغرائب والطرائف الجغرافية والبشرية : فهذه جبال تقذف سعيرا وهذه بحيرات تتحلّى بجزر وفي الجزر بحيرات تحتضن جزرا أخرى وهذه أقوام لا يعرف عنها شيئ ولم يذكرها أحد من قبل. وهذه صحراء مترامية الأطراف صفراء كالتبر رائعة مروّعة وقد أحبّها القرطاجيون وتعرّفوا اليها عن كثب وتصدّوا الى حرّها وسرابها وقاوموا فيها العطش والزواحف الشرسة والعواصف الهوجاء.

فتلك الأخطار وإن تزامنت فلم تكن لتفلّ في جرءة القرطاجيّ. فتراه يشقّ كثبان الصحراء ويتجاوزها الى مناخ وأقوام وثقافات أخرى لا تنمو على ضفاف البحر. على أنّ أخبار القرطاجيين في الصحراء ضئيلة منها ما أورده نحويّ يوناني عاش في القرن الثالث ميلاديا اسمه أثينايوس : فلقد أشار الى قرطاجيّ يدعى ماجون قيل إنّه عبر الصحراء دون أن يتناول ماء وكان لا يأكل سوى أطعمة جافّة[1]. وأيّا كانت الشكوك التي قد تثيرها رواية كهذه فيبدو أنّها مقتبسة ممّا روى عن القرطاجيين أنفسهم. ذلك أنّ للصحراء وما يتلوها مكانا مرموقا في مشاغلهم. فليس من الغريب أن تراها تساهم في تغذية الخيال الجماعي حتّى يزكو وينضمّ الى مصادر الإبداع ومناجمه.

1. Athénée, II, 22.

أما عن البحر فحدّث ولا حرج فلقد كان القرطاجيون من فرسان البحر يجوبونه ولا يخافون طيّات أمواجه مهما تثّنت وارتفعت تقاويرها وانخفضت تجاويفها، ولا يصدّهم عنه غول ولا عنقاء. فعلى غرار بني حضارتهم في المشرق كانوا يميلون الى البحر ويطربون لتغاريده أيام العنف وأيّام السكينة. فالبحر من أبرز أبعاد الحضارة البونية وأخطرها، فتراه يلاحق القرطاجيين حيث ما كانوا في عالم المّادة وفي عوالم الرّوح والوجدان. ولا نغترّ بعدم حضوره في النقائش البونية المتوفرّة فهي جزء ضئيل ممّا سطرته اليد القرطاجية ثمّ تكاد أن تكون كلّها نذورا أو شواهد قبور.

فلا شكّ أنّ الحديث عن البحر في الأدب القرطاجي كان ذا شجون. ولعّل دور الكتب في قرطاج وفي المدن البونية الأخرى كانت تحتوي على مصنّفات ورسائل في البحر وأسراره وثرواته وغدره وسخائه، لكنّها انعدمت لسبب أو لآخر. ولئن تجاسرنا على ما سبق فذلك لأنّ الصّورة أفصحت عمّا سكت عنه الحرف حتّى اليوم : فإذا نظرنا في المصُوَّرَة البونية ثبت أنّ للبحر فيها حضور يجمع بين الكثافة والتنّوع : فيوجد البحرُ على الأنصاب نذرية كانت أو جنائزية، وأوحى البحر بالتميمة على اختلاف أشكالها وأحجامها ومادة صنعها، وترى ما قد يشير الى البحر على نقود تمّ ضربها في مدن بونية وأخرى لوبية. وللبحر اسهام في رقش الخواتم الخنفوسية وبلاقيك في بيوت جنائزية تحلّت بصور رسموها بأحمر المغرة أو زبروها في سمك الحجارة ويجد البحر مكانه في ديانة قرطاج والبونيين : فإله البحر عندهم يرتدي ملامح آدمية وقد يمتطي صهوة حصان بحري كما تشهد به لوحة من طين مفخور، صغيرة الحجم، عثر عليها في أطلال مدينة كركوان بالوطن القبلي. ليس المجال هنا لوصفها بل سنعود اليها في فصل آخر نخصّصه الى تماثيل ونحوت من فخّار.

أمّا حضور البحر على الأنصاب والنقود والخواتم الخُنْفوسية وجدران القبور فلقد عبّروا عنه بالأسماك والدلافين والسفّن وما يتّصل بها من مجادف ودفاف ومراسي تُصَوَّرُ نحتا او زبرا أو رسما. وقد يتمثّل حضوره في أصداف كالتي وجدوها في المدافن والمعابد. ولئن كان لليمّ وقعه في معتقدات البونيين وخيالهم فذلك لأنّه يشغل فضاءا فسيحا في حياتهم اليومية. فمن روائع الأدب القرطاجي رحلتان بحريتان تعود كلتاهما الى القرن الخامس قبل ميلاد المسيح :

الأولى قادها حنون وأنجز خيملكك الثانية. وينتسب كلاهما الى أسرة ماجون العريقة وهي التي بدأ نجمها يتألق خلال القرن السادس ومعلوم أنّ ماجون وأبناؤه وأحفاده توارثوا الحكم في قرطاج الى بداية القرن الرابع قبل ميلاد المسيح وقد أفل نجم الأسرة سنة 396 إثر هزيمة في مياه صقلّية.

رحلة خيملك

كان الهدف من هذه الرحلة الوصول الى مناجم القصدير والتعرف إليها عن كثب وربط الصلة مع الذين كانوا يشرفون على استغلالها. ولكن ضبابا كثيفا يحجب عنّا تفاصيل الأحداث التي عاشها خيملك ورفاقه أثناء مغامرة دفعت بهم نحو الشمال. فقد انطلقوا من قرطاج متّجهين الى جنوب جزيرة الإيبيرين والمرجّح أنّ سفنهم القت مراسيها في ميناء جديرة تلك التي أسّسها الفنيقيون في أواخر الألف الثانية قبل ميلاد المسيح. فلمّا توجّه اليها خيملك كانت جديرة مدينة في عنفوانها تعرف الكثير عن البحر والملاحة. ولا شكّ أنّها ورثت تقاليد وتقنيات أتى بها الأسلاف على متن سفنهم تلك التي لقّبتها آيات التوراة بسفن ترشيش.

أخذ أمير البحر ورفاقه نصيبا من الراحة في جديرة تأهّبا لرحلة طويلة نحو ربوع يحيط بها الضباب والغموض : شقّت سفنهم مياه المضيق وتوغلّت في المحيط نحو الشمال. ولكن ماذا عن هذه الرحلة الخطيرة المحدقة بالأخطار[1] ؟ يبدو أنّها دوّنت وليس من الغريب أن يكون ذلك استنادا الى سجّل خميلك قائد البعثة. ولكن اخبارها اندثرت ولم يبق منها سوى أصداء وصلتنا عبر كتب ابلينيوس الأكبر[2] وعبر أرجوزة عنوانها أهازيج البحر ألّفها نحويّ لاتينيّ عاش في القرن الرابع ويدعى روفيوس فستوس أفيَيْنُوس. وقد أشار الى أهداف الرّحلة وكان من أهمّها الوصول الى مناجم القصدير بالقرنواي جنوب غربي انجلترة، فيما بين لامنش وقناة بريسطول.

1. S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, vol. IV, Paris, 1920, p. 213 ; – G. et C.-Ch. Picard, *Vie et mort de Carthage*, Paris, 1970, p. 101-102.
2. Pline, *Hist. Nat.*, II, 169.

يبدو أنّ القصدير كان يشحن على مراكب تبنى من قصب وتبطّن بالجلود فتأتي به الى جزر استرومينيد[1] ومنها يأخذه تجار إلى أسواق البحر الأبيض المتوسط. فهل كان القرطاجيون من بينهم أم هل استأثروا بتلك التجارة النّافق سوقها ؟ ومهما يكن من أمر، فقد روى روفيوس فستوس أفْيَيْنُوس أنّ خيملك القرطاجي أدرك جزر استرومينيد بعد رحلة في البحر دامت أربعة أشهر وكانت محفوفة بالمخاطر. وكم من عقبة تخطّاها أسطول خيملك قبل الوصول اليها! فمرّة تسكن الريح فتُشَلُّ حركة السفن. ومرّة تعترضها طحالب عملاقة فتتورّط فيها كالفراشة في شعّ العنكبوت، وهذه رمال ممتدّة فسيحة الأرجاء سافرة لاتضاجعها الأمواج. وهذا ضباب سميك يحجب الأرض والسماء، وهذه حيوانات غريبة مهولة تجوب البحر كأنّها تبحث عن فريسة[2]. فكلّ هذه الأوصاف والمخاطر ذكرها النحويّ روفيوس فستوس أفْيَيْنُوس في أرجوزته مدّعيا أنّه استقاها من حوليات بونية. ومهما تكن مصداقية الأرجوزة، ومهما يكن من شكّ تثيره تفاصيلها، ومهما تكن تجاوزاتها، فلا شيئ يحول دون ترجيح تاريخيّة الرحلة الخيملكية. ومادام الأمر كذلك فلا بدّ أن تتسلّم السلطات القرطاجية تقريرا ضافيا عنها يقدّمه أمير البحر وقد يكون التقرير من تحرير خيملك أو من إملائه وتوجيهاته في ضوء سجلّ الرّحلة.

يتّم تصور مشاريع المستقبل استنادا الى ذلك التقرير، على أنّنا لا ندري هل استفاد القرطاجيّون من رحلة خيملك وهل بقوا يتردّدون على تلك الأصقاع النائية : فليس في الوثائق المتوفرّة ما قد يثبت ذلك أو ينفيه. ولئن كان خيملك مطالبا بتوخّى الدّقة والإخلاص واحترام الواقع في تقريره الرسميّ السرّي، فلا مانع من تصوّر تقرير ثان تغلب عليه روح المغامرة وأساليب القصّة الخيالية حيث لا تحرج المبالغات والتجاوزات وتكون الطرافة والخوارق أثيرة : فقد يرتدي هذا التقرير الثاني ثوب قصّة أو أسطورة أو ملحمة موجّهة الى الجمهور القرطاجي والى الجماهير المتوسطيّة الأخرى التي كانت تتابع أخبار قرطاج ومنجزاتها ومآثرها البحرية لتستفيد منها. ولا غرابة في ذلك ونحن نعلم أنّ

---

1. *L'Oestrymnis* est le nom ancien d'un promontoire que l'on a proposé de situer à l'extrémité occidentale de la Bretagne française, sans doute la pointe de St Matthieu. Quant aux *îles Oestrymnides*, il s'agirait de Ouessant et des ilots voisins, les Sorlingues ou Scilly.

2. Pour ces détails terrifiants, cf. Festus Avienus, *Ora Maritima*, les vers, 120-129 et 384-415.

الإغريق كانوا دائما يحاولون تعقّب الأساطيل القرطاجية للحصول على معلومات تخصّ المسالك البحرية وأصقاعا نائية يستأثر ربابين قرطاج بأسرارها وثرواتها.

فالقصّة، مهما تناءت عن الواقع المعيش، ومهما كان زخرفها، فهي تنويه بقرطاج وبمآثر رجالها وهي كذلك تضليل لمن قد يريد الإستفادة ممّا يردّده البحارة في الموانى وفي خمّاراتها وقد يأخذهم سوار النبيذ والخيلاء فيخصب الخيال وينطلق اللّسان وتتعملق الطحالب ويتحوّل الدلفين الوديع الى وحش بحريٍّ لم يُعْرَفْ له مثيل. وتتلاحق الجزر والصخور وغيرها من عقبات لا يستطيع المرء تجاوزها ما لم تحط به عناية ربّانية. ففي الوصف الذي أورده روفيوس فستوس أفْيَيْنُوس ترغيب وترهيب : إنّه الأدب الهادف أو قل إنّها دعاية تسعى وراء ردع كلّ من قد يريد الوصول الى أصقاع وأسواق وجد فيها القرطاجيون المتعة والثروة. فالقصص والأراجيف المضلّلة قد تلقي بالمتطفّلين في متاهات تفلّ في عزائمهم وتشدّهم بعيدا عن دروب يعسر السير فيها. فإنّها، وإن كانت أصداء خافتة لتوحي بروعة ما كتب في الرحلة الخيملكية كما تشير ضمنيا الى لون من ألوان الأدب أحبّه القرطاجيّون كغيرهم ممن عاشروا البحر وغازلوا أمواجه كلّما استرخت وانتشت وقارعوها إذا غضبت وعربدت فكان لهم في فضولهم قوّة جبّارة وكان لهم في السعي وراء الكسب دافع لا يركع للعقبات.

رحلة حنون

و لئن تلاشت أخبار خيملك ورحلته البحرية، فالحظ شاء مصيرا أفضل لرحلة أخرى عهد بها شعب قرطاج الى أمير بحري يدعى حنّون لعلّه شقيق خيملك بن عبد ملقرت بن ماجون الأكبر. ولقد عبرت أخبارها العصور وتناقلتها الأجيال في الكتب والمصنّفات وتعاقب السّاطرون من قرطاجيين وغيرهم لنسخها ونشرها وقد لا يتحرّجون من إثرائها. وتقول رواية معتمدة أنّ حنّون كتب عن رحلته تقريرا أو رسالة علّقت بقدس بعل في قرطاج حتّى يتمكّن النّاس من الإطلاع عليها. فهي إعلام وتنويه، تشيد بمآثر القرطاجيين ولعلّهم

أمروا أن تكون من المعلّقات لروعتها الأدبية ولما تضمّنته من معلومات جديدة وأحداث غريبة فضلا عن طرافتها. والمعلّقة دعاية وتمجيد لقرطاج ليزداد أبناؤها اعتزازا بها ويتألق نجمها في سموات الآخرين.

أخرج حنون رسالته في ثوب قصّة رائعة ونقلت الى اللّغة اليونانية. والأثر مازال محفوظا في خزائن مدينة هيدلبارج بألمانيا وقد تناول هذا المخطوط اليونانيّ اللّغة ثلّة من الباحثين المختصّين في التاريخ وفي فقه اللّغة اليونانية نذكر من بينهم ستيفان اكسال[1] الذي لمس فيه ترجمة تعود الى ما بين القرن الرابع والقرن الثالث قبل ميلاد المسيح. أمّا جيهن ديسنج[2] فهو يفضّل تنزيلها فيما بين نهاية القرن الثالث وبداية القرن الثاني قبل ميلاد المسيح، وذلك استنادا الى مقاييس لغوية وأخرى تتعلّق بالمحتوى والأغراض. ومعلوم أنّ مخطوط هيدلبارج يتمثّل في نسخة تعود الى القرن التاسع ميلاديا وهذا مضمونها استنادا الى ترجمة فرنسية قدّمها جيهن ديسنج في كتاب أفرده الى نشاط شعوب المتوسط على تخوم القارة الإفريقية وهي ترجمة تختلف في عدّة نقاط هامة عن الترجمة التي اقترحها ستيفان اكسال من قبل[3].

رحلة حنون، ملك القرطاجيين، حول الربوع اللوبية التي تقع وراء أعمدة هرقليس وعلقها حنّون نفسه في قدس قرونوس وجاء فيها ما يلي :

1 : بدا للقرطاجيين من المفيد أن يتوجّه حنون بأسطول الى ماوراء أعمدة هرقليس ويقيم مدنا لوبية بونية فأبحر ومعه ستّون سفينة خماسية وعلى متنها حشد من رجال ونساء يعدّون حوالي ثلاثين ألفا وفي بطونها ما يحتاجونه من زاد وعتاد.

---

1. S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, I, Paris, 1913, p. 473 : "*La traduction, faite par un homme qui n'était pas dénué de prétentions littéraires, existait au début du IIIe siècle avant notre ère, peut-être même vers le milieu du IVe ; il est impossible de dire avec précision quand elle fut rédigée*".

2. J. Desanges, « Le point sur le "Périple d'Hannon" : controverses et publications récentes », in *Enquêtes et documents*, Nantes-Afrique- Amérique, 6, 1981, p. 17-18.

3. S. Gsell, *op. cit.*, p. 476-499.

2 : فلمّا عبرت السّفن الأعمدة وشقّت عرض البحر طيلة يومين أنشأنا مدينة أولى وسمّيناها تومياتيريون يشرف عليها سهل فسيح.

3 : ثمّ تقدّمنا بحرا نحو الغرب حتّى أدركنا صوليس وهو رأس لوبي تزاحمت فيه الأشجار وتكاثفت.

4 : ولّما انتهينا من بناء قدس بوسيدون أبحرنا تاركين المشرق خلفنا طيلة نصف يوم حتّى أدركنا بحيرة على مقربة من البحر يعلوها غطاء من قصب باسق كثيف وفيها فيلة وحيوانات برية أخرى كثيرة ترعى.

5 : ولّما تجاوزنا البحيرة وتوغّلنا في البحر طيلة يوم أقمنا على السّاحل مستوطنات سمّيناها الجدار القَرْيَوِي وجوته وأقرة وملّتة وأرمبوس.

6 : واصلنا الطريق حتّى أدركنا نهرا كبيرا اسمه لكسوس يصدر من لوبة وعلى ضفّته يعيش قوم من الرحلّ وهم اللكسيّون. يرعون قطعانهم. فنزلنا عندهم زمنا حتّى نشأت بيننا وبينهم صداقة.

7 : ومن وراء ديارهم تمتدّ ربوع يسكنها الأثيوبيون وهم قوم لا يكرمون الضيف. يقيمون بأرض تعجّ بالحيوانات البرّية الضّارية وتتخلّلها جبال شاهقة منها ينبع حسب الرواية نهر اللكسوس ويروى أيضا أنّ حولها يعيش قوم شكلهم غريب وهم المغاورِّيون. وقد أثبت لنا اللكسيّون أنّهم في العدو أسرع من الجياد.

8 : ولّما اتخذنا من اللكسيين مترجمين انطلقنا محتذين الصحراء جنوبا طيلة يومين ثمّ اتّجهنا شرقا ودامت المسيرة يوما فوجدنا جزيرة في جوف خليج صغيرة ذرع محيطها خمسة أسطد فأنزلنا فيها معمّرين وسمّيناها قرنة. وبدا لنا في ضوء رحلتنا السّاحلية أنّها تقع قبالة قرطاج على خطّ عموديّ : ذلك أنّ المدّة التي قضيناها بحرا بين قرطاج والأعمدة تساوي تلك التي استوجبتها المسافة بين الأعمدة وقرنة.

9 : وثمّة امتطينا السّفن وعبرنا نهرا كبيرا يدعى إكريتيس. فأدركنا بحيرة وفي البحيرة جزر ثلاثة تفوق قرنة حجما. ومن تلك الجزر توغّلنا في البحر طيلة يوم كامل حتّى أدركنا طرف البحيرة واتّضح أنّ سلسلة جبال ضخمة تشرف عليها وتضيق بقوم من البدائيين لا حضارة لهم يتّخذون من جلود الحيوانات ثيابا. فانهالوا علينا رشقا بالحجارة ومنعونا من النزول.

10 : ومن ثمّة أبحرنا من جديد حتّى ولجت بنا السفن نهرا آخر طويلا عريضا تكاثرت فيه التماسيح والبرانيق فرجعنا أدراجنا وعدنا الى قرنة.

11 : ومن قرنة ابحرنا طيلة اثني عشر يوما محتذين السّاحل الذي كان محتلاّ كلّه من قبل الأثيوبيين فكانوا يفرّون لا يتحمّلون حضورنا ويتخاطبون بلغة عجمى لا يفهمها حتّى اللّكسيّون الذين كانوا معنا.

12 : وها قد احتذينا في اليوم الآخر جبالا شاهقة تكسوها أشجار ذات أخشاب عبيقة وألوان مختلفة.

13 : وبعد أن طفنا بتلك الجبال ونحن على السّفن طيلة يومين، أدركنا مناطق غاية في الإنفتاح : فمن جهة الأرض كان سهل قبالتنا ومن ثمّة تراءت لنا طوال الليل نار تشعّ من كلّ جهة ومن حين الى حين : تتأجج تارة وتخفت أخرى.

14 : فبعد أن تزودنا ماءا ركبنا البحر من جديد، مواصلين طريقنا، محتذين الشواطئ طيلة خمسة أيّام حتى أتينا خليجا فسيحا قال لنا المترجمون إنّه يسمّى قرن الغرب. ففي جوف الخليج جزيرة وفي الجزيرة بحيرة، فيها جزيرة أخرى بها نزلنا. فلم يقع بصرنا في النهار على شيئ سوى الغابة ولكن كنّا ليلا نبصرنارا موقدة. وكنّا نسمع صوت المزامير وضوضاء الصنوج والطبول. لقد كانت آلاف مؤلفة من الأصوات فامتلكنا الخوف وحثّنا العرافون على مغادرة الجزيرة.

15 : فأسرعنا بالإقلاع وكنّا نحتذي أرضا ملتهبة يحجبها دخان أرج ومنها تنساب جداول كبيرة متّقدة لتنصب في البحر حتى كنّا لا نستطيع الإقتراب من اليابسة لشدّة الحرارة.

16 : فأسرعنا مبتعدين عن ذلك المكان وقد تسلّط الخوف علينا. وطيلة أيّام أربعة قضّيناها في البحر كنّا نشاهد الأرض تغمرها النيران ليلا وقد توسطتها نار لا يستطيع الإقتراب منها أحد وهي تعلو ما حولها وتلامس السماء والكواكب. ولكن تبّين في النهار أنّها جبل ضخم يدعى مركبة الآله.

17 : ومن ثمّة شقت السفن بنا البحر ثلاثة أيّام وكنّا على مقربة من جداول النار المؤججة حتى أدركنا خليجا يدعى قرن الجنوب.

18 : لقد تربّعت في جوف الخليج جزيرة كالتي سبق ذكرها، فيها بحيرة وفي البحيرة جزيرة أخرى يسكنها أقوام بدائيون لا حضارة لهم، وكان عدد النساء عندهم يفوق عدد الرجال وقد كسا الشّعر أجسادهنّ وكان المترجمون يسمّونهنّ غرّلات. ولا حقنا الذكور دون أن نتمكّن من القبض عليهم وقد أفلتوا منّا جميعهم لأنهم كانوا يتسلّقون الأوعار محتمين بما توفّره لهم. أمّا النساء فقبضنا على ثلاث من هنّ فَانُهَلْنَ على الذين كانوا يجرّونهنّ عضّا وخدشا متنعًات عن الإنقياد فأجهزنا عليهن ثمّ صلخناهنّ وجئنا بجلودهنّ الى قرطاج. ولم نواصل رحلتنا نظرا لانعدام الميرة.

تلك هي رحلة حنون كما وردت في مخطوط هيدلبارج. وقد توخينا الترجمة الفرنسية التي قدّمها جيهن ديسنج واستفدنا من ترجمة انجليزية[1] صدرت في الولايات المتحدة سنة 1977 وكلتاهما تختلف في بعض جزئياتها عن تلك التي نشرها ستيفان اكسال بعيد الحرب العالمية الأولى في الجزء الأول من

1. Pour le Périple d'Hannon, cf. aussi, Al.-N. Oikononides, *Hanno the Carthaginian Periplus or Circumnavigation (of Africa), Greek Text with Facing English Translation, Commentary, Notes and Facsimile of Codex Palatinus GR. 389*, Ares Publishers Inc. Chicago, 1977.

كتابه **تاريخ شمال افريقيا القديم**. ولئن أثارت هذه الرحلة نقاشا حادّا حول تاريخيتها وتوريخ النصّ المخطوط. ولئن تبد بعض العناصر من سبك الخيال تجيز الطّعن في مصدقية صاحبها. فلا أحد ينازع في قيمتها الأدبيّة. إنّها مأثرة تقودنا الى أصقاع تزخرفها العجائب والروائع. ذلك أنّ الساميين كانوا مولعين بمثل هذه القصص التاريخية الجغرافية وفيها يتعانق الخيال الولود والواقع الثريّ.

وقد تجدر الإشارة الى ملحمة جلجامش الذي كان يلاحق أهوال الدروب وما في ثناياها من عقبات وفخاخ. هدفه الوصول الى شجرة الحياة. وكان يعلم علم اليقين أنّ الآلهة حريصة على الإستئثار بها وقد لاتتردّد في القضاء على حيّ يدفعه الفضول اليها. لكنّ جلجامش كان يهوى المغامرة وأدرك شجرة الحياة وقطف غصنا منها وقفل راجعا الى الوركاء مسقط رأسه جنوب العراق. وإذ أخذ التّعب منه في الطريق مأخذه. جلس على ضفّة جدول للإغتسال والرّاحة وترك غصن الحياة على صخرة بالقرب منه حصينة. وفيما هو يغتسل ويفرك وجهه ويمسّد أطرافه المرهقة. جاءت حيّة تسعى متثنية دون أن تثير الإنتباه وانقضّت على الغصن واختفت. ولمّا تهيّأ جلجامش للإنصراف اكتشف اختفاء غصن الحياة فتأفّف وحوقل ثمّ قال : **العبرة في المبادرة.**

تلك هي الخطوط الكبرى لملحمة جلجامش ذكّرنا بها لتبيان هيام الشعوب السامية بأدب المغامرة وبأدب الرّحلة. فيبدو لنا حنون القرطاجي وكأنّه بطل من أبطال أساطيرالأولين. مثله كمثل الذين كانوا ينطلقون من مدينة رافدية أو كنعانية لغزو العالم وكسب شجرة الحياة والمعرفة ولكنّه يبقى دون جلجامش ولعلّه أقرب الى بطل كنعانيّ تحدّث عنه مؤرّخ فنيقي الأصل يوناني الثقافة. عاش فيما بين القرن الأول والقرن الثاني بعد ميلاد المسيح وكان يدعى فيلو الجبيلي نسبة الى مدينة جبيل الفنيقية ويبدو أنّه اقتبس الكثير من كتب مؤرّخ وأديب كنعاني يدعى سَكَنْيَتَنْ قيل إنّه من القرن العاشر قبل ميلاد المسيح[1]. أورد فيلو الجبيلي قصّة بطل يدعى أوسوس فرّ من صور لمّا كانت

---

1. E. Renan, « Mémoire sur l'origine et le caractère véritable de l'historien phénicien qui porte le nom de Sanchoniathon », in *Mémoire de l'Académie des Inscriptions*, t. XXIII, 2e partie, Paris, 1857, p. 241-344 ; – P. Nautin, « Sanchoniathon chez Philon de Byblos et chez Porphyre », in *Revue Biblique*, 1949, p. 259-273 ; – R. Follet, « Sanchonyaton, personnage mythique ou personnage historique », in *Biblica*, 34, 1953, p. 81-90.

تلتهمها نار حريق هائل وقدأخذ جذع نخلة والقى به في اليمّ وامتطاه حتى كأنّه أولى السّفن الفنيقية. ولعلّ في ذلك اشارة انطلاق الملحمة التي أسست حضور مدينة صور في مياه البحر الأبيض المتوسط وكانت اللّبنة الأولى في بناء جسر عملاق أقيم بين المشرق والمغرب.

هكذا تندرج رحلة حنّون ضمن سلسلة أدبية تتناول البحر لكنّها تختلف عن الأسطورة لأنّ خيوطها ليست من غزل الخيال بل أخذت جميعها من واقع معيش وازدانت ببعض لآلِئ الخيال وتطيّبت بأريجه. فالرحلة التي تجرّك بعيدا عن الأهل والأوطان وتلج بك أصقاعا غريبة وتمنّ عليك بنشوة المعرفة ومتعة الثراء كانت محبوبة لدى القرطاجيين وكان لها مكان جدير بها في الأدب القرطاجي تماشيا مع المحيط والذوق المشاع.

خنجر جبيل

ولم يكن أدب الرّحلة مقصورا على الحرف بل تناولته الصّورة : من ذلك مشهد مزبور على غمد خنجر من ذهب، عثر عليه بين أطلال جبيل[1]. وقد رأى فيه بعض المفسرين المختصين وصفا مختزلا لعودة التجار الفنيقيين من أفرة وهو بلد ورد ذكره في التّوراة. وفي نقيشة فنيقية سطرت حروفها على شقف منّ به تلّ قسيلة بفلسطين. ومضمون النقيشة مايلي : ذهب أفرة لبيت حرن[2]. وقد تناولها بالدرس ثلّة من كبار المختصين في التاريخ وتفسير التوراة كما دفع اسم أفرة الى دراسات عديدة بحثا عن المسمى وسعيا وراء ضبط موقعه الجغرافي : فهذا يراه في اليمن وذاك يتصوّره في الصّومال. ومهما كان الموقع، فالمشهد الذي زبر على غمد الخنجر الجبيلي يمثّل ملك المدينة رافعا فأس الملوكية وقد امتطى صهوة برذول لاستقبال العائدين من أفرة ولعلّهم ملؤوا بطون سفنهم ذهبا وأمتعة ثمينة سوقها نافقة في أرض كنعان وخارجها.

1. Pour la découverte de ce poignard de Byblos, cf. R. Dussaud, *Syria*, XIV, 1933, p. 90.
2. *Jens*, 10, 1951, p. 266.



25

25. نقيشة مزدوجة اللّغة فنيقية يونانية عثر عليها في مالطة
وهي التي في ضوئها تمكن القِسّ جن كاك برتّلّيمي من عجم
الكتابة الفنيقية في منتصف القرن الثامن عشر
(انظر ص. 62 عدد 2).

اختزل الزّابر الرحلة على طريقة الإيحاء المجازي باستخدام الجزء تعبيرا عن الكلّ : فتشير السفينة الى البحر وأمواجه وفي القرد والغزال إشارة الى بئة تختلف عن التي تعوّد بها الكنعانيون في ربوعهم. أمّا الهزبر فقد يوحي بالمخاطر التي كانت تعترض التّجار وهم متّجهون الى أفرة أو عائدون منها. وفي طرف الغمد من جهة السّن ترى سمكة علّها تشير هي الأخرى الى البحر وقاية وتيمّنا. ومعلوم أنّ للسمكة مثل هذه الوظائف الدينية السحرية في دنيا الفنيقيين ومازالت تعرف تميمة وطالع خير لدى العديد من الشعوب. فلقد أفلح الزّابر في تلخيص الرّحلة بصور قلائل تشير الى مراحلها برّا وبحرا. تلك قراءة كان اقترحها ريني دسّو وهو من خبراء حضارات الشرق القديم وألّف كتابا حول الفنّ الفنيقي خلال الألف الثانية قبل ميلاد المسيح[1].

طبق بالسترينة

كذلك تبدو الرحلة الفنيقية شاملة تجمع بين الكسب والمغامرة فهي رائعة أو لا تكون. هكذا استطابها الكنعانيون خلال الألف الثانية قبل ميلاد المسيح وبقى الفنيقيون أحفادهم تحت عوامل إغرائها يريدونها مفيدة رائعة وقد تجلّى ذلك على طبق من ذهب وفضّة زخرفه الزّابر بيده ووجدانه مستندا الى الخيال والواقع المعيش. كان الطبق في قبر أحد الأمراء الأترسكيين في ضواحي مدينة بَرينَسْت وهي التي يسمّونها اليوم بالسترينة وتقع شرق مدينة روما[2]. وتعود هذه الروعة الى ما بين القرنين الثامن والسابع قبل ميلاد المسيح.

أمّا لزخرفة ذلك الطبق فلقد اختار الزابر موضوع الصيد : فصوّر أميرا خرج من قصره ذات صباح على متن بيج وهي عربة يجرّها جوادان. وترى الحوذيّ ماسكا العنان ووقف الأمير تحت مظلّة تقيه حرّ الشمس. ولمّا توغلت العربة في الفلاة، بدا أيل على عرنين ربوة وكأنّه يتأهّب للقفز وقد رفع رأسه يتشمّم الهواء

1. R. Dussaud, *L'Art phénicien du second millénaire*, 2e éd. Paris, 1949, p. 38-59 et fig.

2. Ch. Clermont-Ganneau, *Etudes d'archéologie orientale, l'imagerie phéniciene et la mythologie iconologique chez les Grecs, I : La coupe phénicienne de Palestrina*, Paris, 1880. Pour J.-G. Février, il s'agit d'un récit en images, *"nous dirions une écriture à l'usage des gens qui ne savent pas écrire"*, cf. *Histoire de l'écriture*, Paris, 1959, p. 43 ; – R.-D. Barnett « The Nimrud Bowls in the British Museum », in *RSF*, II, 1974, p. 32.



26. طبق بالسترينة : تقص الصوّر مغامرة أمير خرج يومًا إلى الصيد.
(متحف فيلا جوليا بروما : القرن VII ق.م.)

تحسّسا وتحسّبا لخطر قد يفاجئه. وما أن أبصره الأمير حتّى توارى خلف نبات كثيف وأخذ قوسه ونباله واستوى على ركبة وأوتر فأنبض لكنّه أخفق ولم يصب مرماه : فرّ الأيل فلاحقه الصياد وتسلّق ربوة حتى اقتنصه.

ولّما كان القيض على أشدّه، حطّ الأمير رحله في أجمة صغيرة تبرّجت أشجارها ودنت قطوف نخيلها فتربّع تحت مظلّته قبالة مائدة وقد رفع بيسراه الفأس المحرّم شارة الملوك والأمراء، ومسك بيمناه شيئا مستديرا قد يكون رغيفا أو قطعة لحم أو هدية أخرى يعسر تشخيصها. كان الأمير يستعدّ لتقديمها قربانا لالهة جاءت ترفرف بجناحيها فوق مذبح ملتهب كأنّها تريد الإستمتاع بالقتار. وإذا تأملت في الصورة أبصرت رمزا مزدوجا يتركّب من قرص يعانقه هلال تعبيرا عن القداسة وعن الحضور القدسيّ. إنّه مشهد يجمع بين الدّين والدّنيا ويثبت مدى تمازج الحياة اليومية بعالم الآلهة.

فهذا صيّاد خرج للقنص ورمى أيلا فأبى إلاّ أن يذكر الإلهة حمدا وإجلالا. فهل تلك الصّورة التي نراها ترفرف في السماء فوق المذبح الملتهب تمثّل إلهة الصيد أم إلهة الغابة والحيوانات ؟ قد تكون عشترت وقد تكون تانيت مع العلم أنّ تانيت تبدو مجنّحة في بعض تماثيلها وعلى بعض الأنصاب القرطاجية[1]. وبعد الراحة والإستجمام والقيام بالواجب الديني هبّ الأمير للرحيل عائدا الى قصره. وفيما كان البيج يعبر جبلا كثيف الأشجار فاجأته غرلّة وأخذت تلاحقه ملوحة بصخرة تهدّد حياته. لكن الإلهة أسرعت ورفعت بين يديها البيج ومن عليه وحلّقت في السماء بعيدا عن الغرلّة. فهكذا أحاطت الأمير التقيّ الورع بعنايتها جزاء له على ما قدّمت يداه.

لقد كانت المعجزة بظهور الإلهة وحضورها في الإبّان ولعلّها سمعت صوت الأمير يدعوها النجدة. وأيّا كان الأمر، فبفضلها تمكّن الأمير من القضاء على الوحش الذي سقط على الأرض فداسته العربة وترى الإلهة في السماء ترفرف مشيرة الى الغرلّة، كأنّها تعمل على أن يقضى عليها. ونزل الأمير وأجهز على الوحش ثمّ عاد الى عربته ووقف تحت مظلّته رافعا بيسّراه الفأس المحرم، شارة الملوك والأمراء، حتى أدرك باب القصر أو باب المدينة. واكتفى الزّابر بتصوير

---

1. C.-G. Picard, *Catalogue*, CB. 685.

برجين مربعين شـيّدا بحجارة منجورة تعلوها شرفات رباعية الزوايا قد تكون مقتبسة من واقع العمارة الفنيقية وقتئذ.

إنّها قصّة مشوّقة تجمع بين روح المغامرة والإيمان بالآلهة وتندرج ضمن أدب هادف يريد لك المتعة ولا يبخل عليك بالوعض والإرشاد. فهي نزهة عبر الجبال والغابات الكثيفة والحيوانات الغريبة. وتدعوك القصّة الى الإعتبار وتذكّر بحاجة الإنسان الى عناية الآلهة ولا خاب من ذكر الآلهة : فلو اكتفى الأمير بالقنص والإستمتاع دون ما تقديم القربان لإلهة الصيد أو الهة الغابات وحيواناتها لما أحيط بعنايتها ولما استجابت لندائه. ولئن أسعفته فذلك دليل على أنّها تستجيب لمن قام بواجباته وصلّى ونحر واحترم الطقوس.

فالقصّة الهادفة باب من أبواب الأدب الفنيقي والأدب القرطاجي. وفي طبق بالسترينة. حلّت الصورة محلّ الكلمة والحرف لتقصّ علينا صيد الأمير حتّى أنّنا نعيش معه كلّ مراحل المغامرة ونستخلص العبرة. فهي على غرار رحلة حنون تجمع بين الواقع والخيال. ثمّ إنّ المحيط الذي تحرّك فيه الأمير الكنعاني بجباله وغاباته وأشجاره الكثيفة وحيواناته الغريبة الخطرة يشبه ذلك الذي رأيناه على غمد الخنجر الجبيلي : ومعنى ذلك أنّ للقصّة المصوّرة جذور عميقة في دنيا بني كنعان. فما ورد على تحفة جبيل يلتقى برحلة حنون. فمضمون كلتيهما يتمحور حول بعثة رسميّة هدفها التجارة والكسب والمغامرة وتوسيع رقعة الأرض وبسط النفوذ فعملا بمشيئة الشعب القرطاجي ركب حنون البحر. ويستند الإختيار هنا الى الخبرة والكفاءة وقد تمّ ذلك خلال النصف الأول من القرن الخامس قبل ميلاد المسيح. أبحر حنون على رأس أسطول توجّه به الى ماوراء شمس الأصيل حيث الروعة والخطر. إنها أصقاع مخيفة مغرية. فهذه بحيرة تقع على مقربة من البحر يعلوها غطاء من القصب الباسق الكثيف وفيها فيلة ترعى وحيوانات أخرى كثيرة[1]. فهي مناظر طبيعية تثير الدّهشة والإعجاب حتى كأنّها الواح فسيفسائية تحكى النيل وروائعه ويحكى شغف الفسيفسائيّ برصف مكعّباتها وتصوير خمائلها من خيزران باسق وفيلة وبرانيق وتماسيح وغيرها.

---

1. *Périple de Hannon*, 4.

ففي العالم الفنيقي وفي قرطاج والمدن البونية الأخرى، كانت هذه المشاهد الرّائعة أثيرة لدى أهل الفنّ والأدب مهما تنوّعت وسائل التعبير عندهم. على أنّ للحرف قدرات تفوق ما قد يطمح اليه الفنّان رسما على الجدران أو حفرا على الحجارة أو زبرا على المعادن : فلا حدود توقف صاحب الحرف. أليس المبدع بقادر على قول ما يريد وذكر ما يرتضي؟ بلى! أمّا فضاء الصورة فهو محدود لا يتّسع لسهول فسيحة وأنهار جارية تتثنّى في هدوء تارة وفي صخب وعنف تارة أخرى. ولا يتّسع فضاء الصورة لبحيرات تضيء ظلمة الغاب الكثيف ولا يستوعب أقواما بدائية غريبة تتخاطب بلهجات عديدة مختلفة مستعصية فطاقة الحروف جبّارة تمكّن ممّا لا تستطيعه الصّور. ولنا في رحلة حنّون شاهد ذو بيان وحجّة دامغة.

ترى أمير البحر يطوى المسافات ويغطي المساحات العريضة دون أن يشيح بوجهه عن جزئيات مهما كانت ضئيلة. وفي الرحلة تتناغم المتناقضات : فهذه مشاهد غضّة غزيرة وأخرى شاحبة قبيحة. اللكسيون أصدقاء حنون ورفاقه يقابلهم أثيوبيون أجلاف شُرُسٌ لاحضارة لهم ولا كرم. وهنا قطعان ترعى في هدوء وسكينة وثمّة أرض تعجّ بالضواري. وسعيا وراء تكثيف الضبابية والغموض وإثارة للخوف والحيرة وتشويق القارئ أو السامع، تشير الرحلة الى أقوام شكلهم غريب يعيشون حول هذه الجبال وقد اتّخذوا من المغارات بيوتا وهم في العدو أسرع من الخيل[1].

لقد تفاعل صاحب الرّحلة مع المشاهد التي تناولها بالوصف حتّى لم تستعص عن يده ريشة الرسّام ولم تبخل عليه المِلْوَنَةُ بروائعها الوهّاجة : فكان بما لديه من طاقة على الإغراء وقدرة على الغناء والمداعبة يشدّ القارئ والسّامع لينتشيا بجمال طبيعة عذراء. وتراه يؤثر أسلوبا يجانب التعقيد ويميل الى التشويق بألوان زاهية خلاّبة مستندا الى وسائل وتقنيات أدبية معروفة كالتكرار والتصعيد : فمن محيط هادئ يجرّنا الكاتب خطوة خطوة نحو مشاهد متقلّبة صاخبة يسيطر عليها العدو السريع وتتخلّلها ملاحقات عنيفة وتراشق بالحجارة وترتفع الأصوات وتتداخل :

1. *Périple de Hannon*, 7.

وصلنا الى بحيرة وفي البحيرة جزر ثلاثة تفوق قرنة حجما ومن تلك الجزر ركبنا البحر يوما كاملا قبل أن ندرك أقصى البحيرة وقد اعتلتها سلسلة جبال ضخمة تضيق بقوم من البدائيين لا حضارة لهم يتخذون من جلود الحيوان ثيابا. فانهالوا علينا رشقا بالحجارة ومنعونا من النزول[1].

فمن حيث الشكل، يتجسّد الأسلوب العفويّ القصصي في خطاب متقطّع يغلب عليه التكرار والتواتر. فتتواصل المسيرة نحو المجهول بخطوات موزونة، موّقعة. وما زالت هذه الطريقة متّبعة في الأدب الشفويّ عندنا. وتجدر الإشارة الى عناصر نجدها في رحلة حنون ونجدها في القصّة المزبورة على طبق بالسترينة : ففي هذه وتلك ترى الغابة والخيزران الباسق والحجارة التي يتراشق بها للمطاردة والدفاع. وفي رحلة حنون تلتقي بأقوام لا حضارة لهم، يرتدون جلود الحيوان. أمّا على طبق بالسترينة فقد صوّر الزّابر غزّلة تلوّح بحجرة تريد بها الأمير الصيّاد.

وممّا تتصف به رحلة حنّون، لا بدّ من ذكر الحركية والصّخب : ففيها قوم يتخاطبون بلغة لا يفهمها أحد تراهم يبربرون ويتحرشون الدخلاء بالفم والعين واليد. فعلى القارئ والسّامع أن يتصوّر وجوه الذين لاذوا بالفرار خوفا ممن كانوا يطاردونهم رشقا بالحجارة. فما عساهم يقولون وهم يهرولون ويتخاطبون بلغة غامضة قال عنها صاحب الرحلة :

لا يفهمها اللكسيون الذين كانوا معنا[2] ***وها قد احتذينا في اليوم الأخير جبالا شاهقة تكسوها أشجار عبق أريجها وتموّرت ألوانها***[3].

تناول الكاتب هنا موضوع الجبال الشاهقة التي تغطيها أشجار تمتاز بألوانها وطيبها. كذلك يجد القارئ في النصّ ما يداعب العين والأنف فضلا عمّا قد

1. *Périple de Hannon*, 9.
2. *Op. cit.*, 11.
3. *Op. cit.*, 12.

تستمع به حواسّ أخرى ويتغذّى به الوجدان ويستجيب للفضول. فالطيب واللون والشكل عناصر ساهمت في تجسيد القيمة الأدبية التي اكتسبتها رحلة حنّون وقصّة الأمير الصيّاد. ثمّ لا ننسى حضور النّار : ففي رحلة حنّون تبدو ليلاً وبصفة متقطّعة متفاوتة فتتأجج تارة وتخفت أخرى : إنّه مشهد بديع مريع. ولئن كان يشدّ الإنتباه ويبهر، فهو رهيب يبعث الحيرة في النفوس ويثير شعور الخوف من المجهول ويطرح السؤال ويتعقبه الإفتراض وقد تولد البلبلة عن هذا وذاك :

فبعد أن تزودنا ماء ركبنا البحر من جديد مواصلين طريقنا محتذين الشواطئ طيلة أيّام خمسة فوصلنا الى خليج عريض قال المترجمون إنّه يسمّى قرن الغرب. وفي جوف الخليج جزيرة كبيرة وفي الجزيرة بحيرة فيها جزيرة أخرى بها نزلنا. فلم تر عيوننا في النهار شيئا سوى الغابة ولكنّ، ليلا، تراءت لنا نار موقدة والتقطت آذاننا صخب المزامير وضوضاء الصنوج والطبول. لقد كانت آلاف مؤلفة من الأصوات المتعالية فامتلكنا الخوف فحثّنا العرّافون على مغادرة الجزيرة[1].

ففي هذه الفقرة، توخّى الرّاوي نفس التقنيات : اسلوب متقطّع مع تواتر بعض العناصر الجوهرية في النصّ بالإضافة الى ما يمكن تسميته بالصناديق المتداخلة على غرار ما يتعاطاه السّحرة والمشعوذون أو من يتصفون بخفّة اليد كؤلائك الذين يخرجون بيضة من بيضة وحمامة من حمامة. كذلك يفعل صاحب الرحّلة فيقول جزيرة وفي الجزيرة بحيرة فيها جزيرة أخرى، فمثل طريقة التوليد هذه، نجدها حتى اليوم في الخرافة وفي القصّة الشعبية التي حرم منها أطفالنا من جراء الوسائل السمعية البصرية التي نستعملها وقد لا نفهم عن سير دواليبها شيئا.

1. *Périple de Hannon*, 14.

علـى أنّ البعد الأدبـيّ لرحلة حنون يدرك أوجه في حفل لـيلـيّ محفـوف بالغموض : فهل هي طقوس دينية سحرية؟ أم مظهر من مظاهر الحياة العادية في تلك الرّبوع؟ وأيّا كان الأمر، فالقارئ أو السامع يبقى منشغلا مندهشا تحت وطأة الموسيقى والنّار الموقدة والدخان والرّوائح المذهلة. ولا تفوتنا الإشارة الى منظر يشدّ البصر ويؤجج الخيال :

جداول ضخمة من نار تنطلق من ربوع ملتهبة تغشوها سحب من دخان أرج لتنصبّ في اليمّ.

وما دمنا نواصل التحليل والتعليق، فلا بدّ من التوقف هنيهة عند الموسيقى : فلقد أشار حنون الى صنوج وطبول وآلاف مؤلفة من الأصوات المتعالية المتداخلة. إنّها في الواقع معازف معروفة لدى الفنيقيين والقرطاجيين وقد تحدّثت عنها النصوص ورسمت صورها على الأنصاب وغيرها مما تناول الفنّان زخرفته زبرا أو حفرا أو نحتا على معدن أو عاج أو حجر صلد. فهاتنّ راقصات تتثنين على وقع المزامير، وهاتـنّ حسنوات تعزفن على القيثارة أو على الكنارة وأخريات يؤثرن النفخ في المزامير أو نقر الدفوف. ومعلوم أنّ الأثاريين وجدوا في بعض القبور صنوجا من نحاس أو برونز، كما التقطت لويحات من عاج مسننة رأى فيها بعضهم أمشاطا لمعازف وترية. وتجدر الأشارة الى دمى من طين مفخور تصوّر نساءا تداعب أصابعهنّ الصنوج والدفوف.

فلئن تمكّن حنون من تشخيص المزامير والصّنوج فلقد كان ذلك بالإستناد الى محيطه القرطاجـيّ : فالنّار والطيب والموسيقى ثالوث كان معروفا في قرطاج وقد يثير في حنون وفي كـلّ قرطاجـيّ ذكريات دقيقة يتعلّق بعضها بالحياة اليومية العادية ويجرهم بعضها الى قدس بعل ذاك الذي نسمية توفاة صلامبو. فيبدو أنّ حنون يمرّر واقعا غير معهود في قوالب وأساليب معروفة لديه محبوبة.

وبعد رحلة طويلة تعاقبت فيها المفاجآت بما قد تتضمنه من خطر وروعة، دقّت ساعة الرجوع الى قرطاج. فلـمّا أدرك حنون وصحبه خليجا يسـمّى قرن الجنوب طفا الأسلوب المتقطع من جديد وعاد التواتر وعادت الصناديق المتداخلة :

جزيرة فيها بحيرة وفي البحيرة جزيرة أخرى ونلتقي ثانية بقوم لا حضارة لهم، رجالهم شُرُس ونسائهم كالغزلاّت يكسو الشّعر أجسادهنّ. ومن باب الإثارة وإرضاء الرغبات الأدبية، يسيطر الصخب والعنف من عدو وملاحقة ورشق بالحجارة ثمّ القبض على ثلاث إناث أجهزوا عليهنّ وأخذوا الجلود معهم الى قرطاج. تلك لوحة رائعة مريعة، تنشر مشاهد من ربوع غير مألوفة، تعمّرها أقوام غريبة بدائية. وترى فيها حيوانات وأشجارا طريفة رسمها الفنان القرطاجي مستندا الى مِلْوَنَةٍ خُضُبُها تتناغم والأصوات والطيوب. فتعليقا على رحلة حنون قال موريس شنتسر :

> ***إذا نظرنا الى النصّ من زاوية أدبية، لا شئ يحول دون اعتبارها رحلة رائعة بل إنّ لها مواصفات الرواية جميعها وهي من صنف المغامرات يلتهمها القارئ بلهفة دون ما انقطاع، وما يشدّ الإنتباه، قبل كلّ شيئ في هذا العمل، جودة الأسلوب بل أقول حداثته***[1].

وإذ لا أحد يطعن في رحلة حنون من حيث قيمتها الأدبية الرفيعة فينبغي ألا يكون ذلك على حساب تاريخية الأحداث التي تمثّل خيوط النسيج القصصي. ومعلوم أنّ الرواية التي وصلتنا عبر الترجمة اليونانية وفي مخطوط هيدلبارج بالذات، جاءت في ثوبها الأدبي الشّعبي وكأنّها اقتباس من تقرير رسميّ دقيق ذاك الذي قدّمه حنون الى السلطات القرطاجية. فليس لنا في حقيقة الأمر سوى صيغة عكستها مرآة الأدب القرطاجي، شأنها في ذلك شأن الأحداث التي نلتقط أصدءها عبر الكتابات المقدّسة.

إنّ رحلة حنون ورحلة خيملك تندرجان إذا في باب من أبواب الأدب القرطاجي : على كلتيهما تسيطر مسحة أدبية في مستوى العبارة والجملة والصورة والأسلوب، لكن ذلك لا يحجب قاعدة الإنطلاق ولا ينسينا المادة التي منها تمّ

1. M. Sznycer, « La littérature punique », in *Archéologie Vivante*, 1, 2, décembre 1968 - février 1969, p. 147.

غزل خيوط النسيج الأدبي. فهذه معطيات جغرافية مناخية وهذه أحداث عاشها الذين كانوا صحبة حنون أو خميلك على متن السفن القرطاجية، وفيها إشارة الى مراحل مرّوا بها ونزلوا ببعضها وتعرّفوا على ملامحها حتّى كأنّ الكاتب أراد رسم خارطة تشبه برتولانة القرون الوسطى أو تلك الخرائط البحرية التي تعرّف بالسواحل وبملامحها وبمواقع الموانى التي تتخللّها أو تتعاقب عليها منضودة كجواهر العقد. فلقد عرف القرطاجيون بحذقهم لهذا النوع من الأدب كما عرفوا بسيطرتهم على أسرار البحر ومنعطفات شواطئه ووداعة خلجانه حتى أنّ بعض المؤرخين المعاصرين يعتبرونهم مصدرا لغالب ما أورده القدامى في خصوص البحر : فلم يتردد ستيفان إكسال في ربط الصلة بين رحلتي حنون وخيملك من جهة ورحلة إسقولاكس من جهة أخرى مشيرا الى ما يدين به الكاتب اليوناني تجاه المصنّفات البونية خاصة فيما يتعلّق بالسواحل الممتدّة بين نصب الأخوين فيلن قبالة السرت الأكبر وجديرة في جنوب اسبانيا. كذلك فعل تِيمُسْتِيناس لما كان قائد أسطول بطليموس فيلادلفى : فلقد دلا بدلوه واستفاد ممّا صنّفه القرطاجيون[1]. وقدكان للقرطاجيين وللبونيين عامة خرائط مكتوبة ومسالك تنير طريقهم وتساعدهم على القيام برحلاتهم في ظروف طيّبة داخل البحر المتوسط وخارجه، نحو الشمال والجنوب.

فلقد كان الأدب القرطاجي ثريّا، ذا خلايا وأغراض عديدة، وإن لم يصل الينا منه الاّ أصداء مشوّشة، وقد تكون مشوّهة وفي النقل كما يقال خيانة. أمّا من حيث الأغراض، فيلج بك الأدب القرطاجيّ الى فضاءات مختلفة منها السياسة والتاريخ والقانون والجغرافيا والدين والأخلاق ويتناول معان عديدة، ويقدّمها في أشكال وألوان تناسب الذّوق الشائع المشاع وتعرّفنا بملامح المجتمعات البونية وثناياها. فالعديد من الكتب القرطاجية أفلتت من ألسنة الحريق الذي التهم قرطاج ولا شكّ أنّ الكتب في ذلك العصر كانت تنسخ وتنشر وتوزّع فلا شئ يمنع من تصوّر دور الكتب في مدن بونية أخرى كوتيكة وهدريم وهي التي نسميها اليوم سوسة. ومن تلك المدن كرطن وهي قسنطينة وسيجن عاصمة الملك النوميدي سيفاكس وكانت زوجته صفنيبة قرطاجية شغوفة بالأدب

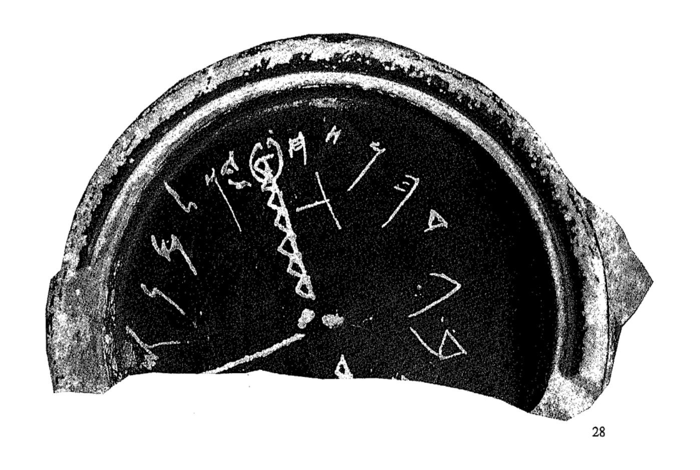
---

1. Ptolémée, I, 15,3.



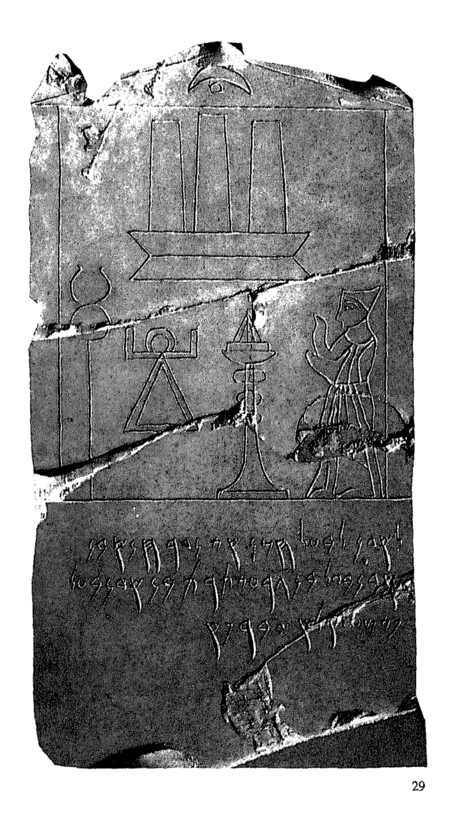
27

27. نقيشة سطرت بالحرف البوني الحديث (النّسخي) على نصب كان بتوفاة مدينة مكثر. وتبين هذه النقيشة مدى التغيير الذي طرأ على اللّغة البونية في المدن والأرياف النوميدية فعوض "بعل حمن" كتب السّاطر "بعل عمن".
(مخازن المعهد الوطني للتراث : القرن I ق.م).



28

28. أبجدية فنيقية على كسرة من فخّار تُسْتَخْدَمُ لِتَعْليم القراءة والكتابة ممّا يُثْبِتُ أنّ التّعْليم كان منتشرًا في المجتمع القرطاجي (القرن IV ق.م).



29

29. نصب عليه نقيشة سُطِّرَتْ بالحرف البُوني، عثر عليه في مدينة ليلوبة بجزيرة صقلية ومضمون النقيشة نذر موجّه إلى بعل حمّون. (متحف بالارمو ؛ القرن III ق.م).

والفنّ. فلا غرابة أن تتوفّر لديها مكتبة في القصر بسيجن أو بكرطن ولا غرور أنّ تعجّ مكتبات القصور بنفائس المصنفات والرسائل وقد تكون هي التي توارثها الملوك والأمراء في نوميديا وأدركها الملك يمبصال واستفاد منها المؤرخ اللاّتيني صلّستيوس في منتصف القرن الأول قبل ميلاد المسيح كما استقت منها وارتوت أجيال من المؤرخين والأدباء والقضاة والفلاسفة في أفريقة وأقطار اخرى. وتجدر الإشارة هنا الى فيلسوف قرطاجيّ اسمه عزر بعل لكنّه لمّا هاجر الى أثينا أصبح يدعى إقليتوماكوس وكان إذ ذاك في الأربعين من عمره. تحوّل الى عاصمة الفلسفة اليونانية ليحضر دروس قرنيادوس. وبرز القرطاجيّ في مدارس ثلاثة وهي الأكادمية ومؤسسها أفلاطون والرواقية التي أسسها زينون والنزهوية أو المشائية وصاحبها أرسطو[1].

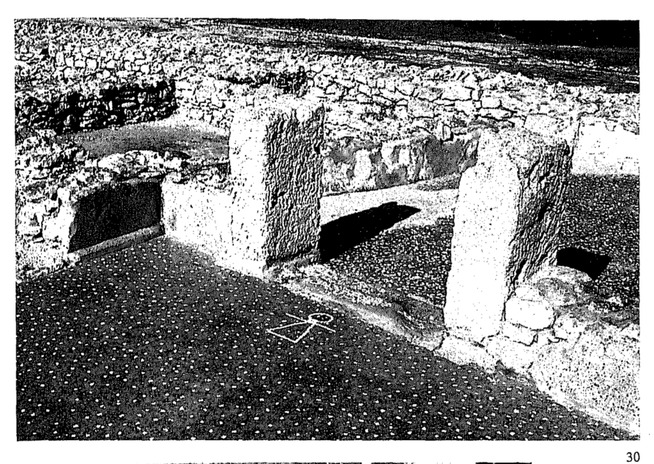
فلا بدّ أنّ عزربعل المسمّى اقليتوماكوس كان يعرف الكثير عن الأدب والفكر في قرطاج فهل بقي متّصلا بالكتب البونية ليستفيد منها وهل اعتنى بنشرها والتعريف بها ؟ قد يكون ! على أنّها مسألة رهينة الإفتراض والتخمين. فلمّا كان القائد الرّوماني شبيون إمليانوس يؤجج نارا لترميد قرطاج سنة 146 قبل ميلاد المسيح كان الفيلسوف القرطاجي عزربعل مقيما في أثينا وعندما أتاه نبأ الكارثة بكى وكتب رسالة لرثاء الوطن وتعزية من كان يحنّ لقرطاج.

فلا شكّ أنّ ما تبقّى من الأدب القرطاجي ضئيل لكنّه يكفي مؤونة لتسفيه نظريات شكّ أصحابها في وجوده، بل لم يتحرّجوا من نفيه أحيانا. على أنّ الوثائق والشواهد التي تثبت كينونته عديدة متنوّعة حتى أنّنا نستطيع التعرّف الى بعض أصنافه وأغراضه ورسم ملامحه العريقة. فلقد أنجبت قرطاج أدبا بونيّا حرفا وشكلا ومضمونا وكان للقرطاجيين من الحصانة ما جعلهم لايتردّدون في استخدام اللّغة اليونانية سعيا وراء الإستفادة والإفادة. وتعاقبت الحضارات والأجيال وبقي الأدب القرطاجي يعمّر الذّاكرة الجماعية. ففي القرن الخامس ميلاديا أشار القديس أوجستنوس الى ذلك قائلا : **إنّ في الكتب البونية أشياء عديدة جيّدة**[2].

1. Diogène La[illegible] *des philo*[illegible]
2. St. A[illegible] *Lettres*, XVII, 2.

الباب الثاني

حرف وفنون



30



31

مدينة كركوان
(القرن III ق.م.).
30. بيت تحلّى بالفسيفساء.
31. صورة جوية للمدينة.

الفصل الأول

العمارة والتّهيئة العمرانية

إنّ لمدينة قرطاج البونية جذورًا وتقاليد تنغمس في طبقات الماضي السحيق وتتصّل بأقدم مظاهر الحضارة في الشرق السّامي ويتجلّى ذلك في نحو المدينة وصرفها أي في أشكالها وتنضيدها أو قل في عناصرها مفككة وفي عناصرها مركّبة منضودة أي في العامرة وفي التهيئة العمرانية.

التهيئة العمرانية

إن تصوّر المدينة، على شكل رقعة الشطرنج، بشوارع عريضة مستقيمة متقاطعة متعامدة، نشأ في الشرق القديم وأتى به الكنعانيون في بطون سفنهم الى غربي البحر الأبيض المتوسط كما تثبته أطلال مدينة كركوان بالوطن القبلي في تونس[1]. وأطلال قرطاجية ظهرت الى أشعّة الشمس على مرتفعات المدينة وفي سفوحها. ففي المدينة البونية يوزّع الفضاء على ثلاث : الأحياء والأموات والآلهة. وقد تتجاور البيوت والمدافن وقد تتنافر : فترى المدافن في قرطاج داخل الفضاء المسوّر، وتراها في مدينة كركوان خارج الأسوار. فثابت أنّ لهذه التقاسيم جذورًا مشرقية سامية. على أنّ بعض المؤرخين المعاصرين

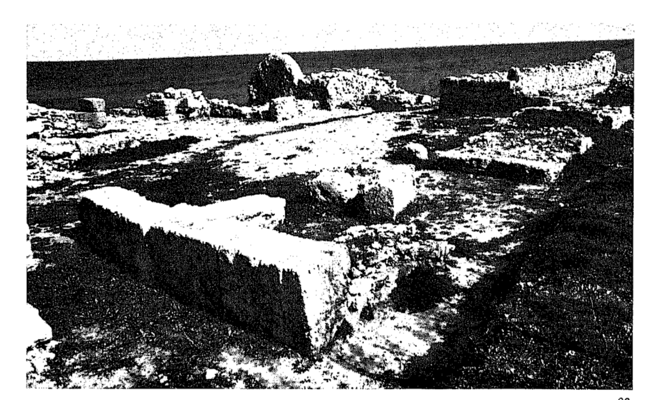
1. M.-H. Fantar, *Kerkouane*, I, Tunis, 1984, p. 163-266.

مازالوا يبخلون بمثل هذه الحقيقة، مدّعين أنّها يونانية الأصول. وتراهم ينسبون مثال المدينة الشطرنجيّة الى هبّوداموس الميليتي وهو يوناني، من مدينة ميليتة، على سواحل آسيا الصغرى، وقد عاش خلال القرن السادس وبداية القرن الخامس قبل ميلاد المسيح. والأرجح أنّ له فضل نشر ذلك المثال في بلاد اليونان وخارجها. أمّا التصوّر فلقد كان قبل أن تكون المدينة اليونانية[1].

تتورّك المدينة البونية في فضاء يحيط به سور كالذي كان يحمي قرطاج وقد تحدّث عنه القدماء وأطنبوا وكشف الغطاء عن بعض عناصره التي كانت تشرف على البحر والبحيرة. على أنّ الأسوار البونية ما انفكت تزداد بيانا وشفافية بفضل حفريات تنجز في كركوان. فلقد تبيّن أنّ هذه المدينة كانت في حماية سور يتركّب من جدارين يفصل بينهما ممرّ عرضه عشرة أمتار أو ما ينيف عن ذلك. وسمك الجدار قد يتجاوز المترين. تحيط هذه العناصر الثلاثة بالمدينة فتتخذ شكل الحدوة أو شكل هلال ذي خطّ متقطّع طرفاه متّصلان بالجرف الذي يتولى حماية المدينة من شرّ كل عدوان بحري. وعلى حرف الجرف رصيف يحتذى ثناياه كأنه الكفاف ويبدو أنّه لم يكن للنزهة بقدر ما كان مخصوصًا لقاذفات حربية كالمجانيق تعزّز القوّاسين والمقلاعيين. فكانت وظيفة الرصيف دفاعية تدعم الجدران وما قد يتّصل بها لتعزيزها من أبراج ولواحق شتّى تساعد الحامية على القيام بدورها في ظروف طيّبة : فهذه مساكن وهذه مخازن وتلك مدارج تدفع الى مسلك المراقبة الممتد على أعلى الجدران. تواريه سلسلة الشرفات والتفاريج. وبالإضافة الى أبواب المدينة الرئيسية، توجد مداخل أخرى، ضيّقة مائلة الجانبين، هيّئت في سمك الجدار الخارجي، تساعد على الإلتحاق بالمدينة عند الخطر المفاجئ، كما تستخدمها الحامية للقيام بهجومات معاكسة مفاجئة.

ومن أبواب مدينة كركوان، تجدر الإشارة الى بوّابة شمس الأصيل. سميناها كذلك لأنّنا لمّا انتهينا من تجليتها في صيف سنة 1977، كانت الشمس في طريقها الى الغروب، ترفل في أجمل الحلل العسجديّة. وتتميّز هذه البوابة بشكلها وهيكلتها : فهي لا تقطع الجدار بفتحة عموديّة، بل جعلوها تتسلّل بين مترسين متوازيتين، وتتوازى مع كلتيهما. فهي التي يسميها الفنّيون

1. L. Oppenheim, *La Mésopotamie. Portrait d'une civilisation*, Paris. 1970, p. 150-151 ; – M. Jansen, «Mohenjo Daro, architecture et urbanisme», in *les Cités oubliées de l'Indus*, Paris, 1989, p. 133-142.


32


33

أسوار مدينة كركوان (تامِزْرات)

32. باب الجنوب.

33. أبراج وحُصون.

المختصّون في العمارة العسكرية بـوّابة مُغَطِيّة لأنّها توفر للجندي تغطية يمينه إذا كان عليه أن يخرج ليفاجئ العدوّ[1]. لقد سبق أن درّسنا هذا الصنف من البوّابات البونية وأثبتنا أنّها وجدت في المشرق السّامي منذ زمن بعيد. وقد يجدر التذكير هنا ببوّابة تل النّصبة[2] بفلسطين تلك التي تعود أطلالها الى القرن التّاسع قبل ميلاد المسيح. فواضح أنّ لقرطاج باع في ميادين التمصير وتهيئة المدن. ولئن ورثت الكثير عن الشرق القديم، فلا أحد يشكّ فيما أسهمت به وأضافته، وإن يعسر ضبط ذلك لعدم توفر الوثائق والشواهد. ثمّ لا ننسى التراشح الحضاري بين مختلف الأقطار المطلّة على البحر الأبيض المتوسط.

العمارة

مانفكّ ملف العمارة القرطاجيّة البونية يزداد سمكا وكثافة بما يتضمّن ذلك من تراكم المعلومات وتطوّر الثروة المعرفية. فالتقدّم في هذا القطاع بات مطّردا حتّى كأنّ اليوم يتجاوز أمسه وقد تأتى حفريات الغد بعناصر أخرى تلقي نورا جديدا فيستفيد التحقيق وتستقيم القراءة ويسلم التّفسير. فلا شكّ أنّ التنقيب عن الأطلال البونية خلال السنوات الأخيرة كان سخيّا : فهذه معالم كشف عنها الغطاء في قرطاج وهذه أخرى تمّ تشخيصها في مواقع توجد في أقطار شمال افريقيا أو في صقلّية أو في سردانيا أو في جنوب اسبانيا والبرتغال.

تعرّف الأثاريون في قرطاج الى حيّ سكني توكأ على ربوة بيرصة[3] ذلك الذي يرنو الى البحر وتداعبه أشعّة الشمس كلّ صباح. وأثبتت الحفريات أنّه يعود الى ما بين القرنين الثالث والثاني قبل ميلاد المسيح. وكشف الغطاء في العاصمة البونية على بقايا حي سكني ثان يرقى الى منتصف القرن الخامس قبل ميلاد المسيح[4]. على أنّ الحديث حول البيت البوني لا يستوفى إلاّ باستقراء ما جادت به حفريات كركوان[5]. وهي مدينة بونية كاملة بشوارعها وأحيائها

1. Pour cette porte, cf. M.-H. Fantar, *Kerkouane*, I, Tunis, 1984, p. 144-150.
2. Id., *ibid.*, p. 148 et fig. 2.
3. S. Lancel, *La colline de Byrsa à l'époque punique*, Paris, 1983.
4. F. Rakob, *CEDAC : Carthage*, 4, 1981, p. 12-14
5. M.-H. Fantar, *Kerkouane*, II, Tunis, 1985.

ومعابدها وأسوارها. فلا شكّ أنّها تمثّل كنزا من المعلومات ثمين حول البيت من حيث هيكلته ومواد البناء والتقنيات ومن حيث التصنيف والمساحة وتوزيع الفضاء والمرافق والتزود بالماء الصالح والتخلّص مما تلّوث منه. ومن تلك المعطيات ما يخصّ حفظ الصحّة والحائط المشترك وقدرة البيت على الإستجابة لمشاغل صاحبه مادّية كانت تلك المشاغل أو غير مادّية.

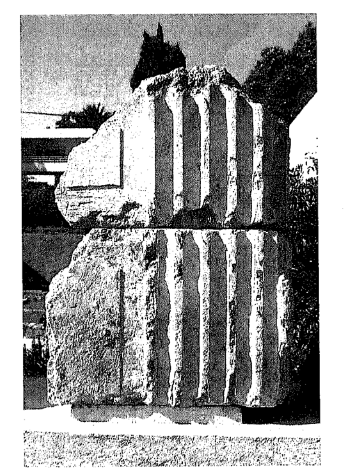
ففي مدينة كركوان تمّت تجلية مساحات كبرى أسفرت عن تشخيص بيوت عديدة متنوّعة يسيرة القراءة لما تمتاز به بقاياها من وضوح وتكامل حتّى أنّ الحصيلة، بوفرتها وتنوّعها وبيانها، يسّرت القيام بدراسة تأليفية حول البيت البوني. وستمنّ حفريات المستقبل على الباحثين بمعلومات أخرى قد تساهم في تجديد النظرة وتوسيع الأفق وتدفع بالتالي الى إثراء المعرفة فيما يتعلّق بالبيت البوني كما كانوا يتصوّرونه ويشيّدونه فيما بين القرن الخامس والقرن الثالث قبل ميلاد المسيح.

وما دمنا نقوم بهذا التحقيق حول البيت البوني لا بدّ من إشارة الى مساكن تمّ العثور عليها في صقلّية وفي سردانيا[1] وهي أطلال متكاملة يسيرة القراءة والفهم في حين أنّ المنازل البونية التي تركت بقاياها في الجزائر والمغرب الأقصى[2] يعوزها الوضوح : منها أطلال أكواخ من طين وحجارة توجد على الساحل الجزائري بالقرب من أرشقون ومرسى مدّاح وكلاهما يقع في منطقة وهران وتعود هذه الأطلال الى القرن السادس قبل ميلاد المسيح. يبدو أنّها بيوت أنشئت لإقامة وقتية، في مناطق منعزلة، على طريق السفن التي تربط بين مختلف المراكز والمصارف الفنيقية البونية لتأمين الملاحة والتجارة بين حوضي البحر الأبيض المتوسط.

فعلى أساس هذه الوثائق يتبيّن أنّ البيت البوني النموذجيّ في أفريقة وفي الأقاليم البونية الأخرى يتمحور حول فناء يوفّر النور والهواء كما يستقيم لوظائف أخرى : ففيه نجد البئر أو الصهريج وفيه تقذف السقوف مياه الأمطار التي قد تنقلها. وفي حالة غياب الصهريج تأخذ تلك المياه طريقها الى الشارع عبر قناة محفورة في سمك أحجار كلسية تحتذى أحد جدران الدهليز حتّى العتبة، ثمّ تندّس تحتها لتتصل بمجرى المياه المستعملة وتصبّ فيه حمولتها.

1. Pour des habitations puniques en Sardaigne et en Sicile, cf. M.-H. Fantar, *Kerkouane*, II, p. 33-36.
2. Pour l'Algérie et le Maroc, *ibidem*, p. 30-32.

34



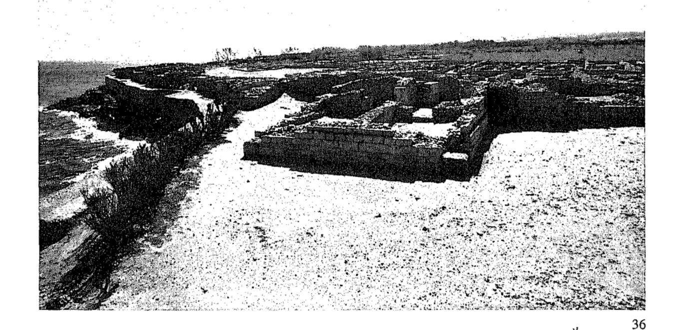
35

العمارة البونية متفتحة على المتوسط : فلم تخل معالمها من تأثيرات خارجية ومنها الاغريقية.

34. تاج سارية الفصيلة الدورية.

35. عمود تحلّى بأخاديد يلامسها ضوء وظلّ.

(قرطاج : القرن V والقرن IV ق.م).



36



37

مدينة كركوان (تامِزْرات)

36. السور: برج الشمال.

37. بيت فيه مصلّى عائلي. (القرن III ق.م).

وقد تنتهي الى جمّة أو الى بئر صرب، وقد يكون البحر منتهاها[1]. أمّا المجرى، فقد يكون سطحيا عاريا وقد يكون جوفيّا تغطيه طبقة سميكة من حجارة وتراب. وتلاحظ في الفناء مدرجا أو مدارج تدفع الى السطوح أو الى غرف علوية : ففي بيت يفتح على شارع الصنّاع، بمدينة كركوان، شخصّت مدارج ثلاثة : ومعنى ذلك أنّ لهذا البيت الثريّ ثلاث غرف علوية مستقلّة[2].

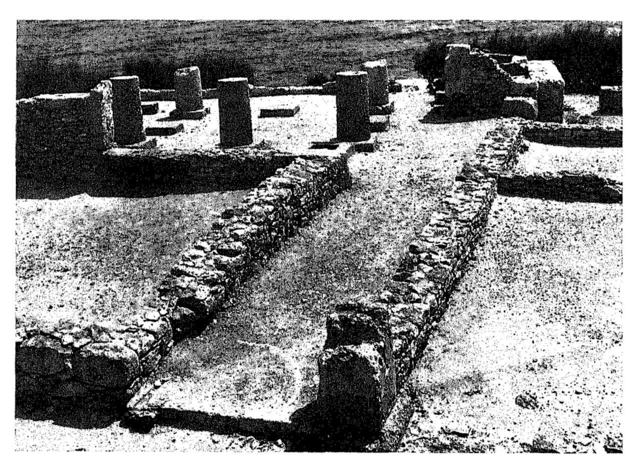
وفي البيت البوني عامة تفتح الغرف على فناء وفير الهواء تغمره أشعّة الشمس فيتزوّد من نورها وحرارتها المنعشة وتكون الغرفة الرئيسيّة موجّهة نحو الشرق أو نحو الجنوب الشرقي. تراها فسيحة الأرجاء مشفوعة بمقصورة. وقد يرسمون في مدخل هذه الغرفة الرئيسيّة تميمة تتصدّى للشياطين وتكسّر شوكتها وتبعد شرّها. ومن المرافق التي تحتلّ جانبا من البيت وتفتح على الفناء تجدر الإشارة الى المطبخ والمطهرة أو غرفة الإستحمام. تتكوّن المطهرة من ملبس ومن حوض يرتدى شكل الحذاء وقد يكون كالمركن رباعي الأضلاع. أمّا الدخول الى البيت فيكون من باب يفتح على الشارع ومنه الى سقيفة أو دهليز طويل ضيّق يتعامد مع الفناء طبقا لمبدإ المدخل المعكوف، وهو من ابداع المهندس المعماري في المشرق القديم، حفاظا على حرمة البيت من وقاحة الشارع وفضوله. وقد تبنّت العمارة العسكريّة هذه المداخل المعكوفة لبوّابات أسوارها ويكون انعكافها ثنائيّا أو ثلاثيّا ممّا يزيد مدخل المدينة حصانة بشلّ حركة الهجوم. وقد يكون دهليز البيت مسقوفا أو عاريا. و في بعض السقائف تتهيّأ مصطبات يجلس عليها صاحب البيت ومن قد يأتي لزيارته ويطرق بابه.

إنّ منظومة البيت البوني واضحة. فليس فيه مجال للصدفة ولم يكن للارتجال فيه نصيب. فلكلّ عنصر وظيفته وليس من التجاوز في شئ إذا تحدّثنا عن عمارة سكنية قرطاجية ذات قواعد تخضع لضغوط عائلية واجتماعية، ولحاجيات واضحة وتحترم جملة من التقاليد والمبادئ الأخلاقية. فهي تعكس صورة المجتمع البوني بمشاغله وعاداته وأذواقه.

وتجد في بعض البيوت هياكل أفرزتها مشاغل دينية وطقوس تستطيبها الآلهة : من ذلك مصلّى عائلي تمّ تشخيصه في بيت يوجد بكركوان ويفتح على

1. Pour l'hydraulique, cf. M.-H. Fantar, *Kerkouane*, II, p. 397-561. Cf. aussi *Kerkouane*, I, p. 188-190.
2. M.-H. Fantar, *Kerkouane*, II, p. 559-560.

38



39

38. بيوت تربّعت على روبة بيرصة في قرطاج. *(القرن II ق.م)*.

39. بيت في كركوان ذو فناء مُروّقٍ يرنو إلى البحر. *(القرن III ق.م)*.

نهج الرحبتين. هيّئ هذا المصلّى في الفناء على شكل مصطبتين متعامدتين حول مذبح كانت أضلعه مزدانة بصور شالها الإنجراف. ويجرنا الحديث عن البيت البوني الى زخارفه المعمارية : منها الأساطين[1] التي تستند اليها الأروقة ومنها التجصيص الذي يزيد الجدار صلابة ورونقا بتقاوير وتجاويف وأشرطة مختلفة الأبعاد والأشكال. وكثيرا ما تتحلّى هذه الجصّيات بألوان زاهية كالأحمر والأزرق والأصفر وغيرها. ولم تحرم الدكوك من الزينة : بل قد تفرش بزرابي من كلس أو رخام أبيض أو فخّار على اختلاف ألوانه كما كانت تستفيد من عجين الزجاج ومن السبّج وهو بلّور بركاني كانوا يأتون به من بعض الجزر كصقلّية وسردانيا وما حولهما : فكانوا يأخذون من تلك المواد المختلفة مكعبات أو شظايا صغيرة الحجم تنزّل في الملاط متلاصقة أو مصطفة كحبّات العقد أو متناثرة لا تخضع لنظام. وقد ترتدي أشكالا عديدة تحكي الفسيفساء من رموز دينية ونبات وحيوان[2].

تلك عمارة سكنيّة لم يقتصر أصحابها على البعد الوظيفي الضروري بل كانوا يتجاوزونه سعيا وراء ما قد يزيد البيت نظارة وجمالا يداعب البصر ويبعث الإنشراح في الصدور. فمن تأمّل في اطلال البيوت البونية لاحظ أنّ الذين شيّدوها واصطفوها أطرا لحياتهم اليومية كانوا تـوّاقين الى ما وراء الوظائف والمنافع الماديّة بل تراهم يضفون عليها مسحة تستجيب الى مشاغل جمالية قد تكون فيها نزعة الى الترف. فلقد كانوا يريدون محيطهم مفيدا لا يخلو مما يداعب البصر ويروّح عن النّفس ويفاخر به. فالمكتشفات والقرآت التي سجّلت في العشريات الأخيرة جاءت تناقض ما ادّعاه بعض المؤرخين الذين أرادوا حشر القرطاجيين في حدود عالم المادة والكسب الضحل. و لم يتحرّجوا أحيانا من جعلهم عاجزين على إدراك الجمال. والحال أنّ الوثائق الأثرية تبيّن عكس ذلك : فالبحث عن الجمال والعمل على زخرفة المحيط وجعله جذابا أنيقا يرشح بالحفاوة وترتاح اليه النفوس نزعة بونية تلمسها في العمارة السكنية و في العمارة الدينيّة وفي قطاعات أخرى عديدة كالنّحت والمثالة والحفر والزبرجة والصاغة وغيرها من ميادين الصناعة والفنون.

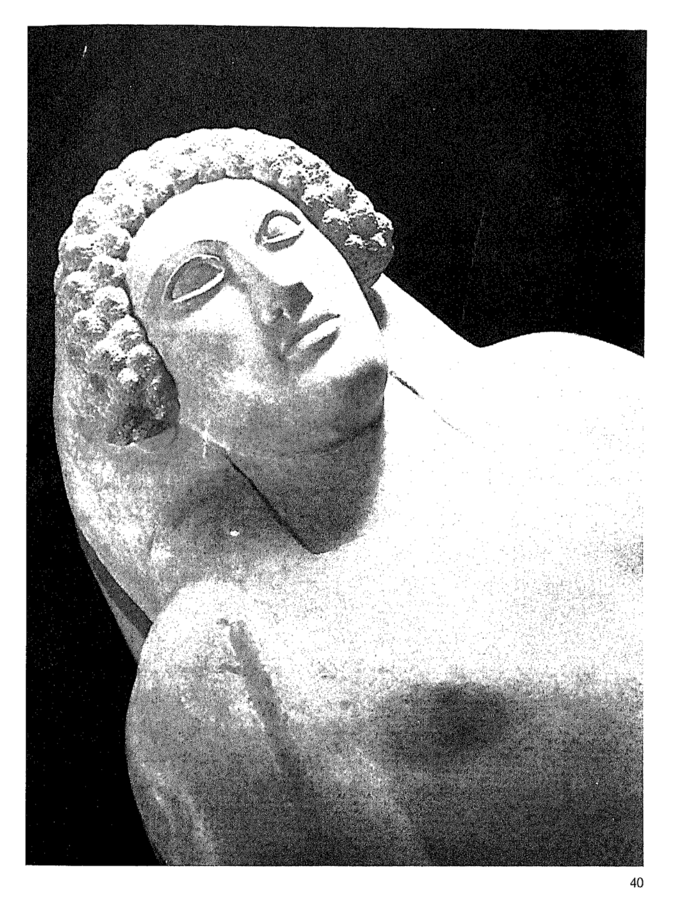
1. Pour des chapiteaux ioniques, cf. M.-H. Fantar, *Kerkouane*, I, p. 446-448.
2. M.-H. Fantar, «Pavimenta punica», in *Studi Magrebini*, I, 1966, p. 57-66; *Kerkouane*, I, p. 502-514.

الفصل الثاني

النحت

مانفكّ الملف الخاص بالنحوت القرطاجية البونية يزداد سمكا بما ينضاف اليه من وثائق وشواهد تمنّ الحفريات بها في مختلف بقاع العالم القرطاجي في أفريقة وصقلّية وسردانيا وجنوب اسبانيا. وتتمثّل بعض هذه المعلومات في نقائش تشير الى صور إلهية أهداها قرطاجيون أو من دان بديانتهم : ففي موقع أثريّ تمّ تشخيصه في جزيرة سردانيا يسمّى أنطس. كشف الغطاء عن نقيشة بونية مضمونها أنّ أحدهم قدّم تمثالا صغيرا يصوّر الإله شدرفى. فتقول النقيشة : مش شدرفى. على أنّ لفظة مش أثارت جدلا بين فقهاء اللّغة البونية. فلمّا تناولنا دراسة هذه النقيشة ترجمنا لفظة مش البونية بلفظة تمثال. ولكنّ بعض المختصين يؤثرون ترجمتها بلفظة هدية أو عطية. وأيّا كان الأمر. فهناك قرائن تشير الى أنّ الهدية كانت تمثالا يصوّر الإله شدرفى. ولا أدّل على ذلك من بقايا رصاص على حاملة النقيشةكان يشدّ التمثال اليها[1]. وأشارت نقائش أنطس الى تماثيل أخرى كالتى صوّرت الاله حرن أو كالتى جمعت بين الحجر والذهب كما أثبتته النقيشة. وقد جاء فيها : مش أبن حرص. فلفظة "أبن" تعنى الحجرة ولفظة "حرص" تفيد الذهب. فهل كانت الصورة من حجر وغلفوها بالذهب؟ قد يكون. وهو عمل أتقنه الفنيقيّون والقرطاجيّون من بعد.

1. M.-H. Fantar, *Ricerche ad Antas*, Roma, 1969,p. 79-80.



40

40. تمثال امرأة تحلّى به غطاء تابوتٍ من رخامٍ (مدينة قادس الإسبانية واسمها الفنيقي جديرة.
متحف قادس : القرن V ق.م).

وورد لفظة مش بمعنى التمثال أو الصورة في نقيشة قرطاجية سطرت على نصب أقيم بقدس بعل قربانا لتانيت وهذا نصّ النقيشة :

الى الربّة تانيت وجه بعل، تمثال من حجر،
و هبه عبدك بعليتن بن بعلشد،
لأنها سمعت صوته فلتباركه[1].

وفي نقيشة أخرى بونية لاتينية عثر عليها في سلشيس، بجزيرة سردانيا، ترجمت لفظة مش البونية بلفظة لاتينية تعنى التمثال أو الصورة[2] واكتشفت في ربوع طرابلس الغرب نقيشة بو نية تضمّنت العبارة التالية : مش هنحشت[3] ومعناها تمثال من نحاس أو من برونز وللغة الفنيقية ألفاظ أخرى تعنى التمثال ومنها سمل[4] وفي النقائش البونيـة[5] والبونية الحديثة[6] إشارات الى النحوت عديدة.

ثم لا بدّ من جمع ما جاء في كتب القدماء حول النحوت والتماثيل كالتى كانت في قرطاج وأشار إليها تيتوس ليفيوس وابلينيوس الأكبر وأبيانوس وغيرهم كثيرون. وهي تماثيل تمّ الإستلاء عليها من قبل شبيون إمليانوس لمّا أشرف على تحطيم قرطاج ونهبها قبل اضرام النّار فيها. وكانت تلك التماثيل تزدان بها المعالم الدينية والمدنية والقصور الخاصة. وقيل إنّ بعضها سلّم الى مدن يونانية تقع بجزيرة صقلية ومنها هيميرة وجيلة وجرجنت وسيجست وسيلينت وغيرها، على أساس أنّها كانت تملك تلك التماثيل قبل أن يبتزّها القرطاجيون إبّان حروب شبّت بينها وبين قرطاج خلال القرنين الخامس والرابع قبل ميلاد المسيح. ومن تلك التماثيل أشير الى صورة ثور شهيرة من سبك بيريلاوس وكان أنجزها

---

1. *CIS*, I, 3777.
2. *CIS*, I, 149.
3. G. Levi Della Vida, *RANL*, ser., VIII, 10, 1955, p. 550-561 ; – cf. aussi G. Levi Della Vida et Maria Giulia Amadasi Guzzo, *Iscrizioni puniche della Tripolitania* (1927-1967), Roma, 1987, p. 74, n° 31. Pour l'emploi de *masch*, cf. aussi *ibidem*, n° 25, p. 61 et n° 76, p. 109. Le terme *mash* avec le sens de statue ou d'image est également attesté à Chypre, cf. *DISO*, s.v.
4. *CIS*, I, 88, 91, 93.
5. *CIS*, I, 3275.
6. G. Levi Della Vida et Maria Giulla Amadasi Guzzo, *op. cit.*, p. 53-57, n° 22 ; – J.-G. Février, *Semitica*, V, 1956, p. 25.

بطلب من فلاريس صاحب جرجنت. وفي بطن ذلك الثور كان السلطان يحرق ضحاياه[1].

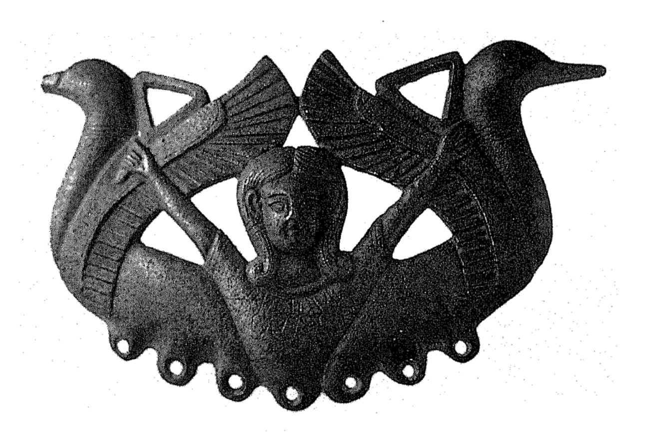
وكان لقرطاج تماثيلها الخاصة وهي من إبداع القرطاجيين أو من سبك من يؤجرهم قرطاجيون. ومنها تمثال للإله ملقرت عليه غلاف من ذهب. لقد أورد بعض المؤرخين القدامى أنّ شبيون إيمليانوس فاجأ جنودا من جيشه وهم يحاولون اقتلاع صفائح الذهب التي تكسو التمثال وتكسو جدران المعبد، مستخدمين خناجرهم وأسنة سيوفهم. فأخرجهم من المقام وسلّط عليهم عقابا شديدا متّهما إياهم بالإستلاء على أملاك الشعب الروماني.

ولّما وصف المؤرخون الموكب الذي أقيم اجلالا له واحتفالا بانتصاره، ذكروا مجموعة ضخمة من التماثيل والأعلاق : فأشار ابلوتركوس[2] الى تمثال يصوّر الاله أبلّو : أخذه الرّومان من قرطاج ونصبوه قبالة مركاض روما. وفي القرن الأول كان تمثال ملقرت أمام رواق الأمم بالعاصمة الرّومانية، يشكو قساوة الغربة والازدراء، طريح الأرض بعد أن كان في قرطاج مكرّما مبجّلا ينعم بكل ما قد يتضمّنه الورع ويمليه[3].

وكان أثرياء القرطاجيين وهواة الفنّ عندهم يملكون التماثيل، على غرار حنّبعل البرقي وقد توفّرت لديه مجموعة شهيرة تحدّث عنها المؤرخون : فمن بين روائع النحت التي أحبّها القائد القرطاجي تمثال صغير برونزيّ من سبك النحات اليوناني لوسبّوس يصوّر الاله ملقرت. ومعلوم أنّ الأبارقة كانوا ممّن يتقرّبون اليه ويحتمون به : فكان حنّبعل يملأ محيطه بالحضور الإلهي ويقال إنّ التمثال كان على مكتبه في البيت. وقد نوّه بجمال التحفة شاعران لا تينيان، عاش كلاهما في عصر الإمبراطور دومقيانوس خلال القرن الأول. وممن أشاروا الى تماثيل كانت ملكا لحنّبعل تجدر الإشارة الى قرنليوس نيبوس الذي أورد هذه الرواية :

---

1. S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, III, p. 402. Pour les statues enlevées par les Romains à Carthage et restituées aux cités grecques, cf. Appien, *Lib.*, 133 ; – Diodore de Sicile, XIII, 90, 5 ; – Tite-Live, *Epit. du livre* LI ; – Valère-Maxime, V, 1,6 ; – Eutrope, IV, 12, 2.
2. Plutarque, *Flaminius*, 1.
3. Pline, *Hist. Nat.*, XXXVI, 39.



41



42

41. لجام من برونز يذرع 9,5 x 15,3 سنتم يصوّر إلهة الخصب تطير بها بطّتان. عثر عليه في يُونْتَادي لافكا قرب مدينة قادس.
(متحف اشبيليا باسبانيا : القرن VI ق.م.).
42. دُمْيَة من برونز تذرع 63 x 13 سنتم تصوّر إلهًا بونيّا في سردانيا (يوجد في متحف ڤالْيَري ويعود إلى ما بين القرن V والقرن III ق.م.).

لما أدرك حنّبعل جزيرة افريتش وحلّ بها كان معه مال كثير. وشاع الخبر في الجزيرة. فأوجس الرّجل خفية والتجأ الى حيلة تقيه شرّ الجشع : أخذ أزيارا وملأها رصاصا غطّاه ذهبا وفضّة وأودعها في معبد الالهة ديانة بحضور أعيان الإقْرِتْشيين، متظاهرا بوضع أمواله تحت رعاية المواطنين في المدينة. وتمكّن من مغالطتهم. ثمّ أخذ تماثيل من برونز كانت ضمن أمتعته فملأها بما كان لديه من مال وتركها في فناء بيته دون ما اهتمام. أمّا سكّان جرتونة فقد أقاموا حراسة يقضة قرب معبد الالهة ديانة ولكن لا لصيانته من السرقة بل لمنع حنّبعل من استرجاع الوديعة خفية و الانصراف بها[1].

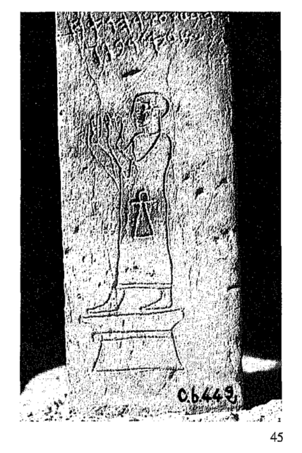
فما هي تلك التماثيل المشار اليها في رواية قرنليوس نيبوس؟ فهل هي روائع من سبك نحاتين من ذوي الشهرة ؟ الأرجح أنّها كانت صغيرة الحجم، خفيفة الوزن، ممّا يسرّ لحنّبعل أخذها ضمن أمتعته. وما من شكّ أنّها تختلف حجما ووزنا عن التمثال الرخامي الذي اكتشفه أثاريّون إيطاليون في جزيرة مُطْوة ونسبوه الى عبد ملقرت الماجوني. وهو من الذين كانوا بالجزيرة خلال القرن الخامس قبل ميلاد المسيح. ويعتقد الإيطالي فنشنسو توسا أنّ التّمثال يصوّر فتى كان على متن عجلة يقودها حوذيّ. فهل لتحفة مُطْوة علاقة بالمباريات الرياضية وبسباق العربات على وجه الخصوص؟ فهل يدخل ضمن التماثيل البطولية؟ إنّ هيئة الفتى وحركاته وأساريره تحكي ملامح البطل في الفنّ اليوناني. فهل يمكن اعتبار التمثال عملا فنيا طلبته السلطات البونية أو طلبه بعض الأثرياء من نحّات يوناني شهير ممّن كانوا على الساحة في القرن الخامس قبل ميلاد المسيح؟ قد يكون ! وأيّا كان الأمر فتنسيقا بين التمثال ومحيطه البوني، أخلع النحات على البطل زيّا بونيا يتركّب من كتّانة نسيجها رهو ناعم ومن صدرية سبائبها عديدة تشدّها أبازيم. ومهما يكن مصدره، ومهما تكن أسباب حضوره في مطوة، فهو تمثال يجسّد حوارا ثقافيا بين العالم القرطاجي

1. Cornelius Nepos, *Hannibal*, 9.

43



44



45

النحت والحفر على الحجر.

43. تابُوت أحيرم ملك جبيل (متحف بيروت : القرن X ق.م).

44. نصب جنائزي من قرطاج (متحف قرطاج : القرن IV ق.م).

45. نصب نذري عليه صورة عابد يصلّي عثر عليه في توفاة قرطاج (متحف قرطاج : القرن IV ق.م).

والعالم اليوناني ويمكن اعتباره وثيقة تضاف الى أخرى عديدة تثبت وجود مجموعات من الروائع اليونانية يملكها قرطاجيون أو يسعون الى اقتنائها. فيؤسفنا سقوط التماثيل في أفواه التنانير[1] أو في الحريق الذي التهم قرطاج سنة 146 قبل ميلاد المسيح.

أمّا التماثيل التي نجت من جشع المصهر والنهب والنار، فهي نادرة وفي غالبها أشلاء مبعثرة : فهذا راس من رخام اكتشفه بيارسنتاس[2] وتلك صورة إلهة تبوّأت عرشا محفوفا بسَفَنْكُسين[3]. وتجدر الإشارة الى موائد ومقاعد من رخام[4] أطرافها تحكي براثن الأسود وقد نسبها هنري صلادين الى ما بين القرن الثالث والقرن الثاني قبل ميلاد المسيح. وفي قرطاج ورادس ومواقع أثرية أخرى عادت لنور الشمس تماثيل أقروليثية وهي كتل حجرية ترسم عليها الخطوط العامة للتمثال كملامح الوجه واليدين والثياب والحلي حتّى أنّها تكون بين النصب والتمثال : فالرأس واليدان تنحت بأبعادها الثالثة وما تبقى من الجسم يهيّأ على شكل نصب. وتناولت كولات بيكار تماثيل أقروليثية توجد في متحف باردو : فهذا تمثال يصوّر رجلا مقصّر الشعر محلّق الذقن وقد رفع يده اليمنى تيمّنا وتبرّكا وضمّ الى بطنه يده اليسرى وفيها شيئ غير واضح قد يكون مبخرة. وعلّقت الأثارية الفرنسية بقولها :

> ***كانت هذه التماثيل في مدافن القرنين الثالث والثاني قبل ميلاد المسيح تعلو جباب القبور إشارة لموقعها وهي تصوّر الأموات على هيئة مثالية يتميّز بها المُصَلّي***[5].

وفي لبدى الكبرى، بالقطر الليبي، تمّ العثور على رأسي رجلين وتمثالين يصوّر كلاهما شخصا يرتدي الكتّانة القصيرة كما عثر على شظيتين من تمثالين آخرين. و كشفت حفريات صبراطة الغطاء عن تماثيل نحتت في حجر رمليّ

1. Zonaras, IX, 26.
2. Pour des sculptures découvertes à Carthage, P. Cintas, *Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc*, Paris, 1954, p. 97.
3. P. Cintas, «La dame de Carthage», in *CRAI*, 1952, p. 17-20. Il n'en reste que trois fragments.
4. H. Saladin, in *Musée Lavigerie*, II, Paris, 1899, p. 62 et 69, pl. XVI, 1 et XVII, 5.
5. C.-G. Picard, *Cat. du Musée Aloui, nouvelle ser.*, p. 38. Ca. 9.

وقد لمس فيها الأثاري الإيطالي أنطنينو دي فيتا مواصفات النحوت البونية[1]. وفي جزيرة صقلّية مجموعة من النحوت منها ما سمي بتمثال مدينة مرسالة الفنيقي[2] وتمثال الالهة الجالسة على العرش[3] وتمثال ثالث يصوّر أسدا يفترس ثورا[4] وتستأثر جزيرة سردانيا بمجموعة من التماثيل تصوّر الإله باس وكلّها من حجر رملي. ثمّ لا بدّ من ذكر طلعة عثر عليها في منتي سيراي قد تمثّل الالهة عشترت وتعود الى القرن السادس قبل ميلاد المسيح. أمّا تماثيل باس فقد نسبت الى القرن الرابع قبل ميلاد المسيح.

والى جانب هذه النحوت الآدمية والإلهية، وجدت في جزيرة سردانيا تماثيل حيوانية وخرافية : منها سَفَنْكُس من الغرانيت الوردي معروض في متحف قالياري[5] ويعود الى منتصف القرن الثالث قبل ميلاد المسيح. ولكن هل هو نحت بوني الأصل أم أوتي به من مصر ؟ سؤال تعسر الإجابة عنه ! ومنّت حفريات مدينة ترّوس بنحت يصوّر اسدا من حجر رملي[6] مستويّا على وركيه، علّه كان في مدخل أحد المعابد بالمدينة فيما بين القرن الثالث والقرن الثاني قبل ميلاد المسيح. ولئن كانت النحوت قليلة في اسبانيا فلا بدّ من الإشارة الى تمثال صغير من هيصم عثر عليه في مقبرة جَلَيْرة[7] ويصوّر الهة تبوّأت عرشا يحفّ به سَفنكُسَان وكأنّه من فصيلة التماثيل والصوّر التي توجد في قرطاج وفي المدن البونية الأخرى على أنّك تلمس فيه مسحة إيبيرية. وجاءت إلهة جليرة تحمل حوضا بين يديها، ممّا يعطيها ميزة تنفرد بها. أمّا عن توريخها، فقد تعود الصورة الى ما بين القرن السادس والقرن الخامس قبل ميلاد المسيح. وقد تكون متقدّمة عن القبر الذي احتواها. ومن روائع اسبانيا، تمثال امرأة جالسة عثر عليه سنة 1971 ولمس فيه المؤرّخ الإيطالي سابتينو مسقاتي مواصفات الفنّ البوني[8].

---

1. A. Divita, *MEFR*, 80, 1968, p. 46-58.
2. S. Moscati, *I Fenici e Cartagine*, p. 284, fig. à la p. 282.
3. V. Tusa, «La questione di Solunto e la dea femminile seduta», in *Karthago*, XII, 1963-1964, p. 3-14 et pl. IV-V.
4. S. Moscati, *I Fenici e Cartagine*, p. 285, fig. à la p. 282 ; – L. Pareti, *Sicilia antica*, Palermo, 1959, p. 357.
5. G. Pesce, *Sardegna punica*, Cagliari, 1961, p. 77, fig. 67.
6. Id., *ibid.*, p. 81 et fig. 69.
7. M. Chéhab, S. Moscati et A. Parrot, *Les Phéniciens, l'expansion phénicienne, Carthage*, Paris,1975, p. 243 et fig. 279.
8. Id., *ibid.*, p. 243.

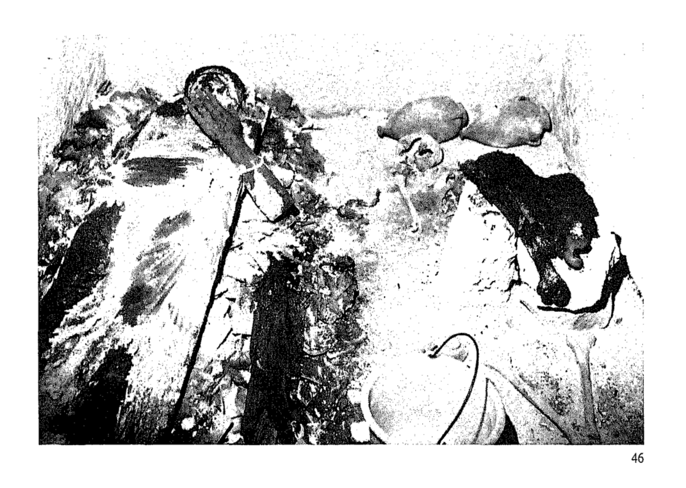
والى جانب النحت الكامل ذي الأبعاد الثلاثة، تعاطى القرطاجيون النحت الساطع والنحت الخافت. ففي قرطاج كانت بعض التوابيت تزدان بصوّر[1] تنحت على أغطيتها نحتا ساطعا أو بارزا وتمثّل رجالا أو نساء. وتجدر الإشارة أيضا الى معظمتين تحلّى غطاء كلتيهما بصورة آدمية تمثّل رجلا طال شعر ذقنه وازدان رأسه بالعمامة. فهل هي صورة ذاتية ؟ قد يكون ! وعلى كلّ فإحدى المعظمتين تحمل اسم صاحب العظام المرمّدة وكان يسمّى بعلشلّك.

ومن التوابيت البونية ما كان يصنع من خشب ولكن قد لا يبقى منها الاّ غبار أسود في بعض الغرف الجنائزية. وكانت الأغطية مزدانة أحيانا بنحوت وزخارف تركت أثرها على الرمل داخل المدافن. ففي احد القبور القرطاجية انتبه الأب دي لاتر الى تابوت من خشب طبعت بصماته على الرّمل داخل الغرفة الجنائزية. لقد شدّت هذه اللقية الطريفة اهتمام العديد من علماء الآثار والتاريخ، وتناولها بالدرس والتحليل هيرون دي فيلفوس الذي قال :

> *يجوز لنا الآن التصديق بأنّ المدافن البونية والقرطاجية منها على وجه الخصوص كانت، الى جانب التوابيت الرخامية ذات الأغطية المزدانة بصور آدمية، تحتوى على توابيت من خشب شبيهة بها وقد تحلّت هي الأخرى بالذهب وبزركشة الألوان الزاهية. أمّا العثور على تابوت منها في حالة جيّدة فلا يعدو أن يكون سرابا*»[2].

1. Sur le couvercle de l'un de ces deux sarcophages, on a sculpté l'image d'un homme barbu; d'une main, il fait le geste de la bénédiction et, de l'autre, il tient un objet identifié à une cassolette à onguent ou à encens. Sur le second sarcophage, on a l'image d'une femme richement vêtue; elle tient une colombe et une cassolette à encens ou à onguent. Cf. S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, IV, p. 207-209.

2. A. Héron De Villefosse, «Les sarcophages peints trouvés à Carthage», in *Monuments Piot*, XII, 1905, p. 328-329.



46

46. تابوت من خشب السرول على غطائه صورة امراة قد تكون عشترت وهي التي تُحيط الأموات بعنايتها. تم العثور على هذا التابوت في قبرٍ من قبور المدفنة البونية التابعة لكركوان والمعروفة باسم مدفنة عرق الغزواني. تم ترميمه في مخابر متحف زوريخ بسويسرا. الصّورة تعكس وضع التابوت فور فتح الغرفة الجنائزية سنة 1970 أثناء الحفريات.
(متحف كركوان : القرن IV ق.م).

على أنّ مفاجأة سارة حدثت في صائفة 1970 لمّا كنّا نزيح التراب عن قبر بوني في مدفنة كركوان. فما أن فتح باب الغرفة حتّى بان تابوت من خشب تعلو غطاءه صورة امرأة حسناء[1] تمثّل، في اعتقادنا، الإلهة عشترت وهي التي يعوذ بها الميت من شرّ الشّياطين[2]. ارتدت سيّدة كركوان كتّانة قصيرة الكمين يعلوها سدل ضمّت طرفيه الى خصرها. والتصقت الكتانة بجسمها كالغلالة وهي من نسيج ناعم رقيق فتلبست بمفاتن أنوثتها. وعمل الزّمن عمله ونخرت الرطوبة الخشب حتّى أصبح كالطين المجبول. ومع ذلك بقيت ملامح الإلهة جليّة وعلى أساريرها تطفو الوداعة والسكينة. واعتلى رأسها شعر مقسّم كتلتين ومصفف سبائب تتحلّى بتجاعيد ترنولها العين باعجاب ومتعة. أمّا القلنسوة فهي من نوع البولوس، مستديرة الشكل قليلة الإرتفاع.

والى هذه النحوت الخشبية لا بدّ من ذكر رأس ساهم في زخرفة بعض ما يؤثث به البيت، علّه سرير أو أريكة. لقد عثر على ذلك الرأس الخشبي في سمك طبقة الرماد التي تراكمت على أرض قرطاج من جرّاء الحريق الذي زوى المدينة في سنة 146 قبل ميلاد المسيح[3]. وفي كتاب لهما عنوانه "الحياة اليومية في قرطاج زمن حنّبعل" أشار جلبار بيكار وزوجته الى رأس من خشب الأرز مذهّب قد يصور الإلهه دمترة، مع العلم أنّه وجد في مخبإ منقور تحت معبدها في حي سانت مونيك بقرطاج[4].

ولم تكن هذه التوابيت مقصورة على قرطاج وأفريقة بل كانت معروفة في بقاع أخرى من العالم البوني : ففي قبر من قبور بنتو دي لافكا بالقرب من قادس باسبانيا، عثر على تابوت غطاءه يتحلّى بصورة رجل شعره كثيف وقد سدل يمناه وضمّ الى صدره يسراه[5]. ولكن هل هو صنع محلّي أم عمل الجزخارج

1. Le bois étant pourri et gorgé d'eau, il fallait procéder à la refermeture du caveau afin d'y maintenir le micro-climat ambiant.
2. Pour ce sarcophage, cf. M.-H. Fantar, «Un sarcophage en bois à couvercle anthropoïde découvert dans la nécropole punique de Kerkouane», in *CRAI*, 1972, p. 340-354.
3. L. Poinssot et R. Lantier, *CRAI*, 1927, p. 207-208.
4. C. et G.-Ch. Picard, *La vie quotidienne à Carthage*, p. 104. Monique Tillot a déclaré avoir vu cette tête sortir d'une tombe de la néocropole punique d'Ard el-Ghazouani au Cap Bon. En la remettant à G.-Ch. Picard, on lui affirma qu'elle avait été trouvée à Sainte-Monique .
5. M. Chéhab, S. Moscati et A. Parrot, *Les Phéniciens, l'expansion phénicienne, Carthage*, p. 251 et fig. 289.

تلك الربوع وتمّ توريده كغيره من البضاعات؟ تلك قضيّة مازالت محور جدل بين المختصّين.

وساهمت جزيرة صقلّية في اثراء هذا الملف بنحتين عثر على كليهما في قنّيطة بالقرب من مدينة صُلُنْتُو[1] : أحدهما يصوّر إلها أو بطلا أسطوريا وهو يجهز على وحش مجنّح[2]. فهل ذاك تجسيد لأسطورة سامية فنيقية أم قراءة بونية لأسطورة يونانية تقصّ مصارعة بلّيروفون لشميرة ؟ أمّا النحت الثاني، فيبدو عليقا بمعنى الخصوبة وهو يصوّر أربع نساء عاريات يطفن بنصب عمودي قد يرمز الى الميمون ومعهنّ رجل لا يكسوه سوى وزرة قصيرة[3]. إنّها رقصة مقدّسة ترقصها النسوة بحثا عن الخصوبة. فتراهُنّ يقمن بحركات طقوسية لن نفهمها ما لم يأت نصّ يسعفنا ويبيّن ما استعجم من الحركات. وفيما يتعلّق بتوريخ هذين النحتين فمازال المختصّون يتأرجحون بين القرنين الرابع والثالث قبل ميلاد المسيح.

النّصب

لقد تكدّست في المخازن آلاف النّصب تمّ العثور عليها في عديد المواقع الأثرية، ومن أهمّها قرطاج وهدريم وهي المدينة التونسية التي نسميها اليوم سوسة وسمّاها الرّومان هدروميتوم. ومن النّصب والقففة (مفردها قِفٌّ وهي من المعرّب تعريبا صوتيا) ما التقط أثناء حفريات وتيكة ومكثر ودقّة وطبرسق بالقطر التونسي وكرطن وسيجن بالقطر الجزائرى وصبراطة وويّة بليبيا ومطوة بصقلّية وتزّوس ونورة وسلشيس ومنتي سيراى بسردانيا.

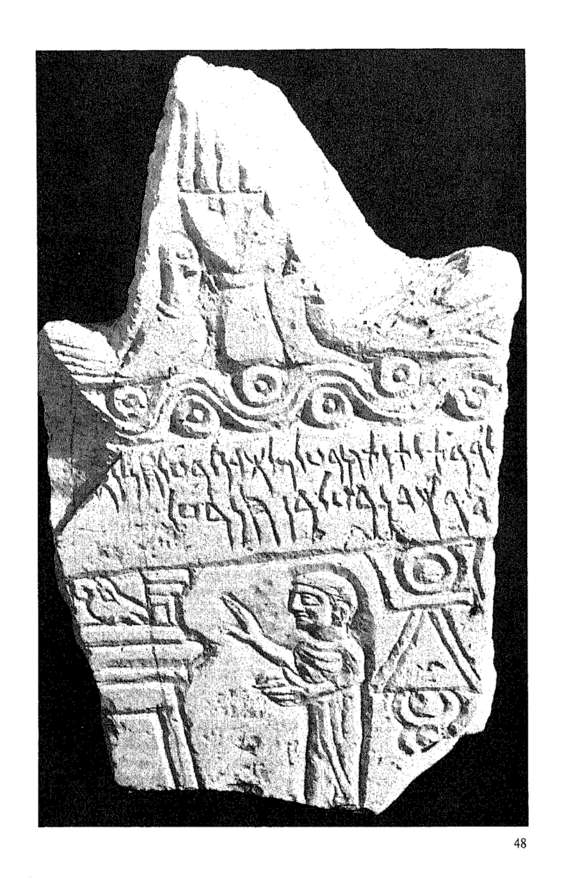
لقد أشبع الأثاريون والمؤرخون تلك النصب والقففة درسا وتحليلا موظفين إيّاها، مستنيرين بها، بحثا عمّا يعرّف بخفايا قرطاج وحضارتها. وتعاقبت

1. M. Chéhab, S. Moscati et A. Parrot, *Les Phéniciens, l'expansion phénicienne, Carthage*, p. 207, fig. 227.
2. S. Moscati, *I Fenici e Cartagine*, p. 293, fig. à la p. 292.
3. *Op. cit.*, p. 293. Pour ce bétyle, cf. aussi P. Cintas, *Rev. Afr.*, 100, 1956, p. 275-283 ; – C. et G.-Ch. Picard, *La vie quotidienne à Carthage*, p. 157.



47

47. قِفٌّ من توفاة قرطاج نحت في كتلة من حجر رملي. يصوّر مدخل قدس عناصره متتالية متداخلة تنضيدا من الباب الخارجي نحو قدس الأقداس مِمّاً يجعل تضاؤل النور يتوازى مع ازدياد الرهبة تأسِيّا بتقاليد العمارة الدينية المصرية الفرعونية. ويعلو مدخل هذا القدس المختزل افريز ذو حلق مصري يتوسطه قرص يرمز إلى شمس بعل حمون نظير الإله المصري رع.
(متحف قرطاج : القرن V ق.م).



48

48. نصب نذري من توفاة قرطاج يصوّر عابدًا رفع يمناه طلبا للبركة وفي يسراه تقدمة وقد مثل أمام مذبح عليه رأس الذّبح وقد تشير الصورة إلى العابد الوارد اسمه في النقيشة وهو أدُنِبَعْلُ بن حنبعل.
(مخازن المعهد الوطني للتراث : القرن III ق.م).

الدراسات التأليفية المونغرافية وتعدّدت الدواوين. ودراسات أخرى تناولت الأشكال والمضامين[1]. فقد يرتدي القِفُّ شكل عرش شاغر وقد يكون العرش مشغولا يقام عليه بَيْتَلٌ أو رمز إلهي. وتتخذ البياتل (مفردها بيتل انظر فهرس المصطلحات) والرموز الالهية أشكالا مختلفة كالمعين والقنينة وتصوّر بعض القففة نواويس أو مظلات تخصّص للحرومات. وجدت قِفَفَةٌ من هذه الفصيلة في قرطاج وترّوس وفي مواقع أثرية بونية أخرى. ففي توبربو ميّوس بتونس كشف الغطاء عن ناووس[2] مدخله يعكس تأثير العمارة اليونانية : من ذلك أساطينه اليونية وجبهته الثلاثية والدرر والقريصات والقلوب وأسنة الرمّاح وغيرها من الزخارف التي تزدان بها العمارة اليونانية. أمّا تاريخ ذلك الناووس فهو في نظر ألفريد مرلين لا يتعدّى حدود القرن الثاني قبل ميلاد المسيح.

1. Pour les stèles et cippes de Carthage, la bibliographie est déjà considérable; citons en C.-G. Picard, *Catalogue du Musée Alaoui, nouvelle série (collections puniques)*, Tunis, s.d., 2 vol. ; – P. Bartoloni, *Le stele arcaiche del tofet di Cartagine*, Roma, 1976 ; – Pour les stèles de Sousse, cf. P. Cintas, «Le sanctuaire punique de Sousse», in *Rev. Afr.*, 90, 1947, p. 1-80 ; – M.-H. Fantar, «Stèles épigraphes du Tophet de Sousse», in *Reppal*, IX, 1995, p. 25-47 ; – S. Moscati, «Studi sulle stele di Sousse», in *RANL*, Série IX, vol. VII, fasc. 2, 1996, p. 246-282 ; – Les stèles d'Utique ont été présentées par J. Ferron dans *Mort-dieu de Carthage*, Paris, 1975, p. 40-41, 235-245 et 256-259. La cité punique de Kerkouane a livré trois stèles, sans doute votives, à en juger par la morphologie, cf. M.-H. Fantar, *Kerkouane*, III, Tunis, 1986, p. 323-325, pl. CLVI-CLVIII. Le sanctuaire punique d'El-Hofra à Constantine, l'antique Cirta, capitale du royaume numide de l'Est, a livré de nombreuses stèles qui se trouvent en partie à Constantine même et en partie au Louvre, cf. A. Berthier, et R. Charlier, *Le sanctuaire punique d'El-Hofra à Constantine*, Paris, 1955; pour les stèles déposées au Louvre, cf. F. Bertrandy et M. Sznycer, *Les stèles puniques de Constantine*, Paris, 1987. A propos de deux stèles découvertes à Siga, cf. M. Bouchenaki, «Recherches Puniques en Algérie», in *Ricerche puniche nel Mediterraneo Centrale*, Roma, 1970, p. 62-63. Pour d'autres stèles provenant du même site, *BAA*, IV, 1970, p. 9 . Les stèles épigraphes de Lixus ont été étudiées par J.-G. Février dans *Inscriptions antiques du Maroc*, Paris, 1961. Les stèles de Tripolitaine n'ont pas encore fait l'objet d'une étude exhaustive, cf. A. Di Vita, «Influences grecques et tradition orientale dans l'art punique de Tripolitaine», in *MEFR*, 80, 1986, p. 14-15 ; – L. Taborelli, *L'area sacra di Ras al-Munfakh : le stele, supplemento della Rivista di studi Fenici*, XX, Roma, 1992. Pour les stèles de Motyé, cf. S. Moscati et M.-L. Uberti, *Scavi a Mozia : Le stele*, Roma, 2 vol., 1981. Pour les stèles de Tharros, *idem*, *Scavi al tofet di Tharros, I monumenti lapidei*, Roma, 1985 ; – cf. aussi G. Tore, *Due cippi-trono del tofet di Tharros*, in *Studi sardi*, XXII.1971-1972, p. 3-152. Pour les stèles du Sulcis, cf. P. Bartoloni, *Le stele di Sulcis*, Roma, 1986 et S. Moscati, *Le stele di Sulcis, caratteri e confronti*, Roma, 1982. Pour les stèles de Monte Sirai ; – cf. S.-F. Bondi, *Le stele di Monte Sirai*, Roma, 1972. Pour les stèles de Nora cf. S. Moscati et M.-L. Uberti, *Le stele puniche di Nora nel Museo Nazionale di Cagliari*, Roma, 1970.

2. A. Merlin, *CRAI*, 1912, p. 350-354. C. Picard, *Karthago*, XVII, 1976, p. 100-101.

وتتميّز النّصب هي الأخرى بأشكالها المتنوّعة : فهذا تعلوه جبهة ثلاثية مطرّفة وهذا نحتوه على شكل مسلّة ومنها نصب الكاهن والطفل وهو من الأنصاب القرطاجية المعروفة في متحف باردو. فهي على اختلافها، تحمل رسالة كتبت بالحرف والصّورة : فهذا نصب نقش عليه طلسم تانيت أو ما يسمّى كذلك وذاك نصب عليه القنينة والقرص والهلال وهذا نصب ثالث تحلّى بالكوكب والمثلّث والمعين والمربعات المتداخلة وترى على نصب أخرى أدوات تشير الى عالم الصناعة أو الفلاحة أو الملاحة كالقارب والمقود والمرساة والجدف والمنجل والمطرقة والمسطار الى جانب صور آدمية وأخرى حيوانية أو نباتية. وأشار المختصون[1] الى ثراء هذه الصور على اختلاف تقنيات إنجازها : فهذه نقوش مسطّحة وتلك نقوش بارزة أو محفورة ويبدو أنّ القرطاجيين والبونيين عامة كانوا يُتْقِنون النحت المسطّح. يظهر ذلك جليّا على نصب طويلات القوائم وهو من توفاة صلامبو ويوجد في متحف قرطاج واعتبره جلبار وكولات بيكار روعة من روائع النحت البوني قائلين :

> *وممّا يزيده قيمة أنّه عمل لا يبدو فيه الفنّان مُقلّدا تقليدا أعمى*[2] .

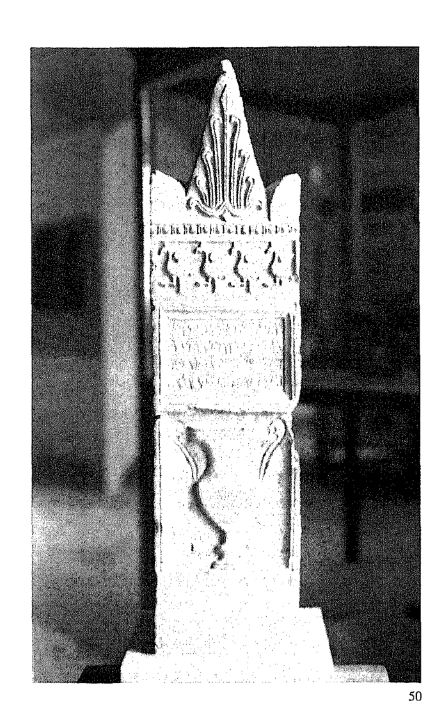
ذلك أنّ موضوع طويلات القوائم متجذّر في أعمق طبقات الحضارة المشرقية. فالنصب القرطاجي يذكّر بوعاء من فخّار سَمَرّائيّ[3] كما يلفت النظر الى كوب من سوسى العِلاّمية : فوعاء سَمرّاء يعود الى الألف الخامسة والكوب يتنزّل ضمن الألف الرابعة قبل ميلاد المسيح. وقد رسمت على كليهما رباعيات الأقدام وطويلات القوائم بالوان نباتية أو معدنية وتراها تطوف وترقص رقصا قدسيّا[4]. أمّا عن مصدر طويلات القوائم في قرطاج فلا ينبغي البحث عنه في سُوسَى العِلاّمية ولا في سمّراء، بل يجب البحث عنه على سواحل الشام.

1. C.-G. Picard, *op. cit.*, 67-138, et *Karthago*, XVIII, 1978, p. 5-116 ; A.-M. Bisi, *Le stele puniche*, Roma, 1972.
2. C. et G.-C. Picard, *La vie quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal*, p. 93.
3. A. Parrot, *Sumer*, Paris, 1960, p. 44 : céramique de Samarra, V° millénaire.
4. Id., *ibid.*, p. 61 et fig. 79.



49

49. نصب من توفاة قرطاج تعلوه جبهة ثلاثية مطرّفة. يحمل نقيشة بالحرف البوني وتحلّى بزخارف منصوصة منها سعيفات مختزلة حتّى باتت أوراقها كرؤوس ثعابين مُشْرَئِبّةٍ وفي الأسفل نشاهد سَفَنْكَسَةً مجنّحَةً منتصبة على عَمود يُونِيٍّ مَخْدُود.
(متحف قرطاج : القرن IV ق.م).



50

50. نصب من توفاة قرطاج تعلوه جبهة ثلاثية الشكل مطرفة عمّرتها سعيفة مختزلة الأوراق حتّى كأنها ثعابين مشرئبّة الرّؤوس ومن زخاريفها رقصة تنفّذها مجموعة طيورٍ من ذات القوائم الطويلة وفي السجّل الأسفل قِنثارٌ مخدود البطن له عروتان عموديتان متناظرتان وقاعدة يتلاحق فيها التقوير والتجويف وتتوسط النصبَ نقيشةٌ حرفها بونيّ ومضمونها نذر توجهت به امرأة تدعى مَتَنْبَعْلُ زوجة أطُنَأ بنت خملكة السّبط. فيبدو أنّها من أسرة وجيهة ولم يكن زوجها من أصل قرطاجي ولم تذكر له النقيشة نسبًا.
(متحف قرطاج : القرن IV ق.م).

والى جانب النحوت المسطّحة والنحوت البارزة لا بدّ من التنويه بالصورة المحفورة في أديم النصب. وقد كان الحفر في الحجر شائعا في قرطاج، ونستشفّ ذلك على نُصَبٍ عديدة منها نصب الكاهن والطفل : فالورود المحوّطة والبويضات والذّوائب والدلفينان كلّها صور محفورة في أديم النصب. ومن الأعلاق البونية التي يفخر بها متحف باردو مجموعة نُصَبٍ تتحلّى بزخارف محفورة متنوّعة[1] : ركائز تعلوها تيجان أيّولية وكواكب وأسنة رماح وطيور متناظرة وأغصان الخرشف وحجنات العشقة ونخل من طلعها قنوان دانية[2] وأشخاص في مواقف ومشاهد مختلفة : فعلى أحد تلك النّصب ترى شخصا رافع اليدين يصلّي. فهل هو كاهن ؟ أمّا الحركة، فهي معروفة في طقوس العبادة منذ قديم[3] تشبه حركة المصلّي المُسلِم عند التكبير. وعلى نصب آخر تشاهد طلعة شخص ارتدى كلميدًا أي دثارا قصيرا وعلى وجهه مسحة من الحزن أو من التأثّر تلك التي تتميّز بها نحوت إسقوباص فكانت روعة منقطعة النظير. فهذا العمل بما فيه من الإتقان والمتانة، يشهد أنّه من سبك يدّ متمكّنة ماهرة[4] ويبدو أنّ الزخرفة كانت من حظّ نُصَبٍ فصّلت على شكل مسلاّت من الحجر الكلسي الصّلد.

أمّا خارج قرطاج فالنحوت البارزة كانت أثيرة لدى الحرفيين وحرفائهم لا سيما في كرطن الجزائرية ومطوة في صقليّة وترّوس السردانية. على أنّ الزخارف المحفورة لم تنعدم لكنّها كانت ضئيلة الحضور. بقي النحت المسطّح : ففي مطوة يوجد نصبان توأمان ملتصقان الواحد بالثاني وقد أقيما على قاعدة واحدة ونحتا في كتلة حجرية واحدة. وعلى أديم كليهما ترى صورة شخص جانبية يمشي رافعا يده تعبيرا عما لم نستطيع إدراك مضمونه بكل دقّة ووضوح.[5] ولم تقتصر المناحت البونية في صقلية على الصوّر المسطّحة بل كانت تتقن سبك الأشكال البارزة : فهذا نصب عليه صورة إلهة شدّت يديها الى نهديها.[6] إشارة الى خصوبتها ووعدا بخصوبة الأرض والأحياء من إنسان

---

1. C.-G. Picard, *Cat. du Musée Alaoui*, nouv. sér., Cb. 447, p. 148 ; – M.-H. Fantar, *Le Bardo, un palais, un musée*, Tunis, 1989, p. 54.
2. Id., *ibid.*, Cb. 442, p. 147.
3. Id., *ibid.*, Cb. 449, p. 149. M.-H. Fantar, *op. cit.*, p. 55.
4. G. Picard, *Le monde de Carthage*, Paris, 1956, p. 55 et 66.
5. S. Moscati et M.-L. Uberti, *Scavi a Mozia : Le stele*, p. 251, n° 960, pl. CLXXIV.
6. Id., *ibid.*, p. 221, n° 820, pl. CXIIV, etc.



51. نصب من توفاة قرطاج فصّل من حجر الكلس على شكل مسلة رُسِمَتْ عليها حفرًا صورة مدخل مَعْبَد تعلوه جبهة مثلثة عمّرها الهلال والقرص وهما ثنائيّ سَماوي يمثل الأزهرين (الشمس والقمر) ومن الطريف أن نشاهد داخل القرص طلّة ثور أو عجل علّه يرمز إلى بعل حمون مالك القُدس الذي يعرف باسم التوفاة. أما مدخل المعبد فقد جاء محفوفًا بعمودين أيُوليّين ارتكز كلاهما على قاعدة مجوّفة الجانب مسندة. ومِنَ حرومات المعبد طلسم تانيت كما نشاهد طلعة شابٍّ على رأسه قلنسوة طريفة الشكل لكنها لم تحجب ذوائب شعره الحجناء. فهل هو أشمن خلص بن جر عشترت صاحب النذر؟ قد يكون. (متحف قرطاج : القرن IV ق.م).

وحيوان ونبات. وهذا نصب عليه صورة امرأة تداعب دفّا وقد ضمّته الى صدرها.[1] أمّا الآلهة والرجال فصورهم تبدو غالبا جبهوية هيرلدية[2].

وكذلك الشأن في سردانيا : فالنحّاتون يؤثرون النحوت البارزة فيصوّرون العازفة على الدفّ والمتعبّد في مصلّى يزدان مدخله بحلق مصرّي أو بجبهة ثلاثية من طراز يوناني تحملها أساطين أو ركائز.[3] وكانت النحوت المسطّحة متداولة في منتي سيراي[4]. ومهما يكن شيوع هذه النحوت بصنفيها، فلا بدّ من إشارة الى نُصَب تحمل رسوما هندسية محفورة التقط بعضها في سلشيس[5] وبعضها في نورة[6] لكنّه عمل عاديّ لا يتحمل المقارنة مع النقش القرطاجي.

و لا شك انّ الصوّر التي تتحلّى بها النّصب، محفورة كانت أو منحوتة، تختزل جوهر الخطاب وهوأسلوب قائم على إحترام طقوس ومصطلحات متفق عليها ضمنيا تعود الى رصيد موروث متجذّر مشاع. فرموز كطلسم تانيت والقنينة و الشمس والقمر والكواكب والسعيفة والوردة والحجنة وغيرها من الصور الهندسية والنباتية مازالت تبخل بأسرارها علينا. على أنّ زخرفة النُّصَب لم تقتصر على الرّموز بل تجرّأت وخرجت من دروب موروثة لتكرع من جمال الطبيعة وصخب الحياة اليومية. ومن هذه وتلك استمدت قرطاج طرافتها وخصوصيتها حتّى تميّزت إبداعاتها عمّا يوجد في مواقع أخرى من أفريقة والجزر. لقد أرادت مدينة كرطن السير وراء قرطاج والاقتداء بها لكن الحرفيين فيها بقوا دون القرطاجيين زملائهم[7]. وهذا حكم ذاتيّ لا يقصي أحكاما أخرى وآراء قد تكون مختلفة جديرة بالإعتبار.

---

1. S. Moscati et M.-L. Uberti, *Scavi a Mozia : Le stele*, p. 237, n° 896, pl. CLIX.
2. Id., *ibid.*, p. 241, n° 913, pl. CLXII, etc.
3. P. Bartoloni, *Le stele di Sulcis*, Roma, 1986, pl. XLVI, 265; pl. LXXV, 487, etc.
4. S.-F. Bondi, *Le stele di Monte Sirai*, Roma, 1972, pl. XVII, 33 etc.
5. P. Bartoloni, *op. cit.*, pl. XIV-XV.
6. S. Moscati, «Stèles puniques de Nora», in *Hommages à A. Dupont-Sommer*, Paris, 1971, p. 101 et fig. 4.
7. Peut-être faut-il signaler que, par leur iconographie, quelques stèles de Cirta peuvent rappeler Carthage ; on y rencontre des animaux, des outils, etc. Pour ces motifs, cf. A. Berthier et R. Charlier, *Le sanctuaire punique d'El-Hofra à Constantine*, Paris, 1955, p. 197-203 et 211-213. F. Bertrandy et M. Sznycer, *Les stèles puniques de Constantine*, Paris, 1987, p. 69-76.

الفصل الثالث

المثالة

والى جانب النّحت والحفر على الحجر، ساهمت الأرض بطينها لسبك صوّر تتباين أشكالها وأحجامها وألوانها، وتتميّز بوفرتها. فما انفك الأثاريون يخرجونها من الغرف الجنائزية أو من بيوت أقيمت للعبادة. ومنها ما تم التقاطه بين أطلال معالم أخرى لا علاقة لها بشؤون الموتى ولا بالعالم القدسيّ : إنّها دمى ونقوش وأقنعة كلّها من طين مفخور سبكت بالقالب. وقد يكون لليد إسهام مباشر لإضافة بعض العناصر أو لمزيد من الدقّة. فأقدم هذه الصوّر يعود الى القرن السابع وأحدثها يزامن سقوط قرطاج في القرن الثاني قبل ميلاد المسيح.

ومن بين هذه الفخاريات، توجد بعض القوالب كانت تستخدم لسبكها ويمكن مشاهدتها في العديد من المتاحف المغاربية[1] وفي متاحف سردانيا[2] وصقلية[3] واسبانيا[4] وغيرها. تصور هذه الدمى آلهة وآلهات، كما تصوّر أودام

1. Z. Chérif, *Terres cuites puniques de Tunisie*, Unione Accademica Nazionale, Bonsignori editore Roma, 1997 ; – G. Vuillemot a publié des empreintes et reliefs de terre cuite, cf. *Reconnaissances aux Echelles puniques d'Oranie*, Autun, 1965, p. 30.

2. S. Moscati, *I Fenici e Cartagine*, Torino, 1972, p. 343-352 ; – Id., «Figurine puniche da Oristano», in *RSO*, 43, 1968, p. 235-238 ; – M.-L. Uberti, *Le figurine fittili di Bitia*, Roma, 1973.

3. A.-M. Bisi, «Una statuetta cipriota del Museo di Palermo e il problema dell'influenza cipriota sulla coroplastica punica», in *Sicilia archeologica*, 5, 1969, p. 31-37 ; – S. Moscati, «Nuove figurine puniche a Mozia», in *RANL*, ser. V.II, 25, 1970, p. 383-388 ; – F. Bevilacqua, «Considerazione sulle terracotte a stampo», in *Mozia*, VII, Roma, 1971, p. 113-117, pl. LXXVIII-LXXIX.

4. Maria Pilar San Nicolas Pedraz, *La terracotas figuradas de la Ibiza punica*, Roma, 1977 ; – Maria Jose Almagro Gorbea, *Corpus de las terracotas di Ibiza*, Madrid, 1980.



52

52. طلّة في شكل قناع من طين مفخور تُصور وجه امرأة على ملامحها وخمرتها مسحة مصرية فرعونية.
(متحف باردو : القرن V ق.م).

53. الإلهة اللّبوة : تمثال من طين مَفْخُورٍ عثر عليه في معبد تنسمات قرب بئر بورقبة على بعد 60 كلم جنوب تونس العاصمة.
(متحف نابل : القرن I ب.م).

54. تمثال من طين مفخور يصور الإله بعل حمون : من حرومات معبد تنسمات.
(متحف باردو : القرن I ب.م).



54



53

وهم يعيشون حياتهم اليومية في الشارع والبيت : هذه تانيت المرضعة وهذه عشترت وتجد أرتيميس وديمترة وهذا بعل حمون جالس على عرش يحفّ به سفنكسان. وهذه عازفات على المزمار أو ناقرات على الدفّ أو راقصات. وتجد المهرّج وترى المرأة وهي تصنع الخبز[1].

و من الزخارف المسبوكة بالقالب[2] على شكل نحوت بارزة صور الهية منها فارس الدواميس وهو يملأ فضاء نوط لا يتجاوز قطره 9 سنتمترات وسمكه سنتمتران اثنان. وقد التقط في قبر قرطاجي تابع لمدفنة الدواميس يعود الى القرن السادس قبل ميلاد المسيح. تبرز صور الفارس كالنحت البارز وعلى رأسه حذوة يعلوها عرف يتدلى على كتفيه. وقد امتطى صهوة جواد عَريٍّ. وعلى رأسه وعنقه سبيب كثيف تدلّت خُصَلُه متوازية. ومسك الفارس بيمناه الشكيمة وبيسراه شدّ ترسا ورمحا. وترى الى جانب الحصان كلبا يعدو وقد تحلّى عنقه بساجور. وعانقت الشمس القمر كأنّهما يشهدان بإلهية الفارس[3]. ثمّ لا ننسى السوسنة التي تفتّحت أمام الجواد تخالها أينعت لتهديه أريجها.

وفي مدينة كركوان وجدنا لوحة من فخّار أقهب ضمن طبقة أثرية تعود الى القرن الثالث قبل ميلاد المسيح : طولها 11 سنتمترا وعرضها ثمانية وسمكها سنتمتر واحد. عليها صورة فارس امتطى صهوة حيوان خرافيّ يجمع بين الحصان والسّمكة : فهو حصان برأسه وعنقه والقائمتين الأماميتين[4]. وما تبقّى فتراه يتثنّى كالسّمكة الطويلة ذيلها مزهر له نويرات ثلاثة. وللسمكة زعانف مختلفة الحجم والشكل :فمن أعلى تقويرة الذيل تنطلق زعنفة تحكي المثلّث وتتلوها من اليمين الى اليسار زعنفتان :الأولى ثلاثية تتلو تقويرة البطن والأخرى ثنائية ملتصقة بصدر الحيوان. و للزعانف فروع. أمّا الحصان فله سبيب خُصَله كثيفة مسدولة متوازية. وازدان عنقه بنشفة مسجّفة. وقد أدار الحيوان رأسه متجها الى راكبه الذي أصبح محفوفا برأس مطيته وذيلها المتفتّح

1. P. Cintas, «Taboun», in *Oriens Antiquus*, I, 1962, p. 233-244 et pl. LVI-LVII : il s'agit d'une femme en train de coller une galette au four à pain. Son enfant assiste à l'opération.
2. Miriam Astruc, «Empreintes et reliefs carthaginois de terre cuite», in *MEFR*, 71, 1959, p. 107-134.
3. A.-L. Delattre, «La nécropole de Douimès (à Carthage), Fouilles de 1895-1896», in *MAF*, LVI, 1897, p. 342-343.
4. M.-H. Fantar, «Le cavalier marin de Kerkouane», in *Africa*, I, 1966, p. 19-30.

كالسوسنة. فهو ينظر الى أمامه وعلى رأسه قلنسوة مستديرة الشكل يبدو أنّها دخلت قرطاج والمدن البونية الأخرى عن طريق مدينة صور وقد أخذها الفنيقيون عن الفرس فيما بين نهاية القرن الخامس ومنتصف القرن الرابع قبل ميلاد المسيح كما تثبته نقود من ضرب دار السكّة في صور.

ارتدى الفارس وزرة قصيرة تبدو كالسبائب المسدولة، وتراه يداعب المطيّة بيمناه ويرفع بيسراه عدقة ثلاثية الأسنان تشبه تلك التي يتخذها بوسيدون، اله البحر عند اليونان، وورثها عنه نبتونوس الروماني. ففي ضوء ما سبق، يرجّح أنّ لوحة كركوان تقدّم صورة إله بحري. فهل هو يمّ ذاك الذي أوردت ذكره ووصفت مأساته رقم أوجاريت في عصر البرونز ؟ قد يكون ! ولكن لم يرد في النصوص الفنيقية ولا في النقائش البونية ما قد يشير اليه. فهل هو ملقرت الذي يتجلّى على نقود ضربت في مدينة صور وهو يمتطي صهوة جواد بحري وعلى رأسه قلنسوة تشبه تلك التي شاهدناها على رأس فارس كركوان البحري ؟ أم هو الإله بعل الذي قضى على يمّ وحلّ محلّه على عرش البحر؟ تلك افتراضات يعسر البتّ فيها ! والثابت أنّ الديانة البونية لم تخل من إله بحريّ جسّده الخيال في صورة فارس يمتطي جوادا بحريّا وقد رفع عدقته عالية وكأنها ترمز الى السيطرة على البحر.

ولم تنفرد مدينة كركوان بمثل ذلك التجسيد لإله البحر، بل ثبت وجوده في تامودة بالمغرب الأقصى[1]. فهو تَصَوُّرٌ مشرقيّ الأصل تسرّب الى الأقاليم القرطاجية البونية، وقد تكون النّميات مسؤولة على ذلك. وكنّا قد أشرنا الى نقود ضربت في صور وعليها الإله ملقرت راكبا حصانا بحريّا[2].

ومعلوم أنّ النقود تساهم مساهمة فعّالة في نقل الصوّر والزخارف ونشر العناصر الإيقونغرافية. ولا أدلّ على ذلك من نوط بيضوي الشكل، أحمر اللّون، ذرع محوره الأكبر 10 سنتمترات وعلى وجهه ترى كدريجا (أي عربة يجرّها أربعة جياد) اعتلته إلهة النصر وقد فتحت جناحيها ومسكت بالشكائم تنهر الجياد[3]. والنوط محاط بقلادة محببة كأنها سجاف، تشبه تلك التي نشاهدها على

1. M. Tarradell, *Marruécos pùnico*, Tétuan, 1960, p. 112, fig. 31.
2. E. Babelon, *Traité des monnaies grecques et romaines*, II, Paris, 1910, p. 165 et suiv., pl. CXXII, n° 10,11,15,16,22,26, etc. Le cavalier du n° 16 porte une coiffure tout à fait semblable à celle du relief de Kerkouane.
3. M.-H. Fantar, *Kerkouane*, III, Tunis, 1986, p. 312, pl. CXXXIII.

بعض النقود. وثبت فعلا أنّ النوط الكركواني مقتبس من نقود يونانية ضربت بمدينة سرقوسة بصقلّية بل كأنّه نسخة تحكي أصلها في كل عناصره[1] : فلقد اتّخذها المثّال البوني نموذجا. و الطريف أنّه حفر عناصر الصورة على ظهر النّوط لتكون قالبا يساعد على انتاج عديد النّسخ لعرضها على الحرفاء.

هكذا يتجلّى دور النقود واضحا في نقل الصوّر ونشرها، كما يوثّق التراشح الثقافي بين العالم البوني والعالم اليوناني. والصّورة، مهما كانت، لم تكن أبدا بريئة بل تتضمّن ثقافة وتنقل المعلومة حول المادّة وما قد يتجاوزها : فهي تقنيات ومهارات ومعتقدات وتقاليد وغيرها. وفضلا عن كلّ ذلك، يمدّنا هذا النّوط الكركواني بطريقة عمل كان يتعاطاها المثّالون : فقد كانت لهم قوالب منظمة واضحة المعالم، تَنْصيصُها على رفوف المصنع يسير.

وما دمنا نتحدّث عن هذه القوالب الفخّارية فلنذكر تلك التي تصوّر وحوشا وحيوانات بحرية ومنها سَقُولة[2] والدلافين وأسماك أخرى. وقد يجدر بنا التوقّف عند بعض هذه القوالب وصورها : فلقد عثر في مدينة كركوان على قالب حفرت عليه صورة سَقُولة وهي وحش بحري لها طلعة امرأة وطباء، شعرها كثيف مفروق، صفّف سبائب متوازية، وعلى كتفيها عباء شدّت قبّته الى عنقها فتراه يتموّر في الهواء وقد نفخت فيه الريح فضلّ يرقص ويتثنّى بعنف أنيق. كما تشهد به طيّاته المقوّرة المجوّفة. وبيسراها مسكت سقولة قذيفة كُريّة قد تكون حجرة، وكأنّها تستعدّ لإلقائها على كائن لانراه. فهل تجاسرت سفينة على المرور عبر مناطق نفوذها ؟ قد يكون ! أما باليد اليمنى الممدودة، فقد قبضت على أخطبوط ضغطت عليه تعبيرا عن حفيظتها وتمريرا لها. أما عن كسوتها فقد اتخذت من بعض أوراق الخرشف وزرة، وانبثق من خصرها طلّتا كلبين متناظرين. وتفرّع جسمها من تحت وزرتها تنينين ملتويين لم ينس المثّال تصوير حراشفهما ولا أسنان شدقيهما كأنه أراد إشارة الى العنف والفظاظة. لقد عرف البونيون هذا الوحش البحري الخرافي واكتنز في بنك خيالهم واستفادوا منه عند الحاجة.

1. M.-H. Fantar, *Eschatologie phénicienne-punique*, Tunis, 1970, p. 20, n° 85 et pl. XVII. Cette monnaie se trouve au Musée de Syracuse.

2. Id., «La mer dans la mythologie et l'iconographie des Phéniciens-Puniques», in *Africa*, III-IV, 1972, p. 59, pl. V, 1-2.



55



56

55. لوحة من طين مفخور عليه صورة إله البحر عند البونيين. (متحف كركوان : القرن III ق.م).

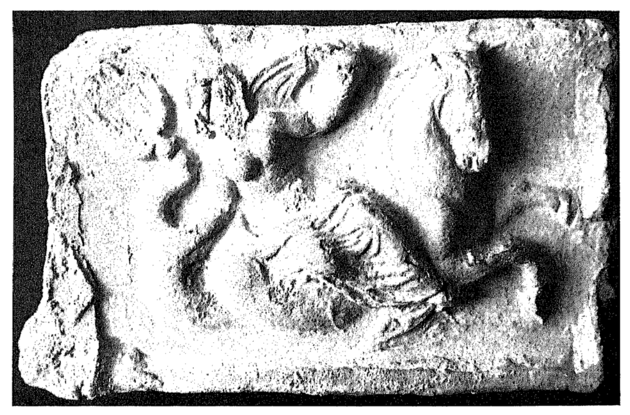
56. قرص من طين مفخور عليه صورة سقولة. (متحف كركوان : القرن III ق.م).



57

57. قرص من طين مفخور عليه صورة إله ذو طلة أدمية ورجلين أفعوانيتين فهل هوّ تريتو الاغريقي ام كوشر الكنعاني ؟
(متحف كركوان : القرن III ق.م).

58. لوحة من طين مفخور عليها صورة امرأة وطباء على صهوة حصان بحري : فقد تكون نيردة أصولها اغريقية.
(متحف قرطاج : القرن II ق.م).



58

ليس المجال هنا لتدوين ثبت شامل لصورة سقولة في قرطاج وفي غيرها من المدن البونية. فلقد رسموها نحوتا بارزة[1] على واجهات بعض التوابيت الرخامية كما حفرت صورتها على البرونز. وتجدر الإشارة هنا الى شفرة تمّ العثور عليها في قبر بمدينة وتيكة زبرت عليها صورة ذلك الوحش البحري[2] على أنّ الصورة البونية لهذا الوحش تبدو مقتبسة من المصَوَّرَة اليونانية.

ويضاف الى هذه الصوّر التي أوحى بها البحر قالب من طين مفخور وجد بمدينة كركوان. قطره 11 سنتمترا يمثّل صورة رجل أفرع. ألحى، عاري الرأس، لا شيئ يستر سوءته. وقد رفع يده اليمنى وبها فأس يلوّح به وكأنّه يستعدّ لتسديد ضرباته نحو كائن لا نراه. ومدّ ذراعه الأيسر مفتوح اليد. وتفرّع عن خصره ساقان تكسوهما حراشف حتّى كأنّهما سِلَّوْران. وفي مفرقهما حيوان يسبح نحو اليمين قد يكون حصانا بحريّا. كما يلاحظ وجود حيّتين : الأولى اعتلت يده اليمنى والتفت حول المعصم، والثانية تراها تتثنّى ملتفّة حول ساقه اليسرى. كيف الوصول الى تشخيص هذه الصورة الغريبة الفريدة بل قل مازالت تتمتّع بالتفرّد في ملفات الحضارة البونية ؟ لقد تناولنا هذا القالب الكركواني في دراسات سابقة[3]. فبدا لنا يمثّل صورة إله معروف لدى الكنعانيين منذ عصور قديمة، وهو الذي تسمّيه الواح أوجاريت كوثر وتسمّيه بعض النصوص البونية كوشر وقد يكون هو الذّى سمّاه هيرودوتس وبوليبيوس تريتو. أمّا صورته فجاءت في غالبها تقليدا لصور الإله اليوناني تريتو على أنّ الصور الآدمية السمكيّة معروفة لدى الشعوب السامية وهي التي كانت تمثّل وتّاس. كما نرى إلها بحريا نهريا رسمت له صورة آدمية سمكيّة على نقود فنيقية وعلى بعض الأختام البونية.

ففي ألواح أوجاريت يحمل كوثر لقب بن يمّ. فهل تشير هذه العبارة الى أصوله البحرية والى الوشائج التي تشدّه الى البحر ؟ قد يكون ! على أنّ بعض المفسّرين يدّعون أنّه سمي كذلك إشارة الى مجيئه بحرا. فهو في اعتقادهم، إله إجيّ دخل أوجاريت عن طريق البحر والتراشح الثقافي. ولكن لا ننسى أنّ

1. M.-H. Fantar, «La mer dans la mythologie et l'iconographie des Phéniciens-Puniques», in *Africa*, III-IV, p. 58. pl. IV, a
2. Id., *ibid.*, pl. IV. b.
3. Id., *Kerkouane*, vol. III, Tunis, 1986, p. 313.

كوثر كان يحذق صناعة المعادن وهو الذي صنع هراوة لبعل مكّنته من القضاء على يمّ العنيف. وفي انتصار بعل على يمّ خير للبشرية. مّا جعل البحر مفتوحا أمامها مسخّرا لها تركبه وتفيد من يمنه وسخائه. وتجدر الإشارة الى ما ذهب اليه بعض المفسّرين لكوثر في القرآن الكريم قائلين إنّه الخير أو نهر في الجنة. فاعتبارا لهذه المعطيات جميعها يبدو أنّ الصورة تمثّل إلها مائيّا أقرب الى النّهر منه الى البحر فهو الخير مطلقا برّا وبحرا. فالصورة التي حفرت على قالب كركوان تمثّل ذلك الإله الذي تسمّيه النصوص البونية كوشر وهو الذي يرتدي على النقود الفنيقية والأختام البونية ملامح أخرى.

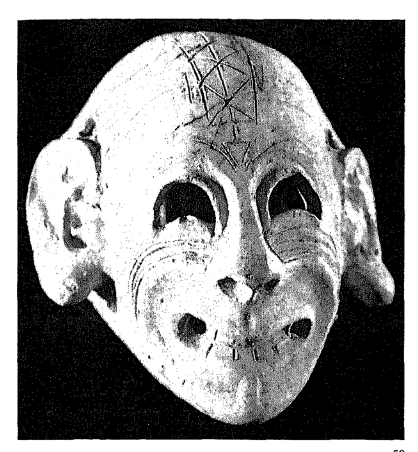
وفي المتاحف قوالب عديدة وألواح وأنواط مفخورة عليها صور مختلفة فهذه شياطين كالجرجونة والساتور، وهذه حيوانات برية كالدّواجن والأفاعي. وحيوانات بحرية كالأسماك والدلافين والقشريات ومنها السرطان. وتوجد قوالب تصوّر نباتا وزهورا منها الوردة والسعيفة وقوالب تحمل صورا هندسية كالجديلة والضفيرة والدائرة واليونانية. كما لا بدّ من ذكر الزخارف السّماويّة من كواكب وأهلّة. فهذه القوالب والصوّر كانت منتشرة بين النّاس تساهم في بناء محيطهم في البيت والمعبد والقبر. وثابت أنّ لها أبعاد دينية سحرية وأبعاد دنيوية تَنْصَبُّ ضمن مشاغل الحياة اليومية. ولعل بعض تلك القوالب كان يستخدم لصناعة أرغفة أو قطع من الحلوى والمرطبات تستجيب أشكالها لأذواق الناس ولطقوس نجهلها أو لظروف تتجاوز رتابة الحياة اليومية.

ومّا كان المثّال يسوّيه ليساعد الناس على القيام بواجباتهم الدينية السحرية. تجدر الإشارة الى الأقنعة والظُّلَل والمباخر والقرانس وكلّها تتنزّل ضمن قائمة الحرومات[1]. فهذه للتنكّر وتلك تعلّق على جدران المعابد والقبور لزجر الشياطين وتنفيرها وتأمين سلامة الطقوس وسكينة الميّت. أمّا القرانس والمباخر[2] فكانت لوازم بدونها لا تتمّ المواكب الدينية ولا تصح العبادة.

ففي قبر قرطاجي تابع لمدفنة درمش وجد قناع ملامحه زنجية ضاقت جبهته وتقببّت وله أنف طويل أفطح ووجنتان ناتئتان وشفتان كثيفتان وعيناه كحبّة

1. C.-G. Picard, «Sacra Punica», in *Karthago*, XIII, 1966, p. 5-55 ; – S. Moscati, *I Fenici e Cartagine*, p. 359-371.

2. A.-L. Delattre, «Une cachette de figurines de Déméter et de brûle-parfums votifs à Carthage», in *CRAI*, 1923, p. 354-365.





59



60

59. قناع يذرع ارتفاعه 16 سنتم يصور وجها رجاليا مكشّرًا وجنتاه مخدودتان وعلى ام رأسه شريط يتكون من معينات تحف بها خطوط متوازية ويخترقها خط ينتهي عند الحاجبين بسنانٍ مثلث الشكل.

(متحف باردو : القرن VI ق.م.).

60. قرنس من طين مفخور تعلوه أقداس سبعة يؤمها رأس كبش أقرن.

(متحف كركوان : القرن IV ق.م.).

الزيتون كبيرتان منحرفتان وفم أدرد نُحِتت فيه تكشيرة رفعت شفتيه نحو الوجنة اليسرى. وترى على منبت أنفه حوّية وعلى جبهته ليّات ثلاثة متراكبة يعلوها هلال. أمّا ثقب المعلاق فهيئت في أعلى الجبهة قرب الأذنين. وفيما يخصّ توريخ هذا القناع فيبدو أنّه يتنزّلُ فيما بين القرن السابع والقرن السادس قبل ميلاد المسيح وهو اليوم معروض باحدى قاعات المتحف القومي بباردو[1].

ومن الأعلاق التي يمكن مشاهدتها في متحف قرطاج، قناع وجد في قبر قرطاجي تابع لمدفنة الدواميس وهي في غالبها تعود الى القرن السادس قبل ميلاد المسيح. فهو قناع يشبه قناع درمش ولكن دون ماتطابق كليّ إذ يتميّز بعينين أكثر انحرافا وبتكشيرة أقلّ حدّة وبأذنين مظافتين وله خرص من طين يتدلّى من روم إحديهما. وحُلّي بصورة الأزهرين وهما القرص والهلال سوّاهما المثّال على الجبهة بالقرب من الأنف. وتوجد لمسات رسمت بطلاء أسود تجسيدا لشعر الرأس والحاجبين كما ترى ثقبا هيئت للمعلاق أو لبعض لوازم أخرى[2].

وعثر على قناع بوني في قبر تابع لمدفنة سان سبيراتي[3] بجزيرة سردانيا، وهو من الفصيلة الهزلية، طوله 16 سنتمترا وله عينان مثقوبتان وأنف طويل سميك وفمّ معوجّ وأذنان مفكّكتان وجبهة مخدّدة وكذلك الوجنتان. وأضاف المثّال لقناعه أوشاما مصطفّة على شريط عمودي ترى في أسفله زهرة اللّوطس تعلوها وردة فالأزهران ثم قرص الشمس يشعّ بين صلّين وترى شنفا يتدلّى من المنخرين. وفي حفيرة الذقن رسم المثّال وردة تشبه تلك التي حُلّت بها الجبهة. ولتوريخ هذا القناع، لاحظ مختصّون وشائج تربطه بالنماذج القرطاجية التي تعود الى القرن السادس قبل ميلاد المسيح. و لم يقتصر المثّال على تسوية الأقنعة الإنسية بل يرتدي بعضها ملامح السواتير والسيالن كالتي نجدها في متاحف قرطاج وباردو وقالياري بجزيرة سردانيا.

وممّا قد يشبه الأقنعة طُلَلٌ لها ملامح نسائية أو رجالية : فهذه طلّة أخرجها الأب دي لاتر من قبر قرطاجي تابع لمدفنة بيرصة تصوّر رجلا أنفه

1. C.-G. Picard, «Sacra Punica», in *Karthago*, XIII, p. 11. S. Moscati, *I Fenici e Cartagine*, p. 364-365.
2. A.-L. Delattre, *Nécropoles puniques de Douimès, ext. du Cosmos*, Paris, 1897, p. 3-4 et fig. 8.
3. G. Pesce, *Sardegna punica*, Cagliari, 1960, p. 101 et fig. 103 ; – S. Moscati, *Fenici e Cartaginesi in Sardegna*, Milano, 1968, p. 162, pl. 72.

مستقيم أهبر وشعره منسدل خلف أذنين مسبوكتين باليد مضافتين وتجسّد الحاجبين حويّة طويلة دقيقة لحماية عينين لوزيتين جفناهما مسجفان. واستعان المثّال بقريصتين من طين لرسم البؤبؤين. و لمّا تناولت كولات بيكار وصف الطُّلَل النسائية اقترحت تقسيمها الى مجموعات ثلاثة[1] : الأولى تغلب عليها المسحة المصرية والثانية تضم طللا أسلوبها يونانيّ فنيقيّ وحشرت في الثالثة تلك التي تأثّرت بالأساليب الهلّينستية.

والى جانب التماثيل[2] والقوالب والأقنعة[3] والطلل والمباخر والقرانس[4] سوّت يد المثّال فوانيس[5] علّه كان يريد لها المزيد من الجمال والفاعلية كما كان يتدخّل لزخرفة بعض الأواني الفخارية على غرار ما استفاد به ابريق عثر عليه في قبر قرطاجيّ تابع لمدفنة سانت مونيك[6].

تناول المؤرخون والأثاريون هذه التماثيل والقوالب والأقنعة والمباخر وغيرها من اللّويحات والأنواط المفخورة على اختلاف أشكالها ومضامينها درسا وتحليلا فلمسوا تأثيرات يونانية، ولم يتحرّج بعضهم من اعتبار الكثير منها موّردا. وان لم يكن الأمر كذلك. فهي في اعتقادهم من صنع مثّالين كانوا يستخدمون قوالب موّردة أو مقتبسة من تماثيل موّردة :منها المرأة الجالسة ويداها على ركبتيها ومنها الإلهة قورة التي ترفل في كتّانة طويلة ناعمة وعلى كتفيها برقع قصير مغضّن. و منها الإلهة الجالسة وعباءتها تبدو كالصّدفة وعلى صدرها سدل. فلا شكّ أنّ مثل هذه المواقف والأحكام تستوجب التريث وتحريات دقيقة. ولن يتسنّى ذلك مالم تنشر مجموعات التماثيل القابعة في مخازن المتاحف. ولا ننسى أنّ المِصْوَرَةَ اليونانية تدين الى الحضارة الشرقية السّامية وقد أخذت عنها الكثير من أشكال التعبير فضلا عن المدد الحضاري الكبير. ولقد اعترف الإغريق بما أتاهم به قدموس وهو بطل اسطوري يرمز الى الشرق

1. C.-G. Picard, «Sacra Punica», in *Karthago*, XIII, p. 20-29.
2. Anna Maria Bisi, «Le terracotte figurate», in *I Fenici*, Milano, 1988, p. 328-353.
3. Antonia Ciasca, «Le protomi e le maschere», in *I Fenici*, Milano, 1988, p. 354-369.
4. P. Cintas, *Céramique punique*, Tunis, 1950, p. 534-550.
5. Quatre masques en relief décorent le devant d'un lampadaire à sept becs juxtaposés, cf. A. Merlin, *La nécropole punique d'Ard el-Khéraib*, Paris, 1909, p. 53-54 et fig. 26
6. Pour cette oenochoé, cf. ci-dessous p. 263, n° 1. Deux masques en relief décorent les attaches de l'anse.

وكان يسمّى قدم. فقدموس هو المشرقيّ الذي تأتي سفينته مثقّلة حضارة وتعابير فنية ومعتقدات. على أننّا لا ننكر التأثيرات اليونانية بل فقط نريد تقديرها حقّ قدرها فلا إفراط ولا تفريط. ثمّ لا بدّ من اعتبار الحضور المصري في دنيا المثّال البوني وهو ما يتجلّى في بعض الطلل ذات الملامح النسائية. ومهما يكن من أمر التأثيرات الخارجية وأصولها. فلا أحد يشك في وجود مثالة بونية لها خصوصياتها. ومن الدّمى التي تعتبر ابداعا بو نيّا نذكر العازفة على دفّ تضمّه الى صدرها وتداعبه برقّة أناملها. ومعلوم أنّ هذه الصورة كانت ضمن المواضيع التي فرضت وجودها في بعض المناحت البونية. فلقد شاهدناها على أنصاب مطوة بجزيرة صقلية وأنصاب سلشيس بجزيرة سردانيا. وبقطع النّظر عن التأثيرات والمصادر والتواريخ فإنّ ما أبدعه المثّال البوني تتجلّى أصالته في الطينة والتقنيات وكذلك في الإختيارات والتبنّي والتكييف : ففي كلّ ذلك نستشف واقعا عاشته قرطاج والبونيون جميعا.

الفصل الرابع

الزبر على المعادن

الشفرات البونية

تقدّم المعادن على اختلافها فضاء جيّدا يستفيد منه الزّابر وفيه تتجلّى عبقريته ومهارته : ففي قرطاج وبعض المدن البونية الأخرى توجد شفرات من برونز أو نحاس أو حديد لها قاطع مقوّس وذيل ينتهي برأس تَمٍّ مفتوح المنقار. ويبدو أنّ لتلك الشفرات وظيفة في العبادات البونية وطقوسها. وفي منبت الذيل ترى ثُقْبا، أو حلقة ألصقت به لتمرير خيط أو سير لشدّ الشفرة وتعليقها أو لتسوية مقبض. وتختلف الشفرات شكلا وحجما، من زمن الى زمن ومن صانع الى صانع كما كانت تستجيب لأذواق الحرفاء ورغباتهم[1].

كانت الشفرات منتشرة في العالم البوني : فلقد عثر على نماذج[2] في قبور قرطاج ومنزل تميم وكركوان وصقلية وسردانيا وجزيرة الإيبيرين وغيرها من المواقع. وكانت خدودها تزبرج بصور يقتبسها الزّابر من محيطه الفنّي العقائدي. ويكون الزبر تنقيطا أو خطّا ممدودا. أمّا الصور فبعضها مستمد من عالم

1. Pour la description des hachettes-rasoirs, C.-G. Picard, «Sacra Punica», in *Karthago*, XIII, 1966, p. 55-58.
2. E. Acquaro, *I rasoi punici*, Roma, 1971.

الفراعنة : إيس وحروس والقارب وعين ودجة وزهرة اللّوطس وغيرها من الآلهة والإلهات والأشكال التي تنغمس جذورها في أعماق مصر القديمة. و يعود بعض تلك الزخارف الى الفضاء اليوناني منها الساتور العازف على المزمار ومنها مآثر هرقليس وسقولة وهرميس وغيرها. وتجدر الإشارة أيضا الى وفرة الزخارف الهندسية والحيوانية والنباتية. فتجد الثور والبقرة والكلب وطيورا مختلفة كالإوزّة والحمامة وذوات القوائم الطويلة والنحلة والنعامة والأسد والرتّ والدلفين والسّمكة وحصان البحر والعنقاء.

وتحمل بعض الشفرات مشاهد تستمدّ عناصرها من صميم الحياة اليومية. فهذه امرأة تغزل الصوف وبيدها العرناس. وتلك تعزف على الدّف وثالثة تداعب القيثارة. ومن الكواكب ترى قرص الشمس والقمر والنجوم. وتحلّت خدود شفرات أخرى بالورود وزهرة اللّوطس والسعيفة القبرصية وغصن الزيتون والنخلة وهي شجرة مباركة كانت أثيرة لدى الحرفيين وحرفائهم في قرطاج وفي غيرها من المدن البونية. والنخلة رمز الحياة والخصوبة في كامل الربوع السامية منذ العصور الحجرية. فلقد رسم الزّابر كبرياء النخلة باسقة على خدود شفرات مستندا الى إزميله. ولا شكّ أنّها، وان كانت في فضاء ضيّق، تذكّر بأخواتها اللتّي تتصدّر أنصاب التوفاة وقد صوّرها النقّاش بمحفره وكان يتعامل مع أديم النصب كما يتعامل الوشّام مع البشرة لدى النساء والرجال. وصف الأب دي لاتر شفرة بونية أخرجها من ظلمة قبر قرطاجي قال :

> *يحمل أحد الوجهين شجرة تنتمي الى صنف من أصناف النخيل وقد تكون نينوفرة تتحلّى بزهرة اللّوطس ويعلوها صقران متناظران يحمل كلاهما التاج المصري. واستوى تحت جذع النخلة طائران يشبهان البلشون أو الكركيّ أو أبامنجل. و على الوجه الثّاني صورة فائقة الأهمّية زادت في قيمتها نقيشة بونية تتكون من عشرة حروف تعلوها صورة ثور رابض، ثنى قائمتيه الأماميتين تحته. وعلى دبره انتصب طير يهاجم حيّة دون أن ينشغل الثور بالمعركة. فهي صورة طريفة يبدو أنّ جذورها تنغمس في صلب الخيال المشرقي. ففي قرطاج*

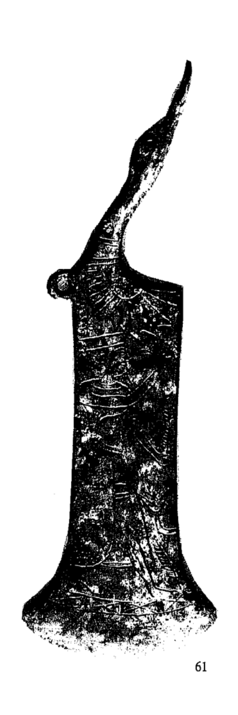
وفي اسبانيا، عثر على أمشاط من عظم تتحلّى بمثل تلك المشاهد[1].

وسلّمت مقبرة منزل تميم بالوطن القبلي في تونس شفرة في حالة جيّدة[2]. طولها 14 سنتمترا وعرضها سنتمران ونصف. لها ذيل يتحلّى برأس تمّ وعلى منبته حلقة التعليق. وزبرجت خدّاها بالزخارف التالية. فعلى هذا الخدّ رجل يتقدّم نحو اليمين وقد خطا بساقه اليسرى نحوى الأمام ورفع يده اليمنى تبركًا أو تعبّدا وارتدى جلبابا طويلا مطرّزا تشدّه منطقة الى خصره وينفتح الجلباب من قدم على وزرة. ومسك الرّجل بيده اليسرى، سعفة وترى سعفة أخرى بالقرب من ساقه اليسرى وأمامه زهرة تشبه زهرة اللّوطس.

ولكن هل نحن أمام شخص عاديّ أم بين يدى إله ؟ ليس من اليسير تجاوز مستوى الافتراض؟ وفي أسفل اللّوحة رسم الزّابر شريطا من مستطيلات يحتوى كلّ منها على قطريه ويفصل بين مستطيل وآخر خطّان متوازيان. وفي الفضاء الذي يعلو رأس الرجل فتح التمّ جناحيه، فبدا ريشه صلبا مفسّحا. وعلى الخدّ الثانى، ترى صورة حصان رائعة يخطو نحو اليمين يرعى وكأنّه يسعى نحو جريدة توجد أمامه. وتعلو رأس الجواد صورة لم نستطع تشخيصها. على أنّها ليست حرفا كما اقترحناه خطأ في دراسة سابقة.

ويوجد في متحف قالياري بسردانيا مجموعة من الشفرات البونية في حالة جيّدة، تمتاز بزبرجة تشدّ أشكالها النّظر ومضامينُها : فهذه شفرة طولها 11 سم وعرضها 3,2 سم وتتنزّل فيما بين القرنين الثالث والثاني قبل ميلاد المسيح. وما انفكّت تثير اهتمام المختصين في هذا القطاع من التراث البوني فعلى خدّ نقش الزبّار تمّا وعلى الخدّ الثاني ترى غصنين أوراقهما قلبية الشّكل كأوراق العشقة وترى شخصا جالسا ينظر نحو اليسار وكأنّه يمسك شيئا بيده اليمنى وقد مدّ ذراعه نحو فيه وأسند مرفقه الى ركبته[3]. فهل هو في موقف عبادة ؟

1. A.-L. Delattre, *Nécropole punique voisine de Sainte-Monique, 2ᵉ trimestres des fouilles, avril-juin 1898, ext. du Cosmos*, Paris, 1899, p. 12-13.
2. Pour cette hachette-rasoir, M.-H. Fantar, in *XXVIIIᵉ centenaire de Carthage : 30 ans au service du patrimoine*, Tunis, 1986, p. 85, n° II.44.
3. Pour cette hachette-rasoir, E. Acquaro, *I rasoi punici*, p. 142-143.

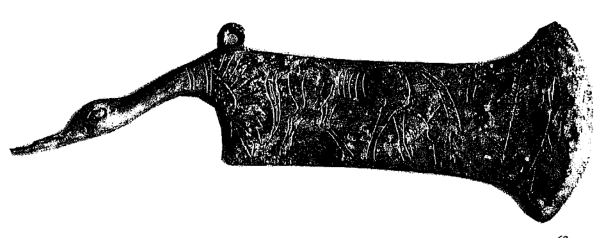


61

شفرة من برونز عثر عليها في قبر من قبور مدفنة منزل تميم (تافخسيت).

61. الوجه : صورة رجل رفع يمناه تبركًا وبِيُسْراه مسك سعفة وهي رمز الخصب والازدهار.

62. الظهر : حصان يرعى متقدما نحو اليمين (متحف كركوان. نهاية القرن V أو بداية القرن IV ق.م.).



62

ومن أعلاق متحف مدريد باسبانيا شفرة بونية أخرجوها من قبر بوني تمّ اكتشافه في جزيرة إبيسة ويعود الى القرن الثالث قبل ميلاد المسيح. تعكس هذه الشفرة ميزات الصناعة القرطاجية من سبك وزبرجة : ففي مؤخر الذيل نجد عنق التمّ وفي منبته حلقة التعليق. وللشفرة حدّ مقوّس لم يتأثّر من إقامة طويلة داخل الضريح. كما صمدت زبرجته الخطية ولم تفلّ فيها عناصر التهرئة : فعلى أديم الخدّ الأول رسم الزّابر الإله حروس متقمّصا نسرا والى جانبه ضفدعة. وعلى الخدّ الثاني، ترى صورة امرأة تخطو نحو اليمين وقد ارتدت زيّا مصريا : كتّانة طويلة فضفاضة شفّافة، طوقها مقوّس منشور على الصّدر، ولها كمّان قصيران. وترى بين يديها دفّا تداعبه أناملها بلطف. وفي حركاتها مسحة من الأناقة والإغراء تشدّ العين وتثير الإعجاب. ويبقى السؤال عن هوية هذه المرأة مطروحا : إلهة هي أم تنتسب الى بنات حوّاء ؟ وفي الزّاوية التي توجد بين جناحي التمّ وحلقة التعليق نقشت زهرة قد تكون سوسنة يعلوها هلال. كذلك تبرز عبقريية الزّابر ومهارته وهو الذي بخيوط بسيطة تمكّن من تجسيد روعة الأشكال وأوحى بنبضات الجسم ودفئه[1]. ومادمنا مع الشفرات البونية لا بدّ من تقديم تلك التي أخرجت من قبر كشف عنه الغطاء في وتيكة وقد وصفته كولات بيكار قائلة :

> ***يحكي شكلها جمال الشفرات البونية التي تعود الى القرن الثالث قبل ميلاد المسيح. فلها عنق طير متثنّي لا يشكو طوله إفراطا ولا تفريطا ومنقاره طفيف الإنعكاف معرّج وذكَرُته متناسقة الأبعاد. ولمعدنه بريق يغلب عليه لون الذّهب. أمّا ريش الجناحين فهو مختزل وحلقة التعليق خلت قاعدتها من كلّ زخرف. أمّا الخدّان، فعلى أحدهما نقش الزّابر صورة جانبية تمثّل سقولة وقد مدّت يدها مفتوحة وأصابعها مطلوقة وهي عارية الرأس، شعرها مجعّد قصير السبائب وعلى كتفيها مشلح نفخت فيه الريح فتموّر. ومن خصرها***

1. E. Acquaro, *I rasoir punici*, p. 177-178.

نتأت طُلَّتَا كلبين. وينتهي جسدها بذيل طويل تغطّيه الحراشف. ومن خلف سقولة حاشية تتداولت فيها البويضات والسنان. وتحلّى خدُّ الشفرة الثاني بمشهد يصوّر الاله ملقرت عاري الجسم وهو يجهز على ثور جزيرة إقريتش. فالعناية بتأمين الجزئيات وتناغم الجمل وبساطتها وجودة التصوير تُنَزِّل هذه الشفرة منزلة أروع الشفرات البونية[1].

وفيما يخصّ توريخ هذه الأدوات المتميّزة، يعتقد بعض الدّارسين المعاصرين أنّها ظهرت في قرطاج منذ منتصف القرن السابع قبل ميلاد المسيح. ففي ذلك الزمن، لمّا يكتسب الزّابرون البونيون المهارة التي تهيّأت لأحفادهم في القرن الخامس ممّا جعلهم يدركون نتائج أبهرت معاصريهم ومازالت تبهرنا من حيث جودة البرونز وأناقة الأشكال وجمال الزخرف. وفيما بين القرنين الرابع والثالث، أصبحت الشفرة، فضلا عن وظيفتها العملية، تعتبر حلية يتباهون بها ويحرصون على امتلاكها ويحتفظون بها في الدنيا وتشاطرهم مثواهم الأخير.

ولّما كان بعض المؤرخين المعاصرين يعتبرون القرطاجيين ناقلين لا مبدعين، مدّعين أنّهم غير قادرين على الخلق والإبداع، تناول العديد منهم قضية أصول الشفرة البونية. وإذ عاينوا غيابها في المدن الفنيقية المشرقية باتت فرضية أصول خارجية واردة في نظرهم. فقيل إنّها مصرية الأرومة وقيل إنّها موقينية أو أترسكية. ولم يترددبعضهم في نسبها الى العالم الاسكندنافي[2]. وتعددت الفرضيات وتباينت[3]. ولكن هل من الضروري فرض نموذج على القرطاجيين؟ فالتشابه بين ما قد تبدعه قرطاج وما قد ينتجه الأترسكيون أو الإجيّون أو بعض الشعوب الأخرى لا يفرض حتمية التأثير والتأثّر. فكم تتشابه الحضارات وتتقارب في أشكالها ومضامينها دون أن تكون بينها علاقة. بل قد تفصل بينها مسافات العرق والمكان والزّمان. وأيّا كان الأمر، فقضية الأصول في هذا الصدد تبدو غير ذات موضوع. ففي هذا المستوى من التحقيق والتفسير، يجوز

1. C.-G. Picard, «Sacra Punica», in *Karthago*, XIII, 1966, p. 76 et fig. 71.
2. L. Bertholon, «Essai sur la religion des Libyens», in *Rev. Tun.*, 1909, p. 321.
3. C.-G. Picard, «Sacra Punica», in *Karthgo*, XIII, 1966, p. 8.

للباحث الاقتصار على معاينة هذه الشفرات وتسجيل حضورها في قرطاج وفي مدن بونية أخرى والتثبّت من طرافتها شكلا وزبرجة.

أمّا عن وظيفتها، فتبدو علاقتها بالعبادة والطقوس الدينية متينة. فلا ننسى أنّها وجدت في القبور وثبت أنّها كانت توضع قرب رأس الميّت رجلا كان أو امرأة. فهل كانت الشفرات البونية تستخدم لغسل الموتى وطهارتهم؟ قد يكون! فمعلوم أنّ نصوصا بونية تشير الى حلاّقين من بين سدنة المعابد في قرطاج. فهذه نقيشة[1] تذكر بعلحنّو بن خملكة وتقول إنّه كان "جلب إلم" أي حلاّق الاله. فهل كان هؤلاء الحلاّقون يستخدمون تلك الشفرات البونية ؟ سؤال يعسر الجواب عنه مالم تتوفر وثيقة تنير الطريق. على أنّ شفرة أخرجت من قبر بوني تحمل نقيشة ورد فيها كلمة "ميجلب"[2] وترجمها الدّارس بكلمة لاتينية معناها الشفرة أو الموسى. على أنّ المادّة الفنيقية "جلب" تتضمن معنى الجزّ والجلم[3]. ومعلوم أنّ الميم قد تتحوّل باء كقولك بكّة ومكّة ومجردة وبجردة والأمثلة عديدة.

لقد لاحظ ستيفان إكسال أنّ كثيرا ما يكون الاله عند القرطاجيين الحي كثيف الشّعر. فعلى خدّ شفرة من تلك التي عثر عليها في قبور قرطاج نقش الزّابر صورة إله شعره شعث ولحيته كثّة[4]. فمن مثل هذه الوثائق يتحرّج الذين يعتبرون الشفرة أداة لحلاقة الآلهة. ثمّ إنّ ذَكَرَتَها المقوّسة غير ملائمة للحلاقة. فما هي إذا وظيفة الشفرات البونية ؟ الافتراضات عديدية ومنها الختان. لكن خصائص الآلة لا تفي بالحاجة. ذلك أنّ الختان يستوجب ذَكَرَةً مشحوذة قاطعة. فلم لا تكون الشفرات إذا مخصصّة لتقديم هبة الشعر؟ وهي شعيرة معروفة لدى الفنيقيين والعديد من الشعوب السّامية الأخرى. فبالشفرة البونية يمكن قصّ سبيبة من شعر الذي أرادها هبة للآلهة. وهبة الشّعر مقبولة من الرجال والنساء والأطفال وقد يشرف على القيام بهذه الشعيرة مختصّون من سدنة المعابد.

1. *CIS*, I, 257.
2. *CIS*, I, 6065.
3. Pour désigner l'outil dont on se sert pour tondre les moutons, le parler tunisien utilise le terme *GLM* qu'on prononce gelem. Entre l'arabe *GLM* et le punique *GLB*, il y a juste la permutation du B en M, fait bien établi. Les deux vocables appartiennnent sûrement à la même racine.
4. C.-G. Picard, *Sacra Punica*, p. 73, n° 42.



63

63. شفرةٌ من برونز حُلّت بصورة سَفَنْكَسَةٍ مجنّحة عثر عليها في مدفنة كركوان البونية. (متحف باردو : القرن IV ق.م.).

ومهما تكن أصولها ووظائفها. فالشفـرات البونية تجسّد قـدرات ومهارات تلفت الإنتباه وتثير الإعجاب وتثبت أنّ الصناعة القرطاجية كانت تحسن مزج المعادن وسبكها ما جعلها تدرك مستوى رفيعا. ولا غـرابة في ذلك إذا اعتبرنا الرصيد الذي ورثه القرطاجيون عن أسلافهم. وقد اشتهر الكنعانيون بالسيطرة على المعادن تجارة وصناعة منذ آلاف السنين. ومن الشواهد على ذلك طاسات أبرزتها حفريات أو جاريت ومدن فنيقية بقبرص فضلا عما اكتشفه الأثاريون في بعض المواقع بغربي البحر المتوسط كطست بالسترينة. فثابت أنّ للزّابر القرطاجي رصيد تراثي فنّي يجعله قادرا على الإبداع دون الإحتياج الى معلّم أجنبيّ يلقّنه سبك الشفرة وزبرجتها.

الفصل الخامس

العظم والعاج

روائع مختلفة

لقد استخدم القرطاجيون العظم والعاج لصناعة أشياء عديدة تستجيب الى ما قد يحتاجونه لقضاء مآربهم الدينية والدنيوية، مع العلم أنّها لم تخل من بعد جماليّ : فكانوا يريدونها كفيلة بالحاجة تشد النّظر وتثير الإعجاب. إنّها مصنوعات من عظم أو عاج تتحلى بنحوت أو نقوش. فهي أعمال ينجزها حرفيّون لهم من المهارة والحذق والحس المرهف وسخاء الخيال ما جعلهم يبدعون الجمال. كما تشهد به مجموعات من الروائع توجد في متاحفنا فضلا عمّا تملكه متاحف أوربية في سردانيا واسبانيا ومالطة وباريس ولندن وغيرها.

أمّا عن المواقع التي متّت بتلك الروائع فلا بدّ من ذكر قرطاج[1] ووتيكة[2] وغريّة[3] بالجزائر ومواقع أخرى بسردانيا[4] ومالطة[5] واسبانيا[6]. ولمّا حاول الأثاريّون

1. A.-L. Delattre, *MAF*, LVI, 1897, p. 129-130 ; *Bulletin des Antiquaires de France*, 1917, p. 109-115 ; *CRAI*, 1899, p. 96-100 ; – F. Chelbi, *CEDAC : Carthage*, 3, 1980, p. 35 ; – S. Lancel, *CRAI*, 1981, p. 162-163.
2. P. Cintas, *Karthago*, II, 1951, p. 37.
3. S. Gsell, *Fouille de Gouraya*, Paris, 1903, p. 37-38.
4. S. Moscati, *I Fenici e Cartagine*, p. 405-408.
5. Id., «Gli avori del Santuario di Giunone a Malta», in *Studi in onore di Eduardo Volterra*, VI, Milano, 1971, p. 259-264, pl. I.IV.
6. Maria Eugenia Aubet, *Marfiles fenicios del Bajo Guadalquivir*, Valladolid, 1979-1981.

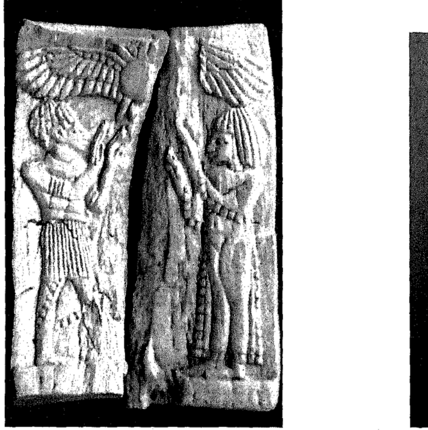
توريخها تبيّن أنّها تغطي فترة تمتدّ من القرن السابع الى القرن الثاني قبل ميلاد المسيح. فمنها أدوات تخصّ الحياة العادية من ملاعق طيب وأبازيم ومقابض مرايا وعلب للأصباغ وأزرار وأساور وخواتم ومجاول وعرانيس وإطباقات مختلفة ومفاصل وعدسات وأمشاط معازف. ومن العظم والعاج سوّيت أدوات أخرى تستوجبها العبادات والشعائر الدينية والمراسم والطقوس كالأقنعة[1] والطلاسم[2].

و ممّا أسفرت عنه آخر الحفريات بربوة بيرصة[3] في قرطاج لويحة صغيرة من عاج تحلّت بنقوش بارزة تمثّل مشهدا دينيا لمّا يتوفّق الدّارسون الى عجمه وفكّ أقفاله. وإذ لم تدرك التفاسير المقترحة مستوى اليقين بقي المشهد محفوفا بالغموض : ترى على اللويحة من اليمين الى الشمال شخصا يحمل قدحا وسنبلة وارتدى وزرة مشدودة الى خصره بحزام وهو يخطو متجها نحو إلهة تصدّرت واقفة على متن سَفَنْكُس وقد لبست فستانا ذا دوائر يحكي شكل الخروط وأمسكت بيدها اليسرى صولجانا، ورفعت يمناها مباركة. وممّا يشير الى قدسية المشهد وجود الأزهرين يمثلهما القرص والهلال. بقي سؤال حول هوية الالهة التي استوت على ظهر السَّفَنْكُسِ. فقد يعسر الجواب عنه بدقّة. فهل هي عشترت أم تانيت ؟ ذلك أنّ السَّفَنْكُسَ لكلتيهما رفيق. ومهما يكن من أمر، فاللّويحة القرطاجية مانفكّت تلفت النّظر وتشدّ الإنتباه لتفرّدها ولطرافة صوّرها. مع العلم أنّها ترشح بوشائج تشدّها الى المشرق : فقد تكون من إنتاج بعض مصانع التحفير والزبر التي أقامها الحرفيّون المشارقة منذ أقدم العصور، وقد تكون تحفة عريقة أوتي بها من بعض المدن المشرقية وكتب لها أن تكون ملكا لقرطاجيّ عاش قبيل سقوط العاصمة البونية. أفلا تكون من الأعلاق التي كان بيته يزدان بها ويفتخر ؟

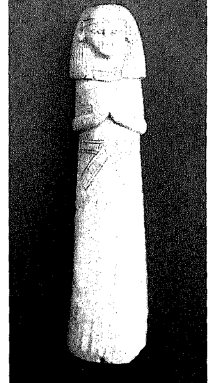
1. S. Moscati, *I Fenici e Cartagine*, p. 408.
2. A.-L. Delattre, *La nécropole des Rabs, prêtres et prêtresses de Carthage, 3e année des fouilles*, Paris, 1906, p. 16 et fig. 26. Pour des amulettes en ivoire trouvées dans la nécropole néopunique de Sousse, cf. L. Foucher, *Hadrumetum*, Tunis, 1964, p. 67.
3. F. Chelbi, «Maison punique de la rue Astarté à Carthage», in *CEDAC : Carthage*, 3, 1980, p. 35 et fig. 16.



64



66



65

تحف من عاج

64. إطباقةٌ تحلّت بها علبة من خشبٍ : الصورة تمثل أفروديتس وقد طار بها تِبٌّ. (متحف قرطاج : القرن IV ق.م).

65. مقبض مرآة يصوّر إلهة الخصب عشترت. (متحف قرطاج : القرن VII ق.م).

66. إطباقة لزخرفة علبة أوسرير تصوّر حوارًا بين عابد ومعبوده في محيط تغلب عليه مسحة مصرية كوشية. (متحف قرطاج : القرن VII ق.م).

وتجدر الإشارة الى لويحة أخرى من عاج أو من عظم أخرجت من قبر قرطاجي حفر في سمك هضبة بيرصة[1]. يبلغ ارتفاعها ستة سنتمترات ونصف وقد عثر عليها مكسّرة قطعتين متكاملتين ولا عائق يحول دون قراءة زبرجتها : فهي تتحلّى بمشهد يبدو مقتبسا من العالم المصري الفرعوني يمثّل حوارا بين رجل وامرأة وكأنّهما يتعبّدان تحت إشراف القرص المجنّح وحمايته. فالأحجام والملامح والأزياء كلّها تتجاوب مع المحيط المصري الفرعوني الذي ما انفكّ يغري الفنيقيين والقرطاجيين معا ويشدّ هم اليه بماله من قوى سحرية خفيّة. أمّا عن توريخ اللّويحة فالقرن السابع قبل ميلاد المسيح يبدو مناسبا وهو توريخ يستند الى مقاييس فنّية وأخرى يوحي بها السياق الأثري أي مجموعة ما كان في الغرفة الجنائزية عند فتحها. ويرجّح أنّ هاتين اللّويحتين تمثّلان اطباقتين ساهمت كلتهما في زخرفة قطعة أثاث من خشب قد تكون سريرا أو أريكة أو مائدة نخرتها الرطوبة وأتى عليها الزّمن.

وفي قبر قرطاجيّ ينتمي الى مدفنة الدويمس قام بتعريته الأب دي لاتر خلال شهر جويلية من سنة 1895، عثر على تحفة من عاج وصفها الأثاري الفرنسي بقوله :

> ***إنّ أكثر ما أخرج من المدفنة خلال الشهر الأخير قيمةً وأهميّةً تمثال صغير من عاج يبلغ ارتفاعه 13 سنتمترا ويمتاز بالحفاظ على سلامته كاملة. ويصوّر امرأة صفّفت شعرها تسريحة مصرية وارتدت فستانا طويلا وازدان جيدها بعقد وتدلّى ذراعاها ممدودين ملتصقين بالجسد وضمّت يديها الى صدرها سندا لنهديها المختزلين. وعلى ما تبقى من الأسطوانة وهو ما يمثّل الفستان، نقش الخرّاط ثلاثة أشرطة طويلة قسّمها مربّعات وقد تدلّى أحد الأشرطة من دبر وحفّ الآخران بها يمنة ويسرة. واعتلى هذه الأشرطة، في مستوى الخصر، حزام تعانق طرفاه وتدلاّ أمامها وتباعدا نحو اليمين ونحو الشمال. وازدان أسفل***

1. S. Lancel, *De Carthage à Kairouan*, Paris, 1983, p. 76 et fig. 96, et *CRAI*, 1981, p. 164.

الفستان بهدب. إنّ هندام هذه المرأة. وقد تكون إلهة. يمدّنا بإحدى العيّنات النادرة التي تخصّ اللّباس القرطاجيّ[1]. أما من حيث وظيفة هذه التحفة فيبدو أنّها كانت مقبض مرآة من برونز وشاهد على ذلك ثقب توجد على حافتها الخلفية قد تكون جعلت لتثبيتها.

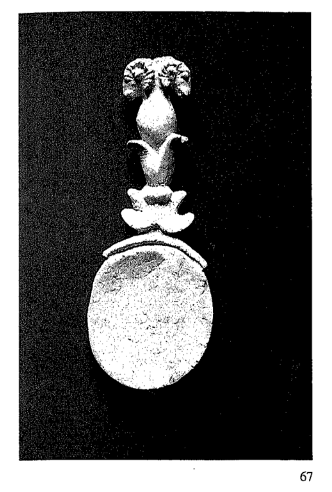
وفي سنة 1916 قامت مصلحة الآثار في تونس بحفريات تناولت مدفنة يونو. شمال شرقي هضبة بيرصة. فمن بين ما عثر عليه في تلك القبور تجدر الإشارة الى دمية من عاج[2] وضعت على ذراع الميّت الأيمن. تصوّر تلك الدمية امرأة على رأسها كوفية قصيرة تتحلّى بخطوط مائلة وشعرها مصفوف ذوائب كثيفة تتدلّى خصلات متوازية على كتفيها وظهرها وتنزل طرّة طويلة على جبينها. واختار الخرّاط للالهة وجها مسطّحا عريضا ومقلتين مستطيلتين يعلوهما حاجبان يزيدان الوجه نظارة وتعبيرا. ولها أذنان جسيمتان وشفتان لحيمتان وأنف أفطس يشرف على ذقن شرود.

وازدان جيدها بعقد من جواهر مثلثة الشّكل تدلت على صدرها. وارتدت الالهة فستانا كالمشدّ وعلى خصرها حزام تعانق طرفاه وتدليا ذوائب على بطنها. وترى هدبا تكفّف حافة الفستان من أسفل. وينطلق من محزامها شريطان قُسّما مربعات متتالية يتدلّى كلاهما ملتصقا بالساق حتّى يدرك سجاف الفستان. وضمّت الالهة يديها الى صدرها ضغطا على ثدييها كأنّها تريد بجوس الحليب. وفي ذلك إشارة الى الخصب والأمومة.

والى هذه النحوت العاجية يجوز ضمّ تمثال طوله 10 سنتمترات أخرجه لويس قرتون من بين أنقاض معبد بوني كشف الغطاء عنها بالقرب من محطّة الأرتال بصلامبو وقد وصفه بقوله :

سقط منه الذراعان واليدان والرّجْلان حتّى كأنه قصّ بالمنشار في مستوى الكعبين. وعلى الهامة حفر ثُقْبٌ قليل العمق

1. A.-L. Delattre, *CRAI*, 1895, p. 321.
2. A. Merlin, *BAC*, 1918, p. 290-291.



67

تحف من عاج

67. محدج تحلّى مقبضه بزهرة اللّوطس تعلوها طلّتا كبشين متظاهرين.
(متحف باردو : القرن IV ق.م. ؟).

68. لوحة عليها صورة رجل رفع يمناه وشدّ بيسراه زهرة اللّوطس عثر عليها بنمرود بالعراق.
(المتحف البريطاني بلندن : القرن VIII ق.م.).

69. لوحة مخرمة تصوّر عنقاء في خمائل مزهرة عثر عليها في نمرود بالعراق.
(المتحف الملكي ببركسال : القرن VIII ق.م.).



69



68

يبدو أنّه جعل لتثبيت القبّعة. فهي نسخة من تمثال الكاهنة القرطاجية الشهيرة المزبرجة[1].

تضمّ هذه اللقية الى ملفّ الالهة التي يكسوها فستان كالمشدّ يتكون من جناحي طير متعانقين.

لقد كان للمرأة القرطاجية أدوات تجميل عديدة متنوعة وساهم العاج في صنعها. ومن بينها مجدح توّجت مقبضه زهرة اللّوطس ومنها تنتكت طلّنا خروفين[2]. ومن اللّقى التّى منّ بها مخبأ صلامبو مجدح آخر تحلّى مؤخر مقبضه برأس تمّ[3]. ومن العاجيات قُواع صور يعدو كما تبيّنه ساقاه الأماميتان الممتدتان[4]. فهل كان مقبضا لإحدى الشفرات القرطاجية ؟ قد يكون !

ومن العاج سوّى الحرفيّ ملاعق وعلب توضع فيها مواد التجميل من أصبغة وطيوب وخِمَرات ومساحيق وخضائب كالتى عثر عليها في قبور قرطاج[5]. ومن عاج صنعوا التمائم والأمشاط. كذلك الذي ساهم في تأثيث قبر من قبور مدفنة يونو[6] وكان مكسّرا قطعا ثلاثة متكاملة. فعلى وجهيه حفرت مشاهد اسطورية تغلب عليها المسحة المصرية الفرعونية : فقد تحلّى الوجه الأول بسَفَنْكُسٍ مجنّح له رأس آدمي تعلوه قِلَفَةٌ وعلى كفله جثم طائر ينظر نحو اليمين. وفي الزاوية اليسرى ترى زهرتين من فصيلة اللّوطس. أمّا الوجه الثاني، فقد تحلّى بصورة ثور طأطأ رأسه ووجّه قرنيه الى الأمام كأنّه يستعدّ للنطاح. وفي الجهة اليسرى من هذا الفضاء رسمت زهرتان من فصيلة اللّوطس وقد أحاط بكلا المشهدين شريط يتكون من خطّين متوازيين يحفّان بزخرف مسنّن. و في قبر من قبور هضبة بيرصة وجد مشط مهشّم قطعا صغيرة ممّا حال دون

1. L. Carton, *Sanctuaire punique à Carthage*, Tunis, 1929, p. 19-20.
2. *Cat. du Musée Alaoui*, suppl, I, Paris, 1910, p. 361, n° 267 ; – S. Gsell, *Hist. anc. de l'Afrique du Nord*, IV, p. 101, n° 7.
3. *Rev. Tun.*, 1948, p. 24. On en a trouvé dans la nécropole punique d'Ard el-Khéraib à Carthage, cf. L. Drappier, *Rev. Tun.*, 1911, p. 139 (tombe n° 2).
4. P. Gauckler, *NP*, tombe 311. *Cat. du Musée Alaoui*, suppl. I. p. 264 ; – C. Picard, *Karthago*, XIII, 1966, p. 56.
5. A.-L. Delattre, *Nécropole punique de la colline de Saint-Louis, ext. des Missions catholiques*, XXXVIII, 1896, p. 23 ; – P. Gauckler, *NP.*, p. 133 tombe 311.
6. A. Merlin, *Bull. Antiq. de France*, 1917, p. 109-110.

عجم زخرفتِه ولعلّ من عناصرها أشخاص زيّهم مصري فرعوني وزهور وبراعم من اللّوطس. وقد أحيط المتن بحاشية تتكون من سعيفات فنيقية قبرصية[1].

وبما يوجد بمتحف باردو مشط قد يكون من عاج وقد يكون من عظم[2]. ازدان بمشهد معروف ضمن المصورة الفنيقية والسامية عامة. ويتمثّل في عنقاوين متناظرتين تفصل بينهما سعيفة فنيقية قبرصية كأسها يانع منبثق من قدح ذي عروتين ملتويتين وصفقت كلتا العنقاوين جناحيها و فتحت منسرها واسعا كأنّها تستعدّ للانقضاض على فريسة أو كأنّها تتهيأ لإلتهام السعيفة ومعلوم أنّها ترمز الى الشجرة المقدّسة وقد تكون شجرة الحياة بل هي شجرة الحياة مختزلة. وعلى أمشاط أخرى نقشت مشاهد حيّة : منها أمير على بيج[3] ومنها صيد الأسد ومولد الإله المصري حروس بحضور إلهتين مجنّحتين.

ولئن كانت الزخرفة على العاج محزوزة في غالبها فلم تنعدم منها النحوت الخافتة. إنّ قائمة هذه النقوش والنحوت طويلة يكثر فيها الحيوان والنبات : نجد الغزال والأسد والحصان والسَفَنْكُس بِقِلَنْسُوَتِـهِ المصرية والخنزير والفيل والقواع والعجل والسّمكة والدّلفين والعنقاء وغيرها. و من هذه الصوّر مشاهد آدمية كالمرأة التي اختارت الكتّانة المصرية رداء. وتجدر الإشارة الى لويحة رسم عليها مشهد صيد فترى الصيّاد جاث وقد حما رأسه بخوذة وتسلّح بالترس والرّمح. ومن وراءه تبدو عنقاء صافقة الجناحين[4]. و صنعت أشياء عديدة أخرى من عاج ومن عظم أفرزها الخيال من صلب الواقع المعيش : فهذه امراة تطحن حبوبا أو تصنع خبزا وهذا إبريق أنيق الشكل طوله 15 سنتمترا له عنق طويل وشفة ثلاثية مورّقة. ولئن سوّي من مادّة هشّة لا تستطيع الصمود فهو يُوثّقُ المهارات القرطاجية في هذا القطاع[5]. ولنا من العاج والعظم صور تمثّل راقصات وعازفات : فهذه تداعب القيثارة وتلك تنفخ في المزمار وأخرى تلامس الدفّ[6] حرصا على الوزن والإيقاع.

1. CH. Saumagne, *BAC*, 1932-1933, p. 86-88.
2. A. Maria Bisi, «I pettini d'avorio di Cartagine», in *Africa*, II, 1968, p. 13 et pl. II, 1.
3. P. Cintas, *MAP*, II, Paris, 1977, p. 289 et pl. LXXIII ; – P. Gauckler, *Rev. Arch.* 1902. II, p. 382.
4. M.-E. Aubet, *Marfiles fenicios del Baja Guadalquivir, III, Bencarron, Santa Lucia y Setefilla*, Valladolid, 1981, p. 240-241, pl. III, a.
5. *MAF*, LVI, 1897, p. 377, fig. 83.
6. M.-H. Fantar, *Carthage, la prestigieuse cité d'Elissa*, Tunis, 1970, p. 310-313.

ومن أعلاق المتحف القومي بباردو لويحة من عظم رسمت عليها أصابع المبدع ملامح وجه صبيح : مال الرأس غنجا ودلالا وكأنّه يعيش نشوة سرت في شرايينه كما تسري الحياة عند البناعة. وازدان الجبين بإكليل من الحلّق وتدلّت ذوائب الشعر حجناء تحفّ بالعنق حتّى كأنّه رأس باكُوسة. إنّها بحق صورة بديعة شهد المؤرخون المعاصرون بروعتها وبمهارة اليد التي أنجزتها[1].

ومن روائع هذا القطاع لويحة التقطت في قبر من قبور مدفنة الأرباب في قرطاج وتصوّر مشهد خمر توسّطه شخص عار ملقى على الأرض وقد رفع يده اليسرى ما سكا قنينة ليصبّ محتواها في كوب تناوله باليمنى. وعلى يساره شخص ثان جالس وقد مدّ ساقيه وهو يداعب الكنّارة. وعلى اليمين ثالث ملقى على الأرض يعزف على الجوز وقد مسكت كلتا يديه قصبة. وفيما تبقّى من فضاء اللّويحة زخارف نباتية كما ترى نمرا وأسدا أخذت منهما الموسيقى مأخذها[2]. ومادمنا مع هذه الأعلاق فلنشر الى طُلّة كلب سلوقي عثر عليها في قرطاج وعلّها كانت مقبضا لعكّاز فخم[3]. وتجدر الإشارة أيضا الى ببغاء سلشيس[4] بسردانيا. إنّها روعة يتباهى بها متحف قالياري.

فكيف كان الحرفيون في قرطاج وفي المدن البونية الأخرى يتزودون بما قد يحتاجونه من العاج؟ لقد كان الفيل موجودا في أفريقة وكان الجرميون والنّسميّون يأتون به من وراء الصحراء ويبيعونه في الأسواق البونية، ومن بينها سوق لبدى الكبرى في الربوع الليبية. وتذكر النصوص القديمة مدينة أخرى في بلاد الزنوج تقع قبالة قِرْنة كانت تقام فيها أسواق كبيرة : فعندما يحُلّ القرطاجيون يُلْقُون مراسي سفنهم ويبادرون بعرض ما لديهم على سكّانها. وفي رحلة سَقُولاَكِسَ إشارةٌ إليهم جاء فيها :

ينصبون خيامهم في الجزيرة ثمّ يخرجون بضاعتهم ويحملونها الى البرّ على متن سنابيق. وفي هذه الربوع زنوج

---

1. A.-L. Delatte, *La nécropole des rabs, prêtres et prêtresses de Carthage, 2e année des fouilles*, Paris, 1905, p. 14-15.
2. Id., *ibid.*, p. 15.
3. A.-L. Delattre, *La nécropole punique voisine de Sainte-Monique, 2e trimestre des fouilles, avril-Juin, 1898, ext. du Cosmos*, p. 8 fig. 15.
4. S. Moscati, *I Fenici e Cartagine*, Roma, 1972, p. 405.

يتاجرون معهم. فمقابل ما يأتون به يقتني القرطاجيون فروات الأيائل والأسود والفهود والجلود وأنياب الفيلة. إنّ الأثيوبيين يرتدون الفروات ويتناولون شرابهم في أكواب من عاج ولجيادهم سروج زخارفها من عاج هي الأخرى[1].

وقد عثر على أطلال سفينة فنيقية غمرتها الأمواج قرب سواحل اسبانيا في ظروف مجهولة : فهل هي عاصفة أم قرصنة أم خلل فنيّ طرأ على السفينة وتعذر إصلاحه فالتقمتها الأمواج ؟ ومهما كان الأمر، فالأثاريون الذين أشرفوا على إخراج حطامها الى البرّ تبيّنوا أنّها كانت مثقلّة ببضائع مختلفة : منها أنياب فيلة تحمل نقائش فنيقية واضحة يمكن معاينتها في المتحف البحري بقرطاجنة الإسبانية[2]. الى أين كانت هذه السفينة متجهة قبل انقضاض البحر عليها ؟ لا أحد يستطيع جوابا ! ولئن استأثرت أنياب الفيلة ببعض أسرارها فهي توثّق ما للعاج من قيمة في التجارة الفنيقية البونية. وكان لقرطاج تجار مختصون في هذا القطاع أحدهم كان يدعى زيبق وقد ورد اسمه على نصب قرطاجي كان بقدس بعل. فلقد أصرّ زيبق على ذكر مهنته مضيفا "مكر فل" وهي عبارة فنيقية تعني في نظر بعظهم تاجر عاج[3] على أنّ آخرين يرون أنّها تعني تاجر فيلة. ومهما كان الأمر فالعاج كان يرد الى قرطاج فتوزّعه كمادة أولية فيقْتَنِيه الحرفيون ويحوّلونه الى تحف وأدوات عادية. فالعاج في نظر المؤرخين القدامى، من يونان ورومان، يمثّل موردا هامّا من موارد الثروة القرطاجية البونية.

ففي خرائب وتيكة وقف الأب جن مولار على بقايا مصنع طريف قد يكون بونيا سوّيت فيه أدوات من عظم ومنها أعمدة وعلب ومقابض وإبر وأسنّة

---

1. *Périple de Scylax*, 112 (d'après le texte établi par C. Müller), cf. J. Desanges, *L'activité des Méditerranéens aux confins de l'Afrique*, Rome, 1978, p. 412.

2. F. Lopez Pardo, «Mogador, Factoria extrema y la Cuestion del comercio fenicio en la costa atlantica africana», in *Actes du Ve Colloque sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord* (9-15 avril 1990) à Avignon, p. 277-296 ; l'auteur parle de la commercialisation de l'ivoire marocain par les Phéniciens de Gadir en se référant à l'épave de "*Bajo de la Campana*" où il y a des défenses d'éléphants avec des graffiti phéniciens, p. 291-292.

3. *CIS*, I, 3885.

مختلفة. ومن أطلال ذلك المصنع طبقة من رماد سميكة يبدو أنّها نتيجة حريق وفي الرماد كسرات وشظايا وقطع سليمة تحمل أثر منشار الخرّاط[1].

ويبدو أنّ أثر بعض المصانع الأخرى تمّت معاينتها في قرطاج بالقرب من دوار الشطّ. فلمّا كانوا يمدّون السكّة الحديدية، عبر بحيرة تونس، لاحظ لويز قرتون وجود كمّيّة كبيرة من بقايا أدوات صنعت من عظم : منها أبازيم رؤوسها مستديرة أو منحوتة ومفاصل أسطوانية الشكل. فهل هي نفايا ألقى بها المصنع في تلك السبّاطة[2] ؟ فما لم يجر فحص دقيق على تلك الأدوات وما لم نتثبّت من طبيعة السياق الأثري لا نستطيع معرفة هل هي أدوات بونية الأصل أم هي أدوات تعود الى ما بعد سقوط قرطاج. على أنّنا نرتاح أكثر الى المعلومات التي وفّرها قبر في وتيكة يعود الى القرن الرابع قبل ميلاد المسيح. وقد آوى رفات خرّاط دفن وفي عنقه عقد ذو مجاول خمسة وله خرص من ذهب خالص مجدول تخلّيه مشبّكات جدّ رقيقة.

وممّا كان ضمن الظهرة الجنائزية أدوات استخدمها الميت قبل أن يلتحق بمدينة الأرواح، فلقد بعثروا حوله كلّ ما كان على جحشه يوم مماته حتى كأنّ يدا جمعت ما عليه بسرعة. فهي أدوات حرفيّ متواضع : مطرقة وفأس صغيرة ومدية من حديد ومصقل للحجر الصلد ومواد أولية يحتاجها الخرّاط لصنع ما قد يطلب منه : فقرات خرفان وحصى وأصداف وأشياء نصف مصنّعة أو في طريق التصنيع : لويحات من عظم، حصى مشذّبة، صفوق رخويات لؤلئية... الى جانب أشياء جاهزة ومنها رصائع صغيرة مصقولة رائعة، هيّئت لزخرفة العلب[3].

ففي ضوء هذه المعطيات نتبيّن بادئ ذي بدء أنّ الحرفيّ الوتيكي كان في سعة من العيش ولا أدلّ على ذلك من العقد والخرص اللذان رافقاه الى مثواه الأخير. ولنغتنم هذه الفرصة لنقول إنّ الجواهر في دنيا البونيين لم تكن وقفا على النساء بل كانت تغري الرجال فيتحلّون بها في الأعياد والمواكب الدينية والمدنية. فثابت أنّ هذا الحرفي الوتيكي كان مشدودا الى عمله مغرما به فهو مبدع بحق، مصنعه جنّته : ففي مصنعه يأخذه سُوَارُ الجمال الساطع من تحف

1. *BAC*, 1924, p. 152-153.
2. L. Carton, *Rev. Tun.*, 1912, p. 38.
3. P. Cintas, «Deux campagnes de fouilles à Utique», in *Karthago*, II, 1951, p. 37.

سوّاها لتسعده وتسعد حرفاء طلبوا صناعتها أو أقبلوا عليه لاقتنائها. فهذه الأدوات والمواد الأولية والمصنوعات شاهد على مهارة الخرّاط الوتيكي في صقل لويحات من عظم أو عاج. وفي زخرفتها تخفيرًا أو نحتا. فهي كالتي أخرجها الأثاريون من قبور قرطاج وسلشيس وترّوس بسردانيا وقرمونة بإسبانيا.

أمّا عن جذور فن الخراطة فهي تنغمس في عمق الحضارة الكنعانية ويتجلّى ذلك في النصوص المقدّسة[1] وفي حوليات أشور[2] وقد تجدر الإشارة الى ما تمّ العثور عليه في خرائب أوجاريت[3] ومعلوم أنّ في كتب القدامى إشارات تشفّ عن تجذّر هذه الحرفة في المدن الكنعانية. ففي أطلالها التقط الأثاريون مجموعات من التحف المصنوعة من عظم وعاج. ومن روائع ما أبدعته اليد الكنعانية أعلاق تتباهى بها المتاحف في العراق وسورية ولبنان فضلا عمّا تجمّع في المتاحف الأجنبية في أروبا وأمريكا. ومن تلك الروائع المرأة على النافذة وهي لوحة من عاج تمّ العثور عليها في نمرود بالعراق واقتناها المتحف الملكي للفنون والعلوم الطبيعيّة. وهذه روعة أخرى تصوّر بقرة مدّت ضرعها لعجلها. وعلى لوحة ثالثة نشاهد أيلا ينطّ وكلتا هاتين اللوحتين توجد في متحف اللّوفر بباريس. فلا شكّ أنّ قرطاج والمدن البونية الأخرى كانت تمتح من ذلك المعيّن. وقد ورثت قدرات اليد الكنعانية ومهاراتها. فلئن أغرت العاجيات البونية فليس ذلك من باب الصدفة بل هي نتيجة تجارب تراكمت وتوارثها الكنعانيون جيلا بعد جيل ونقلوها الى غربي البحر الأبيض المتوسط والى قرطاج وربوعها[4] وتمكّن الأثاريون فيها من الحصول على مجموعات من نحوت عاجية وعظمية تستوجب القيام بدراسة مونغرافية للكشف عنها إحصاء وتحليلا فضلا عن معرفة مصدرها الجغرافي وضبط تاريخها والوقوف على مضمونها المختلف الوجوه. فهي الى جانب قيمتها الجمالية ترتدي أبعادا اقتصادية تجارية وأخرى رمزية دينيّة وقد لا يستطيع الدارس الوقوف على جميع دلالاتها.

1. *I Rois*, XXII, 39 ; Ez., XXVII, 15.
2. *ARAB*, I, 17,9 et *ARAB*, II, 511-512.
3. Cf. *Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique*, Brepols, 1992, S.V. Ugarit. p. 481-484.
4. Pour ces ivoires, de Phénicie cf. R.-D. Barnett, *A Catalogue of the Nimrud Ivories*, London, 1957 ; Id., *Ancient Ivories in the Middle East*, Jérusalem, 1982, E. Gubel, Ivoirerie in *les Phéniciens et le monde méditerranéen*, Bruxelles, 1986, p. 230-239.

الفصل السادس

الجـــوهـــرات

الحـــلـــي

ينطلق دارس الجوهرات البونية من مجموعات ثريّة متوفّرة في المتاحف ومن أخرى يملكها الخواص كما يستند الى نصوص وردت في كتب القـدمـاء والـى شواهد تصويرية تشفّ عن واقع معيش : منها تماثيل نسائية عديدة قد تكون من طين مفخور[1] وقد تكون من حجر صلد كالرخام والكلس وغيرهما. وكثيرا ما تتحلّى تلك الصور بمجوهرات من عقود وأقراط وأسورة. وتجدر الإشارة أيضا الى وجوه نسائـيّة تحفر على فصوص بعض الخواتم أو تنحت على بعض الـقـطـع النقديّة لا تخلو من عناصر التجميل : فمن مميّزات النقود التي ضربت في دور السكّة القرطاجية طلعة إلهة يتدلّى من أذنيها خرصان وفي جيدها عقد من ذهب منضود.

أمّا المؤرخون القدامى، وان لم يطنبوا الحديث عن الحلية القرطاجية فنجـد في كتاباتهم معلومات مفيدة لايستغني الباحث عنها. ففي إشارة الى التاجر حنون كتب افلاوتوس يقول :

---

1. Z. Chérif, «Les bijoux Carthaginois d'après les figurines de terre cuite», in *Reppal*, III, 1987, p. 117-150.



70

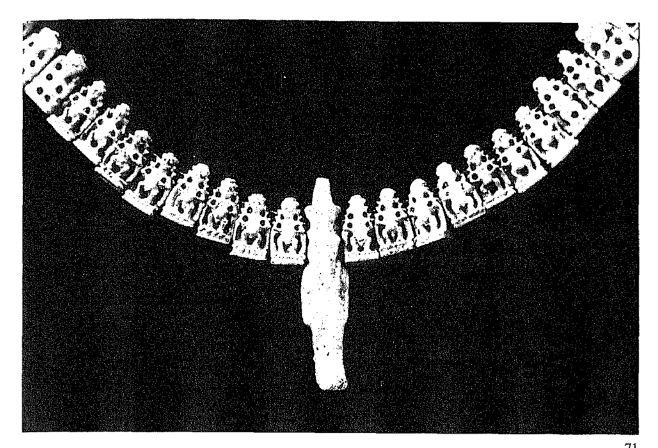
70. نوط من ذهب عليه نقيشة بالحرف الفنيقي العتيق تضمّنت دعاءًا موجّها لعشترت وبجمليون لفائدة يدعملك صاحب هذا المنجد الثمين.
(متحف قرطاج : القرن IX ق.م).

هل رأيت أولائك الذين يمشون خلفه وقد انحنت ظهورهم من ثقل العبء ؟ ومع ذلك فليس لأيديهم أصابع. ذاك تصوّري! لأنّهم يحملون فتوخهم في آذانهم[1].

لقد استخدم القرطاجيون لصنع مجوهراتهم موادّ شتّى كالمعادن والحجارة الكريمة وشبه الكريمة : فمن المعادن استخدموا الذهب والفضّة والرصاص والحديد والنحاس والبرونز ومن الحجارة الكريمة وشبه الكريمة نخصّ بالذكر الصفير والفيروز والحجر اليماني والسّبج والبنفش والعقيق والبلّور الجندلي والسماق والمرو واليشب وغيرها. فبقيمتها الذّاتية وألوانها الزاهية وندرتها المميّزة كانت تلك الحجارة الكريمة وشبه الكريمة تستجيب الى رغبات القرطاجيين وميولهم كما كانت تغري حرفاءهم في العديد من أقطار البحر المتوسط. واعتبارا لظروف السوق. وتماشيا مع القدرات الشرائية لدى عامة الناس. كان القرطاجيون يعوّضون المواد الثمينة بأخرى عادية فيستخدمون عجين الزجاج ذي الألوان الساطعة لسبك أخراز ومناجد تنضّد في العقود وتتحلى بها الصدور. ولم يقتصر الصائغ القرطاجي على سبك المعادن وصقل الحجارة لصنع الجوهرات بل استفاد أيضا من العاج والعظم والمرجان.

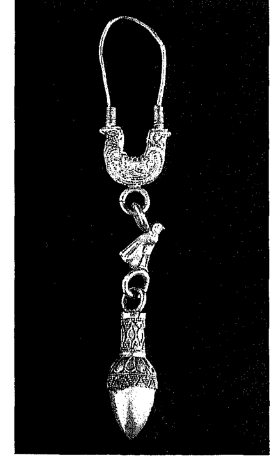
ومن بين الذين كانوا يتعاطون صناعة المصوغ في قرطاج حرفيّون تمكّن المؤرّخون من ملاحقتهم في أطلال التّوفاة ذلك أنّهم أقاموا القرابين لبعل حمّون وسطروا أسماءهم وألقابهم على الأنصاب. فهذا بدعشترت بن مسف كان مختّصا في سبك الذهب "نسك خرص" حسب العبارة الفنيقية وقد كانت هذه الصناعة متجذّرة في عائلة بدعشترت من ذلك ترى ابن أخيه يتعاطى نفس المهنة كما ثبت في ضوء نقيشة سطرت على نصب أقيم بقدس بعل وهو المعبد الذي اشتهر باسم التوفاة وكان الرجل يسمى أرش بن يتنبعل بن مسف[2] ومعلوم أنّ الذهب في لغة قرطاج يسمّى "خرص" وقد يستعملون أحيانا لفظة "سهب" عوض "زهب" وهو الذهب في اللّغة العربية ذلك أنّ الزاي

1. Plaute, *Poenulus*, 980-981.
2. *CIS*, I, 327.328.



71

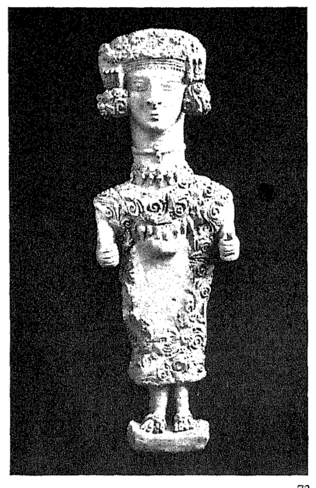




72

71. عقد يتكون من تمائم تصوّر الاله المصري باس يَتَوسَّطُها نيفرتوم سويت التمائم من رمل مزجج.
(متحف فِيلا جُوليا بروما : القرن VII ق.م.).

72. قرط من ذَهَبٍ متعدد العناصر منها كوزٌ محبّب العنق والكتف وطائر يجلّي وصفيحة محبّبة فصّلت على شكل قارب أو جفنة. عثر على هذه الحلية في مدينة ترّوس بجزيرة سردانيا.
(متحف قَالْيَرِي : القرن VI ق.م.).



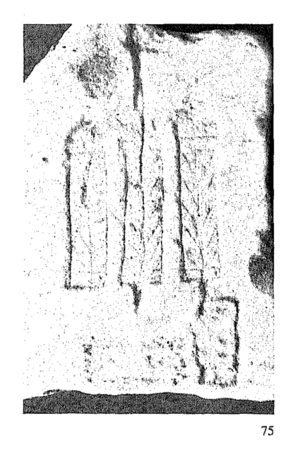
73

73. دمية من طين مفخور تصوّر حسناء من بونيات إيبيريا تزهو في حليها فازدان جبينها بإكليل وجيدُها بساجور وتدلّت العقود على صدرها وهي ترفل في ألوان كتانتِها المطرّزة البديعة.

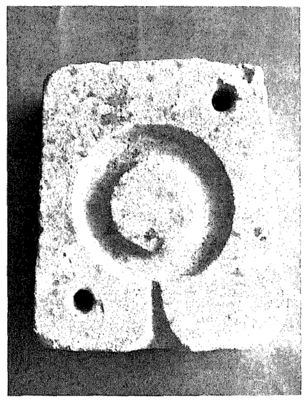
(متحف برشلونة : القرن VI ق.م).

74-75. قالبان لسبك المجوهرات من أقراط وشُعُوفٍ.

(متحف كركوان : القرن III ق.م).



75



74

والسين في اللّغة الفنيقية البونية يتبادلان والعلاقة بين حرفي الزّاي والذّال واردة. وعلى أساس ذلك ترى لفظة زهب تتحوّل داخل نظام اللّغة البونية الى سهب وكلتاهما تساويه في اللّغة العربية لفظة ذهب[1].

ولئن كان صقل الحجارة الكريمة الصلدة ونحتها من الصناعات المعروفة، تبقى معرفتنا لمناجمها ضئيلة. فمن أين كان الحرفيون القرطاجيون وزملاؤهم في المدن البونية الأخرى يتزودون بما قد تحتاجه صاغتهم ؟ وكيف كانوا يستوردونها ؟ فهل كانوا يتحصّلون عليها مباشرة من مناجمها أم كان وسيط يأتي بها إليهم ؟. إنّها أسئلة عديدة مازالت تترقّب جوابا مقنعا ! ففيما يتعلّق باللاّزورد مثلا. أشار البكري وهو جغرافي أندلسي عاش خلال القرن الحادي عشر بعد ميلاد المسيح الى وجود اللازورد في ربوع كتامة بالمغرب الكبير كما يوجد فيها النحاس والحديد :

وببلاد كتامة حجر اللاّزورد الجيّد ومعادن النحاس والحديد[2].

فهل كان حجر اللاّزورد الذي جاء ذكره في مغرب البكري معروفا في أفريقة القرطاجية ؟ وهل كان الحرفيون القرطاجيون يمتحون من مناجم كتامة؟ وهل تمكّن الباحثون من تشخيص تلك المناجم ؟ وما قد يميّز لازوردها ؟ الإجابة عن أسئلة كهذه تبقى عسيرة رهينة مزيد من البحث والتحليل. فلا بدّ من ضبط جغرافيّ لربوع كتامة ولا بدّ من دراسة جيولوجية للتثبّت من صحّة ما أورده البكري في القرن الحادي عشر. ثمّ ماذا تعني لفظة "لازورد" في لغة البكري ؟

ولئن كان ذلك الحجر معروفا في بلاد كتامة خلال العهد الوسيط فهل يعني ذلك أنّه كان بالضرورة معروفا لدى القدماء القرطاجيين ؟ هكذا نتبيّن أنّ القضية متشعبّة ولا يجوز البتّ فيها مالم تتوفر معلومات أخرى ومالم تنجز أبحاث ميدانية نظامية هادفة. ثمّ لابدّ من طرح الإشكالية المعجميّة. فلقد أشار البكري الى حجر اللاّزورد الجيّد ببلاد كتّامة ونقل دي سلان لفظة لازورد الى الفرنسية مستعملا كلمة لابيس لازولي. فهل تتطابق اللّفظتان العربية

1. *CIS*, I, 355, où *saheb* est mis pour *Zaheb*. En langue punique le samek (s) et le zaïn (z) permutent.
2. El-Bekri, *Description de l'Afrique septentrionale*, trad. Mac Guckin de Slane, p. 74.

والفرنسية ؟ فإلـى أيّ حجارة أشار البكري بلفظة لازورد ؟ تلك قضية لغوية يجب أخذها بعين الإعتبار لنكون على بيّنة ونعتمد موقفا واضحا تجاه مسألة اللاّزورد الأفريقي في أيّام قرطاج.

وفيما يخصّ أحجارا كريمة أخرى أوشبه كريمة يمكن رصد المعلومات المبعثرة في كتب القدامى واستقراؤها : فلقد أفاد الجغرافي اليوناني استرابو[1] كما أورد عالم الطبيعة ابلينيوس الأكبر[2] أنّ الجرميين[3] والنّسَميين[4] والمصوليين[5] كانوا يتعاطون التجارة الصحراوية ويزوّدون سوق الصاغة في قرطاج وفي المدن البونية الأخرى بالبنفش أو الياقوت الجرمي نسبة الى الجرميين الذين كانوا يوّردونه من وراء الصحراء ويأتون به الى المصارف البونية فتوزّعه في الأسواق حتى يصل الى مصانع الحرفيين المختصين وأضاف ابلينيوس الأكبر أنّ هذا النوع من الحجر الكريم أصبح يسمّى بالياقوت القرطاجي تنويها بثروة قرطاج العظمى[6]. وعن الياقوت الجرمي وكثيرا ما كان يسمّى عند القدماء إسْقَرْبُقْلاً. والواحدة منه إسْقَرْبُقْلَةٌ. تحدّث ابلينيوس الأكبر في سياق آخر قال :

> *يوجد الإسقَرْبُقْلُ بربوع النَّسَميين في الجبال وكان السكّان يعتقدون أنّه ممّا تأتي به أمطار إلهيّة ويعثر عليه في شعشعة ضوء القمر وخاصة إذا كان بدر تمام. وقديما كانوا يصدّرونه الى قرطاج*[7].

أمّا الكهرمان فلقد لاحظ الأثاريون ندرته في قرطاج وفي غيرها من المدن البونية وكان يستخدم لسبك بعض الأخراز والخواتم كذلك الذي سلّمته مقبرة سانت مونيك بقرطاج[8]. فمن أين كان يأتيهم هذا الرّاتنج المكلّس؟ فهل كان

---

1. Strabon, XVII, 3, 44.
2. Pline, *Hist. Nat.*, XXXVII, 11.
3. Les Garamantes. Pour la connaissance de cette tribu libyque, cf. J. Desanges, *Catalogue des tribus africaines de l'Antiquité classique. à l'ouest du Nil*, Dakar, 1962. p. 93-96.
4. Les Nasamons, *ibid.*, p. 152-154.
5. Les Massyles, *ibid.*, p. 109-110.
6. Pline, *Hist. Nat.*, XXXVII, 92.
7. Id., *ibid.*, 104.
8. *CRAI*, 1906, p. 14.

ذلك من شواطئ البلتيق ؟ ولكن يبدو أنّ الكهرمان كان موجودا في صقليّة وعلى سواحل المغرب الأقصى. وقد أورد ابلينيوس الأكبر في هذا الصدد :

> *زعم أسروباس أنّه يوجد قرب الأطلس بحيرة تدعى قَيْفَسِيس وكان الماووريون يسمّونها إلَقْتَرُومَة وكلّما اعطتها الشمس من حرّها أفرزت من طينها إلَقْتَرُوما يطفو. وفي افريقة مكان يسمّيه مَنَاسِيَاسْ سقوان وفيه جدول يسميه قَراتِيس يصبّ في المحيط وهو عابر بحيرة تعيش فيها طيور يسميها مَلْيَاجَرِيد وبِينِيلُوب. وفي البحيرة يتكوّن الإلَقْتَرُوم[1].*

فواضح أنّ الكهرمان الذي تحدّث عنه ابلينيوس الأكبر مادة من أصل حيواني لونها أشهب ناجّة عن تخشرات في أمعاء حوت ثدييّ يعرف باسم العنبر. وكلّما يلقي هذا الحيوان تخشراته في البحر تطفو على السّطح. ومنها يستخرج العطّارون طيبا زكيّا. فهي مادة تختلف عن الكهرمان بل هي التي نسمّيها بالعنبر وفي الإسم إشارة واضحة الى الحوت الذي يفرزها تبرّزا. على أنّ قضية الكهرمان في المغرب تبقى مطروحة[2]. فما لدينا من معلومات لا يفي بالحاجة. فالثابت أنّ الفنيقيين والبونيين كانوا يعرفون الكهرمان ويحسنون صقله لسبك مجوهرات بديعة تُغْوي الحرفاء الأثرياء ويقبلون على اقتنائها مهما كان الثّمن. فلقد أشار هوميروس الى تاجر فنيقي أرست سفينته في ميناء سيروس وهي من الجزر اليونانية في بحر إيجه وتمكّن التاجر من بيع بضاعته في تلك الجزيرة وأخصّ الشاعر اليوناني بالذكر منها :

> *عقدا من ذهب يضمّ حبّات ضخمة من الكهرمان[3].*

ولئن كان اليشب والجمست والبلّور الجندلي والسبج والعاج والمرو والأصداف والمرجان موادّا تتوفّر في قرطاج أو في جزيرة سردانيا فمن أين كان القرطاجيون

1. Pline, *Hist. Nat.*, XXXVII, 37-38.
2. S. Gsell, *Hist. anc. de l'Afrique du Nord*, IV p. 144.
3. Homère, *Odyssée*, XV, 440 et suiv.

يأتون بالصفير والفيروز والسماق وغيرها ؟ لاشكّ أنّهم كانوا يجدونها في أسواق اتروريا واليونان ومصر وأخرى تتردد عليها السفن البونية. أمّا عن عجين الزجاج الملّون، فلقد تفوقّت الصناعة القرطاجية في هذا القطاع ولم يبخل الزجّاجون بتوفير ما قد تحتاجه الصياغة في قرطاج وفي المدن البونية الأخرى.

وفي الحديث عن الجوهرجيين القرطاجيين تجدر الإشارة الى اطلال مَصَاغة على هضبة بيرصة وكان صاحبها يتعاطى صقل العقيق ونحته[1]. وفي مدينة وتيكة تمكّن بيارسنتاس من تشخيص مدفن خرّاط سبقت الإشارة اليه. وممّا عثر عليه في خرائب كركوان كميات من السّبج قد تكون مورّدة من بعض الجزر الإيطالية حيث يوجد هذا البلّور البركاني بوفرة ومنها جزر ليباري وجزيرة بنتلارية وجزيرة سردانيا نفسها[2].

وفي تلك المدينة البونية وجدنا قوالب من رخام بعضها يستخدم لسبك مجوهرات في شكل سعفة أو ريشة وبعضها يستخدم لسبك أخراص وأسورة[3].

ولئن بقي ضباب كثيف يحجب عنّا الجوهرجيين ومصاغاتهم، فلقد تمكّن الأثاريون من التعرّف على ما سبكت أيديهم وصقلت : فهذه جواهر من ذهب أو فضّة وأحجار كريمة تداعب العين بألوانها وتغريبها. لقد كان المصوغ يروي الثراء ويصدّ الشرّ ويَضُبّ عين الحسود. وثبت أنّ الجواهر كانت من المحبوب عند النساء والرجال لما يلمسون فيها من قيمة مالية وقيمة جمالية وأخرى تتعدّى حدود المّادة لتتّصل بعالم آخر لاتسيطر عليه المّادة المحدودة المفعول. ومن عناية البونيين بالجوهرات وتقديرهم لها واعترافهم بتأثيرها على قوّات خفيّة، تراهم متعلّقين بها لا تغادرهم طيلة حياتهم بل ترافقهم الى المثوى الأخير ممّا جعلها تصلوا الينا وتحدّثنا قصة أصحابها الذين صنعوها صقلا أو نحتا أو سبكا وقد تكون ثمرة كلّ ذلك كما تروي لنا أخبار الذين اقتنوها وتباهوا بها وتيمّنوا.

ففي القبور وجدت الجوهرات البونية ملاجئ حمتها من جشع الذين استباحوا قرطاج وكنوزها سنة 146 قبل ميلاد المسيح. فبتجلية المدافن البونية ودراسة محتوياتها عادت تلك الجوهرات الى نور الشمس، تاركة وراءها غرفا جنائزيّة

1. S. Lancel, *Byrsa*, II, Rome, 1982, p. 38-39.
2. M.-H. Fantar, *Kerkouane*, III, Tunis, 1986, p. 528- 529.
3. Id., *ibid.*, p. 526-528, et pl. XXXIII-XXXVI.

فارغة وقد تسلّم الأثاريون ما كان فيها وتولّوا دراسته وصفا وتحليلا وتأويلا. هدفهم معرفتها تمثّلا وإثراء. فالجواهر البونية التي أخرجها الأثاريون من ظلمة القبور عادت الى الحياة ليستفيد منها الأحياء. فتراها تتجلّى في قاعات أفردتها المتاحف لها في مختلف أقطار المغرب الكبير وسردانيا وصقليّة واسبانيا وجزر البليار فضلا عن تلك التي يتباهى بها آخرون عرضا في متاحفهم واكتنازا في خزاناتهم.

فالجواهر البونية في تونس تمّ التقاطها في مدافن قرطاج ووتيكة وهدريم ولبدى وتفاشة وكركوان ومنزل تميم. ولعلّها كانت تسمّى تافخسيت. ومواقع أخرى عديدة : ففي مغارة توجد داخل جزيرة كاني قرب بنزرت وجد كنز مضمونه ثلاثة أسورة وسبيكتين من فضّة كانت تحت كساء من حجر وتراب[1]. وفي سنة 1905 تمّ اكتشاف سوارين في موقع يدعى "الخليج النكرة" وقد أهداهما رئيس الدائرة البحرية ببنزرت الى متحف باردو[2]. كما أهدى احد الذين كانوا يتعاطون تجارة التحف العتيقة في تونس سبيكة من فضّة وزنها 106 غرام ومعها مجموعة من الجوهرات منها حلق برونزي يكسوه غلاف من ذهب رهيف ومنها خاتم من فضّة وآخر برونزي وحفيرتان. ويبدو أنّ هذه المجموعة كانت ضمن كنز عثر عليه في ضواحي مدينة بنزرت[3].

وفي متاحف شرشال ووهران بالجزائر جواهر استخرجت من مدافن غوريّة وأخرى أخذت من مدافن توجد في ربوع وهران وأشهرها تلك التي تمّ تشخيصها بأرشقول وفيها التقط الأثاريّ الفرنسي جورج فُويلّمُو خزائم بعضها من عظم وأخرى من فضّة. وفي مدينة الجزائر. وكانت قديما تسمّى إيقوسيم. عثر على تابوت نحت في حجرة واحدة وفيه حلق من ذهب وحلية أخرى ملفوفة كاللّولب[4]. والملاحظ أنّ المجموعات الجزائرية مازلت ضئيلة الكمّ متواضعة القيمة.

وللمغرب الأقصى مجوهرات وجدت في مواقع شتّى منها مدينة بناسة واليها ينتسب مِنْجَد رائع : نوط قطره 33 مليمترا تعلوه قصبة صغيرة جعلت معلاقا[1]. وتجلّى وجه هذا المِنْجَد بوردة ذات أحد عشرة فعالة تشعّ من درّة ذهبية

---

1. *BAC*, 1916, p. CCIV.
2. *BAC*, 1907, p. CCXI.
3. *BAC*, 1907, p. CC.
4. M. Leglay, *Ant. Afr.*, 2, 1968, p. 12-13.

ضخمة تتوسطه وفي الفراغات مثلثات مقوّرة الأضلع تتخلل القعالات وفي مستوى رؤوسها المقوّرة هي الأخرى توزعت أحد عشرة قطرة من ذهب. يوجد هذا المنجد في متحف الرباط.

ومن أعلاق متحف طنجة خرص من ذهب له ذؤابة في شكل صويع. عثر عليه في رأس أشاكر ومعلوم أنّ الحفريات التي أجريت في ضواحي تلك المدينة المغربية مكّنت من الحصول على أخراص تدلّت منها عناقيد رباعية الحبوب. وفي لكسوس وجدت حلية من ذهب في شكل هلال اقتطع من ورقة سمكها ربع مليمتر وقد ذلّقت طرفا الهلال طرقا[2]. ليس المجال هنا لرصد قائمة الجوهرات الفنيقية البونية التي وجدت بالمغرب الأقصى[3]. ولكن تجدر الإشارة الى وفرتها وتنوّعها وقيمتها الذّاتية والى أبعادها الجمالية ودلالاتها الرمزية فضلا عن المهارة التي أمّنت جودة صنعها.

وفي صقليّة البونية مجوهرات مختلفة الفصائل والأصناف كالمناجد المتنوّعة المتميّزة والخواتم والأختام والأخراص والأسوار والأبازيم. ولمّا كانت الأحجار الكريمة وشبه الكريمة نادرة عوّضت بأخراز وفصوص من عجين الزجاج الملّون. وفي متحف ويتاكير بجزيرة مطوة مجوهرات منّت بها حفريات التوفاة وهو فضاء قدسيّ مخصوص لعبادة بعل حمون. كما لابدّ من الإشارة الى مجوهرات بونية أخرى كانت من حظّ الذين تولّوا تجلية قبور هيّئت داخل الجزيرة وقبور أخرى في ابريجي مع العلم أنّ غالب تلك الجوهرات سبكت من فضّة. ومن بين النفائس الذهبية النادرة نوط محبّب تتوسّطه صورة مذبح يحفّ به صِلاّن[4].

وتمتاز جزيرة سردانيا بوفرة مجوهراتها الرائعة المتطورة الصنع، من بينها أعلاق فريدة ليس لها نظير كتلك التي ازدانت بها قبور مدينة ترّوس. على أنّ أصنافا عديدة من الجوهرات البونية وجدت في مدافن مدن سردانية أخرى ومنها سلشيس ونورة وقراليس وهي التّي تسمّى اليوم قاليـاري. وتتمثّل تلك الروائع الثمينة في حلق وخواتم وأسورة وعقود لؤلؤ منضود ومناجد أشكالها مختلفة كالطلعة النسائية وطلسم تانيت والنّسر والنغفة والهلال. ونجد ضمن

---

1. A. Jodin, *BAM*, 1966, p. 58.
2. Id., *ibid.*, p. 72.
3. Id., «Bijoux et Amulettes du Maroc punique», in *BAM*, 1966, p. 55-90.
4. E. Titone, *Civiltà di Motya*, Trapani, 1964, p. 118-119 et fig. 31.

مجوهرات سردانيا محافظ في شكل اسطوانة أو منشور وقد تعلوها رؤوس حيوانات كالخرفان والسباع كما نجد من بين الجوهرات السردانية أختام وأكاليل وغيرها مما تتحلّى به النساء ويُعْجِبُ الرجال. وقد تنافست المتاحف والخواص لاقتناء مثل تلك الروائع فتراها معروضة أو محفوظة في متاحف الجزيرة[1] أو في بعض المتاحف الأخرى كتلك التي يفخر بها المتحف البريطاني بلندن[2].

وفي المتاحف الإسبانية مجوهرات لا تقدر بثمن[3] منها حزام أليسيدة الذهبي وان لم يبق منه إلا إثنتان وستّون قطعة حُلّت بصور متواترة تمثّل صيّادا يصارع أسدا حتّى كأنّها حبات سبحة تمرّرها، مداعبة إيّاها، أصابع داع يبتهل الى قوّة خفية خارقة يستدرّ عطفها وحمايتها[4]. ومعلوم أنّ مصارعة، السباع والتواتر من ميزات الفنون التشكيلية في الشرق القديم[5] ومنه تسرّبت الى مختلف أقطار البحر المتوسط. فليس من الغريب أن نجد مكانها في المصورة المتوسطية ومخيال الذين متحوا من المعين المشرقي. ومن كنوز أليسيدة إكليل تحلّى بمجموعتين من الورود المتتالية وبمناجد على شكل أكواز من ذهب. وينتهي كلا طرفي الإكليل بمثلّث مقوّر الرأس زانته زخارف هندسيّة محبّبة : إنّها روعة أبدعتها يد الصائغ لتبرز طلعة صاحبتها ولينحبس البصر في ملتقى الجمال بالجمال.

ومن عناصر هذا الكنز المنقطع النظير أسورة وأخراص تجمع بين القيمة الذّاتية وثراء الزخرف وطرافته : فهذه أمهرت بجدائل ولولبيات وتلك زادها المبدع ما لزهرة اللّوطس والسعيفة[6] من طيب وروعة في الظاهر والباطن. وترى طائرين متناظرين كأنّهما يتحاوران حول الغصن المسكون[1] مع احترام الشّجرة القدسية[2].

1. G. Quattrocchi Pisano, *I gioielli fenici di Tharros nel Museo Nazionale di Cagliari*, Roma, 1974 ; – S. Moscati, *I gioielli di Tharros: origini, caratteri, confronti*, Rome, 1988.
2. R.-D. Barnett et C. Mendleson, *A Catalogue of material in British museum from Phoenician and other Tombs at Tharros, Sardinia*, London, 1987.
3. J.-M. Blazquez, *Tartessos y los origines de la colonizaction fenicia en Occidente*, 2[e] éd., Salamanca, 1975, p. 115-148, pl. 36 A et pl. 53 B.
4. Ed. Lipinski, *Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique*, Brepols, 1992, s.v. Aliseda.
5. A. Parrot, *Assur*, Paris, Gallimard (Univers des formes), 1969, p. 67 et fig. 64 ; sur la patère d'Idalion en Chypre, cf. E. Lipinski, *Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique*, Brepols, 1992, pl. VI, C.
6. La fleur de lotus et la palmette ressortent au repertoire iconographique des cités phéniciennes d'Orient et d'Occident.

وعلى خاتم أَلِيسيدة مشهد ذو مقام في مصورة الشرق السّامي يمثّل لقاء الإله بالإلهة وجها لوجه وقد تبوّأ كلاهما عرشا ومسك الصولجان باليسرى ورفع اليمنى تنويها بالسلطان ووعدا ووعيدا. وترى بينهما شجرة الحياة والخلود محفوفة بعنقاوين متناظرتين في موقف ملؤه يقضة وخشوعا. أمّا القرص المجنّح فهو يشير الى حضور قدُسيّ ومن يتعدّى حدود القدْس فقد ظلم نفسه.

وعثَر على مجوهرات أخرى في مدينة قادس الإسبانية تلك التي سمّاها الفنيقيون جديرة لمّا أسّسوها في نهاية الألف الثاني قبل ميلاد المسيح[3] وقد خُطَّ الإسم على نقودها بأحرف فنيقية لا تترك للشكّ مجالا. ومن مجوهراتها منجد وجدوه في موقع يعرف باسم بونتا دي لافاكا[4]. وازدان بوردة فعالاتها تشبه تلك التي رأيناها على منجد بَنَاسَةَ بالمغرب الأقصى. وقد تجدر الإشارة هنا الى قصر المسافة الفاصلة بين السواحل الإسبانية والسواحل المغربية ممّا يساعد على الوصل وتبادل التجربة في مختلف الميادين. ومن مصوغ مدينة قادس أخراص وذوائب ومحافظ ذات أشكال اسطوانية وخواتم وأختام تفرّد أحدها بنقيشة ترتدي قيمة كبرى لمعرفة مجمع الآلهة الفنيقية البونية بإسبانيا[5].

وفي قبور بويج دس مولنس[6] بجزيرة إبيسة وجد الأثاريون الذين قاموا بتجليتها والتنقيب فيها مجوهرات من ذهب وفضّة وأحجار كريمة منها خواتم وأخراص وخزائم وأختام وقصبات للتمائم والتعاويذ. وما دمنا مع الجوهرات البونية بإسبانيا لابدّ من الإشارة الى كنز القارنبولو[7] بالقرب من إشبيلية. و يتميّز هذا الكنز بقيمة ذاتية خالصة وطرافة نادرة. وهو يتكون من إحدى وعشرين قطعة ذهبية من صدريات وأسورة وعقود وصفائح وغيرها. والملاحظ أن صائغ القارنبولو كان يفضّل المشبّكات والورود في الزبرجة. ويبدو أنّ عناصر الكنز تعود الى القرن

1. Le rameau peuplé est présent dans l'univers des Sémites. Les mosaïques romano-africaines s'en souviennent.
2. L'arbre sacré a des racines profondément fixées en terre orientale, cf. A. Parrot, *Assur*, Paris, Gallimard, Univers des formes, 1969, p. 14 et 70, fig. 205-231.233, etc.
3. Ed. Lipinski, *Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique*, Brepols, 1992, s.v. Gadès p. 181-183.
4. Punta de la Vaca : en Espagne, dans les territoires de Gadès, cf. Ed. Lipinski, *op. cit.*, p. 181.
5. J.-M. Sola Sole, *Sefarad*, 21, 1961, p. 251 et suiv. ; – J.-M. Blazquez, *op. cit.*, p. 26 et pl.
6. Id., *ibid.*, p. 364-364.
7. S. Moscati, *I Fenici e Cartagine*, p . 421-423 ; – J.-M. Blazquez, *op. cit.*, p. 138.

السادس قبل ميلاد المسيح. وفي موقع لبريخا[1] على مقربة من اشبيلية عثر على مبخرتين من ذهب تبدو كلتاهما في شكل أنبوب له قاعدة كالخروط وفم كالقرص. وفي قبور مدفنة لاخويا بمدينة هوألبا[2] التقطت مجوهرات من ذهب وفضّة وبرونز فهي أسورة وأختام وعقود ومناجم وأبازيم وغيرها.

وفي أحد قبورها وجد خاتم من ذهب مصمت ذو دمغة يزن 5,4 غرامات وعلى اديم فضّة زبر الصائغ صورة عنقاء صافقة[3]. وفي نفس القبور وجدوا دررا من ذهب بعضها كُريّ واخرى في شكل جذعي مخروطين متناظرين كما التقطوا اخرازا من الكهرمان في شكل البلوطة. وفي المجموعات الإسبانية مجوهرات سلمتها حفريات المنكّب[4] وقرطاجنة[5] ومواقع أثرية اخرى عديدة.

كذلك تبدو الجوهرات البونية عديدة متنوعة الشكل والزخرف والمصدر. فقد اصبح الدارس يشعر بحاجة متأكّدة الى ديوان[6] يقدّمها منظّمة مرتبة ترتيبا يراعي الشكل والمادة والزخف والزّمن والمحيط الجغرافي الحضاري الذي أفرزها أواستطابها واطمأنّ لها ولمضمونها فضلا عن التعّرف الى قيمتها الذّاتية والإقتصادية وأبعادها الجمالية والرمزية وضبط دورها في المجتمع وتأثيرها على الفرد.

ومن بين القضايا التي تطرحها هذه المجموعات الثرية المختلفة من الجوهرات. لا بدّ من الإشارة الى المصادر التي اقتبس منها الحرفيون المبدعون. فكثيرا ما تكون قطعة المصوغ وليدة لقاء وتفاعل بين عناصر مشرقية سامية وعناصر متوسّطية محلية فعلى غرار عناصر الحضارة البونية الأخرى. نلمس في الجوهرات

1. Lebrija près de Séville ; Pour les Thymateria, cf. M. Almagro Basch, *Los Tymiateri allamados candelabros de Lebrija*, Madrid, 1964.
2. J.-P. Garrido et E.-M. Orta, *Excavaciones en la necropolis "La Joya"* (Huelva) II, Madrid, 1978.
3. J.-M Blazquez, *op. cit.*, p. 383-390 : il s'agit de la tombe 9.
4. *Almunecar* : Fondation phénicienne du début du VIII^{e} siècle avant J.-C. sur la côte méridionale de l'Espagne. Cf. F. Molina Fajardo, *Almunécar a luz de los nuevos hallazgos fenicios*, in *Aula Orientalis*, 3, 1985, p. 193-216.
5. Carthagène : cité punique fondée par Hasdrubal, le gendre d'Amilcar Barca en 225 avant J.-C, cf. A. Rodero Riaza, «La ciudad de Cartagena en época punica», in *Aula Orientalis*, 3, 1985, p. 217-225.
6. B. Quillard, *Bijoux carthaginois*, I : *Les colliers*, Louvain-La-Neuve, 1979 ; – G. Quattrocchi Pisano, *I gioielli di Tharros nel museo Nazionale di Cagliari*, Roma, 1974 ; – S. Moscati, *Iocalica punica*, Roma, 1987.

تجذّرا في معين الشرق السّامي الكنعاني مع تفتّح على ثقافات البحر المتوسط بضفّتيه من مصر الفراعنة الى دنيا الإغريق. هذا الى جانب اعتبار المحيط الجغرافي العرقي الذي تولّى السبك والصياغة : ففي افريقة عناصر لوبية وفي صقلية عناصر عرقية أخرى وكذلك بالنسبة لسردانيا وشبه جزيرة الإيبيريين. فضروريّ أن تراعى الخصوصيات ويقع الإنتباه لما يفرضه مرّ الزّمن وتعاقب الأجيال[1].

تمائم وطلاسم

من بين الأخراز والمناجد والجدائل التي تنضّد في عقود تتحلى بها نساء قرطاج والمدن الأخرى نجد تمائم وطلاسم ذات قيمة كبرى عددا وفاعلية[2]. كانت تصاغ التمائم والطلاسم من معادن وأحجار كريمة وصوّان وعجين الزجاج وعاج وعظم. ولاشكّ أنّ بعضها كان يصنع من مواد فانية لا تستطيع الصمود كالجلود والأخشاب وغيرها. تتجلّى التمائم والطلاسم في صوّر آلهة وآلهات مصرية فرعونية بعضها يتّخذ ملامح آدمية ومنها إيس وأوسير وحروس وباس وافطاح وشو واخنوم وأخرى تتقمص حيوانات : ففرس الماء يشير الى تُوَيْرِسَ وتتخذ الإلهة سُوخِيتُ رأس لبوة واختار الإله تُوتُ رأس أبي منجل ورأس الكلب أو الذئب لأنُوبِيسَ. ومن الحيوانات التي تصوّر آلهة أو آلهات مصر القديمة نجد الكبش وقد تقمّصه اخنوم والبقرة التي تجسّد الإلهة هَتُور. أمّا الصقر فهو يشير الى حُرُوس والقطة الى بَسْتِيس. ولتمائم قرطاج وطلاسمها صور حيوانات أخرى كالصلّ والتمساح والخنزير والحمامة والسمكة والقرد والقواع وغيرها من الحيوانات التي كانت تعيش بمصر القديمة. وصيغت تمائم وطلامس في شكل نبات كزهرة اللوطس وورق البردي وفي أشكال أخرى مقتبسة من الحياة اليومية كالوعاء "وعمود زد" عين ودجة والمذبح والأواز وهو عمود يجمع بين البردي وزهرة اللوطس.

---

1. Pour les spécificités locales, cf. S. Moscati, *L'empire de Carthage*, Paris et Tunis, 1996, p. 96
2. P. Cintas, *Amulettes puniques*, Tunis, 1946 ; – J. Vercoutter, *Les objets égyptiens et égyptisants du mobilier funéraire carthaginois*, Paris, 1945 , p. 264-301 ; – J. Leclant, «Les talismans égyptiens» in *Archéologie Vivante*, I, 2, déc. 1968 - fév. 1969, p. 99-101 ; – E. Acquaro, *Amuleti egiziani ed egittizzanti del Museo Nationale di Cagliari*, Roma, 1977.



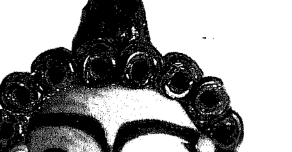
تحف من عجين زجاج أبرش (متعدد الألوان).

76. أنيفرة للعطر. (متحف كركوان : القرن V ق.م.).

77. تميمة في شكل قناع يصوّر وجه رجل ألحى أصفر اللّون واختير الأزرق للحاجبين وبؤبؤ العينين والأبيض للشفتين. (متحف قرطاج : القرن IV ق.م.).

78. تميمة في شكل قناع يصوّر وجه رجل ألحى ودوائب شعره ولحيته مبرومة زرقاء اللّون. واختير الأصفر للأنف والشفتين والأبيض للأذنين. (متحف قرطاج : القرن IV ق.م.).

76







78

77

وتعود بعض التمائم والطلاسم الى العالم السّامي والعالم الفنيقي البوني بالخصوص ومنها القرص والهلال واليد مفتوحة كانت أو مغلوقة ولكلتيهما دلالة ومفعول. والى هذه المجموعة السّامية ينتسب القضيب. وتعود اللويحة السحرية وهي لويحة مسطّحة تخترقها ثقب عديدة لانظام لها ولا عدد وقد سمّاها بعضهم بالتميمة الرند[1].

ومن التمائم والطلاسم ما كان يستعمل مناجد كتلك الأقنعة التي كانوا يصنعونها من صوّان أو من عجين الزجاج الملوّن أو من عاج أو من عظم. وفي اعتقاد البونيين كان القناع يتضمّن قوّة سحرية تتصدّى للشياطين وتستطيع جلب الخير. ويكمن سلطان الأقنعة في عيونها المزججة الجاحظة كأنّها جُعلَتْ لشلّ حركة الشرّ وتجميده وجذب ما في ينابيع الخير من عافية وسعادة ورخاء وفلاح وتوفيق.

فلقد أشرنا أكثر من مرّة الى محافظ أو قصبات التمائم[2]. تلك التي تبدو غالبا في شكل أنبوب صغير من ذهب يعلوه رأس حيوان منحوت نحتا بارزا. وفي قعر الأنبوب صمامة تسدّه. وتُدَسُّ في تلك القصبات ورقات من ذهب رقيقة عليها صور وكتابات تجمع بين عالم الفراعنة وعالم القرطاجيين. كما يتجلّى ذلك في ورقة تمّ العثور عليها في قصبة دفنت مع صاحبها في قبر من قبور مدفنة درمش بقرطاج يحمل عدد 212 ويعود الى نهاية القرن الخامس قبل ميلاد المسيح. وكانت الورقة ملفوفة في غمدها أو قل في قصبتها وقد جاءت الحفظة في شكل أنبوب ذهبيّ مثمّن الأضلع طوله 4,6 سنتمترا ويعلوه رأس لبوة. وللأنبوب معلاق مندس وراء قرص الشمس التابع للإلهة سخمة ممّا يثبت أنّ القصبة كانت تحمل معلّقة ضمن عناصر عقد منضود أو علّها كانت مِنْجَدا يتدلّى على صدر صاحبه أو صاحبته[3]. أمّا الورقة الذهبية الرقيقة فكانت مقسّمة الى أربعة جداول مُتَصّصة متعالية وقد خصّصت لتصوير آلهة

1. P. Cintas, *Amulettes puniques*, Tunis, 1946 ; – J. Vercoutter, *Les objets égyptiens et égyptisants du mobilier funéraire carthaginois*, Paris, 1945 , p. 264-301 ; – J. Leclant, «Les talismans égyptiens» in *Archéologie Vivante*, I, 2, déc. 1968 - fév. 1969, p. 99-101 ; – E. Acquaro, *Amuleti egiziani ed egittizzanti del Museo Nationale di Cagliari*, Roma, 1977.
2. Id., *MAP*, II, Paris, 1976, p. 281.
3. B. Quillard, «Les étuis porte-amulettes carthaginois», in *Karthago*, XIV, 1973, p. 5-32.

مصرية أملا في الحصول على حمايتها وعطفها. وعلى الرقعة 240 صُوِّر كلّها مصرية تمّت تسويتها بدقّة وأمانة وقد أثبت المختصون أنّ اليد التّي زبرتها وفِّقَتْ في رسم المثال المصري فلم تبتعد عنه قيد أنملة[1]. ولم تترك للخيال البوني فيها مكانًا حتّى كأنّها مصرية أصيلة.

فالتراكم الذي يميّز هذه الوثيقة البونية يوجد على عديد الوثائق المصرية من أوراق بردية وأنصاب وتحف من عاج وأفاريز المعابد[2]. فمن الثابت أنّ اليد التي رسمت هذه الصوّر المصرية كانت تعرف تمام المعرفة خفايا السحر عند المصريين. وممّا تجدر ملاحظته أنّ الورقة الملفوفة في القصبة تحمل الى جانب ذلك الزخم الفرعوني كتابة بونية بالحرف الفنيقي : فكلّ من الجدولين الثاني والرابع ينتهي بنقيشة بونية تتضمّن دعاء نصر وحماية من كل قوة تريد لصاحب القصبة الفناء والأذى[3]. ففي كلتا النقيشتين استعمل السّاطر الفعلين التالين : نصر وحرس كما عرّفنا باسم صاحب القصبة وكان يدعى خلصبعل بن أرشتبعل.

ومهما عظم شأن التمائم والطلاسم التي تُوقِفُنَا على مدى الحضور الفرعوني في عالم قرطاج، فلا ننسى الأصناف الأخرى : فممّا لايجوز التغافل عنه، طلسم تانيت وهو ما يسمى أيضا علامة تانيت أو سِمَةُ تانيت فكان هذا الطلسم يصوّر في شكل مثلّث تعلوه دائرة ويفصل بينهما قضيب أفقي قد ينتهي كلا طرفيه بزائدة شاقولية أو مقوّسة[4]. وكثيرا ما يكون هذا الطلسم من العناصر المكوّنة للتميمة. ويبدو أنّ الجلاجل والصنوج كانت لها وظائف التمائم والطلامس وهي من الأدوات التي بصوتها تزعج الشياطين فينصرفوا بعيدا عنها.

---

1. J. Vercoutter, *op. cit.*, p. 317.
2. *Le livre des morts, Papyrus d'Ani, Hunefer, Anhaï*, Commentaires de Evelyn Rossiter, trad. par Bernard Soulié, Paris, Seghers, 1978.
3. *CIS*, I, 6067.
4. M.-H. Fantar, «Pavimenta Punica et signe dit de Tanit dans les habitations de Kerkouane», in *Studi Magrebini*, I, 1966, p. 57-65 ; – C. Picard, «Genèse et évolution des signes de la bouteille et de Tanit à Carthage», in *Studi Magribini*, II, 1968, p. 77-87 ; – G . Falsone, «Il simbolo di Tanit a Mozia e nella Sicilia punica», in *RSF*, vol. VI, 2 1978, p. 137-151 ; – S. Moscati, «un "Segno di Tanit" presso Olbia», in *RSF*, vol. VII, 1, 1979, p. 41-43 ; – F. Bertrandy, «Les représentations du "Signe de Tanit" sur les stèles votives de Constantine, IIIe - Ier siècles avant J.-C.», in *RSF.*, vol. XXI, 1. 1993, p. 3-28.

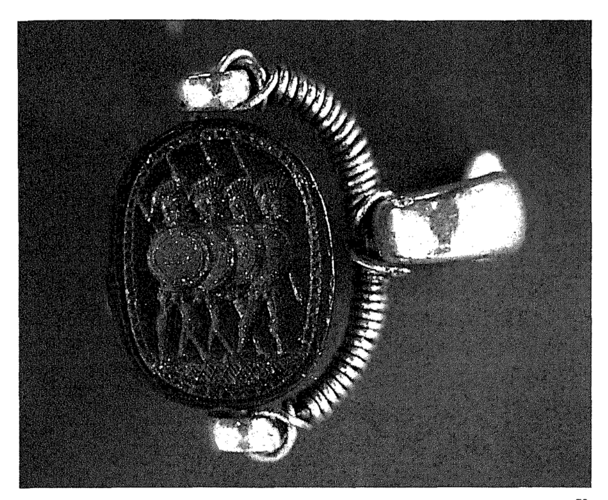
الفصل السابع

الجُعْلاَنُ

وبالإضافة الى أشكال التمائم والطلامس أخذ القرطاجيون والبونيون عامة من مصر استعمال أختامٍ في شكل الجُعَل[1]. لقد أعطى المصريون لأختامهم صورة الجعل وهو حشرة من فصيلة الخنافس وكانوا يتّخذونها مناجد تتدلّى على صدورهم ومنهم من كان يفضّلها فصوصا تزدان بها خواتمهم وتدور حول محاورها.

ويبدو أنّ اختيار الجُعَلِ لسبك الأختام والطلاسم يستند الى أسس دينية سحرية تكمن فيما كان المصريون القدامى ينسبونه لهذه الحشرة ولصورتها من قوة ودلالات رمزية. ويرى بعض الباحثين أنّ ذلك يعود الى سلوك الجُعَلِ وهي الحشرة التي فطرت على دفع كويرات فضلاتها ثمّ تتولى دفنها في بطن الأرض وتضع فيها بيضها وكأنّها تشير الى التغيّر الموصول الذي يميّز الأشياء والأحياء ومعنى ذلك رفض الموت ونفي الفناء. فإذا أمعنت النّظر في جُعَلٍ رأيت الكوسل والأغمدة في حالة استرخاء. أمّا القوائم فهي مصوّرة جانبيا على القاعدة المحفورة ممّا يعزّز قوّتها الطلسمية التّيَمُنِيّة فتكون أكثر نجاعة لصالح المرأة التي تسدلها على الصدر منجدا كما يستفيد منها الرجل وقاية ويمنا. بالإضافة

1. T. Redissi et M. Tillot, «Catalogue des scarabées et scaraboïdes de Kerkouane», in *Reppal*, IX, 1995, p. 115-146 ; On y trouve une riche bibliographie sur le scarabée dans le monde phénico-punique.



79





80

79. جُعل من يشب معلاقه من ذهب عثر عليه في قبر من قبور مدفنة منزل تميم (تافخسيت) على فصّه أربع مشاة مدجّجين بالسلاح. (متحف كركوان : القرن IV ق.م).

80. جُعل من حجر الطّلق عثر عليه في خرائب سلشيس بسردانيا على سطحه مشهد ديني مصري فرعوني وفي الأسفل سَطر بالحرف البوني اسم صاحب الجُعَلِ وهو جرأشمن بن خِملك (مجموعة بيجّو في سان أنطِيُوكُو : القرن V ق.م).

الى استعمالها روشما للتعريف وضمان المصداقية. فكلّ يختار لقاعدة جعله صورة أورمزا أو حروفا قد نقف على معناها وقد تبقى غَلْقًا لانفهمها. وأيّا كان الأمر فالأرجح أنّ الصّورة تُعرِب عن رغبة صاحب الجُعَل وعن سعيه وراء الأنجع شأنه في ذلك شأن الذين تراهم اليوم يختارون منجدا يعبّر عن تقواهم أو يتعوّذون ويتيمّنون بنصّ قُدُسيّ يعيرونه مظروفا تطمئنّ له النّفوس.

لقد كانت صوّر الآلهة تستغوي وجدان البونيين ومشاعرهم الدينيّة. وكانوا يفضّلون آلهة عُرِفُوا بوظائف وقائية وحرص على حماية البشر من شرّ غاسق إذا وقب ومن شر حاسد إذا حسد. ومن آلهة الوقاية والحماية لا بدّ من ذكر باس وحروس وإيس وأوسير وتكون الصورة مشفوعة أحيانا بنصّ هيرجليفي قد لا يدرك صاحب الجُعَل مضمونه ولعلّهم كانوا يلمسون في الغموض نجاعة وفي ذلك سرّ الإقبال على نصوص هيرجليفيّة ترسمها أيديهم مؤمنين بقدراتها عاجزين على عجمها وفكّ أقفالها.

على أنّ بعض الجِعْلاَن لا تكرع من مياه النيل بل تراها تعتمد التراث السّامي المشاع أو تنهل من حياض الحضارة اليونانية. فمتى بدأ هذا التيّار يؤثّر على زركشة قواعد الجِعْلاَن ؟ سؤال قد تعسر الإجابة عليه بكلّ دقّة ! فالثابت أنّه تمتّن مع نهاية القرن الخامس قبل ميلاد المسيح دون إقصاء التيّار المصري. ومن بين عناصر الزخرفة الجديدة يحتّل الجنديّ فضاء فسيحا من مشاة مدججين بالسلاح وقوّاسين وفرسان وغيرهم. ومن المشاهد التي تتواتر في هذا الصنف من الجِعْلاَن صورة السبع المنقض على فريسته يمزّقها بأسنانه وبراثنه[1]. كما تجدر الإشارة الى صور إلهية : فهذا إله البحر[2] تعرّف به عدقة يلوّح بها ولقد عثر على مثل هذه الجعلان في قبور بونية بكركوان ووتيكة وفي مدن أخرى في سردانيا وجزيرة إبيسة[3].

---

1. J. Vercoutter, *Les objets égyptiens et égyptisants du mobilier funéraire carthaginois*, Paris 1945, p. 41-256. P. Cintas, *Amulettes puniques*, p. 11-29 ; – S. Moscati, *L'épopée des Phéniciens*, p. 231-232. Id., *I Fenici e Cartagine*, p. 380-388. Pour les scarabées d'Egypte, cf. F. ; – S. Matouk, *Corpus du scarabée égyptien*, 2 vol., Beyrouth, 1971-1977 ; – R. Giveon, *Egyptian Scarabs from western Asia from the Collection of the British Museum*, Göttingen, 1985.
2. Le motif de la divinité marine est également attesté sur des scarabées d'Utique, cf. J. Vercoutter, *Les objets égyptiens et égyptisants*, p. 230, n° 616 et p. 245, n° 674. La nécropole de Kerkouane a livré un scarabée portant l'image de Triton (homme-poisson), *ibid.*, p. 231, n° 618.
3. J.-H. Fernandez et J. Padro, *Escarabeos del Museo arqueologico de Ibiza*, Madrid, 1982, p. 146, n° 52 et p. 207, n° 80.

وإذ تتغيّر المواد والتقنيات ومراكز الإنتاج. استخدم الحرفيون لصنع الجعلان أحجارا صلبة وأخرى هشّة كما استخدموا اللاّزورد والحجر اليماني والبلّور الجندلي والعقيق واليشب. وسبك بعضها من طين مفخور. أمّا لإنجازها، فيحتاج الحرفيّ الى السكين والقوس كما يستخدم القالب إذا كانت المادة طينا أو عجين زجاج على أن يتولى الصانع تسوية بعض الجزئيات الجسدية للحشرة أو بعض عناصر الزركشة من صورة وحرف.

لقد تمّ التقاط جِعْلانٍ في غالب المدافن البونية ولقد أشرنا الى لقى عثر عليها في الأقطار المغاربية[1] وفي سردانيا[2] وصقلية[3] واسبانيا[4] وجزر البليار[5]. وتتوزع الجعلان على حقبة زمنية طويلة تنطلق من القرن السابع الى نهاية القرن الثاني قبل ميلاد المسيح. ومعلوم أنّ أولى المدوّنات لهذا القطاع من الفنون البونية وضعت سنة 1945 ضمن دراسة قام بها جن فركوتير الذي أحصى الجِعْلاَنَ الموجودة في متحف قرطاج ومتحف باردو. وتناولت جبريلاّ مَتِّبِي اسقندوني دراسة الجعلان المحفوظة في متحف قالياري بجزيرة سردانيا[6] لكنّها اقتصرت على تلك التي سبكت من عجين الزجاج والعقيق والطّلق. فأحصت 187 جُعَلاً تنقسم الى تسعة أقسام. على أنّ مجموعات سردانيا تفوق ذلك العدد بكثير وتحتوى على نماذج من عقيق وأخرى من الحجر اليماني أو من يشب أخضر. وفي متحف إبيسة[7] 91 جعلا غالبها في حالة جيّدة كما توجد مجموعات أخرى في متاحف اسبانية كالتى في مدريد وبرشلونة والمنكّب ومَالِقَة واشبيليا ثمّ لا ننسى أنّ لبعض الخواص في الولايات المتّحدة وأوروبا مجموعات ثريّة قد يفوق بعضها ما في المتاحف جودة في الصنع وروعة في الزخرف.

---

1. Pour un scarabée de Lixus au Maroc, cf. A. Jodin, «Bijoux et amulettes du Maroc punique», in *BAM*, 6, 1966, p. 85.
2. G.-M. Scandone, *Scarabei e scaraboidi egiziani ed egittizzanti del Museo Nazionale di Cagliari*, Roma, 1977, p. 37-43 ; – E. Acquaro, *Gli scarabei in pietra dura*, *ibid.*, p. 45-47.
3. G.-M. Scandone, «Materiali egiziani e egittizzanti del Museo di Mozia», in *RSF*, III, 1975, p. 65-73.
4. Cf. page 237, note 3.
5. J. Bordman, *Escarabeos de piedra procedentes de Ibiza*, Madrid, 1984.
6. Cf. *ci-dessus* note 2.
7. Cf. page 237, note 3.

ومهما يكن مصدر تلك الجِعْلان، وأيّا كان زمنها، ومهما تعددت وتناءت فضاءات عرضها أو حفظها، فهي ترفع الينا معلومات عديدة متنوّعة فضلا عن قيمتها المالية والجمالية. فإذا نظرت في الكتابات المسطورة عليها ثبت لديك أنّها تشير في غالبها الى أعلام فرعونية وتحتوى على تعاويذ سحرية تَيَمُّنِيّة. فهذا جُعَلٌ عثر عليه في قبر قرطاجي يعود الى القرن السابع قبل ميلاد المسيح ويوجد في متحف قرطاج وعلى سطحه نقش صانعه اسم موخيرينوس وهو من فراعنة الأسرة الرابعة معروف بتشييد هرم الجيزة في الألف الثالثة قبل المسيح. والى جانب النقيشة الهيرجليفية نرى نسرا وصلاًّ وكلاهما ينتمي الى العالم الفرعوني الأصيل[1]. وهذا جُعَلٌ أخرجوه من أحد قبور درمش بقرطاج ويوجد اليوم في متحف باردو وعلى سطحه صورة الإلهة إيس. تراها جالسة على عرش تنظر الى مومياء الإله أوسير وقد رفعت يمناها وتناولت الصولجان باليسرى. وفي أعلى الرقعة انتصب الهلال والقرص ورسمت السلّة "نب" تحت العرش. وفي ذلك نلمس لقاء مصر الفراعنة بالشرق السّامي[2].

ولمّا كانت زركشة الجِعْلانِ مفتوحة للتأثيرات اليونانية ظهرت على بعضها زخارف جديدة منها الطلعة الذاتية والجنود المسلّحون. فمن بين المجموعة التي يملكها متحف باردو جُعَلٌ من حجر يشدّه إطار من ذهب ورسمت على مسطّحه صورة جنديّ مسلّح جاث[3]. وهذا جُعَلٌ آخر من بلور جندليّ تحلّى مسطّحه بصورة جنديّ من صنف المشاة يتقدّم نحو الشمال ملوّحا بسلاحه. وهذا جُعَلٌ ثالث من حجر الطلق يملكه أحد الخواص في سردانيا ومن ميّزاته نقيشة فنيقية سطرت حروفها في أسفل الرقعة وتضمّنت اسم صاحب الخاتم وهو جرأشمن بن خيملك. أمّا الزخرفة فقد تقاسمت عناصرها الفضاء الباقي واعتلى بعضها بعضا جداول ثلاثة خصّص أعلاها الى القرص المجنّح وكأنّه ينشر عبير الحضارة المصرية أو عبير حضارة غلبت عليها روح الحضارة المصرية واحتلّ الجدول الأوسط مشهد يتركّب من زهرة اللوطس أو زهرة البردي وحفّ بها متناظرين إله وإلهة

1. J. Vercoutter, *Les objets égyptiens et égyptisants*, p. 97, n° 14 ; J. – Leclant, «Les talismans égyptiens dans les nécropoles», in *Archéologie vivante*, 1, 2, déc. 1968 - fév. 1969, p. 95, n° 100.
2. J. Leclant, *op. cit.*, p. 97, n° 90.
3. J. Vercoutter, *Les objets égyptiens et égyptisants*, p. 252, n° 708 ; – J. Leclant, *op. cit.*, p. 98, pl. XXIV.

وهما على التوالي خنسو وإيس ومن مميّزات الأول رأس النّسر وتعرف الثانية بالتّاج الهاثُوري. وتعلو الزهرة صورة الإله الطّفل ثمّ نشاهد خلف خنسو صورة إلهة أخرى قد تكون سخمة وهي التّي تتخذ رأس الأسد وتشدّ عليه قرص الشمس وترى في نفس هذا الجدول علامات هيرجليفية[1].

ومن مجموعة إبيسة الإسبانية تجدر الإشارة الى جعل يحمل في سجلّ متحف الجزيرة رقم 3650 وهو من يشب أخضر كان في قبر من قبور مدفنة بويج ديس مولنس يحمل رقم 13 وتمّ كشف الغطاء عنه سنة 1921. يعود الجُعَلُ الى القرن الخامس قبل ميلاد المسيح وتصوّر زخرفته المحفورة إلها رأسه رأس ثور نراه يتهيّأ لتسديد ضربة قاضية الى عدوّ على الأرض طريح. فقد رفع الإله المنتصر هراوته ليدقّ بها خنجرا أثبته في رأس إله مهزوم رفع يديه طلبا للرحمة. وفي ضوء تحاليل قام بها مختصّون يبدو أنّ الاله المنتصر يمثّل بعل وثابت أنّ لبعل علاقة متينة بالثور وهو حيوان يرمز الى القوّة والخصب كما ورد في أدب الشرق السّامي وكما يتجلّى في المصورة السّامية[2]. أمّا عن الإله المهزوم الذي افترش الأرض وله طُلَّة آدمية تنتهي بذيل حيوان بحري. فهل هو إله بحري؟ قد يكون الإله يمّ ! وقد يجوز اعتبار ما حفر على مسطّحة هذا الجُعَلِ تصويرا لملحمة "بعل ويم" كما وردت في رقم أوجاريت[3].

الهراوة تنطلق من يد بعل
كالصقر بين أصابعه
تضرب الأمير يمّ على أمّ رأسه

. . .

يكبو يمّ
يسقط على الأرض
ضعفت مفاصله

---

1. Maria Luisa Uberti, *Gli scarabei in steatite e in pasta, op. cit.*, p. 37, n° 2.
2. W. Culican, «Baal on a Ibiza Gem», in *RSF*, IV, 1976, p. 57-68 ; – J. Bordman, *op. cit.*, p. 47, n° 73 ; – J. Fernandez et J. Padro, *Escarabeos del Museo arqueologico de Ibiza*, p. 113-116, *MAI*, n° 3650 et p. 133.
3. *Tablette III*, AB, A.

شحب وجهه

...

بعل يجرّ يمّ ويقطّعه إربا

أجل مات يمّ

نعم سيسود بعل[1]

تعود هذه الأسطورة الأوجاريتية الى الألف الثانية قبل ميلاد المسيح وكأنّها بقيت في الذّاكرة الجماعية حيّة حتى أدركت جزيرة إبيسة الإسبانية في القرن الخامس قبل ميلاد المسيح.

فثابت أنّ للجِعْلاَنِ حضورا ذا أبعاد عديدة. لقد كان القرطاجيون يبتاعونها في مصر ثمّ أصبحت لهم مراكز تنتجها ابتداء من القرن الخامس قبل ميلاد المسيح. وكانت جزيرة سردانيا محظوظة بتوفّر اليشب فيها وهي مادّة ضرورية لصنع مجوهرات تعدّدت وظائفها فكانت تمائم وكانت أختاما للتّعريف وضمان المصداقية. كما تؤمّن لأصحابها الحياة في الدنيا والبقاء بعد الموت. وبالإضافة الى فوائدها المّادية وأبعادها الفنيّة السحرية الدينية تمثّل الجعلان البونية وثائق تساعد على معرفة الماضي بل قل تعكس جزءا من واقع عاشه القرطاجيون كما تعكس المحيط الذي فيه تحرّكوا وعاشوا حياتهم.

∴

ففي ضوء هذه الدراسة المختزلة نتبيّن أنّ الجوهرات مهما تنوّعت وظائفها تبقى عنصرا مفيدا ذا عطاء سخيّ لمعرفة الحياة اليومية في قرطاج من عادات وتقاليد وعقائد وتصوّرات وغيرها. فالحلية ظرف لحمل الثقافة ونشرها بالاستناد الى مِصْوَرَة ثريّة لا حدود لها بل فيها تلتقي الحضارات وتتحاور وتتراشح. فترى الشرق السّاميّ ينفتح لمصر الفراعنة بما فيها من أمل وخوف وبما لها من حركات وأفعال تَيَمُّنية وقائية كما ينفتح لتأثيرات يونانية دون تفريط في الرصيد المحلّي لُوبِيًّا كان أو سردانيّا أو ايبيريا أو صقليّا أو غير ذلك.

---

1. A. Caquot, M. Sznycer et A. Herdner, *Textes Ougaritiques, I, Mythes et Légendes*, Paris, 1974, p. 138.

ويتجلّى العنصر الحلى في مجوهرات تروس وفي مجوهرات لا أليسيدة وفي مجوهرات القرمبولو باسبانيا. فهذا خاتم تتجلّى فيه التأثيرات المصرية وقد عثر عليه في قبر من قبور مدفنة سانت مونيك بقرطاج : فعلى مسطّحتة رسمت صورة الإلهة نفتيس وقد مدّت جناحيها مفتوحة فرفعت أحدهما وأنزلت الثاني كما رفعت يدا ومسكت بالأخرى زهرة اللّوطس فكانت حركات متباينة أنيقة حتّى كأنها رقصة تعتمد الوزن والإيقاع. ومعلوم أنّ هذه الصورة معروفة في المصورة البونية وقد تحلّت بها مجوهرات أخرى نخصّ بالذكر منها خاتم من ذهب مصمت[1] عثر عليه في قرطاج. والى الإرث الحلّي المخزون في الذّاكرة الفردية وفي الذّاكرة الجماعية تعود بعض الأشكال الزّخرفية : منها التراكب الذي نلمسه في مجوهرات كنز القرنبولو بإسبانيا. ومن تأثيرات الفنّ اليونانيّ نضيف الى ما سبق ذكره كائنات خرافية كالستّواتر والسيالن.

وفيما يخصّ تقنيات هذا القطاع فلقد ورث القرطاجيون تقاليد عتيقة عن أجدادهم فطوّروها دون تفريط في ثروات المحيط ومصادر الإلهام فيه. فكانوا يحسنون صناعة مجوهراتهم بالطرق والتحفير والزبر والتحبيب والتطعيم والتفتيل والتطريق، حرا كان أو مسندا، وكانوا يحسنون الصهر واللحام والدكّ والتقطيع والطلاء والترصيص والدّسر. ولقد تمّ تشخيص هذه التقنيات جميعها بفحص المجوهرات فحصا دقيقا وبالمعاينة عن كثب.

كذلك يستطيع الباحث التعرّف الى الحرفي والى أدواته كما يمكنه تقدير كفاءته وضبط عناصر فهرسه وأصول الأشكال ومضامين الزخرفة ويدفع ذلك بالتالي الى معرفة الأذواق السائدة بين الحرفاء أي معرفة ما يشدّهم ويرتاحون اليه لأسباب جمالية أو لدوافع دينية سحرية أو لهذه وتلك.

كان القرطاجيون والبونيون عامة يقبلون على المجوهرات : فالأختام للرجال والعقود والسدول والمناجد والأسوار والخلاخل والأكاليل والريش والأخراص والخزائم والسعيفات من ذهب وفضّة للنساء. إنّها زينة يتباهون بها فيحملونها على أجسادهم ويكتنزونها في بيوتهم. فعلى غرار الشعوب السّامية جميعها من

1. A.-L. Delattre, *CRAI*, 1906, p. 15.

دجلة الى البحر الأحمر. كان القرطاجيون يستطيبون وسواس حلي المرأة عند مرورها فكأنّي بها تزداد به أنوثة وإغراء. لقد ندّدت آيات التوراة بغنج فتيات صهيون ودلالهنّ وغرورهنّ مشيرة الى ما كنّ يتحلين به من خلاخل وأسورة وأخراز وخواتم وأخراص وخزائم وحلل شتّى. فهذه آيات من سفر أشعيا :

تمادحت بنات صهيون، ومشين مشرئبّات الأعناق وبالعيون غامزات. تمشين مشية خببا فتجلجل بأرجلهنّ الخلاخل. في ذلك اليوم يشيل الربّ نخوة الخلاخل والأكاليل والأهلّة والأخراص والأسورة والأخمرة والعصائب وسلاسل الكعوب وعلب الطيب والتمائم والخواتم والخزائم والأحزمة والمعاطف والمطافح والأكياس والمرايا والكتانات والكوفيات والأصدة[1].

تلك مجوهرات وحلل كانت تباهي بها المرأة في فلسطين زمن رسل بني اسرائيل على أنّ المصطلحات العبرية قد يعسر الوقوف على مضمونها بكلّ دقّة. وأيّا كان الأمر، فثابت أنّ المرأة السّامية ككل امرأة تعير الجوهرات والأزياء الفخمة قيمة كبرى لأنّ بها في عين بعلها تزداد أونثة وجمالا. ولقد تغنّى الشاعر العربي بوسواس حلي المرأة لما يثيره في النفس من حبور وشهوة وانتشاء : فالأعشى وهو من فطاحل شعراء الجاهلية تغنى بالمرأة منشدا :

تسمع للحلي وسواسا إذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل

وفي التراث التونسي أغنية شعبية تقول :

خلخال بورطلين فوق الحنّة   على ركزتو ميلين تسمع رنّة

1. *Isaïe*, III, 16-24.

مازالت سيّدة إلشي باسبانيا غيورة على سحرها وسرّها : فبعضهم يرى فيها عناصر ايبيرية تلاقحت مع نسيم الحضارة اليونانية، ويراها آخرون نحتا محليّا لوّنته تأثريات مشرقية. فلقد تحدّث عنها بيار سنتاس قال :

إنّ سيّدة ألشي الرائعة يمكن اعتبارها سيّدة قرطاج وذلك من وجهات نظر عديدة : فهذه تمائم تكسوها، وهذه صفوف ثلاثة من اللؤلؤ تعزّزها ضفيرتان متقاطعتان على الرأس لشدّ بكرتين رائعتين مخرّمتين تحفان بالأذنين. إنّ الزخرفة تساعد على تصوّر مدى روعة تلك الجوهرات المتمثّلة في البكرات المقلّدة بهذه الطريقة. وبين كلتا البكرتين وكلتا الوجنتين تتدلّى سبائب حتى الكتفين وفي أطرافها عثاكيل من الهيصمات تشبه تلك التي توجد عادة في العقود القرطاجية وهي من عجين الزجاج الأزرق الباهت. إنّ العقد الذي تحمله السيّدة يضمّ دررا مبرّجة تشبه درر عقد بملة. وأوتي العقد مثقالا على شكل أنفورسكة (بكسر الرّاء وسكون السين) لها عروتان تثنّت كلتاهما كما يتثنّى الصلّ وتحلّى بطنها بحُبَيْبَاتٍ على الطريقة الفنيقية، ممّا يبعث على الإعتقاد بأنّ الأصل كان من ذهب. ذلك أنّ الحبيبات الرقيقة لم تعرف إلاّ على أعلاق صنعت من هذا المعدن. وهذا صفّ ثان من الدرر يتدلّى علىً صدرها متجاوزا الصفّ الأول نحو الأسفل وفيه ست انفورات من نفس الفصيلة، واحدة في الوسط واثنان على اليمين وثلاثة على اليسار إذا كنت تنظر الى السيّدة. وتصدّى النحات الى انخرام التوازن بكلّ مهارة معتمدا تنضيد عثكول من الأُرن المتدليّة على الكتف الأيمن بطريقة خاصّة تختلف عن تلك التي تشاهد على الكتف الأيسر. أمّا الصفّ الثّالث فهو تمائم تلامس نهديها وتتضمّن محافظ بيضوية الشكل محبّبة. وفي العقد درر ملساء تفصل بين الواحدة

والأخرى صفيحات مّما يكسي العقد ملامح غَضٍّ حقيقية"[1].

إنّ الحِلَقَ المخرّمة والدرر المضلّعة والجوهرات التي تحكي الأوعية المغلقة وتقنيات التفتيل والتحبيب كلّها عناصر معروفة في الحلي الفنيقي البوني. فمثل هذه الغضاضة ذات الألوان الزّاهية المتوهّجة تجرّنا الى مدينة صور وقرطاج ولكلتيهما تقاليد أثيلة في الازديان بالجواهر والتباهي بها. ولنا على ذلك شواهد عديدة مختلفة منها كتابات مقدّسة[2] وتماثيل من حجارة أوطين[3]. وفي الدّمى والنحوت المختلفة نلمس ميولا لا ستعراض الجواهر في الأذن والأنف والجيد وعلى الصدر وفي المعصم والساق فضلا عن ملابس برشاء مطرّزة وأكاليل تتزاحم فيها صفوف الورود وتتعاقب الفتالات والخيوط المجدولة المتباعدة.

ولّما أقبل الفنيقيون وكانت قرطاج، تعانقت العناصر المشرقية الشامية مع التقاليد المحلّية فأنجب اللّقاء جواهر بديعة خلاّبة مغرية. لقد قارن الفرنسي بيارسنتاس بين عقد "سيّدة ألشي" وعقد آخر عثر عليه في قبر من قبور قرية من قرى الساحل التونسي تدعى بمبلة وتوجد جنوب مدينة سوسة. فوصف العقد البمبلي مشيرا الى :

درر خزفية مضلّعة مطلية بطلاء أخضر مع ميل شديد الى الصفرة وتتداول تلك الدرر مع درر أخرى من زجاج أزرق. ومن أخراز العقد يدان ساخرتان وكوزا صنوبر وحلقتان وميمونان قد وزّعت بالتوازي حول درّة ضخمة من عجين الزجاج الأبرش، تقوم مقام المنجد المحفوف بزمردتين مثمّنتين[4].

1. P. Cintas, *Amulettes puniques*, p. 116-117.
2. Z. Chérif, «Les bijoux Carthaginois d'après les figurines de terre cuite», in *Reppal*, III, 1987, p. 117-150.
3. J.-H. Fernandez Gomez, *Guia del Puig des Molins*, Madrid, 1983, p. 75, pl. XVIII.
4. P. Cintas, *op. cit.*, p. 143. Ce collier de Bembla daterait du Ier siècle avant J.-C.

ومن الوثائق التي تعرّف بحلي المرأة القرطاجية نشير الى ما وجد في قبر بوني اكتنفته هضبة البرج الجديد بقرطاج وكان يأوي رفات امرأة دفنوها بحليها. فلمّا فُتِحَتْ الغرفة الجنائزية بان هيكلها ووصفها بول جوكلير قال :

كانت ممدوة ورأسها موجها الى الشرق نحو الباب وقد مسكت بيدها اليسرى مرآة كبيرة الحجم من برونز وفي يدها اليمنى صنجان من نفس المعدن ثقيلان واختفى معصمها الأيسر تحت سوار من درر وجِعْلَانٍ وُدَمَى من زجاج. وفي ذراعها أسورة عديدة من فضّة ومن عاج. وثقلت أناملها بخواتم من فضّة وبخاتم من ذهب تحلّى بأربعة حيوانات من فصيلة الكلاب زبرت على فصّه. وفي أذنها اليسرى شنف من ذهب على شكل تاء يونانية وفي جيدها عقد من ذهب مصمت عناصره أربعة ذات أشكال مختلفة نضّدت متوازية يتوسطها مجول على شكل هلال من فيروز يحتضن بين طرفيه المتدليين قرصا من صفير. وتكتمل الحلية بعقد آخر من فضّة[1].

ووجدت حلى أخرى في بعض قبور مدفنة درمش بقرطاج أيضا لا تقلّ عنها ثراء. وفي قبور مدفنة كركوان عثر على مجوهرات بديعة : فلقد تمكّنت السيّدة مونيك تيّو من اقتنناء قرطين من ذهب وجُعَلٍ من عقيق أحمر إطاره من ذهب كما تحصلّت على خاتم من ذهب أيضا وأنيفرة من عجين الزجاج وأهدت هذه الأعلاق الى متحف كركوان لأنّها ممّا تمّ اختلاسه من قبور تلك المدينة البونية وبقيت زمنا بين أيدي النّابشين[2].

أمّا عن حلى جزيرة سردانيا فلقد سبق التنويه بجمالها وثرائها وكذلك الشأن بالنسبة لجوهرات الربوع البونية الأخرى في شمال المتوسط وجنوبه. فثابت أنّ القرطاجيين والبونيين عامّة كانوا شغوفين بالزينة محبّين لبريق ألوان الذّهب والفضّة والأحجار الكريمة. أمّا عن مِصُوَّرَة الجوهريين، فهي لا

1. P. Gauckler, *CRAI*, 1899, p. 164-165.
2. Ces bijoux appartiennent au Musée de Kerkouane.

تختلف عن تلك التّى عرفناها في القطاعات الأخرى : فمن عناصرها ما يندرج ضمن عالم العقيدة ومنها عناصر أخرى تتّصل بالحياة اليومية. فهذه فصوص وخواتم زبرت عليها أسماء أو عبارات تَيَمُّنِيّة كالتى سطرت على نوط يدع ملك المهدى الى عشترت وبجمليون[1] وهذه صور تثير انتباه الدّارسين وتشدّهم أملا في إثراء المعرفة ومثل ذلك خاتم وجد في قبر وتيكيّ وهو ينوّه بالاله بعل حمّون ويمدّنا بأقدم صورة له معروفة لدينا[2].

على أنّ الجواهر القرطاجية ماانفكّت منذ نهاية القرن الخامس قبل ميلاد المسيح تتضاءل عددا وقيمة ذلك أنّ الذّهب والفضّة تقلّصا وعوّضا بمعادن أخرى أقلّ قيمة كالنحاس والرّصاص والحديد كما اختفت الأحجار الكريمة لتترك المكان لعجين الزجاج. هذا ونلاحظ سيطرة الأشكال الهلّينستية. ولكّنه تغيير لم يفقد الجوهرة قيمتها الفنيّة كما احتفظت بأبعادها السحرية الدينيّة لتبقى عربون ثروة وعنوان فخر. فهي سعي الى الجمال وهي مال يقي المرء شرّ صروف الدّهر.

1. J. Ferron, *Cahiers de Byrsa*, VIII, 1958-1959, p. 56.
2. L. Foucher, «Les représentations de Baal Hammon», dans *Archéologie vivante*, 1, 2 déc. 1968 - fév. 1969, p. 130, pl. XLIV.

الفصل الثامن

الرسم

بيّنت الأبحاث أنّ للرسم وجودا في مختلف بقاع العالم البوني. فكان البونيون يولون الصورة واللّون عناية واعتبارا. فلقد تمّت معاينة رسوم في أوشاز كانت تهيّأ قبورا عند اللّوبيين وتعرف تلك القبور المنقورة في الجرف وفي أضلع بعض الهضاب بأسماء مختلفة أطلقها عليها الأثاريون المعاصرون. فهذا يسمّيها حوانيت وآخر يدعوها بيبان استنادا الى ما كان معروفا في الأرياف المجاورة لها. أمّا الرسوم التي تزدان بها فقد تكون عناصر مستقلّة لكل واحد منها دلالته الفنيّة الدينيّة وتكون أحيانا مترابطة تكوّن وحدة متكاملة أو قل نصّا تصويريّا كتلك التى تجلّت بها غرفة جنائزية في مدفنة قرب كركوان وتتحدّث عن مصير الإنسان بعد الموت. ولا شكّ أنّ غالب الرسوم التي ازدانت بها جدران القبور تتعلّق بما وراء الحياة أي بالشؤون الأخروية ويكون حديث الصورة سردا ويكون بالإيحاء والمجاز.

لا يتسنّى وضع خارطة المواقع التي توجد فيها رسوم ما لم يتمّ بحث نظاميّ شامل يتناول هذا الغرض بالمعاينة الميدانية والرجوع الى ما كتب قديما وحديثا في الموضوع. فهذه محاولة قام بها الأثاريّ الفرنسيّ بيارسنتاس لكنّها أثارت بعض التحفّظات[1]. فلقد كان يرتاد البلاد التونسية بحثا عن تلك القبور المزدانة برسوم حائطية في مناطق شتّى كالوطن القبلي[2] وهي ربوع كانت تشدّه وتغريه حتّى كادت تستأثر بعنايته واهتمامه. لكن الأبحاث التي أجراها أصبحت

1. P. Cintas, *Elément d'études pour une protohistoire de la Tunisie*, Paris, 1961.
2. Id., – *MAP*, II, Paris, 1976, pl. LXIX-LXXI, p. 102 et 106.

لا تكفي : فمالنفكّ الملفّ يزداد سمكا وثراءً[1] من حيث المعطيات والمكتشفات ومن حيث التحاليل والقرآت. واذ ليس المجال لرصد كل المواقع التي تأوى صورا مرسومة فلا بدّ من الإشارة الى وفرتها وتوزّعها الجغرافي وتنوّع أشكالها[2].

أمّا قضيّة التقنيات فلقد طرحت على مستوى مواد الطلي والصباغة وعلى مستوى طرق العمل والأساليب فلمّا درس الباحث الفرنسي هـ روكس أوشاز جبل بهليل في تونس أشار الى :

ملامح آدمية وأخرى حيوانية رسمت بطبشور أحمر على مِهَادٍ لَوْنُهُ أمغر مُصَفَّر والكلّ مبرنق برنقة خفيفة. ولاوجود لأيّ خطّ محفور لتحديد الأشكال ومع ذلك فهي واضحة كل الوضوح[3].

ومعلوم أنّ الطبشور الأحمر مادة ترابية تحتوي على أكسيد الحديد. وفي وصفه لرسوم جبيبينة أثبت مرسيل سولينياك أنّ المادة الصابغة تتمثّل في هيدرات حديدي كالليمونيت أو المغرة وهو معدن عادي يتوفّر في كل المناطق التونسية. إنّ طبيعة هذه المادة الصابغة كميائية وقد ثبت ذلك استنادا الى تجارب مخبرية لا تترك للشكّ مجالا[4]. وتناول جبرائيل كمبس قضيّة مادة الصّبغ مقتصرا على ذكر المغرة[5]. أمّا بيارسنتاس فلقد وصف الصوّر التي رسمت على جدران القبر عدد 8 التابع لمدفنة جبل ملزّة بالوطن القبلي وأثبت أنّها أنجزت خطا بواسطة محلول مغروي تشبّعت به الصخرة عن طريق مَسَامِيتها عُمُقَ مليمترات عديدة. وكثيرا ما يفيض المحلول ويتجاوز حدود الصورة ممّا كان يستوجب كشط الصخرة

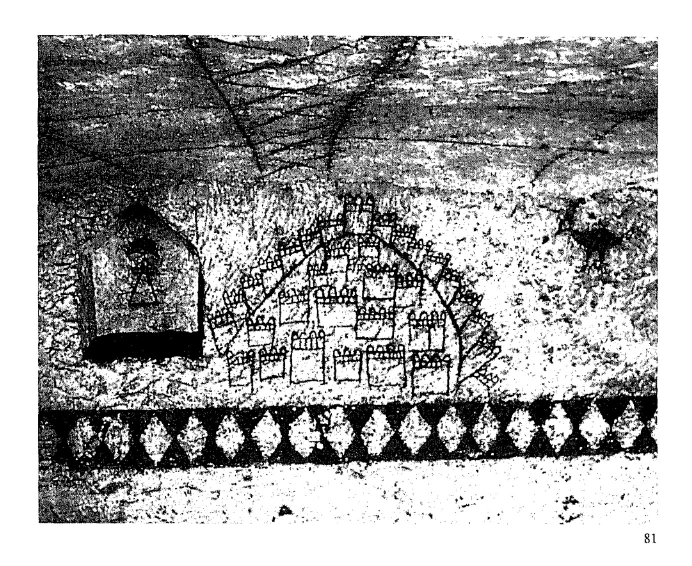
1. En fouilant les nécropoles puniques de Menzel Témime et de Kélibia, nous avons trouvé des tombes peintes, cf. M.-H. Fantar, «Nécropoles puniques aux environs immédiats de Menzel Témime», in *Karthago*, XIX, 1980, p. 120-122, pl. I-IV; *L'archéologie punique au Cap-Bon, Découvertes récentes*, in *RSF*, XIII, 1985, p. 217-219 et pl. XXII, 2 ; «Présence punique et libyque dans les environs d'Aspis au Cap-Bon», in *CRAI*, 1988, p. 502-518.

2. Id., «La décoration peinte dans les tombes puniques et les haouanet libyques de Tunisie», in *Africa*, X, 1988, p. 28-49.

3. H. Roux, «Les peintures rupestres de Djebel Blij», in *Rev. Tun.*, 1936, p. 320.

4. M. Solignac, «Les peintures rupestres de la région de Djebibina», in *Rev. Tun.*, 1936, p. 7-12.

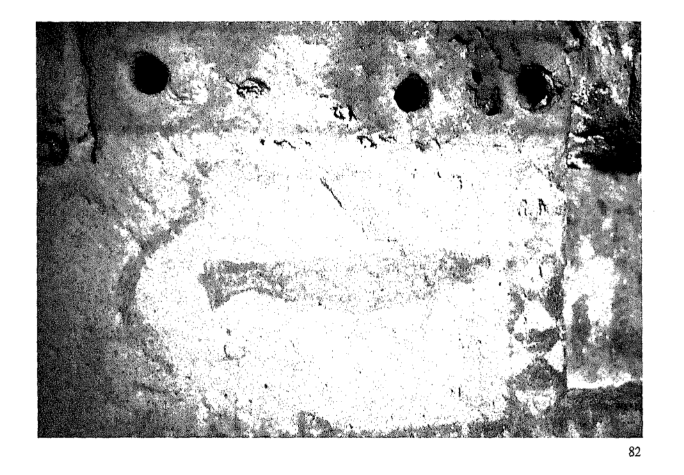
5. G. Camps, *Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires*, Paris, 1961, p. 102.



81

رسوم تحلّت بها غرف جنائزية

81. مدينة الأرواح على جدار غرفة جنائزية بالوطن القبلي (جبل ملزّة قرب مدينة كركوان : القرن IV ق.م).



82

82. سمكة رسمت بطلاء أحمر على جدار وَشَزٍ من أوشاز سيد مَحمد لطرش في تونس على مقربة من مدينة بُوفيشة (القرن IV ق.م.).

لحي اللطخات وتسوية الخطوط[1]. ومن الوثائق التي ساعدت على تشخيص المادة المستعملة لزينة الغرفة الجنائزية تجدر الإشارة الى بيت ريفي رسمت ملامحه على أحد جدران قبر بونيّ بواسطة مغرة حديديّة أساسها معادن تذوّب في الماء[2].

وإذ لابدّ من اللّجوء الى مخابر مختصّة لتحليل تلك المواد الصابغة وتشخيصها يجوز لنا التنويه بقدرة الحرفيين البونيين على صناعة اللّون المرغوب فيه وهو الأحمر الأمغر الذي اعتاد الأثاريون المعاصرون على تسميته بالطبشور الأحمر أو بالهيدرات الحديدي أو بالمغرة الحمراء أو بالقرميز. ولئن كان اللّون الأحمر سائدا فذلك لاينفي وجود ألوان أخرى كالأقهب وهو لون الرّماد وقد تمت معاينتة في إفريز تحلّت به غرفة جنائزية تنتمي الى مدفنة بونية يشرف عليها اليوم مقام سيدي سالم حمام في ضواحي منزل تميم بالوطن القبلي[3].

و في باب التقنيات تندرج الأدوات والأعمال التي استوجبها المهاد ليكون جاهزا لقبول خطوط الرسوم الكبرى. إنّ الوثائق المتوفرة لدينا اليوم لا تمكّن من التعرّف الى أدوات الحرفيّ معرفة دقيقة :فهل كان يكتفي بقصبة يكتّفها كالقلم ؟ لا بدّ من الإستنجاد بمن قد يستطيع تشخيص الأداة انطلاقا من العمل الجاهز. أمّا الأعمال التي تستوجبها تهيئة المهاد المخصّص للرسوم وتلك التي تتمثّل في وضع التصاميم الأولية فتجدر الإشارة الى كشط الحائط الصخري حتّى يتمكّن الحرفي من مساحة مصقولة قادرة على إيواء خطوط دقيقة متناسقة وصور متميّزة كالتي توجد على جدران القبر الذي يحمل عدد 8 والتابع لمدفنة جبل ملزّه في ضواحي مدينة كركوان بالوطن القبلي[4].

مصورة القبور المزخرفة

كان للذين يزخرفون الغرف الجنائزية مِصْوَرَةٌ تتميّز بالوفرة والثراء. فكانوا ميّالين الى الأشكال الهندسية : خطوط تمتّد على الجدران طويلة كأنها أزياق

1. P. Cintas et E.-G. Gobert, *Rev. Tun.*, 1939, p. 191.
2. Id., *MAP*, II, Paris, 1976, p. 106.
3. M.-H. Fantar, *Kerkouane*, I, Tunis, 1984, p. 35.
4. M. Solignac, *Les pierres écrites de la Berbérie orientale*, Paris, 1928, p. 128 ; – P. Cintas et E.-G. Gobert, *op. cit.*, p. 191.

وأشرطة متتالية متعالية متلاصقة وفي المصورة مربعات ومستطيلات ويونانيات وحجن. ومن الزخارف النباتية قلادة السعيفات وزهرة اللّوطس. أمّا من الحيوانات فقد أشير الى دواجن كالديك والتدرج والطّاووس على أنّ تشخيص بعضها لا يتجاوز أحيانا مستوى الإفتراض لعدم وضوحها وذوبان ملامحها نتيجة عبث الإنسان وقساوة الطبيعة.

ولم يكتف الرسّامون بتصوير الدّواجن بل صوّروا الأبقار أيضا والكلاب والسباع كالأسد وصوّروا الحيّة والسمكة وغيرها. ففي وشز من أوشاز مُقْعَدَ شمال شرق البلاد التونسية تمّ تشخيص مشهد ريفي يصوّر ضيعة فاجأها سباع فأدخلت عليها الفزع وكانت الضواري تبتغي فريسة سهلة المنال. وتناول مزوّقو الأوشاز مواضيع أخرى عديدة منها الصيد ومنها ما يتعلّق بالبحر والملاحة[1]. ففي مغارة يحتضنها جلمود صخر منتصب بهنشير زاقة مُشْرِفًا على سهل الفرش بجبال خمير في البلاد التونسية نشاهد على جدارها الدّاخلي قبالة المدخل صورة سفينة على متنها جنود سبعة مدجّجون بالسلاح من خوذ وأتراس ورماح. واستوى ربّانها وقوفا على جؤجؤ السفينة يلوّح بحدأة لترويع شخص على رأسه عرف أيّل[2] فامتلك الخوف هذا الكائن الغريب فانثنى هاربا يتخبّط في اليمّ. وازدانت هذه المغارة المعروفة بمغارة كاف البليدة بصور أخرى منها قلادة سعيفات مازالت واضحة على الجدار الأيمن. ويلاحظ على الجدار الأيسر بقايا صورة يرجّح أنّها تمثّل أسدا.

ويضاف الى هذه المصورة رسوم مقتبسة من العمارة كالأساطين والأعمدة والتيجان الأيّولية كما لابدّ من الإشارة الى رسوم مستوحاة من عالم المعتقدات كالهلال وطلسم تانيت والنجمة وغيرها : ففي أحد قبور مدفنة منزل تميم بالوطن القبلي نشاهد لوحة يتحلّى بها الجدار المقابل لمدخل الغرفة الجنائزية ومن عناصر المشهد رجل على رأسه قلنسوة من ريش متّجه نحو ضريح يشبه ضريح دقّة الشهير. فلعلّه أقبل لزيارة الميّت وتقديم قربان جنائزيّ كما توصي به

---

1. Pour ce répertoire, cf. M.-H. Fantar, «La décoration peinte dans les tombes puniques et les haouannet libyques de Tunisie», in *Africa*, X, 1988, p. 32-38.
2. P. Cintas, *MAP*, II, pl. LXIX, 2.

الطقوس[1]. أمّا الصوّر التي رسمت على جدران قبر جبل ملّزة فلقد تبيّن أنّها تسرد رحلة الرّوح الى مدينة الأموات أو قل مدينة الأرواح[2].

تلك بعض العناصر التي تتضمّنها مصورة الرسام ويبقى طرح سؤال خطير يخصّ دلالاتها ومفاهيمها. فدون ما إقصاء البعد الزُّخْرُفِي عن هذه الرسوم، نلاحظ أنّ غالبها يتعلّق بعالم الموت وشؤون الآخرة. فلا شكّ أنّ الرسّام كان يستجيب لطلبات حرفائه ورغباتهم : فللطيور علاقة بالرّوح، وللأضرحة والمذابح معان تتصّل بالطقوس الجنائزية وبالقرابين التي يستوجبها الميّت لتطمئنّ نفسه ويلتحق بالعالم الآخر محفوفا بالسلامة راضيا مرضيا. وصورة المدينة التي صوّرها الرسام على جدار القبر عدد 8 بمدفنة جبل ملزّة فهي تمثّل مدينة الأرواح المحصنّة الحصينة لايدخلها إلاّ من توفّرت فيه الشروط وقام أهله بما تفرضه العقيدة والطقوس. وتشير الأهلة والأقراص الى السماء، عالم الآلهة والقوّات القِدْسِية. أمّا طلسم تانيت فهو دعاء بالسلامة وزجر للشياطين وقوى الشرّ.

على أنّ الرسوم جميعها تبقى وثيقة الإرتباط بالمعيش : فالضريح والعمود والبيت الرّيفي ونسيج المدينة والأشكال الرمزية والنبات والسلاح والحيوان والعقيدة والتقاليد والمشاعر كلّها عناصر يستخدمها المؤرّخ للتعرّف الى محيط الذين رسموها أو طلبوا رسمها أو توقّفوا عندها لقراءتها والخشوع أمامها. فهي توثيق للمحيط الذي أفرزها كما تساهم في جليّة العديد من مضامين المحيط كالعمارة والنبات والحيوان والملاحة والجيش وقطاعات أخرى عديدة، فهي وثائق ومعلومات لا يحقّ للباحث الإستغناء عنها إذا أراد معرفة العالم القرطاجي البوني.

وعن أصول الرسم البوني، ما زالت الإشكالية مطروحة. فلا بدّ من الإشارة الى غياب الزخارف المرسومة في قبور قرطاج وهدريم ووتيكة. وقد يدفعنا هذا الغياب الى فرضية تستبعد الفنيقيين عن هذا المجال لكنّها فرضية مرفوضة لأنّ الفنيقيين كانوا لا يتأفّفون من زخرفة بعض القبور كتلك التي توجد في صور وصيدة. كما ينبغي الإعتراف بواقع مفاده أنّ القبور البونية التي حظيت

1. M.-H. Fantar, «La décoration peinte dans les tombes puniques et les haouannet libyques de Tunisie», in *Africa*, X, p. 34.
2. Id., *Eschatologie phénicienne-punique*, Tunis, 1970, p. 32-37.

بزخارف مرسومة توجد في ربوع يتمتّع فيها اللّوبيون بحضور مكثّف ومنها الوطن القبلي وجبال خمير ومقعد والمزاق أي ربوع الساحل عندنا[1]. وإذ تتكاثر الرسوم في الأوشاز اللّوبية فلا غرور أن ترى بعض المؤرخين يساندون فرضية الأصول اللّوبية لاسيما وقد ثبت أنّ الأفريقيين تعاطوا فنّ الرّسم على الصخور منذ ما قبل التاريخ كما تشهد به رسوم تاسيلي بالجزائر وفزّان بليبيا وجبال وسلاة بتونس.

ولئن كان الرسم على الصخور متجذّرا في أفريقة فثابت أنّ الكثير من الرّسوم التي عاينها الأثاريون في القبور البونية وفي الأوشاز اللّوبية لها أصول فنيقية قرطاجية ومنها طلسم تانيت والأزهران ومنها السمكة والسفينة والضريح والمعبد ومدينة الأرواح وزهرة اللّوطس والطّائر. هكذا يتلاقى القرطاجيون واللّوبيون على صعيد الرسم. فهو فنّ متجذّر في دنيا اللّوبيين لكنّه دخل عالم القرطاجيين والبونيين فاستفاد من معينهم ومتح من مصورتهم.

أمّا عن زمن الرسوم الجنائزية في تونس فليس من اليسير تحديده تحديدا دقيقا. ففي ما يخصّ مغارة كاف البليدة مازال الإختلاف قائما حولها. فبعضهم يقترح ضمّها الى القرن الخامس قبل ميلاد المسيح وهي مؤارخة لا تستند الى مقاييس قاطعة ولم تحظ بموافقة الجميع بل مازالت تثير تحفظات بعض المؤرّخين[2]. لاسيما وعناصر اللّوحة تختلف من دارس الى دارس : فهذا يشير اللى سلّم ونحن لم نر السلّم بل ثبت لدينا بعد فحص دقيق، أنّ الصورة التي اعتبرها الأب جن فرّون سلّما قد تمثّل شبكة صيد أوشيئا آخر يعسر تشخيصه. والصورة التي اعتبرها مرسيل سولنياك أخطبوطا لا تمثّل في الحقيقة سوى سعيفات من فصيلة معروفة في المصورة الفنيقية البونية. ولا شكّ أنّ سوء الإضاءة أثّر سلبا على الرؤية ثمّ إنّ بعض الدارسين يميلون الى القراءة بعيون ثقافتهم متخلّين عن حاسة البصر لديهم ممّا يجعلهم يعتقدون أنّهم وجدوا ضالتهم ولوكان ذلك على حساب الواقع.

1. H. Ben Younès, «Contribution à l'eschatologie phénico-punique», in *Reppal*, I,1985. p. 65-66 : il s'agit de fleurs de lotus peintes en rouge de part et d'autre d'une niche ménagée dans la paroi du fond de la chambre funéraire d'une tombe punique découverte à Rejiche, non loin de Mahdia.
2. Il s'agit en fait d'une chronologie quasi arbitraire, compte tenu de l'absence de tout contexte archéologique.

وفي دراسات حول أوشاز أخرى نسبت الرسوم الى القرن الثالث قبل ميلاد المسيح. ولكن ينبغي التمسّك بالحذر والتبصّر وترك الباب مفتوحا أمام المجتهدين. على أنّ بعض الرسوم وُرِّخَتْ بالإستناد الى السياق الأثري. فيرجّح أنّ رسوم مدفنة منزل تميم تعود الى ما بين نهاية القرن الرابع وبداية القرن الثالث قبل ميلاد المسيح. وقد تزامنت مع رسوم القبر عدد 8 التابع لمدفنة جبل ملزّة[1].

التوابيت المزوّقة

لقد عثر في مدافن قرطاج على توابيت من رخام أبيض زوّقت برسوم برشاء تَفيدُ منها النحوت من تقاوير وتجاويف كما تساعد على تهذيب الزخرفة ومنحها مزيدا من القوّة في التعبير. وقد يساعد الرسّام على تفادي بعض الثغرات وتعتيم العيوب والمآخذ. ويهيّأ الفضاء أحيانا لإيواء رسالة مُصَوَّرة بريشة الرسام أو بقصبة تحكي القلم. والى هذه الفصيلة من التوابيت المزوّقة يمكن الحاق تابوت عثر عليه في صُولُنْتُو بجزيرة صقليّة سنة 1725. لقد كان هذا التابوت البوني الصقلّي يتحلّى برسوم لكنّها امحتْ قبل أن يتبوّأ التابوت مكانه بمتحف بالرمو في منتصف القرن التاسع عشر. ثمّ لابدّ من الإشارة الى توابيت من خشب مزوّق كالتى منّت بها حفريات قرطاج وكركوان.

لقد برز أوّل تابوت قرطاجي الى النّور سنة 1898. أثناء حفرية كانت تحت مراقبة الأب دي لاتر في مدفنة بونية قرب حيّ سانت مونيك بقرطاج. نسبة لأم القدّيس أوجستينوس. ثمّ تعاقبت التوابيت وتكاثرت في بداية القرن العشرين من سنة 1901 الى سنة 1905. ولفتت هذه المكتشفات إهتمام الأثاريين والمؤرّخين في فرنسا وكانوا يترصّدون أخبارها ويرفعون ذكرى الذي حظي بامتياز إكتشافها ونشر صورها في الكتب والمجلاّت.

واهتمّ بهذه التوابيت عالم فرنسي يدعى هيرون دي فيلفوس وأمهرها بدراسة نشرتها الأكادمية الفرنسية للنقائش والحروف الجميلة في إحدى نشرياتها الشهيرة[2]. وتضمّنت تلك الدراسة توابيت من رخام أبيض تحلّت أحواضها

---

1. P. Cintas et E.-G. Gobert, *Rev. Tun.*, 1939, p. 198.
2. A.-L. Delattre, *CRAI*, 1902, p. 484-491 ; – A. Héron De Villefosse, *Monuments Piot*, XII, 1905, p. 89.

وأغطيتها بنحوت مـزوّقة، ألوانها عديدة. فازداد جمالها وتمتـنّت قوّة تعبيرها. ولهذه النوابيت أحواض مونوليثية أي حفر كـلّ واحد منها في كتلة صخرية واحدة طولها متران وعرضها يتراوح بين ستين وخمسة وسبعين سنتمترا، ويتأرجحُ ارتفاعها بين خمسة وأربعين وخمسة وخمسين سنتمترا. وتزدان جوانبها بنحوت مطلية منها البويضات والقلوب والأسنّة وغيرها. وقد يكون الرقش أكثر ثـراء كذلك الذي تميّز به تابوت عثر عليـه سـنـة 1902 وسجّل تحت رقـم 1902 A : فبالإضافة الى البويضات والقلوب تحلّت جوانب النابوت الأربعة بلوحة مستطيلة الشكل بارزة تؤطرها عُصَيَّةٌ. وفي وسط اللّوحة ترى زهرة رسمت بالأزرق والأصفر وقد انتصبت عليها طلعة تـولّدت عنها حلقة وقثّيثان يحـفّان بها وكلاهمـا ينتهي بطلعـة. أمّا العُصَيَّةُ التي تؤطر اللّوحة فلقـد أُمْهِرَتُ بخطّ من الدّرر الزّرقاء متواصل. وترى فوق اللّوحة وفي أسفلها وعلى بعد إحدى عشر سنتمترا من طرفيها قرصا يتوسطّه زرّ. وازدان القرص بوردة رسمت بالأحمر والأزرق[1].

لقد امحت هذه الزخارف ولم يبق منها ما قد يساعد على وصفها وصفا دقيقا. كما لا يتسنى لنا مراقبة ما أوردوه في وصفها. فالثابت أنّ التّابوت كان يتحلّى بزخارف عديدة برشاء يغلب عليها الأزرق والأحمر.

وهذا تابوت آخر عثر عليه سنة 1901 وسجّل تحت رقم 1901 M وكان يتحلّى برسوم مزّوقة منها البويضات والمـزارق ومثان تصوّر صلبانا معكوفة تتخلّلهـا زهيرات. وتحلّت جوانب غطاء التابـوت الأربعـة بِنَمْنَمَاتٍ تتعاقب كـأنّها حبّات عقد منضود وتتمـثّل في دوائر تضمّ مسامير سـتّة سوداء رتّبت على شكـل وردة. وفي مثلّث كلتا الجبهتين رسمت طلعة مجنّحة بين يديها شئ بقي غَلْقًا لم يفلح أحد في تشخيصه. وللطّلعة اختار الرسّام الأحمر والأزرق. فهل هي طلعة كائن جنائزي؟ إنّ التّابوت والمحيط يدفعان الى ترشيح مثل هذا الإفتراض[2].

وفي سـنـة 1903 أخرج الأب دي لاتر من أحد القبور تابوتـا سـجّل تحت رقم 1903 D وعليه زخارف أقلّ جودة تتمثّل في سعيفة حفّت بها حوالق وقضبان. وقد رسمت تلك الزخارف النباتية على جبهتي مغلاق التـابـوت[3]. وتحلّى تابوت

1. A. Héron De Villefosse, *Monuments Piot*, XII, p. 82.
2. A.-L. Delattre, *CRAI*, 1903, p. 635.
3. Id., *ibid.*, p. 277-278.

آخر بزينة تجمع بين النحت والتزويق بألوان زاهية. سجّل هذا التابوت تحت رقم J 1902. فهي بويضات وقلوب تبدو على جوانب الحوض. أمّا الجبهتان، فلقد احتلّت كلتيهما عنقوان ولكلّ واحدة منهما رأس ذو قرنين وأذنين طويلتين. وترى العنقاء رافعة إحدى قائمتيها مشيحة بوجهها عن نظيرتها وقد امتدّ ذيلها حوالق وقضبان. ولكي تكون اللّوحة لمّاعة وهّاجة تجوّلت ريشة الزّواق في ملونة لتأخذ منها الأصفر والأحمر والأزرق.

ولتابوت M 1902 مغلاق تعلوه شرفات طليت زرقاء وعلى حافته رسمت زهيرات ذات أربع فعالات يحدوها شريط أحمر. وفي الجبهتين قلائد وحوالق وقضبان تتخللها رؤوس أدمية وطلل حوانية. وتمّ تشخيص الكائن الخرافي سَقُولة[1].

وافترشت مِغْلاَقَ التابوت المسجل تحت رقم N 1902 صُورَةُ إمرأة تجمع بين الشباب والجمال. فهو عمل فنيّ تضافرت لإنجازه واتقانه مهرات النّحات والرسّام : وقد اجتهد كلاهما لإبراز مفاتن المرأة وحللها وحليها : ازدانت ثيابها بألوان زاهية وتباهت بجواهر بديعة من أخراص وعقود وأسورة. وتجدر الإشارة الى جناحين يكتنفان جسمها وكأنهما يرمزان الى قدرات الأمومة لديها. فقد تمثّل هذه الصورة الإلهه الأمّ، تلك التى تحيط بعطفها العباد وبجناحيها تكتنفهم وتؤمّن حمايتهم في الدنيا وبعد الموت.

ويستحقّ التابوت المسجّل تحت رقم F 1904 تنويها خاصًّا لطرافته وروعته. إنّه من خشب مزوّق وقد افترشت مِغْلاَقَه صورةُ إمرأة نحتت نحتا بارزا. ولئن أتت عناصر الطبيعة على الخشب فقد بقيت ملامح الصورة مطبوعة على الرّمل الذي احتفظ بألوانها الزّاهية. ووصف الأب دي لاتر بصمات ذلك التابوت على الرّمل المتكلّس قائلا :

> *يمكن كذلك تشخيص تمثال من خشب مزوّق بألوان عديدة ممدود على غطاء التابوت. ولئن ثبتت على الرمل بصمات التمثال فلم يبق شئ من الخشب سوى ألياف قليلة شدّتها الألوان التي حافظت جيّدا على يناعتها. وعلى يمين الرأس*

1. A.-L. Delattre, *CRAI*, 1902, p. 289-290.

ويساره تشاهد أشرطة بعضها أحمر وبعضها أزرق. وتتبيّن أنّ اليد اليمنى كانت ممدودة مشدودة الى الجسم. وتتعاقب الأشرطة الحمراء والزرقاء في أسفل التمثال متراكبة صفوفا متقاطعة مائلة تفصل بينها خيوط ذهبيّة اللون. والتصقت بتلك الأشرطة هنا وهناك الياف الخشب. فالمرجّح أنّ هذا التمثال الخشبيّ يصوّر كاهنة على غرار التمثال الرخاميّ المحفوظ في متحف لافيجيري. ولكن عوض أن يكون أسفل الجسم بين جناحين لفّ في ثوب يتكوّن من أشرطة عريضة نُصَّتْ صُفُوفًا منحرفة متراكبة[1].

ومنت حفريات كركوان بتمثال خشبيّ تمّ العثور عليه صامدا في أحد القبور. إنّه في الواقع مغلاق تابوت من خشب مزوّق. عليه صورة قد تمثّل الإلهة عشترت، باعتبارها حامية الأموات. لقد ازدانت الصورة بألوان زاهية منها الأحمر والأزرق والأسود والأصفر تلك التي احتفظ الخشب بِسُؤْرِها عند الإكتشاف[2].

وفي مدينة صُلُنْتُو بجزيرة صقلية عثر على تَابوت يختلف عن التوابيت القرطاجية. فللحوض زخرفة تتركّب من شريط يتلو الحافة العليا. وقسّم الفضاء أسفل ذلك الشريط محاريب عشرة تفصل بينها أساطين. ومن تلك المحاريب ثمانية تحتلّ كلّ واحد منها إمرأة تنفرد بوقفتها وحركاتها. وعلى طرف التّابوت المحدّب من جهة الرأس رسمت طلعة إمرأة حسناء. وفي الفضاء المسطّح بالطرف المقابل نشاهد أربعة جياد تعدو وهي كالتالي : اثنان أبيضان واثنان أسودان يقودها رجل عار يحمل على كتفه خرقة حمراء تتموّر[3].

∴

ففي ضوء ما سبق نتبيّن أنّ التوابيت البونية كانت مزوّقة، إسوة بتقاليد أثيلة أدخلها الفنيقيون الى غربي البحر الأبيض المتوسط. ولّما كان المصريون يزوّقون توابيتهم ويرسمون عليها صورا كثيرة وكتابات هيرجليفية فهل تعلّم

1. A. Héron De Villefosse, *CRAI*, 1905, p. 328-329.
2. Pour ce sarcophage, cf. M.-H. Fantar, «Un sarcophage en bois à couvercle anthropoïde découvert dans la nécropole punique de Kerkouane», in *CRAI*, 1972, p. 340-354.
3. A. Héron De Villefosse, *Monuments Piot*, XII, 1905, p. 109.

الفنيقيون عنهم تزويق التوابيت ؟ قد يكون! على أننا لا نستطيع الجزم بذلك. وأيّا كان الأمر، فالتوابيت البونية كانت تتباهى بألوانها الزاهية المتباينة. وإذا تمعنت فيها تبيّن لديك أنّ هناك ثوابت في زخرفة الأحواض تتمثّل في اللّجوء الى أفاريز البويضات والقلوب والأسنّة. أما الجَبَهات الثلاثيةُ فلقد حباها خيال الزّواق بعناية أفضل متحرّرا من ربقة المعهود : وُحُوشٌ متناظرة وجنّيُون مجنّحون وسعفات وورود. أمّا عن الملونة التي ساعدت على تَخْضِيبِها فتغلب عليها ألوان أربعة وهي الأحمر والأزرق والأصفر والأسود تلك الألوان التي كثيرا ما تتحلى بها دمى الطين المفخور.

تزويق دمى الطين المفخور

أخرج الأثاريّ الفرنسي ألفريد مرلين دمية من طين مفخور مزوّقة وجدها في قبر قرطاجيّ فلنستمع اليه يصف لقيته :

> ***بين جانب التابوت الأيمن وجدران الغرفة الجنائزية، انتصبت قبالة المدخل دمية كبيرة طولها ثلاثة وثلاثون سنتمترا وقد احتفظت تقريبا بكامل تزاويقها الطريفة. . قد تمثل هذه الدمية الهة في وقفة طقوسية[1].***

وقد ارتدت ثوبا ضيّقا يحكي المشدّ وضمت الى صدرها دفّا وكأنّها توقّفت عن العزف أو تستعدّ لنقر معزفها : شعرها كثيف صفّف هدبا وسبائب على جبينها، واعتلاه اكليل مرصّع توشّيه ورود زرقاء ثمانية الفَعَالات ومن فرعها ثلاث حجن تدلّت خلف الأذنين مسدولة على العنق ثمّ تباعدت لتلامس النهدين. وخلّت المرأة بالاصباغ فَزَوَّقَتْ عينيها اللوزيتين بالكُحْلِ فبدت شكلاء دعجاء. ورسمت على جبهتها والوجنتين أقراصا من القرمز طبقا لقواعد التجميل والزينة عند الفنيقيين والقرطاجيين خلال القرن السادس قبل ميلاد المسيح.

---

1. A. Merlin, *BAC*, 1920, p. 12-13.

وخضّبت شفتيها بالقرمز لتزيدهما إغراء وفتنة. وزججت حاجبيها حتى كأنهما خيطان أسودان. وازدان جيدها بعقود ثلاثة مجاولها حمراء زرقاء. وتغريك اليد برقّة الأصابع وبأسورة في المعصم تشدّ البصر وتعلن الأنوثة والبضاضة. أمّا فستانها فهو شاهد على مهارات فنيقية بونية في النسيج والتطريز وقد زهت ألوانه متتابعة متناسقة من أبيض يقق وأزرق صاف وأسود قاتم وأحمر قان تنزّلت فيه خطوطا ومثلّثات وورودا. ومن خصرها يتدلّى حزام طويل عريض زادته الأهداب جمالا وأناقة كلّها توق الى ملاطفة أصابع الرجلين العاريتين.

تعود هذه الدمية القرطاجية الى القرن السادس قبل ميلاد المسيح ومازالت ألوانها واضحة زاهية. وبعد إقامة طويلة بمتحف باردو، تحوّلت هذه الرائعة الى مسقط رأسها وأخذت مكانها في متحف قرطاج لتمدّ الزّائرين والدّارسين بمعلومات حول المرأة القرطاجية وزينتها من حلل وجواهر كما تساعدهم على معرفة ذوقها وألوانها المفضّلة.

وفرّت قرطاج والمواقع البونية الأخرى مجموعة ثرية من دمى الطين المفخور المزوّقة ومنها دميتان رجاليتان إحداهما وجدت بقرطاج والأخرى بوتيكة وقد شدّ كلا الرجلين دثارا على كتفيه أبرش يتكوّن من ثلاثة أشرطة متتالية يتداول فيها الأحمر والأزرق[1]. وأشار الأب دي لاتر الى دمية كانت ضمن الظهرة الجنائزية في بعض القبور القرطاجية وبيّن أنّها كانت مطلية بطلاء أبيض واحتفظت بسُؤْرٍ من ألوانها كالأحمر والأسود والأصفر[2].

ومهما تكن درجة الواقعية التي كان الزّواق يستطيع إدراكها في تلوين الدمّى، فثابت أنّ اللّون كان يتمّم عمل المثّال. وهي حقيقة لا تترك للشكّ مجالا. والملاحظ أنّ ملْوَنَةِ الزوّاق هنا لا تختلف عن تلك التي أشرنا اليها في حديثنا حول التوابيت : فألوانها الأربعة هي الأحمر والأسود والأزرق والأصفر. فهي التي بقيت واضحة جليّة على الدمّى. وليس من الغريب أن يستعمل الزوّاق ألوانا أخرى كالأبيض والأرجواني والأصدأ. فكان يسعى بالريشة أو بالمرقم إبراز مواصفات اللباس والحلي وعناصر أخرى جسمانية كلون الشعر وبريق النظرة ورقتها فضلا عن الأصابع التي تزيد المرأة أنوثة وجمالا.

---

1. P. Gauckler, *CRAI*, 1899, p. 313.
2. A.-L. Delattre, *CRAI*, 1899, p. 313.

الفخّار المزوّق

يضمّ الزوّاق قدراته الى مهارة الفاخوري ليدرك الإناء يناعته كاملة فيقوم بوظيفته ويزهى بعين صاحبه. ومعلوم أنّ الفخّار المزوّق معروف لدى الفنيقيين منذ عصور قديمة كما أثبتته بعض الأوعية تمّ العثور عليها في مواقع فنيقية بقبرص ويبدو أنّها من صنع فنيقيّ : فقد تكون موردة من بعض مدن الفنيقيين وقد تكون سوّيت في قبرص من قبل فاخوريين فينيقيين أقاموا مصانعهم بالجزيرة. ومن هذه الأواني المزوّقة، دورق أخرجوه من أحد القبور في مدينة أمَاثُنْتَ. ومن عناصر زخرفته عينان يحقّان بالبلبل وأسان هاتوريان كالقناعين وقد ازدان كلاهما بغصن على يمينه وغصن على شماله مع العلم أنّ هذا الدّورق يوجد في متحف مدينة ليماسول. وتوجد مجموعة من الدّمى والأباريق وغيرها من الأوعية العادية أو من تلك التي ترتدي شكلا حيوانيا تزهو بتزاويق على البطن أو على الحلق والعروتين لكنّها زخارف خطّية في غالبها تتركّب من أشكال بسيطة : أشرطة وسطور وخيوط متوازية كانت أو متشابكة[1].

وأخرج بيارسنتاس من أعماق التوفاة القرطاجي أزيَةً فنيقية تتحلّى بزخارف حمراء أرجوانية خافتة على مِهَادٍ أكْشَفَ مهره التنّور لونا أمغر ورديّا. وللزخارف أشكال هندسية :

> *أربعة عشر شريطا تتلاحق متوازية من السّاق الى منبت الكتف. وترى بين الشريط والشريط خيوطا ثلاثة. أمّا الكتف فلقد تداولت عليه تَرَجُلُوفات ومَيْطَبَاتٌ. وعلى يمين الفضاء المخصص لإرتكاز العروة ويساره ثلاثة أشرطة. ثمّ بين التَرَجُلُوفات المشدودة الى العنق نصّت مثلثات تفصلها مسافات متساوية. وفي الميطبات الأربعة دوائر ثلاثة متراكزة. وازدان العنق بثلاثة جداول افقية تخلّت بخيوط متعرّجة. ففي الجدول الأسفل عناصر مستقلّة وفي الجدول الأوسط تتداول*

1. Pour ce vase peint, cf. A. Caubet, «L'art phénicien de Chypre», in *Dossiers : Histoire et Archéologie*, n° 132, novembre 1988, p. 43.

خطوط متعرّجة مع خطوط مستقيمة. أمّا الجدول الأعلى فقد تجلّى بمثان متّصلة على شكل قلائد. وعلى مستوى العنق ازدانت الشفة بضفيرة مشابهة. أمّا حرفها الأفقي المسطّح فهو يحمل لمسات بالريشة مجمّعة ثلاثا ثلاثا. ورسمت ثلاث دوائر داخل العنق قرب الحافة. ثمّ على العروتين خطوط مائلة تزيد انطباع الدوران الناتج عن الجديلتين قوّة[1].

إنّ مثل هذا العمل الدقيق المكلف وقتا وصبرا يتجاوز حدود الزخرفة المجانية. بل هو ذو بعد جمالي به يزهو الوعاء ويشدّ البصر. وتزيده الزخرفة نجاعة بما فيها من قوّة سحرية وتأثير على المحيط. ذلك أنّ الصورة ليست بريئة لدى القدماء لاسيما تلك التي ترتدي أشكال المثلّثات والمعيّنات وأخرى عديدة. فالأوعية التي تتحلّى بها تُمَهَّرُ قوّة تتجاوز حدود المادّة :فهي تعاويذ وتمائم وطلامس أملا في الخير واتقاء شر الشياطين الخبيثة.

وهذه أنفورة أخرى جاد بها قبر قرطاجي يحمل رقم 431 ضمن مجموعة من القبور كشفها بول جوكلير وتعود الى ما بين القرن السابع والقرن السادس قبل ميلاد المسيح. وازدانت بزخارف رسمت على صِمَامتها وعنقها وعروتيها والكتف والبطن. ويبدو أنّ الزوّاق لم يكن مبدعا بل اقتصر على نقل مثال عنده. فقد طلى برعم المسك باللّون الأحمر وزيّن الصِمَامَة بأشرطة حمراء متوازية كما رسم على عنقها الاسطواني وعلى كتفها أشرطة تشبه تلك التي سبق ذكرها لكنّها محفوفة بخيوط سوداء. وترى لمسات بعضها حمراء وبعضها سوداء كأنها رسمت لتلهيك عن ضحالة العروتين. وما تبقى من الفضاء على جسم الأنفورة قسّم جداول محفوفة بأشرطة وخيوط :ففي الجدول الأعلى صففت ميطبات مسكونة تتبعها تَرَجْلُوفَاتٌ. ففي هذه الميطبة سعفة وفي تلك التي تجاورها مثلّث محوجز. وفي جدول آخر تتجلّى الميطبات والتَرَجْلُوفات على مهاد أسخم[2].

---

1. P. Cintas, *Céramique punique*, Tunis, 1950, p. 495.
2. Id., *ibid.*, p. 133. n°233.

وجد مثل هذه الزخارف على دورق يعود الى القرن السابع قبل ميلاد المسيح. وقد كان مدفونا في أرض التوفاة بقرطاج دون أن تتأثّر زخارفه من جرّاء ذلك السجن العميق. فصوره السوداء بقيت جلية على سُخْمَةِ الطين المفخورة :

ترى على البطن شريطا أحمر بين خيطين أسودين وطليت الشفّة حمراء كما رسم خط أحمر على العروة وفي مستوى الكتف جدول تقاسمت فضاءه مَيْطَبَاتٌ وتَرَجُلُوفاتٌ واستقام في كلّ ميطبة مثلث مُحَوْجز[1].

ولم يقتصر زوّاق الأواني البونية على هذه الأشكال الخطية الهندسية بل توجد أوعية تتميّز بطرافة الشكل والتزويق ممّا يجعلها جديرة بالتنويه والتفصيل. لقد أشار الأب ج. ج لا بير الى أنْفُورة بديعة يبلغ ارتفاعها ما ينيف عن خمس وثلاثين سنتيمترا ولها عنق مستدير طوله سبعة سنتيمترات وتعلو كتفها عروتان عموديتان. وازدانت بأخاديد سبعة مستديرة حزّت في الطين قبل الفخر. ثلاثة منها على العنق واثنان على الكتف واثنان آخران على البطن وبين أخدودي الكتف وأخدودي العنق إمتدّ شريط إتّخذه الزوّاق فضاءا لإنجاز زخرفته. فرسم مثلثات متناظرة وحداءًا وطيورا بعسر تشخيصها على أنّها قد تكون من فصيلة التمّ[2]. ويبدو أنّها أنفورة فنيقية مشرقية. ومهما كان أمر الفخار العتيق الموجود بقرطاج وأيّا كانت أصوله ومراكز صناعته، فالثابت أنّ تزويق الأوعية الفخارية في قرطاج والعالم البوني يستند الى تقاليد عريقة. بعضها فنيقيّ كنعاني وبعضها محليّ يعود الى المخزون اللّوبي أو الى رصيد الشعوب التي سقتها مياه الحضارة الفنيقية القرطاجية في غربي البحر الأبيض المتوسط.

وفي غضون القرن الرابع قبل الميلاد أصبحت قرطاج والمدن البونية الأخرى تنتج فخّارا أبيض اللّون يتحلّى بزخارف غضّة غزيرة وكادت تكون مِلْوَنَةُ الزّواق مقصورة على الأحمر والأسود. ولكن مصورته تجاوزت الأشكال الهندسية لتنهل من عوالم النبات والحيوان والرموز والطلاسم :

1. D.-B. Harden, *Iraq*, V, 1937, fig. 3 ; – P. Cintas, *Céramique punique*, n° 92, p. 95 et pl. LXVI.
2. P. Cintas, *MAP*, I. Paris, 1970, p. 414.

فهذه أنفورة من توفاة صلامبو مزدانة بزخارف حمراء رسمت على مهاد أبيض ووزّعت جداول خمسة منها غصن زيتون رسم اكليلا يفصل بين حرف العنق والعروتين وتحت غصن الزيتون أزهار السوسن ترافقها نخلة قنوانها دانية. واحتلّ الجدول الثالث شريط أحمر اللون محفوف بخيوط أربعة حمراء هي الأخرى وزّعت مثنى. ولئن اقتصر الجدول الرابع على لون الطين المفخور فلقد عاد الشريط المحفوف خيوطا وسكن الجدول الخامس والأخير[1].

وهذه أنفورة أخرى قرطاجية الصنع تحلّت بزخارف مغراء اللّون منها غصن أوراقه كالأسنّة تمدّدت حول الفم. وتثنّى كالثعبان خطّ في كلّ واحدة من ثناياه ورقة كالقلب شديدة التحدّب. وتلت هذه الزخارف من أسفل خطوط متفاوتة العرض والتباعد وعلى العروتين ستّ لمسات مغراء هي الأخرى[2]. وتحلّت بمثل هذه الزخارف أباريق عديدة[3]. فكانت أوراق العشقة وأغصان الزيتون والسّعف من أبرز عناصر تزويق الفخّار[4]. أمّا في خصوص فضاءات هذه الزخارف وترتيبها والجمع بينها فيبدو أنّ الزوّاق كان حرّا لا يخضع لقيود. فعلى أنفورة سجلّها بيارسنتاس تحت رقم 239 جاءت الزخارف مصطفّة جداولا : لمسات متوازية على التقويرة التي بها ينتهي الكتف، وانتصبت أربع سعفات في التجويفة بين العروتين، ويعقبها شريط وخيوط. أمّا الفضاء المتبقي أسفل ذلك فهو أكشف باستثناء خيطين أحمرين تحلّت بهما تجويفة الساق[5].

وما دمنا مع الفخاريات المزوقة لا بدّ من الإشارة الى إبريق جميل الشكل أنيق وجده الأب دي لاتر في أحد القبور القرطاجية وهو من الأوعية التي زادها

1. P. Cintas, *Céramique punique*, pl. LXVIII, 254.
2. A. Merlin et L. Drappier, *La nécropole punique d'Ard el-Khéraïb à Carthage*, Tunis, 1909, p. 84-85.
3. A.-L. Delattre, *CRAI*, 1990, p. 84-85 ; – Id., *La nécropole des Rabs, prêtres et prêtresses de Carthage, 2e année des fouilles*, Paris, 1905, p. 6 et fig. 9 ; *La nécropole des rabs, prêtres et prêtresses de Carthage, 3e année des fouilles*, Paris, 1906, p. 17.
4. P. Cintas, *Céramique punique*, pl. LXVIII, 255.
5. Id., *ibid.*, pl. LXVIII, 239.

التزويق غضاضة. إنّها زخارف حمراء مغراء منها خطّ رقيق غطّى حدبة العرق الذي يحيط بالساق كالخلخال وأحاطت بأسفل الإبريق خيوط أخرى يعلوها صف من الحجن اعتلاها خيط رقيق. وتوسّط القماع شريط عرضه سنتمترا واحدا يضمّ زخرفا محفورا في الطين المفخور بمرقاش ويبدو أنّ اداة الحفر كانت تغوص في أديمه بعناء فكان لذلك تأثيره على رسم القشائث. وفي الفضاء الذي يمسح ما بين ذلك الشريط ومنبت العنق. وهو ما يجوز تسميته بالبطن. يتجلّى فرع شجرة مزهر أوراقه كالقلوب. وللغصن ثنايا عديدة : تراه ينطلق من قاعدة متجها ذات اليمين بأغصان دقيقة ممتدّة قشائث وينتهي عند العروة الثانية على جانب البطن المقابل بزهرة ذات كأس فوهان. ففي هذا الزخرف الذي يحكي زهرة الولوبيليا (بضمّ الواو واللاّم) تنتهي الزّهور بخطوط تُخَزُّ بالمرقاش. ويحمل أعلى البطن خيط عريض أسْنَدَ إليه الفنّان سعفة رسمها بحرف المنقاش وعلى ذلك الخيط تنتصّ خمس أسْنَان ذِئْبٍ طويلة تحيط بالعنق وتتعالى نحو الفم[1]. ومُهِرَ هذا الإبريق بعروة معرّقة ينتهي كلا طرفيها برأس رجل. أوّلهما أمرد والثّاني ألحى.

ومن مكتسبات متحف قرطاج أنفورة تعود الى القرن الرابع قبل ميلاد المسيح اقتناها الأب لابير فهي تتميّز بزخارف مصطفّة جداولا متراكبة فعلى الحوتة التي بها ينتهي العنق وصولا الى المسندين الذين تتكئ عليهما العروتان يتجلّى غصن وريق. وترى بين العروتين مشهدا يصوّر نعامتين د تناظرتين يتوسطهما عسّ. ويليهما شريط عريض أحمر محفوف بخيوط متوازية. وتتعاقب أشرطة أخرى كشفاء تفصل بينها خيوط. وعلى العنق والشفة والعروتين والقاعدة ترى خيوطا كأنّها جعلت لإبراز ملامح الأنفورة[2].

وعلى أسْقُوسٍ عثر عليه في مدفنة قليبية بالوطن القبلي رسم الزوّاق طُلَّةُ عِجْلٍ دون ما اقصاء الزخارف الخطيّة. ممّا يثبت حرّية الخيال ومهارة اليد[3]. وعلى أسقوس آخر منّت به مدفتة وتيكة الفنيقية نشاهد طاووسا. وهذا وعاء

1. A.-L. Delattre, *Une visite de la nécropole des Rabs, prêtres et prêtresses de Carthage*, Palerme, 1906, p. 41-44. Cette aiguière a une longueur de 31 cm, le diamètre mesure 8 cm au sommet et 3,6 cm à la base.
2. P. Cintas, *op. cit.*, pl. LXIX, 255.
3. Id., *ibid.*, p. 169 et 401, pl. LXIX, 406.

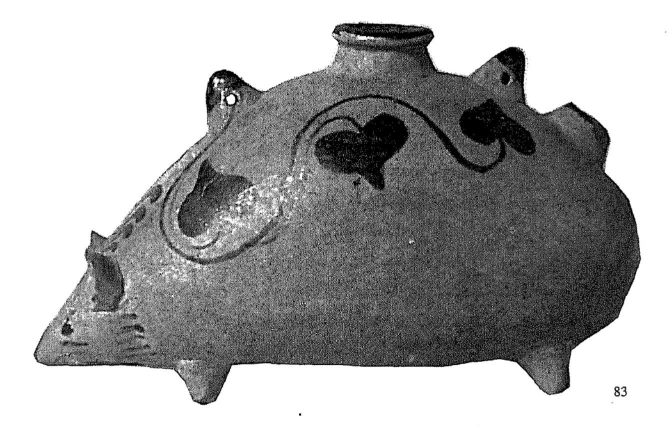
من طين مفخور تمّ التقاطه في أحد قبور غورّية بالجزائر يحمل صورة مختزلة تمثّل قاربا. مع العلم أنّ الشكل الرئيسي يبدو كالشمراخ ممتدّا أفقيّا عكفته اليمنى متّجهة نحو السماء... ومن بين عناصر الصورة خطوط عمودية رسمت على كلا الجانبين مع تناقص منتظم في الطول حتى كأنّها مجادف مصفوفة[1]. ولِتَنْفيذِ مشروعِهِ اقتصر الزوّاق على لونين أساسيين هما الأحمر والأسود بالإضافة الى مغرة الطين المفخور.

وعلى بعض الأباريق ترى عيونا مرسومة بطلاء أحمر تَحُفُّ بالبلبلة فتبدو كطيور جارحة تُجَلِيّ فتشدّ عيون بني الإنسان وتلهيها متصديّة لشرّها. وجدت هذه الأباريق المعيّنة في العديد من القبور البونية بقرطاج[2]. والوطن القبلي وسردانيا وصقلّية : فهذه وطبة من طين مفخور بلبلتها كالأنبوب جُلّت عليها العين الحارسة ومعها طلسم تانيت ولكلتا الصورتين مظروف سحري ديني. وعلى وطبة أخرى توسطت البلبلة الإسطوانية عينين ضَمَّ لهما الزوّاق فننا وطلسم تانيت.

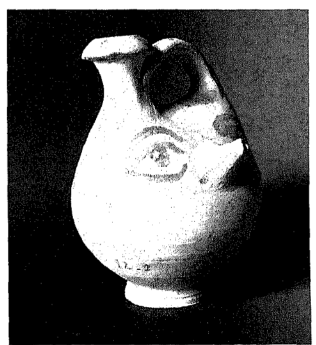
مع العلم أنّ هذا الحجاب مصوّر على أنفورات عثر عليها في ربوع طرابلس ومدن أخرى مجاورة لها بالجماهرية اللّيبية فهذه واحدة منها حظيت بزخارف غضّة غزيرة كالأغصان والقيارق المزدانة بالذوائب وقرص الشمس والنجمة السباعية والوردة وطلسم تانيت. على أنّ اليد التي رسمت هذه الزخارف تبدو مرحة واثقة بقدراتها كأنّها تَنُسُخ مثالا واضح المعالم لا يترك للتردّد مجالا[3].

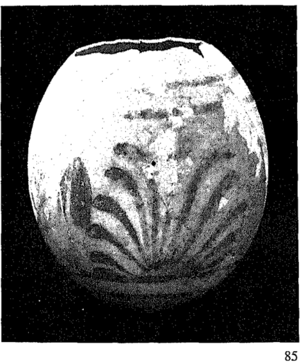
كذلك يبدو الفخّار البوني جزءا من فضاء الرسم والتّزويق في قرطاج وفي غيرها من المدن البونية وكان قسم التزويق من لواحق الفاخورة. فالوعاء ظرف تختلف أبعاده وأشكاله وقد يكون مظروفه ماديّا وقد يكون معنويا له صلة بالرموز يتجاوز حدود المادة بل تراه مطيّة للعديد من الصوّر والأساطير والعقائد والدلالات ذات الصّلة بالتيمّن. والتشاؤم والتّطير. ويدلو الزوّاق من مصَوّرَة تمتاز بالغزارة والتجدّد : فهذه عناصر موروثة عن الحضارات السّامية التي أينعت في وادي الرافدين أو في بلاد كنعان أو في دنيا الفراعنة وتلك عناصر محليّة تعود

1. G. Camps, *Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires*, p. 372
2. P. Cintas, *op. cit.*, pl. XIII, 170-171, pl. LXVIII, 239.
3. A. Divita, *MEFR*, 80, 1968, p. 59, fig. 18 a.


83

83. أسكوس على شكل فأر من طين مفخور زخرفه الرسّام بغصن العشقة عثر عليه في مدفنة طبسة. (متحف باردو : نهايةً القرن IV أو بداية القرن III ق.م.).
84. وطبة أمهرها الرسّام بعينين تحقّان بالبلبلة كما امتد على العنق والبطن طلسم تانيت عثر على هذا الوعاء في قرطاج. (متحف باردو : القرن IV ق.م.).
85. سعيفة رسمت بطلاء أحمر على قيض بيضة نعامة عثر عليها في جزيرة إيبسة. (متحف إيبسة الأثري : القرن V ق.م.).


84


85

الى مكاسب غربي البحر المتوسط نخصّ بالذكر منها ما ينتسب الى رصيد اللّوبيين في شمال القارة الإفريقية.

والحديث عن مِلْوَنَة البونيين ومِصْوَرَتهم يجرّنا الى التّنويه بالزخارف التي بها يتحلّى قيض بيض النعّام. فهي تشبه تلك التي شهدناه على الفخّار. ومعلوم أنّ قيض بيض النعام المزخرف منتشر في أقطار شمال افريقيا منذ عهد قديم وكثيرا ما وجدوه ضمن الظهرة الجنائزية في القبور البونية كما وجدوه في الأقطار المتوسطيّة التابعة لعالم قرطاج ومنها اسبانيا وسردانيا وصقليّة وجزر البليار. فعلى مهاد القيض تَرْسُم يد الزوّاق صورا هندسية ونباتية وأقنعة عيونها تشبه تلك التي تَحُفُّ ببلبلة بعض الأباريق والوطبات. فكان الزوّاق يولى الأقنعة وعيونها عناية فائقة كي يضمن لها النجاعة المنشودة[1].

وتتمة لهذا الفصل الذي أفردناه للرسم والتزويق. تجدر الإشارة الى أنصاب لَيْلُوبَةَ وهي مدينة في صقليّة حلّت محلّها مدينة مرساله. تعود هذه الأنصاب الى القرن الأول بعد ميلاد المسيح لكن زخرفتها تستمدّ أصولها من عمق التراث الساميّ العريق[2]. فقد تكون المأدبة الجنائزية التي رسمت عليها مقتبسة من رصيد الحضارة اليونانية ولكن طلسم تانيت والقيروق المزدان بالذوائب والقرص والهلال عناصر تعود الى رصيد القرطاجي ومعلوم أنّ تزويق الأنصاب كان معروفا لدى البونيين قبل الغزو الروماني.

كذلك نتبيّن أنّ لفنّ الرسم والتزويق مجال في العديد من قطاعات الحضارة القرطاجية البونية كالعمارة والنحت والمثالة. فكان الرسّام يعمل ويبدع لتبتهج العين ويروّح على النفس على أنّ الصورة التي تمنّ بها يده رجوعا الى الذاكرة والوجدان تبقى مشدودة الى ما يتجاوز حدود المادّة.

1. P. Cintas, *Amulettes puniques*, p. 58. Pour les œufs d'autruches, cf. M. Astruc, *Cahiers de Bysa*, VI, 1956, p. 29-58 ; – S. Moscati, *I Fenici e Cartagine*, p. 455-460.
2. A.-M. Bisi, *Le stele puniche*, Roma, 1967, p. 154-158 ; – S. Moscati, *I Fenici e Cartagine*, p. 454-455, M.-G. Amadasi Guzzo, «La pittura», in *I Fenici*, Milano, 1988, p. 448-463.

الفصل التاسع

الموسيقى

كان القرطاجيون، على غرار القدماء جميعهم، يلوذون الى الحركة والكلمة والصوت والصورة سعيا وراء حوار خصيب موصول مع قوى القُدُسَ : فكان للموسيقى حضور في القصر والمعبد. إنّ مِقْرَاً مدينة أور ببوادي الرافدين، جنوب العراق، يشهد بما كانت تحظى به الموسيقى في القصور السومارية مع العلم أنّ المِقْرَأ المشار اليه وهو من الأعلاق التي يتباها بها المتحف البريطاني بلندن يعود الى منتصف الألف الثالثة قبل ميلاد المسيح ويتركّب من لوحتين : تحلّت الأولى بمشاهد حربية وتنعم الثانية برفاهة السلم : فترى الملك على عرشه استوى وقد ترك لباس الحرب وارتدى حلّة السلم، وتناول بيمناه صواعًا ليحتسي نبيذا معتّقا مباركا صحبة ثلّة من الندماء والمقرّبين جزاء لهم واحتفاء. وعن مثل هذه المناسبات لا تغيب الموسيقى فللقينة مكانها لتشدو على وقع أوتار قيثارة تداعبها أصابع عازف مبدع[1]. وكثيرا ما كانت القيثارة السومارية تتحلّى بصوّر يرسمها الصانع استجابة لطلب الحريف فتراها تقترح علينا نزهة في بلاد سومر كما توقفنا على منزلة الموسيقى في تلك العصور السحيقة : ففي عالم بديع يسوده الخيال، ترى الحمار يعزف على الأرغن والحصان أو العير يلاطف الصنوج أو يقرع الدفوف أمّا الدبّ، فتراه يرقص حريصا على الإيقاع والميزان. إنّها ثمار من خيال سومر غذّت حضارات أخرى في الشرق والغرب. فمنها متح

1. A. Parrot, *Sumer*, Paris, 1960, p. 149.

أيْسُفُوس اليوناني في القرن السادس قبل ميلاد المسيح وفَيْدَرُوس اللاّتيني في القرن الأول بعد الميلاد وابن المقفّع صاحب كليلة ودمنة في القرن الثامن ثم الشاعر الفرنسي لافنتان في القرن السابع عشر. وتجدر الإشارة الى كنائس من العصر الوسيط تزدان بنحوت تجسّد بعض تلك المشاهد المثيرة الرائعة.

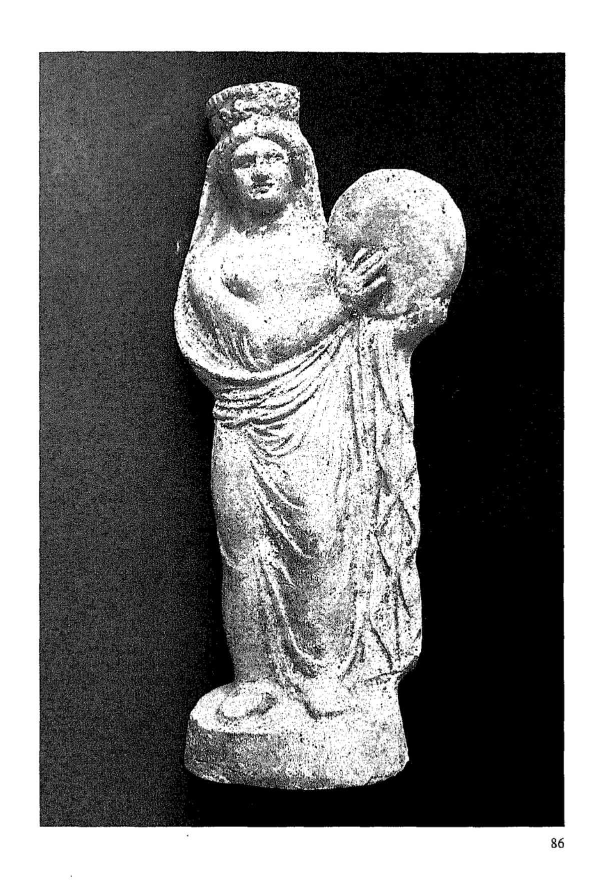
فالشغف بالموسيقى كان ممّا تميّزت به الحضارة في وادي الرافدين وفي كنعان والمدن الفنيقية كما يشهد به الحرف وتشهد به الصورة. ففي سفر الأخبار الأول جاء عن داود عليه السلام :

قال داود الى أمراء اللاّويين أن يعدّوا إخوانهم المطربين ويمدّوهم بالمعازف من عيدان وكنّارات وصنوج مرنّة حتى يعلو صوت الفرح والبهجة» [1].

وهذا طاس من عاج عثر عليه في نمرود[2] بشمال العراق ويعود الى القرن الثامن قبل ميلاد المسيح ترى عليه مشهدا موسيقيّا صوّر نحتا خافتا فترى عازف المِجْوَز وعازف الدُفّ وكأنّ أصواتا متناغمة تشنّف الأذن فتثير في الجسد رعشة يستطيبها الوجدان.

أمّا عن قرطاج والموسيقى. فالوثائق شتّى : منها دُمًى من طين مفخور تصوّر عازفات كالتى تداعب الدّف أو تضمّه الى صدرها وقد تلبّست هيئة طقوسية حتّى كأنّها توقفّت فجأة لتتجاوز حدود المادّة. ومن اللّقى التي التقطها الأب دي لاتر في أحد القبور القرطاجية دمية من طين مفخور طولها 26 سنتمترا تصوّر امرأة تدثّرت بكتّانة طويلة وعلى رأسها معجر شدّته بإكليل مزهر ومسكت بيسراها دفّا مستدير الشكّل أحمر الوجه أزرق الحرف وقد أسندته الى كتفها. أمّا اليد اليمنى فتباعدت أصابعها الاّ السبابة والوسطى تأهبّا للعزف نقرا موّقعا[3]. لقد تواترت هذه الصورة تسوية من طين أو نحتا على الأنصاب في مختلف المدن البونية وعلى مرّ العصور. ولمّا تناولت زهرة الشريف درس هذه

1. *I Chron.*, XV, 16.
2. F. Mazza, «L'immagine dei Fenici nel mondo antico», in *I Fenici*, Milano, p. 567.
3. A.-L Delattre, *CRAI*, 1903, p. 429-432.



86

86. دمية من طين مفخور تصوّر عازفة على الدُّفّ طولها 27 سنتم عثر عليها في قبر من قبور مدفنة سانت مونيك بقرطاج. (متحف قرطاج : القرن IV ق.م).

الدمى تمكّنت من رصد مجموعة من العازفات على الدفّ : فهذه تصوّر الحركة وأخرى تتجلّى وكأنّها على أهبة تترقّب إشارة لتحرك يديها فينطق الدفّ[1]. ولم تكتف هذه الصورة بالطين المفخور والحجر المصقول بل تراها مزبورة على شفرات من برونز : ومنها شفرة عثر عليها في جزيرة إبيسة وهي إحدى جزر البليار التابعة لإسبانيا[2]. هذه أخرى عاينتها كولات بيكار[3] وتناولها بالدرس الباحث الإيطالي أنريكو أكوارو[4] وهي شفرات تعود كلّها الى العالم البوني ولعلّ غالبها من سبك المصانع القرطاجية. وترى عازفة الدّف على أنصاب من حجر صمّ نذكر منها مجموعة أقيمت لبعل إجلالا له في قُدُسِه بمدينة سلشيس جنوب سردانيا[5]. ثمّ لم يُشِحْ الخرّاط بوجهه عن عازفة الدّف فلم يبخل عليها بمهارة يده بل سخّر العاج لنحتها نحتا رقيقا يشهد برهافة الحسّ وروعة الإبداع[6].

ومن بين معازف النقر والإيقاع يجدر التنبيه الى وجود صنوج من برونز أو نحاس وهي معزفة عريقة تتكوّن من كفّتين لكلتيهما عروة تولج العازفة فيها أصابعها لشدّها واستحكامها. والصّنج مستدير الشكل. مقوّر الظهر. يناهز قطره عشرة سنتيمترات. ويوجد غالبا ضمن الظهرة في قبور النساء. فلقد التقط بول جوكلير صنجين في مدفن كاهنة[7] كما أشار الأب ديلاتر الى صنجين عثر عليهما في قبر إمرأة كشف عنه الغطاء بوتيكة[8] وأثبت أنّهما وضعا بالقرب من يد الدفينة. ومادمنا نتحدثّ عن الصنوج فليس من الإطناب ذكر صنجين عثر عليهما بمدينة شرشال بالقطر الجزائري غرب العاصمة وقد سطرت عليهما نقيشة بونية جميلة الحروف[9].

1. Z. Chérif, *Terres cuites puniques de Tunisie*, Roma, 1997, p. 162, n° 136 et 139, pl. XVI ; – J. Ferron, «Les statuettes au tympanon des hypogées puniques», in *Ant. Afr.*, 3, 1969, p. 11-33.
2. C.-G. Picard, «Sacra Punica. Etude sur les masques et les rasoirs de Carthage», in *Karthago*, XIII, 1966, p. 77 et fig. 72.
3. Ead., «Sacra Punica», in *Karthago*, XIII, 1966, p. 63, n° 15, pl. XIX et fig. 54 et p. 77, n° 72 et pl. XXXVII, 2.
4. E. Acquaro, *I rasoi*, Roma, 1971, p. 49-51 et 177-178, pl. XI, 1 et XLI, 2.
5. P. Bartoloni, *Le stele di Sulcis*, Roma, 1986, p. 60-70, n° 217- 270 ; – S. Moscati, *Le stele di Sulcis, caratteri e confronti*, Roma, 1986, p. 61-65, pl. VIII-X.
6. M.-H. Fantar, *Carthage, la prestigieuse cité d'Elissa*, Tunis, 1970, pl. LI-LII.
7. P. Gauckler, *CRAI*, 1899, p. 164.
8. A.-L. Delattre, *CRAI*, 1906, p. 61.
9. Il s'agit d'une cymbale repêchée au port de Cherchell, Ph. Berger, *Musée Lavigerie*, I, Paris, 1900, p. 208 ; Id., *Rev. Assyr.* V, 1902, p. 113-116.



87

87. صورة من عاج تمثّل عازفة على الدفّ وقد انتشت.
(متحف قرطاج : نهاية القرن IV ق.م).

والى جانب معازف النّقر كانت القرطاجيات تحذقن العزف على المِجْوَز كما تثبته دمى من طين مفخور : فهذه دمية تصوّر امرأة تعزف على الجوز وقد شملتها ثيابها حتى كانت تجرّها على الأرض. وازدان رأسها بإكليل تحلّى بزخارف نباتية مطرّزة وفي جيدها عقد أخرازه تحكي شكل البلّوط وتجمّل معصمها بأسوار زادتها رقّة وأنوثة[1].

أمّا المعازف الوترية فلقد كانت معروفة في الشرق السامي منذ أقدم العصور لاسيما في وادي الرافدين ومصر الفراعنة وكانت منتشرة في دنيا الفنيقيين[2] والقرطاجيين : فلصورة العازف على القيثارة أو على الكنّارة مكانها في مصورة المثّال. فمن قبر بوني عثر عليه في ضواحي سيدى بوسعيد أخرجوا دمية من طين مفخور طولها سبعة عشر سنتمترا تصوّر امرأة ترتدي كتّانة فضفاضة شدّتها الى خصرها بحزام واعتلى رأسها تاج أنيق ومسكت بيسراها قيثارة، تحلّت برؤوس طيور[3]. ومن جناء الحفريات الأثرية بجزيرة سردانيا تمثال من برونز عثر عليه بقلعة منتي سيراي يصوّر امرأة تعزف على القيثارة ويرجّح أنّها لقية تعود الى القرن السادس قبل ميلاد المسيح[4]. وهذه صورة أخرى من برونز تحلّت بها عروة إبريق كان بأحد القبور القرطاجية ويبدو أنّها تمثّل عازفا على القيثارة وهي صورة لم تخل منها مصورة الزّابر. فلقد عاينتها كولات بيكار على إحدى الشفرات البونية[5]. وتجدر الإشارة أيضا الى معزفة وترية حفرت على نصب قرطاجيّ يبدو أنّها كنّارة[6]. كما زبرت عازفة الكنّارة على صفيحة من عاج[7]. والى هذا القطاع يجوز ضمّ صفائح من عاج أو من عظم لها ثقب وأسنان. فحدا ذلك ببعضهم الى اعتبارها أمشاطا ساهمت في بناء المعازف الوترية[8]. ومن الوثائق الأثرية قِفٌّ قرطاجي حفرت عليه صورة شخص يمسك

1. A.-L. Delattre, *CRAI*, 1898, p. 97.
2. *II Sam.*, VI, 5 et 14-15.
3. A.-L. Delattre, *CRAI*, 1903, p. 432-433.
4. G. Garbini, «Documenti artistici a Monte Sirai», in *Monte Sirai*, III, 1966, p. 113-115 ; – S. Moscati, *I Fenici e Cartagine*, p. 57.
5. C.-G. Picard, *Karthago*, XIII, 1966, p. 61, n° 7 et fig. 51.
6. J.-G. Février, «Paralipomena punica, II. L'enfant de la cithariste», in *Cahiers de Byrsa*, VI, 1956, p. 22-25, pl. I.
7. M.-H. Fantar, *Carthage, la prestigieuse cité d'Elissa*, Tunis, 1970, p. 313.
8. S. Gsell, *Hist. anc. de l'Afrique du Nord*, IV, p. 101.

88



89

88. عازفة القيثارة.

89. راقصة.

لويحات من عاج أو عظم يحسن الخراط القرطاجي تسويتها مستجيبًا لرغبة الحرفاء وكانت تلك اللّويحات تساهم في زخرفة علب أو صناديق أو أسرة من خشب أو من مادّة أخرى يمكن شدّ مثل هذه اللّويحات عليها. (مدافن قرطاج، متحف قرطاج : نهاية القرن IV ق.م.).

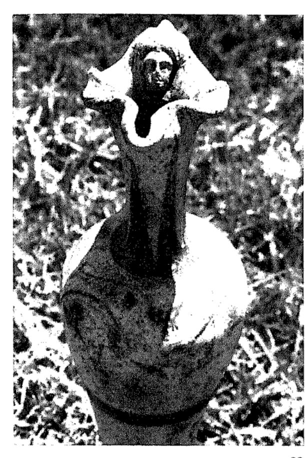
معزفة[1] وممّا أسفرت عنها حفريات قُدْس بعل بسوسة بلاطة حفرت عليها ملامح شخص ضمّ الى بطنه شيئا قد يكون معزفة[2].

تلك وثائق أثرية وتصويرية تساعد على إثبات العناية التي كان القرطاجيون يولونها الى الموسيقى وتوجد شواهد أخرى أدبية كالتى أدلى بها بعض القدماء في حديثهم حول الديانة القرطاجية : فهذا إبْلوتركوس[3] يصف القرابين في قدس بعل مشيرا الى الموسيقى التي على وقعها تنجز الشعائر : فتحدّث عن الزامرين والناقرين على الدفوف. ولا يستوفى الحديث في الموسيقى دون إشارة الى الرقص. ومن ذلك صفائح من عاج أو عظم فصّلت راقصات. يبدو أنّها كانت إطباقات هيّئت لتطعيم علب أو بعض الأعلاق الأخرى[4]. ثمّ لابدّ من ذكر بَيْتَل سردانيّ يوجد بمتحف مدينة قالياري[5] ازدان بمشهد منحوت يصوّر رقصة دينيةً سحرية تستمدّ مضمونها من المعتقدات البونية السردانية ولعلّها كانت تستهدف التأثير على ما لاقدرة للإنسان عليه. ذلك أنّ لهذه الرقصة علاقة بالخصب : فالنّساء اللاّتي صوّرت ملامحهنّ على هذا البيتل جئن لترقصن أملا في الحصول على طاقة الإخصاب. فلا شكّ أنّهن تذكّرننا بنساء تعشن معنا وتتّجهن الى بعض الزوايا لترقصن وتقمن بحركات طقوسية أملا في الإخصاب.

ولئن تبدو رقصة البيتل البوني السرداني ذات أبعاد دينيّة سحرية فالراقصات اللاّتي فصّلت ملامحهنّ من عاج أو من عظم تسعين الى مداعبة العين ومهر المحيط شحنة من الجمال. كذلك نتبيّن أنّ الرقص كان مظهرا من مظاهر الفرح والبهجة في المجتمع القرطاجي. وأيّا كان الأمر، فثابت أنّ الموسيقى والرقص من أفنان الثقافة القرطاجية وكانت المرأة في قرطاج حريصة على حذق كليهما. وهل من شاهد أصدق من صفنبعل بنت عزربعل تلك الحسناء القرطاجية التي نسميها صفنيبة[6] ؟

∴

1. P. Cintas, «Le sanctuaire punique de Sousse», in *Rev. Afric.*, 91, 1947, p. 9.
2. Id., *ibid.*
3. Plutarque, *De superstitione*, 13.
4. M.-H. Fantar, *Carthage, la prestigieuse cité d'Elissa*, p. 308-311.
5. G. Pesce, *Sardegna Punica*, Cagliari, 961, fig. 71 ; – P. Cintas, *Rev. Afr.*, 100, 1956, p. 275-283.
6. J. Vercoutter, *Les objets égyptiens...*, p. 232-233, n° 621-625.





90



91

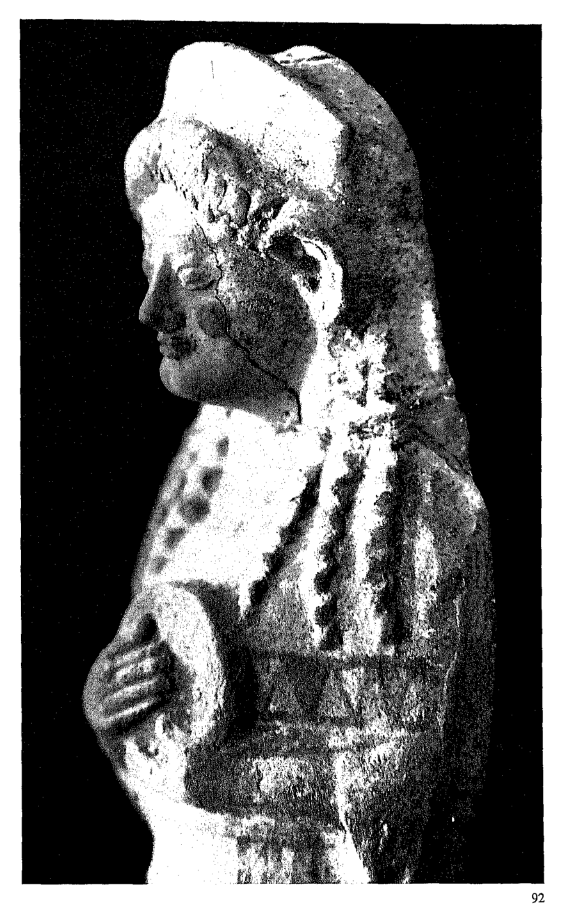
90 و 91 إبريق تحلّت بطنه وعنقه وقاعدته بزخارف استوحاها الرسّام من عوالم نباتية وهندسية منها غصن العشقة والخيوط والأشرطة والمثلثات والحجن وغيرها عثر عليه في قرطاج. (متحف قرطاج : نهاية القرن IV ق.م).

هكذا يتّضح أنّ للفنّ القرطاجي ميادين عديدة فسيحة : منها ما يملأ الحياة اليومية نشاطا لدى الأفراد والجماعات ويجعلها يسيرة ممتعة ومنها العمل الذي يستجيب الى مشاغل تتصّل بعالم الآلهة أو بعالم الموتى وكلاهما يتجاوز شؤون المّادة ليدرك القدّس بل يربط الإنسان بما وراء الإنسان والطبيعة. فنتبّين من هذا المنظور أنّ الفنّ هو ما يمكّن الإنسان من مواجهة التحديّات المّادية ويعبّر عن الحبّ والخوف والورع والطموح والأمل والدعاء الى غير ذلك من المشاعر والهواجس التي تسكن الإنسان وتعمل فيه عملها فتولد العبارة الفنيّة ويكون التجذر والتحدّي ويكون الحمد والإنسجام في المحيط على اختلاف أبعاده الإجتماعية ظاهرها وباطنها جسر يربط بين المّادة وما يتجاوزها. وفيه مشيئة الإنسان الذي يخاف المجهول فيتحدّاه ويبحث عن وسائل تمكّنه من التأثير فيه وتسخيره لخيره. فعلى هذا الأساس وتماشيا مع هذه الرؤية. يمكن للفنّ أن يولد ويزكو في المصنع الصغير مهما كان اختصاص صاحبه كالسبّاك والزّجاج والفاخوري والحجّار والنحّات والحفّار والزّابر والرقّاش والصّانع وكلّ من يجهد لتسخير المادة وغير المّادة أملا في حياة أفضل فيناصر الخير لينتصر على الشرّ. فهذه صوّر تزخرف بيتا أو معبدا وهذه حلية وذاك وعاء من طين أو من برونز وتلك أداة يستخدمها فلاّح أو طبيب أو تاجر. فقد تتجلّى الروعة في تمثال أو تميمة أو خاتم وقد يتقمّص الفنّ مثال مدينة أو شكل بناية والفنّ أيضا في التّجاوب بين الشي والحاجة إليه. مادية كانت أو دينية وجدانية. فقيض بيضة نعامة مزركش أو تمثال من طين مفخور أو مشط من عاج محفور. كلّها تعابير فنّية تلمس فيها الإنسان ونبضات شرايينه.

إنّ للفنّ صلة بالدين والدنيا. تراه مرتبطا بالحِلّ والقِدّس وبما تواتر في الحياة اليومية وما تفرّد. فهو إبداع وصناعة : فهذا يشدّ الإنسان الى أهداف مثالية تعود الى الدين والسحر وتلك تقدّم نتاجها خدمة لأهداف عملية يسعى اليها الإنسان في حياته اليومية كحبّ السيطرة على المّادة وتسخيرها والإستفادة منها. ففي هذا العرض للفنّ القرطاجي. كان لا بدّ من تحقيق يخصّ مختلف القطاعات مع التركيز على ما يميّز كلّ منها ويمتاز به.

الخـــاتـمــــة

مَوْرُوث غـزير وإضافات شتّى



92

92. دُمية من طين مفخور عثر عليها في قبر من قبور قرطاج : تجلّت وضمّت دفّا
إلى صدرها وكأنّها تترقّب إشارة لتبدأ العزف. (متحف قرطاج : القرن VI ق.م).

ففي ضوء ما سبق، نستشفّ أنّ الحضارة القرطاجية لم تكن فقيرة الأدب والفنّ. فلقد كان للقرطاجيين وللبونيين عامة مشاغل أدبية فنية وإن لم يتحرّج بعض الذين حدّثوا عنهم قديما وحديثا من تقديمهم تقديما مقزّما مشينا مدّعين أنّهم بعيدون كلّ البعد عن كلّ ما لا صِلَةَ لَهُ بالمادّة والكسب، وأنكروا عليهم الحسّ الفني مشيرين بإلحاح الى ضحالتهم. فلم ينج ستيفان اكسال من مزالق الأحكام المسبّقة المنحازة وهو القائل :

تبرز المواهب الفنيّة لدى الشعوب في أبسط الأشياء العادية لكن الأشياء العادية تثبت لدى القرطاجيين عجْزا ليس له دواء : فهم لا يحسنون حتّى تقليد الأمثلة اليونانية تقليدا جيّدًا بل في ذلك تراهم دون الأترسكيين الذين هم أيضا من المقلدين[1].

ولم يقف مؤرخون آخرون عند هذا الحدّ بل تجاوزوه مشهّرين بعجز القرطاجيين على تصّور عالم منتظم. ومردّ ذلك، في اعتقادهم، نقص في مستوى الحسّ يحول دون الشعور بالحاجة الى التناغم والإنسجام ويكون سبب عجز على الخلق والإبداع[2]. وممّا كتب في هذه القضية الخطيرة قول المؤرخ الفرنسي جلبار بيكار :

لم تبدع قرطاج شيئا ولم تترك شيئا ثبت بعد موتها. فلا شكّ أنّ اسهامها في الحضارة البشرية دون اسهام الجِلّيينَ وهم قوم لم يعرفوا الحضارة قطّ[3].

1. S. Gsell, *Hist. anc. de l'Afrique du Nord*, IV, p. 108.
2. C. et G.-Ch. Picard, *La vie quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal*, Paris, 1958, p. 68.
3. G. Picard, *Le monde de Carthage*, Paris, 1956, p. 26. Il faut cependant reconnaître une très nette évolution dans la pensée de G. et C. Picard, on constate d'ailleurs que de tels jugements ne figurent plus dans leurs travaux postérieurs.

إنّه تيّار معادي لقرطاج وحضارتها يعتمد مواقف تتصّف بالكراهية والميز العنصري تجاه الشعوب السّامية فتارة يعلنها أصحابها صراحة، وطورا يحاولون تغطيتها تقية. لكنّها تنبجس بين الحروف. ولم يسلم من مثل هذه المواقف مؤرّخون يتّسمون عادة بالموضوعية ويعترفون بحقوق الآخرين كما يؤمنون بجدوى الحوار بين الحضارات. ومن هؤلاء المؤرّخين. تجدر الإشارة الى شارل أندري جليان الذي لم يتحرّج من وصف الأرسطقراطية القرطاجية بالجبروت والشراسة مضيفا أنّها تشبه ارسطقراطية البندقية حتّى كأنّهما شقيقتان لافرق بينهما سوى انعدام الذوق والثقافة لدى الأرسطقراطية القرطاجية[1].

إنّها مواقف مسمومة تريد بالحضارة القرطاجية شرّا ولاشكّ أنّها من الموروث اليوناني اللاّتيني وقد وظّفت لخدمة السياسة الإستعمارية التي سادت العالم منذ نهاية القرن الثامن عشر وعمّرت عسكريا حتّى بداية النصف الثاني من القرن العشرين لتترك المجال للعولمة وللغزو الثقافي الإقتصادي. وممّا زاد تلك المواقف وقعا وتأثيرا سلبيّا وساعد على نشر آفاتها أنّ دعاتها كانوا يتمتّعون بشهرة علمية وبمصداقية مكتسبة لا يتجاسر أحد على خدشها أو حتّى مناقشتها. أمّا التشكيك فيها فكان أمر لا يَخْتُرُ على بال.

لكن الظروف تغيّرت وأصبحت الشعوب المستضعفة تكافح في سبيل الحياة واستولت على المبادرة وأفرزت مواقف وأحكام تندّد بالجور والتعتيم والإحباط وتشهّر بالمنحازين المتعصّبين الذين تملّكهم الغرور حتّى كانوا لا يعترفون الاّ بذاتهم وبالحضارات التي يدّعون الإنتساب إليها. ومن الذين حاولوا انصاف الحضارة القرطاجية. تجدر الإشارة الى بيار سنتاس وإن لم تتحلّ دراساته بكلّ ما يستوجبه البحث العلمي والتحليل الموضوعي الدقيق وممّا كتبه في الصدد قوله :

> ***فلا شكّ أنّ الشعب الذي عبر جبال الألب بفيلته وأنجب حنون وخيملك وبنى سفنا تصدت للمحيط واستطاعت العودة من جزر الأسورس لقادر على تقديم شواهد أخرى تثير الإستغراب وتنال الإعجاب[2].***

1. Ch.-A. Julien, *Histoire de l'Afrique du Nord*, I, Paris, 1956, p. 84.
2. P. Cintas, *Céramique punique*, p. 3, n. 2.

لا فائدة في سرد المواقف المعادية لقرطاج وحضارتها وقد أعرب عنها أوتبنّاها العديد من المؤرّخين الغربيين ولعلّ من أشرس ما قيل في هذا الباب ورد على لسان المؤرّخ الفرنسي جلباربيكار على أنّه لم يتردّد في التراجع وفي تلطيف أحكامه القاسية خلال السنوات الأخيرة معترفا بشططه وإفراطه. وهذا أرنست ويل يقدّم كتابا حول العالم القرطاجي فيقول :

> *لم يخف المؤلفان شعورهما بضحالة ما أنجزته المدينة البونية الكبيرة. ففي هذا الصدد لم تُغْرِهما التضحية في سبيل ذوق الساعة الذي تراه دائما مندفعا نحو تفضيل كل عمل غريب وجعله في مرتبة أرقى من مرتبة الأعمال الكلاسيكية. فقد يُتَّهَمَان بالإنحياز الى الرّومان أو الى الغرب ولكن من يتجاسر ليقول إنّ الواقع يكذّبهما*[1].

فلا شكّ أنّ التقدّم الذي تعيشه المجتمعات على مختلف الأصعدة السياسية والإقتصادية والإجتماعية باتت تجيز إدانة الأحكام المسبّقة والتعصّب والإنحياز. فلقد توفّرت عناصر جديدة تساعد على إنصاف قرطاج وتفرض الإعتراف لها بمَكَانٍ محترم على منصّة الأدب والفنّ وفي رحاب الحَرْفِ والحِرَفِ. وقد حاولنا تبيان ذلك بوضوحٍ كامل في ضوء ندأة تستمدّ عبيرها من حقول الحرف والصّورة والصوة والحركة. وثبت لدينا أنّ في الفنون القرطاجية صدى لحوار بين ثقافات البحر المتوسّط وفيها ترنيمات متناغمة لدجلة والفرات والنيل ومجردة. فلقد متحت قرطاج من كنوز الشرق السّامي وتبنّت أشكاله وتقنياته وكيّفتها حتّى تستجيب لما تحتاجه ويساهم في بناء ذاتها : فمن العناصر التي جاءت بها قرطاج من الشرق السّامي لابدّ من ذكر شجرة الحياة والقرص والهلال والكواكب والسعفة والبيتل والعرش الشاغر والمسكون. ومن ذاك الشرق مواقف وحركات ومظاهر وأزياء ومشاهد تصوّر الحِلَّ والقِدْسَ كالصيد ومبارزة الضواري. ومن أساليب الكتابة التصويرية التي أخذتها قرطاج من الشرق لامناص من ذكر التناظر والتظاهر.

---

1. E. Will, *Syria*, XXXVII, 1960, p. 182.

وبقيت مدينة عليسة مفتوحة أبوابها لتدخلها التيارات والأشكال الفنية مباشرة أو بعد مرورها بمدينة صور. فلقد تسرّبت الى غربي البحر المتوسط بعض عناصر الحضارة الاخمينية، منها القلنسوة الاسطوانية الشكل، تلك التي تراها على رأس الكاهن الحاضن كما صوّر على نصب من أنصاب قرطاج[1] وتراها على رأس إله البحر في كركوان بالوطن القبلي[2] وفي تمودة بالمغرب الأقصى[3] وهي القلنسوة التي تحلّى بها إله ركب حصانا بحريا زبر على قطع نقدية ضربت بمدينة صور فيما بين القرن الخامس والقرن الرّابع قبل ميلاد المسيح[4]. وتدين قرطاج للشّرق السّامي بما يمكن تسميته بالأسلوب القصصي التصويري وهو الذي يتجلّى بوضوح على طبق من فضّة عثر عليه في قبر أمير من أمراء مدينة بالسترينة الإيطالية[5] ويتجلّى ذلك الأسلوب أيضا على جوانب غرفة جنائزية بالوطن القبلي[6]. ولمصر الفراعنة حضور في الفنون القرطاجية البونية وهو حضور يعتمد الآلهة والمعتقدات ويستند الى الأشكال المعمارية والى بعض عناصر المصورة المصرية من زهرة اللّوطس وإفريز الصلال والقرص المجنّح والجعْلاَنِ والكتابات الهيرجليفية وغيرها[7].

وانفتحت قرطاج على مختلف تيّارات الثقافة اليونانية وبدأ ذلك الحضور اليوناني يتجلّى في دنيا القرطاجيين بعد معركة هيميرة التي دارت رحاها سنة 480 قبل ميلاد المسيح. أمّا عن العناصر التي جسّدته فهي تقنيات وأساليب وأشكال وطرق عمل ومنها الجبهة الثلاثية والعمود اليوني والعمود الدّوري بالإضافة الى مفردات زخرفية كالدرر والقريصات والقلوب والقيارق والقناثر وأوراق العشقة والكرمة على أنّ مصورة الشرق السّامي لم تخل من هذه الزخارف النباتية. ويبدو أنّ القرطاجيين

1. Pour la stèle du prêtre à l'enfant, cf. *Carthage, l'histoire, sa trace et son écho, Catalogue de l'exposition tenue au Musée du Petit Palais*, Paris, 9 mars - 2 juillet, 1995, p. 116 ; – M. Yacoub, *Pièces maitresses des Musées de Tunisie*, Tunis, édit. Carthacom, 1994, p. 10-15.
2. M.-H. Fantar, «Le cavalier marin de Kerkouane», in *Africa*, I, 1966, p. 19-40.
3. Id., *ibid.*, p. 26.
4. Id., *ibid.*, p. 25.
5. S. Moscati, *I Fenici*, Milano, Bompiani, 1988, p, 444 ; – Id., *L'ancora d'argento*, Milano, Jaca Book, 1989, p. 206-208, p. 68.
6. M.-H. Fantar, *Eschatologie phénicienne-punique*, Tunis, 1970, p. 32-37.
7. Id., «Présence égyptienne à Carthage», in *Hommage à Jean Leclant*, vol. III, Etudes Isiaques, Institut français d'archéologie orientale, le Caire, 1994, p. 203-211.

نقلوا عن الإغريق صور بعض آلهتهم ووحوشهم ومنها تريتو وسقولة والجرجنة وغيرها[1].

ولم تبخل أفريقة برصيدها لتساهم في سبك الحضارة القرطاجية وإثرائها : فهذه معتقدات تتجلّى صورا على جوانب بعض الأوشاز اللّوبية والقبور البونية[2]. ومن معجم الزخرفة اللّوبية لابدّ من ذكر أفاريز المثلثات والمعينات وحلقات الرقص وهي عناصر تنغمس جذورها في سمك العصور الحجرية، لها صلة بؤلائك الذين رسموا مشاغلهم ومعتقداتهم وطموحاتهم على صخور تاسيلي بالجزائر[3] وعلى صخور فزّان[4] بالجماهرية اللّيبية. ولا ننسى ماازدانت به مغارات جبل وسلات[5]. وتجسّد الإسهام الإفريقي بالغربلة والتكييف. فالإختيار مساهمة وتكييف المختارات وتبنيها مساهمة.

وماقلناه عن الإسهامات الإفريقية ينطبق على ما قدّمته شبه جزيرة الإيبيريين وجزيرة سردانيا وغربي صقلية وغيرها من الربوع التي شملها النفوذ القرطاجي وأينعت فيها الحضارة البونية.

ولئن تعدّدت الإسهامات التي تدخل ضمن تركيبة الفن القرطاجي البوني، جليّة كانت الإسهامات أو خفيّة، فذلك لايعني عدم الطرافة والخصوصية : فثابت أنّ الإسهامات العديدة المختلفة الأصول لاتمنع الفنّ القرطاجي البوني من الحصول على مكان مرموق ضمن نداة الفنون المتوسطيّة. فيكفي أن تتمعّن في بعض الأنصاب البونية ممّا عثر عليه في قرطاج أو في مطوة أو في سردانيا

1. M.-H. Fantar, «La présence grecque en Afrique du Nord», in *Proceedings of the first internationl congress on the Hellenic Diaspora from Antiquity to Modern Times*, vol., I, from Antiquity to 1453, éditor John Fossey, Gieben-Amsterdam, 1991, p. 177-184.
2. Id., «La décoration peinte dans les tombes puniques et les haouanet libyques de Tunisie», in *Africa*, X, 1988, p. 28-49.
3. G. Aumassip, «Trois nouvelles stations de peintures pariétales au Tassili n Ajjer» in *Libyca*, XX, 1973, p. 223-231 ; – G. Lefebvre, *Corpus des gravures et des peintures rupestres du Sud algérois*, Aix-en-Provence, 1975 ; – G. Camps, *Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara*, Paris, Doin, 1974, p. 246-247, pl. XV-XVI.
4. F. MORI, «Prehistoric Rock-paintings in Fezzan», in *Libya in History*, éditor Fawzi Gadallah, Dar el Mashreg, Beirut, s.d., p. 31-39.
5. A. Gragueb et *ali.*, «Nouvelles découvertes de représentations rupestres en Tunisie : jbel Ousselat (Tunisie centrale)», in *Bull. des travaux de l'Institut National d'archéologie et d'art*, fasc. 4, avril-juin, 1991, p. 41-53.

لتقف على الثوابت وتلمس الخصوصيات. فلم يتردّد النحّات القرطاجي من تجاوز عالم الرموز ليكـرع من دنيا الواقع ويكـرع من حياض المعيش وينابيع المحيـط. ونتيجة ذلك، ترى الأنصاب القرطاجية ترفل في حلل النبات والحيوان والعمارة[1] ولم تهمل عالم الحرفيين فازدانت بأدواتهم كالمسطار والقدّوم والمنقاش والمدية والجداف والمراسي وغيرها. فانظر مثلا الى نصب طوال القوائم[2] أو الى نصب الفتى[3] أو الى نصب الكاهن الحاضن أو الى غيرها من الأنصاب. فلا شئ فيها يشتمّ عنه التقليد الأعمى البليد بل تلمس فيها إبداعا وتأصلا في المحيط. ولم تكن هذه الخصوبة وقفا على نحت الأنصاب بل تميّزت بها قطاعات أخرى كالزبر على الشفرات البرونزية وصناعة الجوهرات والجعلان والتحفير على الحجارة الكريمة وشبه الكريمة وتزويق التوابيت والأنصاب والأوعية ودمى الطين المفخور. ففـي تلك الميادين وغيرها أثبت القرطاجي قدرته على الإبداع وهو مشدود الى تقاليد الجموعة الأثيلة دون ما تقوقع. فكان يتجاوب مع محيطه ويستـجـيـب الـى متطلباته ويداعب طموحاته ويشاطره هواجسه ومشاعره. هكذا تعدّدت ينابيع إلهامه وتنوّعت وكان لخياله غذاء جيّد فتحرّر وأبدع.

إنّ الوثائق المتوفّرة لدينا اليوم كفيلة بتأليف باقة من روائع الفنّ القرطاجي البوني. فقد يمثّل النحت في هذه الإضمامة تابوت من تلك التوابيت التي متّت بها المدافن القرطاجية واعتلت أغطيتها تماثيل أدمية[4]. ونختار بعض الشفرات البرونزية للتعـريف بفنّ الزّبر في قرطاج[5]. أمّا عن التحفير والخـراطة وصناعة الجوهرات، فحدّث عن جمالها ولا تخش قدح القادحين : فهذه أعلاق من عاج أو عظم، وهذه نفائس الذهب المصمت والحجارة الكـريمة. فالنقوش التي حفـرت على يشب جُعْلٍ عثر عليه في أحد قبور مدفنة سيدى سالم بمنزل تميم تجمع

1. M. Hours-Miédan, «Les représentations figurées sur les stèles de Carthage», in *Cahiers de Byrsa*, I, 1951, p. 15- et pl. I. XXXIX ; – C. Picard, «Les représentations du sacrifice molk sur les ex-voto de Carthage», in *Karthago*, XVII, 1976, p. 67-138 et *Karthago*, XVIII, 1978, p. 5-116 et pl. XIII-XXIV.
2. M.-H. Fantar, *Carthage, la Cité punique*, Tunis-Paris, Alif-Les éditions de la Méditerranée et CNRS éditions, 1995, p. 90.
3. S. Moscati, *Cartaginesi*, Milano, Jaca Book, 1982, p. 9.
4. M.-H. Fantar, «Un sarcophage en bois à couvercle anthropoïde découvert dans la nécropole punique de Kerkouane», in *CRAI*, 1972, p. 340-354.
5. Id., «L'archéologie punique au Cap-Bon», in *RSF*, XIII, 2, 1985, pl. XXIII, 3.

بين البعد الفني الجمالي والبعد الوثائقي[1]. إنّه خاتم نقوشه المحفورة على اليشب تعكس العبقية والمهارة وتحدّثك عن الجيوش القرطاجية وعن مشاتها المدجّجين بالسلاح : الخوذة على الرأس والمجنّ باليد اليسرى والرمح مرفوع تشدّه اليمنى واحتمت الساق بواقية.

إنّ الحديث عن الجوهرات والجعلان والأختام يفرض التنويه بقواس وتيكة[2] وجوادها المجنّح وهو ذلك الفرس الذي يحمل في الأساطير اليونانية اسم بَيْجَسُوس. فهما عِلْقَانِ يستطيع كلاهما منافسة أروع روائع الإغريق والأترسكيين في هذا القطاع[3]. فالجواهر البونية تستهواك وتشدّك بسحرها لأنّها ثراء وعمل متقن يجمع بين سخاء الخيال والتفتّح ومهارة اليد. بقي الرسم والتزويق وقد يعسر الإختيار فلقد أشرنا الى أسقوس الوطن القبلي والى ابريق قرطاج وكلاهما يتّصف بأناقة الشكل ورقّة الزخرف.

وممّا يترجم عن المشاغل الفنّية لدى القرطاجيين أحداث تاريخية جديرة بالتذكير. فلمّا كان حنّبعل يخوض معارك الحرب الرّومانية القرطاجية الثانية وكان يعيش حياة المعسكرات بإيطاليا اقتنى أحد جنوده درعا وعاد به الى وطنه تحفة يتباهى بها[4]. فلمّا توفي دفنوه ودرعه في قبر تمّ اكتشافه في ضواحي قصور الساف. ويبدو أنّ المدينة كانت وقتئذ تدعى أجّر. ففي سنة 1913، فتح القبر صدفة من قبل عمّال كانوا يتعاطون قطع الحجارة فعاد الدّرع الإيطالي الى النّور ليأخذ مكانه في إحدى القاعات المخصّصة للحضارة القرطاجية بمتحف باردو. ومعلوم أنّه دخل أفريقة على أساس روعته وفي اقتنائه تعبير عن حاجة فنّية كان لا بدّ من إرضائها.

أمّا القائد حنّبعل فلقد كان فخورا بمجموعة من التّحف والتماثيل البرونزية، منها تمثال يصوّر هرقليس وهو من إبداع أحد كبار النحاتين في بلاد اليونان خلال القرن الرابع قبل ميلاد المسيح قيل إنّه لُوسِبُّوس[5]. وفي رماد قرطاج

1. Id., *Carthage, la cité punique*, p. 111.
2. P. Cintas, «Deux compagnes de fouilles à Utique», in *Karthago*, II, 1951, p. 34, fig.10.
3. C. et G.-Ch. Picard, *La vie quotidienne à Carthage au temps d'Hannibal*, p. 144.
4. J.-P. Morel, *Antiquités Africaines*, 15, 1980, p. 29-30. A. Merlin, *Monuments Piot*, XVII, 1910, p. 125-137.
5. J. Carcopino, *Profils de conquérants*, Paris, Flammarion, 1961, p. 156.

وحطامها عثر على رأس أدمي[1] من خشب علّه كان إطباقة تحلّى بها بعض ما كان يستخدم لتأثيث البيوت كالمناضد والأرائك والعلب والصناديق وغيرها. فالتحف الأجنبية تترجم هي الأخرى عن مشاغل فنيّة لدى القرطاجيين وعن شغفهم بالإبداع وحبّهم لاقتناء الروائع والأعلاق مهما كان مصدرها. هكذا ينبغي فهم حضور الفنّ اليوناني في قرطاج والمدن البونية الأخرى. وهكذا نعلّل وجود التمثال الذي عثر عليه في جزيرة مطوة فلعلّه كان ملكا للمدينة أو لأحد أعيانها[2].

وهل يجوز الصمت عن سدل كانت تفخر بها قرطاج وقد أقدمت على اقتنائه من دِيُونسُيوسَ سلطان مدينة سرقوسة بمائة وعشرين طلنتا أو بيّا وهو سعر خياليّ يساوي ثلاثة آلف ومائة وعشرين كلغ من الفضّة والسدل المشار اليه ستر طوله خمسة عشر ذراعا اختلس من قُدُسِ هيرة اللأَقِنِية الكائن قرب مدينة قروتونة بإيطاليا وكانت حواشي ذلك الستر مطرّزة مزدانة بصور الهية وبأشكال أخرى عديدة. فهو من الروائع الشهيرة التي ذاع صيتها وتناقلت ذكرها الأجيال عبر العصور. لقد أشار المؤرّخ الفرنسي ستيفان اكسال الى الحدث قائلا :

> *كان القرطاجيون على مهارتهم في هذا الميدان يعترفون بتفوّق بعض المنسوجات اليونانية*[3].

فنحن، مع احترامنا لهذا الرأي وتقديره، نعتقد أنّ اقتناء هذه الروائع اليونانية شاهد على رهافة حسّ المقْتَنِي وسلامة ذوقه وشغفه بالجمال مهما كان الثّمن ومهما كانت التضحية. فهل يجوز الحديث عن ضحالة قوم لا يتلكّؤون ولا يبخلون بشئ لاقتناء روائع الفنون ؟ ففي قرطاج والمدن البونية الأخرى يتجلّى الحسّ الفنيّ في أبسط مظاهر الحياة اليومية : فهذه مثابة بئر[4] تزدان بأشكال

1. L. Poinssot et R. Lantier, «Tête d'applique en bois trouvée à Carthage», in *CRAI*, 1927, p. 206.
2. Vincenzo Tusa, «La statua di Mozia (il giovane di Mozia)», in *Sicilia archeologica*, anno XXI, 1988, p. 15-22. A. Di Vita, *La statua di Mozia dans Atti della Giornata di studio, Marsala*, 1. Giugno, 1986, Roma, 1988, p. 39-52 et pl. I-XXVIII.
3. S. Gsell, *Hist. anc. de l'Afrique du Nord*, vol. IV, p. 105.
4. M.-H. Fantar, *Kerkouane, cité punique du Cap-Bon* (Tunisie), t. II, Tunis, 1985, p. 407-408 et pl. IV. (p. 464).

هندسية من تقوير وتجويف نحتت في الحجر ثمّ جصصّت حتّى اكتسبت نصاعة الرخام ونعومته فباتت تشدّ البصر وتحنّ لها اليد وتلاطفها. وهذه موازب[1] تمتدّ من أعلى السطوح لتصريف مياه المطر فلم يقتصر البنّاء على تأمين وظيفتها بل أرادها جميلة تزيد البناية روعة وقد ترى الأعناق مشرئبة لتتمعّن في تجاويفها وتقاويرها فضلا عن نعومة بياضها.

فالقرطاجيون ليسوا أؤلائك الذين تحدّث عنهم بعض المؤرّخين المعاصرين المنتسبين الى ما بين الحربين العالميتين وهم الذين يدّعون أنّ القرطاجيين لايسعون إلاّ وراء الكسب[2] : ذاك حكم جائر. فيه غمط وحيف. وأساسه الغرور ورفض الآخرين. فلقد أوحت بمثل تلك المواقف وغذّتها سياسات استعمارية أدركت أوجها بين الحربين الكونيتين ثمّ تراجعت وأفل نجمها بتفكك الإمبراطوريات وانعتاق الشعوب المستضعفة. على أنّ مواقف العداء والتعتيم لن تزول مالم تعتن تلك الشعوب بتاريخها وتستجيب لحاجيات تراثها وتتولّى تقديم ذاتها لذاتها وللآخرين. فلا بدّ من عمل دؤوب هادف لتعلو الحقيقة وينعدم الإنحياز وتزول مركبات الغرور والإستعلاء. ويكون ذلك بتقديم الوثيقة تقديما يليق بها حتّى لاتشكو غبنا ولا تدّعي إلاّ مالها. وأيّا كان الأمر. فثابت أنّ القرطاجيين كانوا يقبلون على الحياة ومفاتنها على غرار حسناء حفرت ملامحها على فصّ خاتم التقطه الأب دي لاتر في أحد القبور القرطاجية[3]. والحسناء تلك. صوّرها المبدع جالسة وبيدها اللطيفة زهرة تشدو الرقّة وتنشر الطيب. إنّها روعة قرطاجية تدعو إلى نزهة في رياض قرطاج وتذكر أولائك الذين كانوا لايدّخرون جهدا للعناية بالزهور لتزهو ألوانا وتفوح عبيرا وكانوا لا يترددون في البحث عنها واقتنائها والإستمتاع بها مهما اختلفت أصولها وارتفعت أثمانها. تلك هي منزلة الفن والأدب في قرطاج. مدينة عليسة الماجدة.

---

1. M.-H. Fantar, *Kerkouane, cité punique du Cap-Bon* (Tunisie), p. 436-437 et pl. XXXIV (p. 488).
2. S. Gsell, *Hist. anc. de l'Afrique du Nord*, vol. IV, Paris, 1920, p. 109 : "*Apres au gain*", écrit-il, en se référant à Aristote, *Politique*, II, 8, 6 et à Polybe, VI, 56, etc. Le jugement est fort contestable.
3. A.-L. Delattre, *CRAI*, 1899, p. 319 ; – B. Quillard, *Bijoux Carthaginois*, II, Louvain-La-Neuve, 1987, p. 62, n° 307.

مصطلحـــات

أباريق معيّنة يتحلّى الواحد منها بعينين تحفان بالبلبلة ***Oenochoés ornées d'une paire d'yeux de part et d'autre du bec verseur***

أبرش : Polychrome

أبو منجل : Ibis

طائر يتقمصه الإله المصرى ثوت وهو اله الكتّاب والفلكيين والسحره والمنوّمين والذين يتولّون علاج المرضى ؛ له منقار طويل مذبب يرمز الى كل عمل عقلاني.

أحجن : Bouclé

يستخدم لوصف الشّعر. يقال شعر أحجن.

أرن ويقال ايضا أرنة : Urne

أزهران : Les deux luminaires

يوجدان ضمن المصورة السّامية منذ أقدم العصور وكثيرا ما تتحلّى بهما الأنصاب البونية وغيرها مّا أنتجه الفن القرطاجي ذلك أنّ للأزهرين بعدا دينيّا يفضيانه على الصورة التي يرافقان. فهما يشيران الى حضور إلهي ويقومان بدور الدمغة المعرّفة بالانتاج البوني السّامي.

إسباطية : Le sufétat

اسم يشير الى وظيفة السبط أو القاضي في النظام القرطاجي.

أسخم : Bistre

لون اسمر مع ميل الى السواد يمكن الحصول عليه بخلط السّخام بالصّمغ.

اسطاد (ج) أسطد : Stade

وحدة قيس تساوي حوالي 180 مترا عند الإغريق.

اسقربقل : Escarboucle

الواحدة اسقربقلة. اسم يطلق قديما على صنف من الحجارة الكريمة تدعى بنفش لونها أحمر رمّاني أو أرجواني.

أسْقُوس ج. أساقس : Askos

وعاء شكله يشبه شكل الزقّ. الكلمة من أصل يوناني ولها معنى الكيس أو الزق ولعلّه كان يستخدم كالرّكوة للشراب وهي من المُعَرَّبِ تعريبا صوتيّا.

أسلاب : Abats

سلب الذبيحة إهابها وأكرعها وبطنها.

أقروليثي : Acrolithique

يقال للنحوت في الصخر مع توخي الاختزال بحيث يقتصر النحات على تصوير ملامح الوجه دون غيرها من عناصر الجسد حتى تحافظ الصخرة على مواصفاتها.

أنفورة ج أنفورات (بألف مفتوحة ونون ساكنة) : Amphore

جرّة للخزن والوسق لها أشكال عديدة تختلف باختلاف العصور والربوع ولها عروتان قائمتان متناظرتان.

أُنْفُورِسْقَةٌ (بكسر الراء وسكون السين) : Amphorisque

وعاء صغير يشبه الأنفورة.

أُنَيْفُرة (بالف مرفوعة ونون مفتوحة وياء ساكنة) : Amphorette

أنفورة صغيرة الحجم.

إيلقتروم : Electrum

مزيج من الذهب والفضّة كان محبوبا لدى القدماء وله لون العنبر أو الكهرمان.

برتولانة : Portulan

اسم مشتق من الكلمة الايطالية التي تعني الميناء "برتو" والبرتولانةُ خارطة بحرية كان يستخدمها الملاّحون فيما بين القرن الثالث عشر والقرن السادس عشر وهي على شكل كتاب فيه وصف للسواحل والموانى مع ذكر المسافات الفاصلة بينها وخصائص الربوع المجاورة.

بُرْعُمُ المَسْكِ : Têton ou bouton de préhension

برنيق أو فرس الماء : Hippopotame

حيوان برمائي من الثدييّات يقيم في مياه الأنهار الكبيرة مثل النيل قديما والبحيرات.

بلبلة : *Tube Verseur*

يقال بلبلة الإبـريق أو بلبل الابـريق أي قناته الصغيرة التي منها يـصـبّ الماء وتكون غالبا على شكل أنبُوبٍ.

بلشـون : *Héron*

طائر من الطيور المائية ينتمي الى فصيلة طويلات الساق ذو عنق طويل رقيق ومنقار طويل مستقيم شكله كالخروط. وكان البلشون من الحيوانات المقدّسة عند المصريين القدامى.

بَنَفْش : *Améthyte*

من الأحجار شبه الكريمة ذات اللون البنفسجي.

بولوس : *Polos*

كلمة يونانية الأصل تعني كوفية اسطوانية الشكل تتقلنس بها النساء وبعض الآلهات في اقطار المتوسّط قديما وخاصة عند الاغريق. فالإلهة ديمترة تتقلنس البُولُوسَ.

بويضة : *Ove*

زخرف من زخارف العمارة ينحت على شكل بويضة وهو من عناصر المصورة اليونانية.

بيتل : *Bétyle*

اسم يتركّب من كلمتين ساميتين الأولى بت وتعنى البيت او المقرّ. والثانية أل وتعنى القوّة الإلهية. فالبيتل نصب تستقر فيه القوة الالهية أو هو يحتوى على حضور إلهي.

بيجٌ : *Bige*

عربة يجرها جوادان

بَيْنيلوبة : *Pénélope*

طائر من فصيلة الدواجن يشبه التدرج والديك الهندي.

تحبيب : *Granulation*

من مصطلحات صناعة الجواهر وسبكها .فالتحبيب يتجسّد في مهر الجوهرة أو الحلية حبابا تكون كالفقاقيع الصغيرة التي تعلو الماء أو تكون كحبب الرّمل المنضودة.

تخفير : Glyptique

تِرِجْلُوفَةٌ : Triglyphe

من مصطلحات زخرفة العمارة عند الإغريق وخاصة في العمارة الدّورية. فالتِرِجْلُوفةُ كلمة يونانية الأصل مأخوذة عن طريق التعريب الصوتي . أمّا اللفظة الاغريقية فهي تتكوّن من مادتين الأولى تر وتعني ثلاثة. أمّا المادة الثانية فهي **جلوف** وتعني الخطّ فتِرِجْلُوفَةٌ تعني ثلاثة خطوط فهي إذا ثالوث أو مثلوث تراها على واجهات المعابد الدورية تتداول مع المَيْطَبَاتِ (انظر ميطبة).

تَرْصِيع : Sertissage

تشبيك : Filigrane

من مصطلحات صناعة الجواهر، ويتمثل التشبيك في استخدام خيوط من ذهب أو فضّة ملحومة تمهر بها بعض الجواهر والحلي فتزداد زخرفة وروعة. أمّا الزّخارف التي تسوّى بالتشبيك فهي التّي تسمّى مشبّكات.

تطريق : Le repoussage

من مصطلحات صناعة الجواهر والحلي وهي طريقة يدوية لتسوية زخارف وأشكال بارزة بالضغط على صفيحة معدنية بواسطة مطرقة وتنشأ الزخارف والأشكال المصمّمة قوالبا بتطريق الصفيحة المعدنية المسندة على مادة ليّنة طيّعة.

تطعيم : Incrustation

من مصطلحات صناعة الجواهر والحلي ويتمثّل التطعيم في تنزيل عناصر تختلف مادتها عن المادة الأساسية التي منها تصاغ الجوهرة أو الحلية.

تَفْرَجة ج. تفاريج : Créneau

من مصطلحات العمارة الدفاعية الخاصة بتحصين المدن والقلاع فالتَفْرَجة فتحة بين شرفتين، فسور المدينة مثلا يعلوه سجاف أو كفاف يتكوّن من شرفات وتفاريج (انظر شرفة).

تقطيع أو تفصيل : Découpage

من مصطلحات صناعة الجواهر ويتمثل التقطيع في صناعة الحلية بتصوير شكلها على صفيحة من معدن ثم فصلها قطعا بأدوات مهيئة لذلك.

تــمّ : Cygne

طائر من فصيلة كفيات القدم. وهو كبير الحجم يتميّز ببياض الريش وطول العنق ومرونته.

جبهة : Fronton

عنصر من عناصر العمارة عند الإغريق وقد تتحلى به المعالم دينية كانت أو مدنية. يكون هذا العنصر في أعلى واجهة المعلم أو في أعلى دبره. وكثيرا ما ترتدي الجبهة شكل مثلّث يحتوي على نحوت زخرفية بارزة.

جبهة مُطَرَّفَةٌ : Fronton à acrotères

جبهة مهورة بأطراف تعلو رؤوس زوايا المثلّث الذي يحيط بها. (انظر طرف أطراف).

جَمَسْتٌ : Quartz

حجر من صنف الصوّان المتبلّر يوجد في عديد الصخور كالغرانيت والصخور الرّملية وهو غالبا عديم اللّون ولكن توجد منه أصناف ملوّنة فالجمست الأرجواني اللّون يسمّى بنفش أو جمر وقد يكون الجمست أسود اللّون.

حالق ج. حوالق : Rinceau

عنصر من عناصر الزّخرفة النّباتية له حضور في المِصْوَرة البُونية.

حجلة : Voile

ستر يضرب في جوف البيت.

حُرومات : Sacra

كلّ ما له صلة بالآلهة وبفضاءاتهم المقدّسة وأدوات العبادة وتستوجبه الشعائر.

حدأة ج. حداء وحدآن : Bipenne

فأس ذات رأسين نجدها ضمن المصورة البونية.

حدوة : Fer à cheval

حفر : Gravure

من أصناف الزخرفة على المعادن أو الأحجار الكريمة أو الصخور وغيرها. وفي الحفر تكون الصّورة خطّية وخطوطها محفورة في سمك سنادها.

حفيرة : Intaille

جوهرة من حجر كريم أو شبه الكريم توظف غالبا كفصّ لخاتم وتزدان بزخارف

محفورة في سمكها. وقد أتقن القرطاجيون والبونيّون عامة صناعة حفائر من عقيق أو يشب أو بنفش وغيرها.

حُلُق : Pampre

خزمة أو خزام ج. خزائم : Nezem

حلقة من ذهب أو فضّة أو نحاس تولجها المرأة في منخرها للزّينة وكان ذلك من مواصفات الأناقة ومظاهر التجميل. لقد ورد ذكر الخزام في التوراة فكانت المرأة الكنعانية فخورة بخزامها.

خضاب ج. خضائب : Colorant

خمرة ج. خمرات : Cosmétique, Maquillage

تقول خمره اي ستره وبالخمرة تتوارى عيوب الجسد.

خمرة : Coiffure

طريقة تصفيف الشعر : Manière de se coiffer, de mettre le voile

ذؤابة : ج. ذوائب : Pendeloque

حلية تتدلّى على الصدر فتراها تتأرجح وتتحرّك كما يتأرجح الدلو في البئر وهي كالضّفيرة تتحرك يمنة ويسرة فكأن الذّؤابة جعلت لتَشدَّ البصر الى جيد الحسناء وصدرها.

دُرّةٌ : Perle

دَسْرٌ : Rivetage

دَكٌّ : Battage

راتنج : Résine

وهي مادة صمغية لزجة تفرزها بعض الأشجار كالصنوبر.

رأس حاثوري أو هاثوري : Tête hathorique

نسبة الى الإلهة المصرية حاثور انظر فهرس أسماء الآلهة تحت اسم حاثور أو هاثور.

رتّ وهو الخنزير البري ج. رتتة : Sanglier

عثر على عظام رتته في بعض القبور البونية مع العلم أنّ الخنزير كان محرّمًا لدى الفنيقيين والقرطاجيين. أمّا عن وجود عظام رتتة في القبور البونية فهي تطرح سؤالا قد تعسر الإجابة عنه بصفة قطعية. فهل أصبح البونيون يقبلون

على الخنزير ؟ أم هل تلك القبور المعنية ببقايا عظام الرتتة هي في الواقع قبور آوت يونانيين أو غيرهم من الأجانب الذين كانوا يعيشون في صلب المجتمعات البونية ؟

روم الأذن : La lobe de l'oreille

شحمة الأذن.

زابِرٌ : Toreute

زبارة : La toreutique

صناعة من يحسن الزّبر أي الحفر على المعادن لزخرفة ما قد يسوّى منها.

زبّار : Le traditionniste

وهو المحدّث أو الإخباري أي ذاك الذي ينقل الحديث أو الخبر عن الأُوَّلِ.

زبر : Gravure

وهو الحفر على المعادن كالذهب والنحاس والبرونز وغيرها.

زمرد : Émeraude

حجارة كريمة تتميّز بشدّة الخضرة

زنجفر (بضمّ الزّاي أو جرّه) : Cinabre

سلفور الزئبق : يتميز بشدّة الحمرة ويستخدم لصناعة أصباغ حمراء. توجد صوّر وزخارف مرسومة بهذه المادّة على جدران بعض القبور البونية في الوطن القبلي وفي الساحل التونسي وفي أوشازٍ نقرت في جبال خمير ومقعد بالشمال الغربي التونسي.

ساجور : Collier de chien

ويقال لها نُشُقَةٌ بضمّ النون وهي قلادة تجعل في رقبة بعض الحيوانات كالكلب والتيس والخروف.

سبج : Obsidienne

بلّور بركاني لونه بين الأسود والبنّي يوجد في بعض الجزر المتوسطية كصقلية وسردانيا وكان القرطاجيون يستوردون هذه المادّة كما أثبتته حفريات مدينة كركوان القديمة وحفريات قرطاج وقد استعمل السبج في إنجاز بعض الأشكال الفسيفسائية نذكر منها العنصر الدائري لما يسمّى علامة تانيت وقد رسمت في مدخل غرفة تابعة لبيت يفتح على نهج التميمة بكركوان.

سخام : *Suie*

غبار الفحم الذي يلتصق بالقدر أو بجدران المطبخ.

سلطان : *Tyran*

يستمد السلطان نفوذه بالإستناد إلى الطبقات الشعبية ثمّ ينفرد بها فليس لنفوذه أي صبغة دينية بل أصولها وضعية جماهرية.

سلطنة : *Tyrannie*

نظام سياسي يستند إلى علاقة بين الحاكم والذين ساعدوه على الإستئثار بالحكم. وكثيرا ما كانت السلطنة عند القدماء تنبثق من صلب الجماهير وتستند اليها. ومنها السلطنات اليونانية في أثينة مثلا أو في سرقوسة بصقليّة.

سلّور : *Anguille de mer*

سَفَنْكُسٌ : *Sphinx*

كائن خرافي يوجد في المصورة المتوسطية له طُلّة آدمية قد تكون نسائية وقد تكون رجالية وله جسم حيوان يشبه الحصان.

سماق : *Porphyre*

حجر بركاني أحمر اللّون. وكان السماق يستخدم لصناعة بعض التحف والمجوهرات.

سنّ : *Fer de lance*

شادن : *Faon*

صغير الغزال.

شرفة ج. شرفات : *Merlon*

عناصر معمارية تعلو أسوار المدن والقصور وتقام على شكل مثلّث أو مربّع أو نصف دائرة. تصطف الشرفات متقاربة على أن يكون بين الواحدة والأخرى فاصل لا يتغير مقاسه وتسمى تلك الفواصل النّافذة تفاريج واحدتها تفرجة أو تفراج.

شنف : *Boucle d'oreille*

صابورة : *Lest*

ما يوضع في السفينة لحفظ توازنها في اليمّ.

صفير : *Hyacinthe*

حجارة كريمة لونها أصفر مع ميل إلى الحمرة.

صقر أقرص : Aigle disqué

صقر رأسه متوّج بقرص يوجد في المِصْوَرة البونية.

صواع ج. صياع : Gobelet

إناء كالكوب له شكل مخروط مقلوب مقطوع الرأس وليس له عرى. يستخدم للشراب.

طبشور : Sanguine

مادة معدنية حمراء اللّون تستخدم لصناعة أصباغ وظّفت قديما لزخرفة بعض المعالم والمغارات كما يوجد بعض الصّور المرسومة بمثل هذه المادة على الصخور في الصحراء.

طرف (أطراف) : Acrotère

من مصطلحات زخرفة العمارة يستخدم لتسمية زوائد تتحلى بها رؤوس المثلّث الذي يكوّن جبهة معلم في العمارة اليونانية أو غيرها.

طرق : Martelage

كان القدماء يلجؤون إلى الطرق لصناعة الصفائح المعدنية على اختلاف سمكها. واستخدم القرطاجيون الطرق لتسوية بعض الجوهرات المعدنية كما تحصّلوا بالطرق على خيوط تستعمل للمشبكات.

طلاء : Émaillage

ويتمثل غالبا في توشية بعض الجوهرات والتحف المعدنية بالميناء الممهورة ألوانا زاهية. فكثيرا ما يلجأ إلى إثراء الجوهرات الفضيّة بالميناء الملوّنة.

طُلَّة ج. طُلَلٌ : Protomé

الطُّلة هي مقدّم الحيوان يشتمل على الرأس وجزء من العنق والصدر أحيانا. وتشير الطلّة أيضا إلى صور أدمية تمثل الرأس والعنق وبداية الصدر.

طَلْق (بطاء مفتوحة ولام ساكنة) : Stéatite

حجر هش ناعم كالطباشير استخدم للنّحت وهو ذو ألوان مختلفة منه أصناف بيضاء تستخدم في الصيدلة وتتصنع منه أقلام البستل.

طلنت أوبي ج. طلانت : Talent euboique

وحدة وزن تساوي ماينيف عن 26 كغ في عهد الحروب القرطاجية الرومانية أي خلال القرن الثالث والقرن الثاني قبل ميلاد المسيح، ومعلوم أنّ وزن الطلنت

يختلف حسب المكان والزمان. ويقال طلنتا أوبيّا نسبة إلى الجزيرة اليونانية أُوبُوَيَة (بضمّ الألف والباء وفتح الواو الثاني وفتح الياء).

ظهرة جنائزية : *Mobilier funéraire*

ويقال أثاث جنائزي. يدفن الميت عند البونيين وغيرهم من الشعوب المتوسّطية ومعه ظهرة جنائزية ترمز إلى السّفر نحو مدينة الأرواح حيث يواصل الميت حياة أخرى.

عدقة : *Trident*

صولجان إله اليمّ بوسيدون ويتكوّن من عصا طويلة تعلوها شوكة ذات ثلاثة أسنّة.

عُسّ (بضمّ العين) : *Vasque à pied*

إناء يستخدم لتقديم الفواكه وغيرها وكثيرا ما يصوّر بين حيوانين متناظرين.

عُصَيَّةٌ : *Baguette*

من عناصر الزخرفة المعمارية عند الإغريق وغيرهم من الشعوب القديمة وسميت كذلك لأنّها ترتدي شكل العُصَيَّةِ.

عقيق : *Agate*

حجارة شبه كريمة من صوّان متبلّر تتميز بألوان عديدة تبدو كالأشرطة المتوازية أو المتراكزة.

علقة : *Sangsue*

ترتدي بعض الجوهرات البونية شكل العلقة.

عنقاء : *Griffon*

حيوان خيالي له جسم الهزبر ورأس الصقر يوجد ضمن المصورة المتوسطية.

عَنَمٌ والواحدة عنمة (بفتح العين والنون) : *Vrilles*

خيوط يتعلق بها الكرم في تعاريشه.

عير ج. عيار وعيور : *Onagre*

حيوان من فصيلة الخيل يوجد في الهند وفارس وله صلة متينة بالإله اليوناني ديونيسوس (انظر فهرس أسماء الآلهة).

غَضّن ج. غضون (بفتح العين والضّاد) : *Godron*

هو التجعّد والتّثني. فغضون الثوب تجعداته ومثانيه.

غمد (الجعل) ج. أغمدة : *Elytres*

جناح صلب كقرن الخروف أو الثور يعلو الجناح الأسفل عند بعض الحشرات كالجعلان فيكون الجناح الصلب كالغمد للجناح الأسفل. فللجعل غمدان لوقاية جناحيه الأسفلين.

فاخورة : *Atelier de poterie*

فتالة ج. فتلات : *Tortillon*

مّا تَتَخِذُه الحسنوات لتزداد العِصَبَةُ جمالا. فهي إذا عصابة وقد تكون منديلا من نسيج ألوانه زاهية.

فخّارة : *Pot*

وعاء من طين مفخور والجمع فخّار.

فرأ ج. أفراء وفراء : *Onagre*

(انظر لفظة عير).

فيروز : *Turquoise*

حجارة كريمة لونها أزرق سماوي أو أزرق مع ميل إلى الخضرة.

قَادُوقٌ ج. قَدَاوِقُ : *Caducée*

تعريب صوتي للمصطلح الفرنسي. أمّا عن المُسَمّى فانظر لفظه قيروق.

قثيث ج. قثائث : *Vrille*

ما يتناثر من أصول شجر العنب.

قُحَافٌ ج. أقحفة : *Torrent*

سيل جارف.

قرنس ج. قرانس : *Kernos*

لفظة يونانية الأصل عرّبت تعريبا صوتيّا. والقرنس مبخرة في شكل عُسٍّ صغير تعلو شفته أقداس صغيرة الحجم تخرق فيها تقدمات من الباكورات قربانا لإلهة الزراعة ديمترة (انظر هذا الإسم في فهرس الأعلام الإلهية).

قُرَيْصَة ج. قريصات : *Pirouette*

عنصر من عناصر الزخرفة المعمارية عند الإغريق وتتداول مع الدرر. فالدُّرَرُ والقريصات من عناصر الزخرفة المعمارية المتداولة في البنايات الاغريقية الرّومانية.

قصبة تمائمية : *Tube porte-amulette*

محفظة اسطوانية الشكل حتى كـأنّها قصبة تحتوي على ورقة زُبِرَتْ عليها كتابات أو صوّر ذات أبعاد دينية سحرية الهدف منها وقاية حاملها من كلّ شرّ.

قِفٌّ ج. قففة (بجرّ القاف) : *Cippe*

وهي من الألفاظ المعرّبة تعريبا صوتيّا وتشير الكلمة إلى نصب يرتدي أشكالا معمارية أو غيرها ويقام في المعابد تخليدا لقربان أو لبعض المناسك الدينية ويكون غالبا من الحجر.

قلب : *Rai de cœur*

عنصر من عناصر المصورة اليونانية يوجد ضمن الزخرفة المعمارية وغيرها. سمي كذلك لأنّه يرتدي صورة القلب.

قِلَفَّةٌ ج. قِلَفَّاتٌ (تعريب صوتي) : *Klaft*

قبّعة مصرية قديمة تتقَلْنَسُها السَّفَنْكُسَاتُ التي تحف بالعروش الإلهية.

قلمود ج. قلاميد : *Clamyde*

معطف معروف عند الإغريق قصير مشقوق يشدّ إلى العنق بواسطة إبزيم. ولفظة قلمود من المعرّب تعريبا صوتيّا والكلمة من أصل يوناني.

قواع ح. قياع : *Lièvre*

الأرنب البري.

قيثارة مطيّرة : *Lyre ornée de têtes d'oiseaux*

قَيْروق : Caducée

صولجان الإله اليوناني هرميس. يتكون من عصا طويلة يعلوها شعار ذو عنصرين متناظرين كلاهما يتثنّى كالحيّة. والقيروق يمثل الشّعار المميّز للأطباء في المجتمعات المعاصرة.

كدريج : *Quadrige*

عربة يجرّها أربعة جياد.

كركيّ : *Grue*

طائر من طويلات الساق لونه رمادي يتحول إلى افريقيا لقضاء الشتاء.

كوسل : *Corselet*

وهو مقدّم الجوشن عند بعض الحشرات ومنها الجعل. والجوشن هو الصدر عند الحشرة.

لسان وفرض : Tenon et mortaise

مثالة : Coroplastie

صناعة التماثيل والدّمى من الطين المفخور.

مثاني : Méandres

فنقول مثاني الوادي أو النهر كالنيل ومجردة والفرات.

مثلّث محوجز : Triangle cloisonné

من عناصر المصورة البونية ومعروف في المِصْوَراتِ المتوسطية الأخرى.

مِجْوَلٌ : Pendentif

حلية هلالية الشكل تتوسّط حبّاتِ العِقْدِ.

محدج ج. محادج : Spatule

أداة تتكون من يد ومن شفرة عريضة تستخدم للتحريك والخلط والتمديد وتكون من أدوات الرسام والنّحات وتستعملها المرأة لخلط أصباغ التجميل والخمرة.

مِخْزم ج. مخازم : Nezem

حلية تعلّق في الأنف.

مركاض : Cirque

فضاء كان في المدينة الرّومانية يخصص لسباق العربات المجرورة بالجياد ومنها الكداريج وواحدها كدريج أي عربة يجرها أربعة جياد.

مرو : Quartz

صوّان متبلّر ألوانه عديدة يتكون ضمن بعض الصخور الرملية وغيرها وتنتسب إلى صنف هذه المادة بعض الأحجار الكريمة وشبه الكريمة كالعقيق والصفير.

مزجرة : Apotropaion

تميمة تتولّى زجر الشياطين وقوى الشر عامة. تكون المزجرة صورة على الأرض أو على جدار أو في مدخل بيت وتكون كذلك حلية في شكل يد أو في شكل سمكة أو غيرها من أشكال يعترف لها بأبعاد دينية سحرية.

مِزْراق : Thyrse

صولجان الإله اليوناني ديونيسوس وهو الذي يدعوه الرومان بَكُّوس (انظر فهرس الأعلام الإلهية). ويتكون هذا الصولجان من عصا يعلوها سنّ أو كوز صنوبر وقد تزدان بغصون الكرمة.

مَسْبأٌ ج. مسابئ : *Défilé*

طريق في الجبل.

مِصْوَرة : *Imagerie, repertoire iconographique*

مجموعة الصور المستعملة في قطاع من قطاعات الفنون التشكيلية أو في فضاء حضاري معيّن : فنقول مثلا المصورة البونية خلال القرن السادس قبل ميلاد المسيح أي مجموعة الصّور على اختلاف أشكالها وأحجامها وألوانها ومساندها في ذلك العصر.

مِعْظمة : *Ossuaire*

تابوت مخصص لاحتواء عظام الميت المرمّد.

مَعْلَمِية : *Onomastique*

عِلْم يَتناول دراسة الأعلام من عَجْم وتفسير واستغلال محتواها لفهم التاريخ وتكون الأعلام أدمية أو إلهية أو جغرافية أو غيرها.

مغرة : *Ocre*

خضاب طبيعي معدني لونه أصفر مع ميل إلى السمرة ويكون اللون أحمر وهي مادّة تتكون من طين وأكاسيد الحديد.

مِقْرأٌ : *Lutrin*

ما يجعل عليه الكتاب عند القراءة.

مقرأ مدينة أور : *Étendard d'Ur*

المعلوم أن ما يسمّى مقرأ مدينة أور يمثل في الواقع مقرأ عثر عليه بمدينة أور السومارية الواقعة جنوب العراق. وازدانت هذه التحفة الفريدة بصور من الصدف منزّلة في نسيج من شضايا اللازورد مشدودة بالقار وتمثل الحرب والسلم. يعود هذا المقرأ إلى النصف الأول من الألف الثالثة قبل ميلاد المسيح.

مُقَلْفت (بميم مرفوعة وقاف مفتوحة ولام ساكنة) : *Coiffé du Klaft*

المقلفت هو الذي تقلنس بالقِلَفْتِ (انظر هذه الكلمة) فنقول سفنكس مقلفت أو شخص مقلفت. وهو الذي غطّى رأسه بالقبّعة المصرية التي تسمّى قِلَفْتًا.

ملاعق طيب : *Cuillers à parfum*

ملونة : Palette

مجموعة الألوان المستعملة فنقول مثلا : ملونة قرطاج في القرن الرابع قبل ميلاد المسيح تتركب من الأحمر والأبيض والأصفر والأزرق والرمادي.

مِلْيَجُريدة : Méléagride

طائر من فصيلة الديك الرومي.

منجد : Pendentif

حلية تكون من ذهب أو من فضّة أو من معدن آخر وقد تكون من بعض الأحجار الكريمة أو شبه الكريمة. يشد المنجد إلى قلادة تتدلى على صدر الحسناء وقد يتوسط المنجد درر عقد منضود.

منحت : Atelier de sculpteur

مشغل النحات.

مهاد : Fond

الأرضية التي تتجلّى عليها الزخارف فنقول مثلا زخارف حمراء على مهاد أبيض.

مُورَيْكِسٌ : Murex

أصداف يستخرج من لحومها مادة صبغ تفضي على المنسوج لونا أرجوانيا.

مونوليثي : Monolithique

صفة الشيء الذي يتكوّن من حجرة واحدة. فيقال تمثال مونوليثي أي منحوت في حجرة واحدة ويقال. مجازا. نِظْرة مونوليثية أي نظرة لا تعتبر تشعّب الواقع ولا تقف عند ملابساته.

ميطبة : Métope

عنصر من عناصر الزخرفة المعمارية عند الإغريق وهي من ميزات المصورة الدورية. فالميطبة ترتدي شكل مربّع أو مستطيل يخصص فضاؤه إلى نحوت أو رسوم أدمية أو إلهية وقد يحتوي بعض الصور الحيوانية أو النباتية وغيرها. وتساهم الميطبات في صياعة الإفريز ضمن المعابد اليونانية الدورية وذلك بالتداول مع التِرجُلُوفات (انظر هذه الكلمة).

نُسْغ : Sève

سائل غذائي تمتصه الجذور من الأرض ويجري في الساق والأوراق بواسطة العروق.

نُشْقَة : *Collier de chien*

حلقة أو ربقة تجعل في أعناق الكلاب وغيرها من الحيوانات.

نَغْفَة *Chrysalide*

دودة الحرير قبل أن تتحول إلى فراشة. ومعلوم أنّ للفظة نَغْفَة معان أخرى منها دود يكون في أنوف الإبل والغنم.

نوط ج. أنواط ونياط : *Médaillon*

ما يعلّق ويطلق غالبا على شيء مستدير الشكل وقد يكون من طين أو من معدن أو من مادّة أخرى.

هيصم : *Albâtre*

اسم يشير إلى صنفين من الحجارة وهما الهيصم الكلسي وهو ذو ألوان مختلفة والهيصم الجبسي الذي يتميز ببياض يقق. تستخدم هذه المادة لنحت التماثيل وتسوية بعض الأوعية وغيرها.

هيصمية : *Alabastre*

وعاء مغلق يرتدي شكل المخروط ذو عنق قصير وعروتين صغيرتين قد تستخدمان لتمرير سير أو حبل له وظيفة المعلاق وتستعمل الهيصمية لحفظ سوائل ثمينة من أدهان وطيوب.

هيرلدي : *Héraldique*

ما يخصّ شعار النسب : ومعلوم أنّ لكلّ أسرة نبيلة شعار يرفع ذكرها ويعرّف بنسبها ومآثرها والهيرلديات علم يتناول دراسة الشعارات التي ترسم أو تنحت على المباني والأثاث والأدوات المختلفة الخاصة بأصحاب الشعار.

وردة محوّطة : *Rosace circonscrite*

عنصر من عناصر المصورة المتوسطية توجد بكثرة على الأنصاب البونية كالتي عثر عليها في توفاة قرطاج.

وطبة : *Gourde*

وعاء على شكل زقّ وهو من صنف الأساقس (انظر كلمة أسقوس) له عروة ومصب وبلبلة. وفي الوطبة تتعامد العروة مع البلبلة. ومن البلبلة يمتص أو يصبّ السائل المخزون في الوطبة.

يشب : ***Jaspe***

حجر من فصيلة الصوّان يتكون أساسا من مرو فيه العقيق وله ألوان مختلفة، فهناك اليشب الأخضر واليشب الأسود واليشب الأحمر. استعمل اليشب في قرطاج وفي بعض المدن البونية الأخرى لصناعة الجِعْلاَن.

يشم : ***Jade***

من الأحجار الكريمة الصلبة يتركب من سيليكات الألومينيوم وسيليكات الكلسيوم ويتموّج لونه بين الأبيض الزيتوني والأخضر الأغمق. يستخدم اليشم لصناعة بعض الأعلاق من أوعية وتماثيل وغيرها.

ياقوت : ***Grenat***

حجارة كريمة حمرية اللّون شديدة الصلابة لها تركيبة مشعّبة من السليكات.

أعـــلام إلـهيـــة

أبلّو : Apollon

إله الشمس والمعرفة والتوازن عند الإغريق وكان في نظرهم يشبه الإله الفنيقي البوني بعل على أساس علاقته بقرص الشمس. جاءت في عديد النصوص اليونانية اللاّتينية إشارات الى إله قرطاجي تحت اسم أبلّو ذلك أن الإغريق كانوا يترجمون الأعلام الإلهية بالرّجوع الى مجمع آلهتهم. فكانوا لا يسمون عشترت باسمها الفنيقي بل يعطونها اسما من اسماء إلهاتهم يبدو مناسبا لها فتراهم يقولون تارة هيرة وتارة اخرى فَيُلسْتِيس أو يُونُو حسب المصدر والوظيفة المعنية. أمّا بعل فتراهم يسمّونه مرة زيوس وأخرى قرونوس كما سمّوه أبلّو. ففي مدينة وتيكة معبد قديم يعود الى ميلاد المدينة الفنيقية وتنسبه النصوص اليونانية اللاتينية الى أبلّو. وتجدر الإشارة الى حضور أبلّو ضمن الآلهة القرطاجية التي ورد ذكرها في "قسم حنّبعل" أي في مقدّمة المعاهدة التي أبرمت بين القائد القرطاجي وملك مقدونيا فيلبّوس الخامس وكان ذلك سنة 215 ق.م فهل هذا الإله القرطاجي الذي ذكر تحت اسم أبلّو هو بعل أم هو رشف ؟ قد يكون هذا وذلك !

أرتيمس : Artémis

إلهة الصيد عند الإغريق ويسمّيها الرّومان ديانة. جاء في الأساطير أنّها أخت الإله أبلّو وأنّها بقيت محافظة على شبابها وبطولتها وكان لها سلطان مطلق على الحيوانات البريّة الضارية منها والوديعة. ويستشفّ من خلال بعض الوثائق النقائشية والتصويرية أنّ الإغريق والبونيين نظّروها بالإلهة القرطاجية تانيت.

أريس : Arès

إله يوناني مكلّف بشؤون الحرب فهو القوة العسكرية. وقد ورد اسم هذا الإله ضمن المعاهدة البونية المقدونية التي ابرمت سنة 215 ق.م. فمن هو الإله القرطاجي الذي أشير اليه باسم أريس؟ قد يعسر البتّ في مثل هذه القضية ولكن يرجّح بعضهم أنّ أريس نظّر باله ورد ذكره في نقيشة بونية تحت اسم "بعل مجنم" ومعناه "سيّد المجانّ" او سيّد الأتراس. والمجنّ أو التّرس سلاح وقائي قد يشير الى الدّفاع والتصدّى الى العدو.

إيس : Isis

إلهة مصرية ورد اسمها في النصوص الهيرجليفية في صيغة "إست" وتعنى المقعد. وصوّرها المصريون القدامى في شكل امرأة على رأسها قبّعة تحكى مقعدا له درج ثلاثة حتى أنّ بعضهم يرى فيها تشخيصا للعرش ومعلوم أنّ اسم هذه الالهة ورد في النقائش البونية في صيغة "إيس" أمّا الياء في "إيس" فهو حرف أُضيف تيسيرا للنطق. فكان لهذه الإلهة المصرية حضور في قرطاج ويبدو أنّ القرطاجيين تبنّوها وتقرّبوا اليها كما قد تثبته الأسماء التي تضمنت اسمها فكان من القرطاجيين مـن سُمِّيَ عبد إيس وكانت هذه الإلهة ترعى النساء المتزوجات والزواج عامة والحب وكان لها بقرطاج معبد كما كان لها حضور ضمن المصورة القرطاجية.

باس : Bès

إله مصري يتميّز بقبح صورته حتّى أنّه يحكي القزم الألحى وكان ذا ساقين معوجّتين لسانه متدلّ وله ذيل فهد طويل. ويتولى باس حماية البيوت ويقى النساء الحاملات من شرّ الشياطين ويتصدّى لكل من قد يريد الإساءة للناس. لذلك كان يتمتع بشعبية منقطعة النظير. محبوبا لدى الجميع لاسيما وقد كان يهوى الغناء والموسيقى فكان يحسن العزف على الطنبور ويسهر على جمال المرأة ممّا جعل صورته تتجلّى على العديد من أدوات التجميل كما يستأنس بها في الخدور. وكان لهذا الإله المصريّ من الاشعاع ما جعله يتجاوز حدود مصر ويدخل عالم الفنيقيين والبونيين حتى باتت صورته عنصرا مُهِمًّا ضمن المصورة البونية.

بوسيدون : *Poseidon*

إله البحر عند الإغريق وهو الذي يسمّى في النصوص اللاّتينية نبتينوس. أمّا إله البحر عند الكنعانيين فكان يحمل اسم يم. أشارت المصادر البونية الى إله قرطاجي تحت اسم بوسيدون ولكن عسر على المفسّرين المعاصرين معرفة الإسم البوني لهذا الإله : فهل هو ملقرت أم هو بعل ؟ وأيّا كان الأمر. فلقد جاءت صورة الإله البوني الساهر على شؤون البحر والملاحة على أنواط من طين مفخور وعلى جعلان مِنْ يَشْبٍ. ومعلوم أنّ من شاراته الرمح والعدقة.

تريتو : *Triton*

إله بحري عند الإغريق وجاء في بعض الروايات أنّه من ابناء بوسيدون إله البحر وتنسب إليه علاقة متينة مع بحيرة تريتونيس التي توجد جنوب شرقي تونس. وكثيرا ما يتجلّى تريتو في صورة تجمع بين البشر والحيوان ومعنى ذلك أنّ له طُلَّةٌ آدمية أمّا النصف الثاني فيتقمّص شكل السّمكة. فما هو نظير تريتو في مجمع الآلهة القرطاجية ؟ لم يوفّق المفسّرون الى جواب قطعي. فالثّابت أنّنا نجد ضمن المصورة البونية كائنا ذا طُلَّةٍ بشرية وينتهي جسمه بذيل سمكة فلقد نقشت تلك الصورة على بعض النقود الفنيقية وعلى مُسَطَّحَات بعض الجعلان. ومعلوم أنّ مثل هذا الكائن معروف لدى البابليين والأشوريين ويسمّى عندهم وتّاس.

حاثور (هاثور) : *Hathor*

إلهة مصرية تبدو في صور حيواناتٍ مختلفة منها البقرة واللّبوة فهي الخصب والحبّ تسهر على سلامة الأحياء والأموات. كما تبدو في صورة امرأة رأسها يحكي رأس البقرة.

حُرُوس : *Horus*

إله مصري قديم وهو حسب المعتقدات المصرية ابن الإلهة إيس والإله أوسير وقد أنجب ليتولّى الإنتقام لإبيه من إله الشر ساث وكثيرا ما يتقمص حُرُوس صورة باز على رأسه تاج مزدوج أو قرص الشمس. ورد اسمه في النقائش البونية في صيغة "حر" وهي الصيغة المصرية الأصيلة أمّا "وس" في حروس فهو لاحق يوناني أصبح شائع الإستعمال. ومعلوم أنّ صورة الباز حروس نقشت على

الأنصاب القرطاجية وحفرت على الجعلان في قرطاج وفي غيرها من المدن البونية ومّا ينسب الى الإله حُرُوس تميمة تعرف باسم "عين وُدُجة" تقي حاملها من شرّ الشياطين.

ديمترة : *Déméter*

إلهة يونانية تسهر على زراعة القموح وازدهار الفلاحة. تزوجها زيوس (انظر هذا الإسم) فانجبت منه برسيفونة (انظر هذا الإسم) ولّما اختفت ابنتها خرجت تبحث عنها. ثمّ قرّرت الإعتزال عن عالم الآلهة ما لم تجدها. فأقامت بين البشر تقدّم خدماتها فاشتغلت مرضعة فهي التي تولّت تربية الطفل تِرْبتُولَيْمُوس فلمّا كبر كلّفَتْهُ بنشر الزراعة وغراسة الأشجار المثمرة.

كان للإلهة ديمترة في قرطاج حضور وأقيم لها معبد بمقتضى قانون صادق عليه مجلس الشيوخ وتبنّى القرطاجيون شاراتها والحقوها بمصورتهم كما يتجلّى ذلك على النّقود وعلى الأنصاب فضلا عن أثر بعض الشعائر المتّصلة بها كتقريب الخنزير.

ديونيسوس : *Dionysos*

إله الكروم والخمر عند الإغريق ويحمل في النصوص اللآتينية اسم بَكُّوس أو ليبر باتر وله صلة متينة بالهَتْر الصوفي ومن علاماته المميّزة غصون الكرمة وأوراقها وثمارها ومن الحيوانات المرافقة له الأسد والنمر ومن رفاقه السيالن والمَيْنَدَاتِ والبكّوسيون والبكّوسيات ومن الشعائر الدينية التي تقام له مواكب يسيطر عليها الخمر والرقص والموسيقى والهتر. لقد منحت المصورة البونية من المحيط الدّيونيسي الكثير من عناصرها كالكرمة وأوراقها والقنثار والمزراق. ويبدو أنّ البونيين وظفّوها طبقا لما تستوجبه ديانتهم ومعتقداتهم.

رشف : *Resheph*

إله كنعاني فنيقي بوني ومعنى ذلك أنّ شعائره كانت تقام في المدن الكنعانية ومنها أوجاريت وماري على الفرات بالقطر السوري وفي مدينة صيدا بلبنان حيّ يعرف باسم أرض رشف وفي قرطاج تفيد النقائش أنّ الإله كان قريبا من المواطنين فضمّنوا اسمه في اسماء أبنائهم وأقاموا له المعابد. ويعتقد غالب المفسّرين المعاصرين أنّ نظير رشف عند الإغريق هو أبلّو.

فان : Pan

إله يوناني الأصل يرعى الرعاة وقطعانهم وصورته تجمع بين الإنسان والحيوان جسمه أشعر وعلى جبهته قرنان وله ساقا تيس فامتهر خفّة منقطعة النظير حتّى أنّه سريع العدو قادر على تسلق الصخور بكل يسر. ومن شاراته عصا الراعي والمزمار. فهل كان له نظير في مجمع الآلهة البونية ؟ السؤال يبقى مطروحا.

قرونوس : Cronos

إله يوناني وهو من ابناء أورانُوس (السماء) وجيّة (الأرض) وممّا عرف عنه أنّه كان يلتهم أبناءه خوفا ممّن قد يزيحه عن عرش الكون ويأخذ مكانه ولكن زوجته ريّة تمكّنت من إخفاء زيوس في جزيرة اقريتش. ولما كبر تمكّن من إزاحة أبيه وأسّره بعد أن أجبره على ارجاع اخوته جميعهم الى الوجود. والملاحظ أنّ الإغريق نظّروا قرونوس بالإله القرطاجي بعل حمون على أساس أنّ كليهما يزدرد الأطفال ومن جرّاء ذلك التنظير بات بعل حمون يتحمّل تبعة تقريب الأطفال من قبل القرطاجيين حتّى كأنّه يلتهمهم كما كان قُرونوس يلتهم أطفاله الصغار.

قُورَة (بضمّ القاف وفتح الراء) : Coré

إلهة يونانية أمّها ديمترة (انظر هذا الإسم) وأبوها زيوس (انظر هذا الإسم) وتدعى أيضا برسيفونة. علق بها عمّها هادس إله العالم الأسفل فاختطفها ونزل بها داخل بطن الأرض. إلاّ أنّ موقع الإختطاف يتغيّر من رواية الى الأخرى وأكثر هذه الروايات انتشار تلك التي تروي أنّ الفتاة كانت تقطف زهورا صحبة نوفمات لما سطا عليها هاديس واختفى بها ولما كان لا بدّ من ارضاء أمّها ديمترة قضى زيوس أن تقيم برسيفونة ستة أشهر مع أمّها في السماء وتبقى ستة أشهر في بطن الأرض صحبة عاشقها هادس.

كَوْشَرٌ : Kousor-Kothar à Ugarit

إله ساميّ ثبت وجوده في مدينة أوجاريت الكائنة على الساحل السوري شمال اللاّذقية على أنّه يحمل في رقمها اسم كوثر وهو الإله المبدع الصانع الذي يحذق صهر المعادن وسبك الجوهرات فضلا عن تسوية الأسلحة وبناء السفن ولعلّه أول من أبحر وخاض معارك اليم كما ورد في بعض الأساطير الفنيقية حيث يعرف باسم كَوشر ومعلوم أنّ ذكره ورد في الأساطير التي نقلها فيلو

الجبلي عن الكنعاني سكّنيتن. أمّا في النصوص القرطاجية فلقد ضُمِّنَ اسم كوشر في العديد من الأعلام دون ما تحديد لطبيعته ولا لوظائفه.

هِرْمَيْسُ : *Hermès*

إله يوناني من أبناء زيوس تميّز بالنجابة والعبقرية منذ نعومة أظافره فهو صانع القيثارة والمزمار فقايض الأولى بقطيع كان يرعاه أبلّو وقايض الثاني بالعصا الذهبية التي بها يهش أبلّو عن غنمه. وسرعان ما حذق هِرْمَيْسُ الرجم بالغيب ولذلك أخذه زيوس مساعدا له فاصبح رسول الآلهة الناطق باسمهم. وفي المعتقدات اليونانية يعتبر هِرْمَيْسُ إله التّجار والسرّاق وكان دليل المسافرين ينير طريقهم. ثم إنّه راعي الرعاة ومن أخطر وظائفه توجيه أرواح الأموات ومرافقتها نحو العالم السفلي فكان يلقّب بمرافق الأرواح. نجد شارة هرميس وهي القيروق في المصورة البونية ولكن لا نعرف هل كان له نظير في مجمع الآلهة البونية.

هيرة اللآقنية : *Héra lacinienne*

هيرة إلهة اغريقية وهي أعظم الآلهات في اليونان باعتبارها زوجة زيوس إله الآلهة وهو الذي يتصدّر المجمع الإلهي على قمم الأولمب نظيرتها عند الرّومان تسمّى يُونُو. أمّا هيرة فهي راعية النساء المتزوجات وقد عرفت بالعنف والضغينة وحب الإنتقام حتّى أنّ الكثير من الآلهة والأبطال تعرّفوا الى بطشها وكان لهيرة معابد في بقاع مختلفة موزعة داخل البلاد اليونانية وخارجها ومنها معبد اقيم لها على شناخ لا قينيوم وهو المسمى اليوم "رأس الأعمدة" ويوجد قرب مدينة قروتونة بجنوب إيطاليا. وفي قولهم "هيرة اللآقينية" إشارة الى ذلك المعبد بالذات وقد اشتهر بالنقيشة التي سطرت على البرونز بأمر من القائد حنّبعل إثر زيارة قام بها سنة 205 ق.م وهي نقيشة بونية يونانية تضمنت وصفا لجيوش حنّبعل رجالا وعتادا.

هرقليس : *Héraclès*

بطل يوناني مؤلّه معروف بقّوته البدنية ممّا جعله يغامر وينجز المآثر. وقد نُظِّر لدى القدماء بالإله الفنيقي البوني ملقرت الذي نسبت اليه المغامرات البحرية وهو الذي كان يشرف على تأسيس المدن والمستوطنات. ومن المأثور أنّ عائلة الأبارقة في قرطاج (عبد ملقرت البرقي وابنه حنّبعل وصهره عزر بعل) كانوا

يتقرّبون الى ملقرت معتبرين إيّاه راعيهم والساهر على فوزهم وتألّقهم. ويبدو من خلال بعض النصوص أنّ اللّوبيين كان لهم معبود نظّره القدماء بهرقليس. ففي حديثه حول تأسيس مدينة قفصة أورد صلوستيوس أنّها من إنشاء هرقليس. ومنها اعماله الاثنة عشر. قتل أسد مدينة نيمي وقتل ثعبان لرنة والقبض على ظبية قَيْروني وهي مدينة اغريقية تقع في اقليم بيلوبونيسوس ثمّ القبض على ربّ جبل إيرومنثة والقبض على ثور اقريتش وتنظيف اسطبلات الملك أُوجياص وصيد طيور بحيرة استمفالية (بسين ساكنة وتاء مجرورة وميم ساكنة) والقبض على مهر ديوميداس ملك إثراقه والإتيان بحزام هِبُّليت.

وَنَّاس : *Oannès*

إله رافديّ قد يعود إلى الحضارة السومارية : له طلعة آدمية وينتهي جسمه بذيل سمكة. كان يخرج من البحر ليعلّم النّاس ما لا يحذقون وكلّما جنّ اللّيل عاد إلى البحر.

وينوس أوفينوس : *Venus*

إلهة الجمال والحب والحرب وهي التي يسمّيها الإغريق أفروديت ونظيرتها عند الفنيقيين والبونيين عشترت ويبدو أنّها نظّرت أيضا بإلهة سامية تدعى عناة. ومن وظائف وينوس أوفينوس ونظيراتها حماية الموتى فكثيرا ما توجد في القبور دمى من طين مفخور تمثل الإلهة وينوس وقد لوحظت هذه الظاهرة في القبور التي تمّ العثور عليها في الساحل التونسي أي في الربوع التي كانت ضمن منطقة المزاق.

يُوبِيتَرُ : *Jupiter*

إله روماني ونظيره عند الإغريق زيوس ومعلوم أنّ يُوبِيتَرُ يعتبر كبير الآلهة عند الرومان بل هو رئيسهم في المجمع الإلٰهي فهو السماء ونور النهار والزمن والرعد والصاعقة. ففي روما له فضاء مقدّس يوجد على قمة ربوة الكابتول وتقاسمه ذلك الفضاء زوجته يُونُو (هيرة) وابنته مِينَرْفَة (أثينة). وعلى أساس ذلك أصبحت المعابد التي تقام إجلالا لهذا الثالوث تحمل اسم الكابتول فهناك كابتول مدينة دقّة وكابتول مدينة سبيطلة وكابتول توبربوميّوس وغيرها.

وفي النصوص اللاّتينية يشار الى الإله القرطاجي بعل حمّون باسم يُوبِيتَرُ وذلك على أساس المعادلة بين زيوس ويوبيتر وبعل حمّون.

يولاووس : *Iolaos*

بطل إلهِي يوناني الأصل مع العلم أن هرقليس عمّه يصطحبه في مغامراته ويتولّى قيادة عربته فلقد ساهم في المعركة التي خاضها هِرَقْلِيس ضدّ طنين لرنة وفي معارك أخرى فكان رفيق انتصاراته ونكساته ولما توفي عمّه تزعم يولاووس أتباعه وتحوّل بثلة منهم الى جزيرة سردانيا حيث أنْشأ مدينة أُلْبِية. إنّ علاقة يولاووس بجزيرة سردانيا وبجزيرة صقلية يستشف منها أصول فنيقية بونية. ومعلوم أنّ اسم يولاووس الوارد في المعاهدة التي أبرمها حنّبعل مع ملك مقدونيا فيلبّوس الخامس سنة 215 ق.م. يشير الى إله بوني قد يكون اشمون على أساس العلاقة بين ملقرت واشمون وقد يكون صِدّ نظرا لارتباط هذا الإله القرطاجي بجزيرة سردانيا.

قبائـــل وشعـــوب

الأيلوميّون : Les Élymes

قوم من أقوام صقلية الأصليين. كانت ربوعهم متاخمة لمناطق نفوذ قرطاج ومن أهمّ المراكز الأيلومية قلعة إيركسة وأثبت المؤرّخون القدامى أنّ العلاقة بين القرطاجيين والأيلوميين كانت تتميّز بالتعايش والتعاون في السلم والحرب.

الجِرميّون (بكسر الجيم وجزم الراء) : Les Garamantes

قبائل كانت تقطن في صحراء القطر الليبي عاصمتهم جِرْمَةُ بربوع فزّان وقد اختصّ الجرميّون بالتجارة الصحراوية فكانوا جسرًا يربط بين شمال القارة الافريقية وأقطار ما وراء الصحراء شمالا.

الجداليون (بفتح الجيم) : Le Gétules

قبائل من الرحل كانوا يقطنون بتخوم الصّحراء بالقرب من ربوع خضراء حيث المدن والقرى والأرياف الخصبة. وكانوا يزعجون الأنظمة في قرطاج وفي الممالك النوميدية الماوورية.

الجلّيون : Les Gaulois

وتسمّى بلادهم جلّية (بفتح الجيم) على أنّ غالب المؤرّخين العرب يسمونها بلاد الغال ولئن اقترحنا جلّية فذلك انطلاقا من الصيغة اللاّتينية للاسم وهو Gallia مع العلم أنّ حرف G يساويه في العربية ج. فالجَلِّيُون هم سكان جَلِّيَةَ.

اللّوبيّون : Le Libous

يطلق هذا الاسم على كامل القبائل التي ماانفكت تعيش في شمال افريقيا منذ فجر التاريخ. وتمتد ربوعها من السرت الأكبر الى المحيط بما في ذلك الصحراء الكبرى. ويتفرّع اللّوبيون الى قبائل وشعوبٍ منها النوميديون والمَكْسَويّون

والجرميون والجداليون وغيرهم. فكان القدماء يعتبرونهم وحدة عرقية بالرغم عن تعدد العناصر والخصوصيات المتمثلة في طرق العيش وفي بعض العادات والتقاليد التي وصفها هيرودوتس في السفر الرابع من تاريخه.

المسَيْصوليون : *Les Masaesyles*

قبائل نوميدية تمتدّ ربوعها في غربي القطر الجزائري وكان يحدّها غربا نهر الملوية الذي كان، فيما يبدو، فاصلا بين الربوع المسيصولية والربوع الماوورية وكانت سيجن عاصمة المملكة المسيصولية وهي تقع بالقرب من مدينة وهران ومن أشهر ملوك المسيصوليين شفق الذي تحالف مع قرطاج إبّان الحرب الرومانية القرطاجية الثانية (219-201 ق.م) وشهر باسم سيفاكس.

المصوليّون : *Les Massyles*

قبائل نوميدية تمتدّ ربوعها بين شرقي الجزائر وغربي تونس ومن اهم المدن النوميدية المصولية قسنطينة وكانت تسمّى كرطن وهبّون (عنابة) وبلّة ريجيا ودقّة ومدن وقرى أخرى كثيرة. ويبدو أنّ مسقط رأس القبيلة يوجد بجبال الأوراس ومن أشهر ملوكهم مستنسن الذي تحالف مع شبيون ضد قرطاج إبّان الحرب الرّومانية القرطاجية الثانية (219-201 ق.م).

المغاوريّون : *Les Troglodytes*

قبائل لوبية سميت كذلك لأنّها تسكن المَغَاوِر وقد تحدّث عنهم هيرودوتس. تقع ربوعهم جنوب شرقي فزّان على جبال التيبستي شمال جمهورية تشاد حاليا.

الفرثينيون : *Les Parthiniens*

هم الذين كانوا يقطنون باقليم فرثيا الكائن شمال النجد الإيراني وجنوب شرقي بحر القزوين وهي من الأقاليم التي غزاها اسكندر المقدوني.

المكُسَوِتُّون : *Maxitani*

قبيلة لوبية كانت تقيم في ربوع مجاورة للشناخ الذي تربعت عليه قرطاج. مدينة عليسة على أنّ الصيغة العربية تستند الى المادة اللّوبية بعد إزالة اللاّحق اللاّتيني "تني" وهو الذي نجده في اسم "القفصيين" وقد كان الرّومان يسمّونهم "قفصيتاني".

الماوُورِيون : Maures

تمّ تعريب اسم هذا القوم انطلاقا من الصيغة اللآتينية *Mauri* والماووريون قبائل لوبية توجد ربوعها في المغرب الأقصى ويحدّها شرقا نهر الملوية ومن اهم مدنها تنجي ووليلى وبناسة وفيها مدن وقرى اخرى كثيرة.

النَّسَمِيُّون (بفتح النون والسين وكسر الميم) : Les Nasamons

قبائل لوبية من الرعاة تمتدّ ربوعها حول واحة أوجيلة في الإقليم الشرقي من ليبيا حاليا. تحدّث هيرودوتس عن النّسميّين قائلا إنّهم يتركون قطعانهم قرب الشاطئ ويتحولون الى واحة أوجيلة لقطف التمور.

كائنـــات خرافيـــة

أمزونة ج. أمزونات : Amazone

الأمزونات قوم يتكون من نسوة أنجبهن أريس إله الحرب عند الإغريق من نَوُفَمَةٍ تدعى هرمونيا. وكان لهنّ مملكة توجد على منحدرات جبل القفقاس وعلى عرشها أمزونة تدعى بِنْثِيلِيسَة فلقد كنّ لا يتحمّلن حضور الرّجال بينهنّ إلاّ خدما أو عبيدا. ومن ميّزات الأمزونة أنّ لها نهدا واحدا وقد كنّ تتخلّصن من أحد النهدين منذ صغر السن حتى تستطعن استخدام القوس بيسر. وقد كانت الأمزونات شغوفات بالحرب ممّا جعلهن يخضن معارك عديدة وصفتها الأساطير واستلهمها المبدعون.

أُوجِيَاصْ : Augias

ملك يوناني أسطوري تبوّأ عرش إيليس وهي منطقة توجد شمال غربي إقليم بَيْلُوبُونيسوس في بلاد الإغريق.

بكّوسيّ ج. بكّوسيّون : Bacchant

رفيق إله الخمر بكّوس يعمل ضمن حلقة أو طريقة بكّوسية تتميّز بشعائرها وقُصُوفها.

بكّوسية ج. بكّوسيات : Bacchante

رفيقة إله الخمر بكّوس وهو الذي يسمّى عند الإغريق ديونيسوس. والبكّوسية تساهم في المواكب التي تُنَظَّمُ إجلالا لبكّوس واحتفاء به طبقا لطقوس مضبوطة يسهر الكهنة ورؤساء الحلقات والطرق البكّوسية على احترامها.

بِلّيْروفون : *Bellérophon*

بطل من أبطال الأساطير اليونانية ينسب الى مدينــة قُورَنْثة. وقد أقحم في مغامرات خطيرة كانوا يـريدون بها القضاء عليه : من ذلك كلّفه ملك لوقيا بقتل شَميرَة (انظر هذا الإسم) فـاتّخذ بَيْجَسُوسَ (انظر هذا الإسم) مطيــة فحلّق به في السماء مّا مكّن بِلّيْروفُونَ من الإنقضاض على شَميرَةَ والإجهاز عليها. ســجّلت له الأساطير أنّه انتصر على الأمــزونات وانتصر على كــلّ من تصدّوا له مهما كان عددهم وعتادهم علــى أنّه لمّا أراد الإلتحاق بعالم الالهة ألقى به زيوس على الأرض فمات وبقيت مآثره تذكر في مدينة قورنـثــة وفــي مملكة لوقيا على ساحل الأناضول.

بِنْثِيلِيسَةُ : *Penthésilée*

ملكة الأمــزونات وهي ابنة أريس إله الحرب عند الإغــريق. توجد مملكتها علــى منحدرات جبل القفقاس ويقال إنّها ساهمت في حرب طروادة على رأس كتيبة من الأمزونات (انظر هذا الإسم).

بَيْجَسُوسُ : *Pégase*

حصان مجنّح ورد ذكره في الأساطير اليونانية. بفضله تمــكّن بِلّيْروفُــونُ (انظر هذا الإسم) من القضاء على شميرة (انظر هذا الإسم) وانتصر على الأمزونات (انظر هذا الإسم) ومعلوم أنّ الفرس بَيْجَسُوسَ كان في خدمة زيوس.

جرجونة : *La Gorgone*

تحدّثت الأساطير عن جرجونات ثلاثة أنجبهنّ إله بحريّ يدعى فرقوس ومن إلهة بحرية هي الأخرى واسمها قَيتُو. علــى أنّ الجرجونة التي شاع صيتها تـعــرف باسم مَيْدُوسَة. وتتجلّى هذه الجرجونة في صورة رأس محفوف بالثعابين ولهــا أسنان تشبه أنياب الخنزير وترى لسانها يتـدلّى خارج فيها وعينيها كالجمرتين حتّى أنّها إذا حدّقت في شئ تكلس وتحوّل حجرًا فكانت تروّع كل من يراها من بشر أو آلهة. ومعــلــوم أنّ البطل اليونانــي فرسـيُوس تمكّن من قطـع رأسـهــا واستخدمه سلاحا مكّنه من السيطرة على بعض الوحوش. وتجدر الإشارة الى أنّ رأس جرجونة يوجد ضمن المصورة البونية فلقد رسموه علــى جــدران بعض المدافن وصوّروه على صفائح العاج والذهب على أساس وظيفته التمائـمـيــة فهو كالتُّرس يقي صاحبه من خبث الكائنات الشرّيرة كالشياطين وغيرها.

ديوميداس : Diomède

ملك من ملوك الأساطير اليونانية تبوّأ عرش إثراقة و اشتهر بجياده التي كان يطعمها من لحم البشر. تمكّن هرقليس من القضاء عليه والتخلّص منه.

ساتور (ج) سواتير : Satyre

كائنات خرافية تعتبر من شياطين الطبيعة التي تنتمي الى حلقة دِيُونيسوس. تجمع السواتير بين ملامح البشر وملامح الحيوان فللساتور طُلّةٌ بشرية وعجز حصان .وقد يكون الجزء الحيواني في الساتور من فصيلة الأتياس على أنّه في كلتا الحالتين يكون مهورا بذيل طويل يحكي ذيل الحصان وله فَيْخُورٌ في حالة إنعاض مستديم. وما انفكت صورة السّاتور تتطوّر ويختفي الحيوان فيه حتّى لم يبق منه إلاّ الذيل.أمّا عن علاقة السّواتير بالإله ديونيسوس فهم رفاقه في مواكبه وجلاّسه وندماؤه في صفوفه وتراهم يلاحقون النّومفات (انظر نَوْمَفَة) والمَيْنادات (انظر كلمة مَيْنَدَةٌ). هذا وقد تمكّن بعض السّواتير من اكتساب ملامح مميّزة ومنهم مَرْسُوَاسٌ وسَيْلَنُ.

سَفَنْكَسٌ ج. سفنكسات : Sphinx

كائن خرافي له طُلّةٌ بشرية وجسم حيوان له حضور في الأساطير اليونانية وفي مصر وفي بعض الأقطار المتوسطية.

سَقُولَةُ : Scylla

وحش بحري له طُلّةٌ امرأة عَجُزُها ينتهي بطنّين ومن خصرها تنبثق طُلَلُ كلاب شرسة. وجاء في الأساطير اليونانية أنّ سقولة تقيم في مضيق مدينة مَسِّينَة الصقلية متربّصة للسفن تريد اغراقها رميا بالحجارة وبالقضاء على ملاّحيها. تحدّث هوميروس عن سقوله في الأوديسة.

سَيْلَنٌ ج. سَيَالِنُ : Silène

بالنسبة للسيالن انظر كلمة ساتور. أمّا عن سيلن ذي الملامح المميّزة فهو الذي تولّى تربية الإله ديونيسوس وقد عرف سيلن بحكمته ونجابته لكنّه لا يبوح بها الى البشر إلاّ تحت الضغط . أمّا عن ملامحه فهو قبيح الشكل أفطس الأنف مِبْطَانًا وتراه عادة على متن برذول حيث لا يتمكّن من حفظ توازنه إلاّ بعسر وذلك من جرّاء القصف وشرب الخمر.

شَمِيرَةُ : La Chimère

حيوان خرافي يجمع بين الأسد والعنز وصوّر أحيانا في شكل كائن له طُلَّةُ الأسد وينتهي مؤخّره كالثعبان وقد تمهر شميره بِطُلّتين معا : طُلّة الأسد وطلّة العنز وتراها تنفخ فتخرج من فيها ألسنة نار موقدة على أنّ البطل بِلّيْروفُونَ تمكّن من القضاء عليها (انظر اسم بِلّيْروفون).

فِرْسَيُوس : Persée

بطل من ابطال الأساطير اليونانية أبوه زيوس ويعتبر من أجداد هرقليس اشتهر بقطع رأس جُرْجُونَةَ (انظر هذا الإسم).

قَيْتُو : Céto

كائنة من وحوش البحر. أبوها بُنْتُوس (بباء مرفوعة ونون ساكنة) وهو البحر وأمّها جَيَّةُ وهي الأرض. تزوجت قيتو أخاها فُرْقُوس فأنجبت الجرجونات والطنين الذي يحرس التفّاح في حدائق الهِسْفِيرَيْدَاتِ التي توجد بأقصى الغرب تهدهدها أمواج المحيط الأطلسي.

مَرْسُوَاسُ (بميم مفتوحة وراء ساكنة وسين مرفوعة) : Marsyas

سيلن أسكنته الأسطورة إقليم افْرُوجيا بالأناضول ونسبت إليه صناعة الجُوَز. ومن مغامراته المأساوية أنّه تحدّى بمَجْوَزه الإله أبلّو عازف القيثارة فقضت الإلهة أثينة أن يُشْنَقَ مَرْسُوَاسُ ويصلخ وقد تناولت هذا الحدث بعض الفنون التشكيلية كالفسيفساء ومنها لوحة عثر عليها في مدينة قليبية بالوطن القبلي.

مَيْنَدَةٌ ج. مينادات : Ménade

الميندَة بكّوسيّة مسكونة وهي من وصيفات الإله ديونيسوس تبدو غالبا عارية أو ترتدي ثوبا خفيفا تشفّ منه مفاتنها. وتتحلّى بتاج من أوراق العشقة وتمسك بيدها مزراقا أو قنثارا وقد تراها تعزف على الجوز أو على الطبلة وهي ترقص رقصات عنيفة.

نَوْمَفَةٌ ج. نومفات (بنون مفتوحة) : Nymphe

النومفات هُنّ حسنوات تسكُنّ الأدغال والأنهار والعيون الجارية. فهنّ طيوف الطبيعة ترمزن الى الخصب والبهاء وجاء في ملحمة هوميروس أنّهن من بنات الإله زيوس. وعلى كلّ فالنّومفات آلهات من طبقة ثانية يصلّى لهنّ العباد

ويدعونهّن حتّى يَسْتَدِرُّوا عطفهنّ ويتّقُوا شرّهن. تقيم النومفات بالمغارات وفيها تقضّين حياتهنّ منشغلات بالغزل والغناء. ومن هن وصيفات يتبعن بعض الآلهة والآلهات.

مؤرخون قدامى وأعلام

إبْرُوقَبْيُوس : Procope

مؤرّخ يوناني ببزنطي ولد في القيصرية بفلسطين سنة 500 وتوفي بالقسطنطنية سنة 562. اصطحب القائد بَيْلِيسَار إلى أفريقة مكلّفا بتسجيل الوقائع والأحداث باعتباره المؤرّخ الرّسمي. ومن أشهر مصنّفاته تاريخ حروب يُوسْتِنْيَانُوس الذي تبوأ عرش الإمبراطورية البيزنطية من سنة 528 الى سنة 565. توجد في كتب إبْرُوقَبْيُوسَ معلومات حول أفريقة في العهد الوندالي وقبله.

إبْلُوتَرْكُوس (46-120 بعد الميلاد) : Plutarque

كاتب يوناني ألّف كتبا ورسائل عديدة منها تراجم العظماء وقضايا تتعلّق بالتاريخ والفلسفة والأخلاق.

ابلينيوس الأكبر (24-79 بعد الميلاد) : Pline l'Ancien

ولد بمدينة قُومُو في ايطاليا من عائلة تنتمي الى طبقة الفرسان وتُوفّي في مدينة اسْطَابِيَةَ من جراء هيجان بركان الفيسوف وقد تحوّل خصّيصا لمشاهدة الحدث سنة 79. اشتهر ابلينيوس بموسوعة ألفها في تاريخ الطبيعة وتشتمل على 37 سفرا أهداها الى الإمبراطور تيتوس سنة 77 بعد الميلاد على أنّها لم تنشر الا بعد مماته وقد تناول فيها عديد المواضيع كالجغرافيا والفيزيا والكيمياء والحيوان والنبات وغيرها ممّا يخصّ الطبيعة.

أبّيَانوس (القرن الثاني بعد ميلاد المسيح) : Appien

مؤرّخ يوناني أصيل الإسكندرية عاش في القرن الثاني بعد المسيح وكان من رجال القانون في روما واهتمّ بالتّاريخ فصنّف 24 سفرا تناول فيها الغزوات

الرومانية من بدايتها الى أن تبوّا فَسْبِسْيَانُوسُ عرش الامبراطورية سنة 69 بعد ميلاد المسيح. وصلتنا من أسفاره تسعة كاملة ونتف من الأخرى على أنّ أهمّها سفران وهما الثالث عشر والسابع عشر حيث وُصِفَتْ أحداث الحروب الأهلية التي عاشها الرومان من سنة 146 الى سنة 70 ق.م. ففي مصنفات أبّيَانوس توجد معلومات كثيرة مفيدة حول قرطاج وأفريقة واللّوبيين وهي معلومات أخذها عن المؤرّخ اليوناني بوليبيوس.

أَثِينَيُوس : *Athènée*

مُصنِّف يوناني من مدينة نُقْرَاطِيس المصرية : عاش فيما بين نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث بعد الميلاد. كان يدرّس الخطابة والنحو وعُرِفَ بمؤلفات جمع فيها طرائف العادات والتقاليد وضَمَّنَها مقتطفاتٍ من كبار الكتاب وكذلك أشعارا لم تصلنا أخبارُ أصحابها.

أَجَاثُكْلَيْسُ (361-289 ق.م) : *Agathoclès*

مغامر يوناني تمكّن من السلطنة في مدينة سرقوسة سنة 317 قبل ميلاد المسيح. وهاجم قرطاج في عقر دارها حوالي 310 لكن المغامرة باءت بالفشل وعاد السّلطان إلى مملكته مهزوزا.

اسْبِنْدَيُوس : *Spendius*

آبق يوناني انظمّ الى الجيش القرطاجي تحت قيادة عبد ملقرت البرقي ثمّ نجده من زعماء جيش المرتزقة المتمرّدين على قرطاج (240 - 237 ق.م) وقد كان من المتطرّفين الذين لا يرون خيرا لهم في التصالح مع قرطاج فكان يدفع زعيم اللّوبيين ماتو الى المزيد من العنف ويعمل على اخفاق كل محاولة تسعى وراء صلح مع قرطاج.

أَسْرُوباس : *Asrubas*

كاتب من القدامى ورد ذكره في السّفر السابع والثلاثين من تاريخ الطبيعة لإبلِينيوس الأكبر.

إِسْقُوبَاسُ : *Scopas*

نحّات يوناني شهير عاش في القرن الرابع قبل ميلاد المسيح وهو من مواليد جزيرة بَأروسَ اليونانية. تميّز بقدرته على التعبير عن الإنفعال والمشاعر العنيفة ومن روائعه **الميدنة الهائجة**.

إفلاوتوس : *Plaute*

كاتب مسرحي هزلي ولد في مدينة سرسينة بمنطقة أُمُبريَا في ايطاليا الوسطى وكان ذلك سنة 254 قبل ميلاد المسيح وتوفي بروما سنة 184 ق.م ألف مسرحيات عديدة وصل منها عشرون . ومعلوم أنّ المسرحيين توارثوه واقتبسوا الكثير من أعماله. وتجدر الإشارة هنا الى المسرحية الهزلية التي سمّاها القُرَيْطَاجِي (بضمّ القاف وفتح الراء وياء ساكنة) مستعملا صغة التصغير للتحقير والإضحاك.وقد أورد فيها بعض مميّزات الحياة في قرطاج كما كان يتصوّرها ويريدها وأضحك المتفرجين على حساب القُرَيْطَاجِي وهو تاجر قرطاجي صوّره يبحث عن ابنتَيْه اللتين تمّ اختطافهما في ضواحي قرطاج وبيعتا في أسواق العبيد. وفي المسرحية بعض الفقرات باللّغة البونية تناولها باحثون واستخلصوا منها معلومات مفيدة عن لغة قرطاج ونطق كلماتها.

إقْلِيتُومَاكُوسُ : *Clitomaque*

فيلسوف قرطاجي تحوّل إلى مدينة أثينا حوالي سنة 150 قبل ميلاد المسيح وتتلمذ على الفيلسوف الشكّي قرنيادوس وخلفه على رأس الأكاديمية سنة 130. وقيل إنّه انتحر في سنّ متقدّمة. وكان قبل تحوّله لبلاد اليونان يحمل في قرطاج اسم عزربعل.

اقليوماكوس : *Cléomachos*

عضو من اعضاء الوفد الذي أرسله فيلبّوس الخامس ملك مقدونيا لابرام معاهدة صداقة وتعاون مع حنّبعل سنة 215 قبل ميلاد المسيح.

اكْسَنْتِبُّوس : *Xanthippe*

قائد عسكري من مدينة اسبرطة الإغريقية الشهيرة. كلّفه القرطاجيون بقيادة الجيش القرطاجي والتصدّى للقنصل الرّوماني ريجولوس الذي حمل على أفريقة بين سنة 256 وسنة 254 ق.م. إبّان الحرب الرومانية القرطاجية الأولى (264-241 ق.م) وقد كان يريد القضاء على قرطاج. وجاء في المصادر القديمة أن اكْسَنْتِبُّوسَ تغلّب على جيش القنصل ريجولوس. أمّا عن نهاية مهمّته لدى القرطاجيين فقد تضاربت الأخبار: فهل عاد الى بلاده سالما أم ذهب ضحية الغدر والجشع ؟

اكْسينُوفَانَيْسُ : Xénophanès

أحد أعضاء الوفد الذي أرسله الملك المقدوني فيلبّوس الخامس الى حنّبعل سنة 215 قبل ميلاد المسيح لابرام معاهدة صداقة وتعاون.

أَكيلّوس : Achille

بطل من أبطال ملحمة الإلياذة التي أبدعها هوميروس وتغنّى بها في القرن السادس قبل ميلاد المسيح وهي تشدو ببطولات الإغريق في حرب طروادة التي حطّمت حوالي 1250 ق.م.

أَمْيَانُوسُ مَرْقِلّينُوس : Ammien Marcellin

كاتب روماني من أصل يوناني. ولد بمدينة أنطاكيا سنة 330 بعد الميلاد وتوفي سنة 395. عُرِفَ بمصنفاته التاريخية حول الامبراطورية الرّومانية.

أُوتَاريتُ : Autarite

قائد الفرقة الجَلّية في جيش المرتزقة الذي تمرّد على قرطاج وبات يهدد كيانها إثر الحرب الرّومانية القرطاجية الأولى أي من سنة 240 الى سنة 237 قبل ميلاد المسيح.

أُوتْرُوبُوس : Eutrope

مؤرّخ لاتيني من القرن الرابع بعد ميلاد المسيح كتب خلاصة التاريخ الرّوماني.

أُوسُوسُ : Ousos

بطل من أبطال الأساطير الكنعانية. تحدّث عنه فيلو الجبيلي وهو يعتبر فاتح طريق البحر أمام الملاحة الكنعانية الفنيقية وقد بنى اول سفينة وألقى بها في اليم ثمّ امتطاها وأبحر وتلك هي بداية الملحمة الكنعانية الفنيقية عبر البحار.

أوجُستُوس (63 ق.م - 14 ميلاديا) : Auguste

أول من تبوّأ عرش الامبراطورية الرومانية وقد تبنّاه يوليوس قيصر وعيّنه خليفة له. على أنّه لم يستأثر بالعرش والسلطان الاّ سنة 27 قبل ميلاد المسيح وبات يسوس الامبراطورية حتى سنة 14 بعد الميلاد.

أوجُستينُوس : Augustin

وُلِدَ أورليوس أوجستينوس بمدينة تَاجَستَ (سوق اهراس بالجزائر) سنة 354 من أبوين أفريقيين وتوفي بمدينة هيبون (عنابة). تعلم بقرطاج. ودرس الفلسفة

والخطابة فيها. ولما اعتنق ديانة المسيح أصبح من كبار رجالاتها وساهم في ارساء أركانها برسائله وخطبه لما كان اسقف هيبون واشتهر بكفاحه ضد الحركة الدوناتية (نسبة الى اسقف أفريقي يدعى دوناتوس تمرّد على الكنيسة الرسمية وتعاليمها). توفي أوجستينوس بعنابة سنة 430 ميلاديا فهو من الذين تعتزّبهم أقطار المغرب الكبير على أساس اسهامه في بناء حضارة المتوسط.

أَيْسُفُوس : Esope

شاعر يوناني من القرن السادس قبل ميلاد المسيح لكنّه أقرب الى الأسطورة منه الى التاريخ. عرف بالحِكَم التي كان ينزّلها في قصَص وأشعار أبطالها من الحيوانات. يبدو أنّ بلده في آسيا الصغرى وعاصر الملك اقْرَيْسُوس وزار مدنا يونانية عديدة منها أثينا وقورنثة ودلفة حيث تمّ اغتياله من قبل سكان المدينة. شاع صيته وملأ الدنيا فنجد أصداء له في مؤلفات فَيْدْرُوس اللاّتيني خلال القرن الأول بعد الميلاد وفي كليلة ودمنة أيام الدولة العبّاسية حتّى يصل الى الأدب الفرنسي عن طريق لافنتان في القرن السابع عشر. على أنّ فكرة استعمال الحيوانات أبطالا في القصة والشعر والفن ظهرت في بلاد سومر (جنوب العراق) منذ الألف الرابعة قبل ميلاد المسيح.

بُجُود : Bogud

ملك ماووريّ (80-31 ق.م) تبوأ عرش المملكة الماووريّة الغربية وعاصمتها تنجي (طانجة) وكان ذلك بعد وفاة بُقُشَ الأول حوالي 80 ق.م وقد تقاسم المملكة مع أخيه بُقُشّ الثاني. وكان من سوء حظّه أن يحشر في الحرب الأهلية الرّومانية فخسر وأعدم بعيدا عن وطنه وعادت مملكته الى أخيه تحت حماية الرّومان.

بَرْمُوقَارُوسُ : Barmocaros

عضو من أعضاء الوفد الذي أرسله فيلبّوس الخامس ملك مقدونيا لإبرام معاهدة صداقة وتعاون مع حنّبعل سنة 215 قبل ميلاد المسيح.

بُرُّوس (319-272 ق.م) : Pyrrhus

ملك إقليم إبيروس ببلاد الإغريق قديما. وهو ابن عم اسكندر الأكبر المقدوني وقد تبوّأ عرش إبيروس سنة 307 ق.م وأطيح به سنة 302 ق.م ولم يسترجع عرشه الاّ سنة 297 بمساعدة بطليموس الأول ملك مصر. وفي سنة 280 ق.م

تحوّل الى إيطاليا ليتزعّم حركة المدن اليونانية ضدّ الرّومان وحاول القضاء على الحضور القرطاجي بصقلية ولكن بدون جدوى فغادرها مهزوزا سنة 276 ق.م ولّما كان يغادر الجزيرة التفت نحوها وقال لرفاقه: يالها من ساحة وغى نتركها للقرطاجيين والرّومان ! ومعلوم أنّ الحرب الرومانية القرطاجية الأولى اندلعت سنة 264 ق.م. أمّا بُرُّوس فلم يستطع تحقيق أحلامه التوسّعية وتوفي سنة 272 أثناء هجوم شنّه على مدينة أرْجُوسَ اليونانية.

بطليموس (100-178 ميلاديا) : Ptolémée

عالم يوناني اهتمّ بالتنجيم والرياضيات والجغرافيا. ولد في مدينة إبطوليمايس بالصعيد المصرى سنة مائة بعد الميلاد وعاش بمدينة الاسكندرية وفيها ألف نظامه في الرياضيات الذي ترجم الى العربية تحت عنوان المجسط الذي كان مرجعا أساسيّا حتى نهاية القرون الوسطى. توفي بمدينة قَنُوبة قرب الإسكندرية.

بُقُّشْ : Bocchus

ملك الماووريين فيما بين نهاية القرن الثاني وبداية القرن الأول قبل ميلاد المسيح. زامن الملك النوميدي يوغرطة وصاهره دون أن يمنعه ذلك من إيقاعه في كمين سنة 105 قبل الميلاد حيث مكّن الرّومان من إلقاء القبض عليه فأخذوه مغلولا الى روما. توفي بقش حوالي 80 قبل ميلاد المسيح فتقاسم ابناه بجود وبقش الثاني المملكة.

بُلْوَيْنُوس (بضمّ الياء وسكون اللاّم) : Polyaenus

كاتب يوناني ولد في مقدونيا. تعاطى المحاماة في روما أيّام الإمبراطور مرقوس أوريليوس (161-180 م) صنّف رسالة حول الحيل الحربية. وفيها إشارات وفقرات من كتب مفقودة.

بنتثلوس : Pentathalos

مغامر يوناني أصيل مدينة إقنيدوس. حاول الانتصاب في غربي صقلّية ولكن بدون جدوى. كان ذلك سنة 580 قبل ميلاد المسيح.

بوليبيوس : Polybe

مؤرّخ يوناني ولد بمدينة ميجالوبوليس اليونانية سنة 202 قبل ميلاد المسيح وتوفي سنة 120 ق.م وكان من اصدقاء شبيون إيمليانوس واصطحبه الى أفريقة إبّان الحرب الرومانية القرطاجية الثالثة (149-146 ق.م) تحتوي مصنّفاته التّاريخية

على 40 سفرا تناول فيها الأحداث التي جرت فيما بين سنة 220 ق.م وسنة 146 ق.م ولكن غالبها اندثر ولم يبق من أعماله الا الأسفار الخمسة الأولى وبعض المقتطفات من الأسفار الأخرى. ومهما يكن من أمر، فَبُولِيبيوس يعتبر مرجعا اساسيا لمعرفة قرطاج وحضارتها.

بَيْرِيلاوس ويقال أيضا بريلّوس : Périlaos ou Périllos

نحّات عاش في القرن السادس قبل ميلاد المسيح فهو الذي سبك الثور البرونزى بطلب من سلطان مدينة جرجنت الصقلية فلا ريس وكان هذا الأخير يستخدم ذلك الثور لشيّ المحكوم عليهم بالإعدام: يوضع المحكوم عليهم في بطن الثور وتوقد النار تحته حتى تصلى اجسادهم وكانت أصوات ألمهم تسمع وكأنّها خوار الثور البرونزي.

تيتوس ليفيوس (59 ق.م - 10 بعد الميلاد) : Tite-Live

مؤرّخ لاتيني ولد في مدينة بدوفة غرب مدينة البندقية بإيطاليا سنة 59 قبل ميلاد المسيح. كان من رجال الفكر والأدب المقرّبين الى الإمبراطور اوجستوس ومن أشهر مصنّفاته تاريخ الرومان الذي يشتمل على 142 سفرا لم يبق منها إلا القليل. كان تيتوس ليفيوس متعصّبا لبلاده فقد لا يتحرّج من الإنحياز مبتعدا عن الموضوعية فيما يخصّ قرطاج. توفي هذا المؤرّخ الشهير في مدينة بدوفة سنة 10 بعد ميلاد المسيح.

تيمايوس التّورميني : Timée de Taormine

مؤرّخ يوناني أصيل مدينة تاورمينة التي تقع بشرق جزيرة صقلية، وعاش خلال القرن الثالث قبل ميلاد المسيح.

تِيمُسْتِينُوس (بتاء مجرورة وميم مرفوعة) : Timosthène

ملاّح قائد بحرى من القرن الثالث قبل ميلاد المسيح. عيّنه بطلميوس الثاني فيلادلفي (308-246 ق.م) أمير بحر على رأس اسطوله فقام باستكشاف سواحل البحر الأحمر وماوراءها. ويستشفّ من بعض النصوص أنّه صنّف كتابا ورسائل تعرّف بالبحار والسواحل والموانى مستندا الى مطالعاته والى تجاربه الخاصّة.

جُلُسّنُ (بضمّ الجيم واللاّم) : Gulussa

ملك نوميدي وهو أحد أبناء مسنسن. تقاسم العرش المصولي مع أخويه مَكُوسن ومُسْتَنَعْبَا إثر وفاة مسنسن سنة 148 ق.م .على أنّ جُلُسّن لم يعمر طويلا وقد

وافاه الأجل سنة 139 ق.م. مع العلم أنّه كان مكلّفا بقيادة الجيش حسب تقسيم تولاّه شبيون إيمليانوس.

جَيَّةُ (بفتح الجيم والياء) : Gaïa

ملك تبوّأ العرش النوميدي المصولي وتوفي حوالي 206 ق.م وهو أب الملك مسنسن الذي اتّخذَ من كرطن عاصمة له بعد انهزام شفق ملك المسَيْصوليين إبّان الحرب الرّومانية القرطاجية الثانية (219-201 ق.م).

جَيْلُون (540-478 ق.م) : Gélon

سلطان مدينتي جيلَة وسرقوسة بصقلية اليونانية. تولّى الحكم سنة 491 وفي سرقوسة ابتداء من سنة 485. وكان يطمح في طرد القرطاجيين من صقلية الغربية وتصارع معهم في معركة شهيرة دارت رحاها في هَيْمَرة لكنه لم يستطع تحقيق حلمه وهو الإستئثار بكامل الجزيرة. فلقد انتهت الحرب دون أن يستطيع طرد القرطاجيين من صقلية بل حافظوا على كل مناطق نفوذهم.

حنّون : Hannon

اسم بوني حملته شخصيات قرطاجية عديدة عبر الأجيال. ففي القرن الخامس تولّى مواطن قرطاجي يدعى حنون قيادة الأسطول القرطاجي وكلّف باستكشاف السواحل الإفريقية التي تطلّ على مياه المحيط من جهة الغرب وهو من أسرة ماجون الأكبر الذي تولّى شؤون قرطاج في منتصف القرن السادس ق.م. وبقي أبناؤه وأحفاده يتداولون على الحكم حتى بداية القرن الرابع قبل ميلاد المسيح. ولم تختف عائلة ماجون الأكبر إلاّ سنة 396 قبل ميلاد المسيح إثر هزيمة خميلك الماجوني في معركة سرقوسة.

خميلك : Himilk

اسم بوني حملته شخصيات قرطاجية عديدة عبر العصور والأجيال. ومن بين القرطاجيين الذين حملوا هذا الإسم خيملك الماجوني ذلك الذي قاد أسطولا قرطاجيا نحو الشمال وأدرك مناجم القصدير بمنطقة القُرْنُوَاي بأنجلترا في القرن الخامس قبل الميلاد فهو أخو حنون وكلاهما من أبناء عبد ملقرت الماجوني ومن احفاد ماجون الأكبر الذي تولّى الحكم في قرطاج سنة 550 قبل ميلاد المسيح.

ديودوروس الصقلي : *Diodore de Sicile*

مؤرّخ يوناني صقلّي المولد والنشأة، عاش في القرن الأول قبل ميلاد المسيح ومن مصنفاته المكتبة التاريخية وهي تشتمل على أربعين سفرا تناول فيها الأساطير والأحداث التاريخية معا دون توخي منهج علمي نقدي . فلقد اكتفى بالجمع ولكنّه يبقى مرجعا ثمينا فيما يخصّ المصادر التي عاد اليها واستقى منها معلوماته العديدة المتنوعة غرضا وقيمة تاريخية.

دُورِيُوس : *Dorieus*

أخو ملك اسبرطة اليونانية في أواخر القرن السادس قبل الميلاد. كان دوريوس من كبار المغامرين فحاول إنشاء مستوطنة في ربوع ترويها مياه القُونَيْفَس (انظر هذا الاسم في فهرس الأعلام الجغرافية) بالقرب من لبدى الكبرى في غربي الجماهرية اللّيبية لكن مشروعه باء بالفشل وقد تصدّى له القرطاجيون واللّوبيون معا وذلك رغم المساعدات التي تلقّاها دوريوس من قبل مدينة قورينة المزاحمة لقرطاج وقتئذ. ثم حاول دوريوس الإنتصاب في المناطق البونية بصقلية قرب جبل إيركسة ولكن دون جدوى ذلك أنّه لم يصمد أمام تحالف القرطاجيين والأيلوميين وهم من سكان صقلية الأصليين. وانتهت قصّته بالقضاء عليه وعلى رفاقه في نهاية القرن السادس قبل ميلاد المسيح.

دومقيانوس : *Domitien*

امبراطور روماني ينتمي الى الأسرة الفَلاَوِيّة. ولد بروما سنة 51 بعد الميلاد وتوفي سنة 96. تبوّا عرش الأباطرة من سنة 81 الى سنة 96. وكان معروفا بجبروته وتعصبه لأبناء روما دون غيرهم وله مواقف معادية لأفريقة والأفريقيين.

ديونيسوس السّرقوسي : *Denys de Syracuse*

أحد كبار سلاطين سرقوسة، عاش فيما بين 430 و367 قبل ميلاد المسيح. كان يستمدّ سلطانه بالاعتماد على الجماهير وهو يحسن مداعبتها ومغالطتها لاستدرار عطفها واستغوائها. وعرف بكفاحه ضد الحضور القرطاجي في صقلية لكنه لم يفلح ولم يتمكن من بلوغ الهدف حيث استمات القرطاجيون في الدفاع عن مناطق نفوذهم في غربي الجزيرة . ولمّا توفي خلفه ابنه دِيُونيسوس الثاني (367-344) قبل ميلاد المسيح.

ديون قستيوس : *Dion Cassius*

مؤرّخ يوناني ولد في مدينة نيقا في بثينيا على ساحل الأناضول سنة 150 بعد الميلاد وتوفي سنة 235. وكان ممّن برزوا في سلك إدارة الامبراطورية الرومانية وألف في تاريخ الرّومان من البداية الى سنة 229 فكانت تصانيفه 80 سفرا لم يبق منها الاّ جزء يغطي حقبة تمتدّ من سنة 68 قبل ميلاد المسيح الى سنة 46 بعد ميلاد المسيح.

روفيوس فستوس أفْيَيْنُوس : *Rufius Festus Avienus*

من أعيان الرومان خلال القرن الرابع بعد ميلاد المسيح وهو من مواليد مدينة بولسينة الإيطالية. انتخب بروقنصلا مرتين وكان مولعا بالأدب والشعر ومن تآليفه وصف للعالم وهو الذي أشار الى رحلة خميلك القرطاجي في مياه المحيط متّجها الى ربوع القرنواي حيث توجد مناجم القصدير.

ريجولوس : *Regulus*

قنصل روماني لسنة 265 ولسنة 256 قبل ميلاد المسيح. كلّف بغزو أفريقة سنة 256 ق.م أثناء الحرب الرّومانية القرطاجية الأولى (264-241 ق.م) وفي سنة 255 أسّره الجيش القرطاجي بقيادة إكْسَنْتِبُّوسَ الاسبرطي (انظر هذا الاسم) وقيل إنّه أعدم بعد تعذيبه.

زوناراس : *Zonaras*

مؤرّخ إغريقي عاش في القرن الثاني عشر ميلاديا.

زَيْنُون : *Zénon*

فيلسوف وشاعر يوناني عاش خلال القرن الخامس قبل ميلاد المسيح.

سوسيلوس : *Sosylos*

مؤرّخ يوناني كان من بين الذين تولّوا تربية حنّبعل فهو الذي علّمه فلسفة اليونان وأدخله دنيا الحضارة الإغريقية كما عرّفه بمآثر اسكندر المقدوني. ورافق سوسيلوس تلميذه الى ايطاليا أيّام الحرب الرومانية القرطاجية الثانية (201-219 ق.م) وسجّل مآثره.

سِيلِيُوس إيطالقُوس (26-101 بعد الميلاد) : *Silius Italicus*

شاعر لاتيني ولد بمدينة بدوفة غرب البندقية بإيطاليا سنة 26 ب.م. وتعاطى السياسة مّما جعله ينتخب قنصلا سنة 68 وبروقنصلا حوالى 77 وكان شغوفا

بالأدب والفن. ومن مؤلفاته قصيدة مطولة عنوانها **بونيات** وهي ملحمة من سبعة عشر نشيدا تناول فيها الحرب البونية الثانية (219-201 ق.م).

سولينوس : *Solin*

كاتب لاتيني عاش في القرن الثالث بعد ميلاد المسيح وقد تناول تلخيص بعض الكتب القديمة. ومن أهمّها موسوعة إبلينيوس الأكبر تاريخ الطبيعة فكان مولعا بجمع الأشياء المأثورة وقدّمها في كتاب عنوانه **أشياء لا تنسى**. يجد القارئ في هذا الكتاب طرائف عن عديد الأقطار والشعوب. ويعود الفضل الى سولينوس في ادخال عبارة البحر المتوسط.

سيلَيْنُوس : *Silénos*

مؤرّخ يوناني كان صحبة القائد القرطاجي أثناء الحرب الرومانية القرطاجية الثانية (219-201 ق.م) وكان ممّن تناولوا تدوين مآثر حنّبعل في ايطاليا.

سَرْفِيُوس : *Servius*

نحوي من القرن الخامس بعد ميلاد المسيح. ومن أهمّ أعماله تفسير نقدي لمؤلّفات الشاعر اللاّتيني ورْجِلْيُوس.

سَقُو لاَكِسْ : *Scylax*

ملاّح وجغرافي يوناني عاش في القرن السادس قبل ميلاد المسيح وهو من بين الذين اكتشفوا سواحل البحر الأحمر بتكليف من الملك الاخميني داريوس الأول (521-486 ق.م). أمّا الرحلة البحرية التي تعرف باسم **رحلة سقولاكس** فهي منتحلة وتعود الى القرن الرابع قبل ميلاد المسيح مع العلم أنّها رحلة تخصّ البحر الأبيض المتوسط.

سكنيتن : *Sanchoniathon*

عالم فنيقي ممّن عاشوا في نهاية الألف الثانية قبل ميلاد المسيح أو في بداية الألف الأولى. قام بتدوين تاريخ الفنيقيين والتّعريف بمعتقداتهم وأساطيرهم بالرجوع الى مصادر فنيقية مباشرة وبالإستناد الى أرشيف المعابد والمدن الكنعانية الفنيقية . ويرجّح أنّ فيلو الجبيلي استقى منه الكثير ممّا أورد في مصنفاته.

شبيون ايمليانوس (*185-129 ق.م*) : *Scipion Emilien*

قائد عسكري روماني وهو الإبن الثاني لبولوس إيمليانوس. تبنّاه شبيون ابن شبيون الإفريقي الشهير والمعروف بانتصاره على حنّبعل في معركة زامة سنة

201 ق.م. أمّا شبيون ايمليانوس فلقد انتخب قائدا علـى رأس الجيش الذي تحوّل الـى أفريقة سنـة 149 قبل الميلاد وتولّى تحطيم قرطاج سنـة 146 ق.م وأضرم النار فيها بعد نهبها وتقتيل من حاول الدفاع عنها من سكّانها.

شَفَقْ : *Syphax*

ملك نوميدى شهر سيفاكس. تبوّأ العرش المَسَيْصولي في النصف الثانـي من القرن الثالث قبل ميلاد المسيح وكانت عاصمته سيجن بالقرب من وهران فـي الجزائر الغربية. ولّما كانت الحرب الرومانية القرطاجية الثانية (219-201 ق.م) تلك التي تجلّت فيها شخصية حـنّبعل بن عبد ملقرت البرقي حاول تـقـديم مساعيه الحميدة املا فـي احتواء مضاعفات حـرب ضـروس قد لا يأمن منهـا سلطانه. فنظّم لقاء في قصره بسيجن حضره شبيون قائد الجيوش الرومانية كما حضره عزر بعل سفير قرطاج. ولكنها محاولة باءت بالفشل وذلـك مـن جرّاء تعنت الجهة الرومانية. وفي النهاية اختار الملك المسيصولي الانضمام الى صفوف القرطاجيين. وفي سنـة 205 ق.م تزوّج إحدى حسنوات قرطاج تـدعـى صفنيبة ابنة عزربعـل زواجا سياسيّا أملته الظروف. وفي معركة دارت رحاهـا فـي السهول النوميدية سقط شفق أسيرا وسلم الى شبيون مغلولا ثمّ أبعدوه وبقى فـي الأسـر الى أن توفي بتيفولي احدى ضواحي مدينة روما سنة 201 ق.م.

صفنيبة *(221-203 ق.م) (بضمّ الصاد والفاء) : Sophonisbe*

ورد هذا الإسم في النصوص القرطاجية في صيغة صفن بعل ومعنـاه رعـى بعل. ولما نقل الإسم الى اليونانية واللاّتينية طرأ عليه بعض التحريف فقالوا صفنسبه أو صفنيبـة. أمّا صفنيبة الشهيرة فهي فتاة تنتمي الى عـائلـة قرطاجية كانت في الصـدارة ثـراء وحضورا سياسيا. كان ابوها .عـزربعل. مـن بعول قرطاج وقام بدور مُهمٍّ أثناء الحرب الرّومانية القرطاجية الثانية (219-201 ق.م) فهو الذي كان باتصال متين مع الملـك المـسَيْصُولي شفق (سيفاكـس) وزوّجه من ابنته صفنيبة قبل ان تبلغ العـشـرين ربيعا سنـة 205 ق.م. كانت الفتاة آية فـي الجمال والثقافة الأدبية والفنية ويبـدو أنّها. بزواجها من ملـك شيخ. ضحّت في سبيل قرطاج. فلما سقط شَفَقُ في الأسر تزوّجها مسنسـن فأثار بذلك حفيظة شبيون الأفريقي. واذ وعدها مسّنسّن بأن لايسلّمها الـى الرومان قدّم لها كوب المنون فاحتسته راضية.

صلّوستيوس (86-35 ق.م) : Salluste

مؤرّخ لاتيني تشيّع الى يوليوس قيصر أثناء الحرب الأهلية فولاّه على رأس مقاطعة أفريقة الجديدة سنة 46 قبل ميلاد المسيح ومن أهمّ مصنفاته التّاريخية كتابه **حرب يوغرطة** وقد ألّفه بعد اعتزاله الحياة السياسية.

فَلاَرِيسْ : Phalaris

سلطان مدينة أقرجس وهو الاسم اليوناني لمدينة جرجنت الصقلية في منتصف القرن السادس قبل ميلاد المسيح اي بعيد تاسيسها سنة 580 ق.م. اشتهر ببطشه وقساوته حتى قيل إنّه كان يُعْدِم اعداءه شَيًّا في ثور من برونز فكانت أصواتهم تحكي خوار الثّور. أمّا عن صانع ذلك الثّور البرونزي فهو بريلّوس الذي كان الضحية الأولى لما صنعت يداه.

فَيْدَروس : Phédre

عبد من أصل يوناني عاش في بداية القرن الأول بعد الميلاد. تمّ عتقه وكان من موالي عائلة الإمبراطور أوجستوس. فهو أديب يحسن الشعر وفنّ الأقصوصة التربوية . وفيما بين سنة 30 وسنة 40 بعد الميلاد أصبحت له مجموعة شعرية تتميّز بتوظيف الحيوانات شخصيات كالأوادم. وفي مدخل السفر الثالث من مصنّفاته صرّح فَيْدَروس أنّ العبد يتوارى خلف الحيوانات تعبيرا عمّا لا يستطيع التعبير عنه صراحة. ومن قصائده: الذئب والحمل. الثعلب والعنب. وغيرهما من القصائد التي اقتبس منها لافنتان مواضيع لقصائده في القرن السابع عشر.

فِيلُو الجبيلي : Philon de Byblos

عالم فنيقي من مدينة جبيل ولد حوالى 42 بعد ميلاد المسيح وعمّر طويلا حتى أنّه زامن الإمبراطور هدريانوس الذي تبوّأ العرش من سنة 117 الى سنة 138. والمرجّح أنّه استفاد من الكتب الفنيقية الموروثة عن الأولين فترى في تأليفه عناصر موجودة في الأساطير الكنعانية كما تتجلّى على رقم مدينة أوجاريت. ومن بين المؤرخين الفنيقيين الذين وفّروا مادة ثرية لفيلو الجبيلي تجدر الإشارة الى عالم شهير يدعى سكنيتن الذي عاش فيما بين نهاية الألف الثانية وبداية الألف الأولى قبل ميلاد المسيح.

قاتو : *Caton*

شيخ من شيوخ روما ولد سنة 234 ق.م في عائلة من أصل ريفي. وتألق نجمه في سماء روما حتى أصبح من كبار زعمائها. وكان من تميّزوا بعداوتهم لقرطاج وهو الذي كان يردّد مقولته المشهورة: **لابدّ من تحطيم قرطاج**. وإلى جانب اهتمامه بالسياسة كان يعتني بفلاحة العقول والحقول. فقد كتب رسالة عنوانها **في الفلاحة**. توفي قاتوسنة اندلاع الحرب الرومانية القرطاجية الثالثة أي سنة 149 قبل ميلاد المسيح.

قدموس : *Cadmos*

هو المؤسس الأسطوري لمدينة ثيبة اليونانية على أنّه ابن أجينور ملك مدينة صور الفنيقية. وان تحول الى بلاد الاغريق فذلك بحثا عن أخته أوروبا وقد سباها الاله زيوس متقمصا صورة ثور وديع. ومعلوم أنّ اسم قدموس مشتق من مادّة قدم وتعني في اللّغات السامية وفي اللسان الفنيقي بالذات **الشرق** حتى كأن قدموس يرمز الى ما يدين به الاغريق تجاه المشرق السّاميّ الفنيقي. فمن تلك الربوع جاءتهم الكتابة الأبجدية وعناصر حضارية أخرى عديدة متنوعة كما يستشف ذلك من خلال الأساطير اليونانية نفسها فضلا عن اعتراف فلاسفة اليونان وكتّابهم ومنهم نكتفي بذكر المؤرخ هيرودوتس الذي نوّه بالواردات المشرقية الفنيقية.

قرنليوس نيبوس (99-24 ق.م) : Cornelius Nepos

مؤرّخ لاتيني عاش في القرن الأول قبل ميلاد المسيح وكان من معاصرى قيقيرو وأصدقائه. عرف بترجماته لكبار القادة لدى الأمم.

قَرْنِيَادُوس : Carnéade

فيلسوف يوناني افريقي ولد بمدينة قورينة في ربوع الجبل الأخضر بليبيا سنة 213 ق.م. وتوفي سنة 129 ق.م. وكان يرأس الأكادمية بأثينا وساهم في إثراء المدرسة الشكيّة. ومن أبرز تلاميذه القرطاجي اقليتوماكوس الذي تولّى تحرير دروس أستاذه مما جعلها تصل الى الكاتب اللاّتيني قِيقِيرُو.

قَرَيْسُوس : Crésus

ملك لوديا، القرن السادس قبل ميلاد المسيح.

قَسْيَانُوس بسّوس : Cassianus Bassus

كاتب يوناني عاش فيما بين القرن الثالث والقرن الرابع بعد الميلاد. عرف بجمع بعض ماورد من دراسات حول الفلاحة.

قَلِّجُولة : Calligula

امبراطور روماني تبوأ العرش في روما من سنة 37 الى سنة 41 بعد الميلاد.

قُلُومِلّة : Columelle

عالم من علماء الزراعة من أصل اسباني. ولد في قادس فيما بين نهاية القرن الأول ق.م وبداية القرن الأول ب.م. وفيما بين سنتي 60 و 65 بعد ميلاد المسيح ألف كتابًا أفرده الى شؤون الريف متناولا قضاياه العديدة من اختيار الضيعة الى تصريف شؤونها مرورا بالمزروعات والأشجار والقطعان والغابات وغيرها.

قيقيرو : Ciceron

تألق نجم قيقيرُو في سماء الأدب والخطابة والسياسة خلال القرن الأول قبل ميلاد المسيح. ولد سنة 106 ق.م. في مدينة أرْبِينو على بعد 110 كلم جنوب روما وتوفي سنة 43 ق.م. وهو ممّن حكم عليهم القائد انطُونِيُوس بالاعدام. فلقد ملأ قيقيرو الساحة السياسية والساحة الأدبية.

كَرُون اللَّمْبَسَاقِي : Charon de Lampsaque

مصنّف يوناني زامن الحروب الميديّة (بداية القرن الخامس ق.م).

لُوسِبُّوس (بضمّ اللاّم وكسر السين) : Lysippe

نحّات يوناني مختص في النحوت البرونزية. ولد بمدينة سقوانة اليونانية بسنة 390 قبل ميلاد المسيح وتوفي بعد سنة 310 ق.م . كان من المجدّدين في فن النحت خلال القرن الرابع قبل الميلاد وقد تميّز بالواقعية وبالإبتعاد عن الجُبْهوية وكانت له إضافات فيما يخصّ الحركة وقد تمكّن من تصويرها مُحَيَّنَةً دونما تجميد. كما أحسن الإستفادة من النور والإضاءة. وكان لُوسِبُّوسُ ممن تولّوا تصوير اسكندر المقدوني.

ماتو : Matho

قائد الثورة اللوبية ضد قرطاج إبّان حرب المرتزقة (240-237 ق.م). فهو لوبي الأرومة لكنّ اسمه يرشح بأثر الحضارة البونية. ذلك أنّ اسم ماتو قد يكون

مشتقّا من المادة الفنيقيـة يتن وهي تحتوى على معنى العطاء. لقـد انُتخِبَ قائدا أعلى لجيش المرتزقة المتمرّدين الثائرين على قرطاج وإدارتها.

ماجون : *Magon*

اسم بوني منتشر في قرطاج. ومن بين الذين حملوه تجدر الإشارة الى ماجون الأكبر وهو الذي تولى الحكم في قرطاج سنة 550 قبل الميلاد وقامت أسرته بدور عظيم في تاريخ الامبراطورية البونية وتمكنت من الصدارة حتى بداية القرن الرابع قبل الميلاد (انظر حنون وخيملك). كما لا بدّ من ذكر ماجون صاحب الموسوعة الزراعية التي انتشرت في مختلف اقطار البحر المتوسط ولعلّ أصداءها تلمس في موسوعة ابن العوام الأندلسي وقد تكون بَلَغَتْه عن طريق التراجم اللاّتينية واليونانيـة ممّا توارثته الأجيال. والمرجّح أنّ صاحب الموسوعة البونية عاش فيما بين القرن الرابع والقرن الثالث قبل ميلاد المسيح. ومعلوم أنّ أحد أخوة حنّبعل كان يدعى ماجون.

مستنعبأ : *Mastanabal*

أحد ابناء الملك النوميدي مسنسن. تقاسم العرش النوميدي مع أخويه مكوسن وهو المعروف في الكتب والدراسات تحت اسم مِسِبْسا وجُلُسّن إثر وفاة ابيهم سنة 148 قبل ميلاد المسيح. واسندت الى مستنعبأ مهام القضاء والعدالة عملا بتوصيات شبيون إيمليانوس إلا أنّه لم يعمر طويلا ولعله غادر الحياة سنة 139 قبل ميلاد المسيح وهكذا يكون توفي خلال نفس السنة التي توفي فيها أخوه جُلُسّن. وعرف مستنعبأ بميوله الى الحضارة اليونانية بل كان من عشّاقها.

مَكُوسَنْ : *Micipsa*

أحد ابناء مسنسن : تقاسم العرش المصولي مع أخويه جُلُسّن ومستنعبأ إثر وفاة أبيهم سنة 148 قبل ميلاد المسيح. ولما توفي أخواه سنة 139 ق.م. انفرد مَكُوسَنْ بالعرش وبقي على رأس المملكة الى سنة 118 ق.م. فلقد تواصل عهده ثلاثين سنة وكان محافظا على ملكته مستفيدا من صداقة الرومان وحمايتهم مقابل اخلاص لاتشوبه شائبة.

مَنَاسِيَاسْ : *Mnaséas*

قد يكون مؤرخا أو جغرافيا أو محدّثا وهو ما يستشف من خلال ما أورده إبلينيوس الأكبر في السفر السابع والثلاثين من تاريخ الطبيعة.

مُوقِيرينُوس : *Mykérinos*

أحد فراعنة الأسرة الرابعة التي حكمت مصر خلال الألف الثالثة قبل ميلاد المسيح. ويبدو أنّ المصريين القدامى كانوا يسمّونه مِنْقَاوُورع وهو ابن خفرن ومن أعماله الشهيرة بناء هرم بالجيزة.

مُورقَانُوس : *Myrcanos*

أحد أعضاء الوفد الذي كلّفه فيلبّوس الخامس ملك مقدونيا بالتفاوض مع القائد حنّبعل سنة 215 قبل الميلاد لابرام معاهدة صداقة وتعاون تضمن السلم والتعايش في البحر الأبيض المتوسط.

هبّوداموس الميليتي : *Hippodamos de Milet*

مهندس معماري يوناني أصيل مدينة مِيلَيْتُوسَ ذاع صيته في نهاية القرن السادس وبداية القرن الخامس قبل ميلاد المسيح فهو الذي وضع تصميم مدينة بِيرَائِيوس حول ميناء أثينا فَعِوض الثنايا الضيّقة أمهر المدينة بشوارع مستقيمة عريضة متقاطعة متعامدة حتى كأنّها رقعة شطرنج.

هَيْقَاتِيُوس الميليتي : *Hécatée de Milet*

مؤرّخ جغرافي يوناني ولد في مدينة مِيلَيْتُوس على ساحل آسيا الصغرى حوالى 540 قبل ميلاد المسيح. فهو الذي فتح الطريق أمام هيرودوتس للبحوث التاريخية وكان مشهورا بحرصه على المعاينة والتثبت ويهزأ من أساطير الإغريق.

ورْجِلْيُوس : *Virgile*.

ألمع شعراء الرّومان ولد في قرية أندس قرب مدينة منتوفة بشمال ايطاليا سنة 70 ق.م. وتوفي بمدينة برنديسي في اقليم قلابريا على ضفّة بحر الادرياتيك ودفن جثمانه في ضواحي نابولي. عرف وِرْجِلْيُوس برهافة الشعور وميل الى الرومنسية ممّا جعله يتغنّى بالطبيعة وجمال الريف وهو الذي شدا بغرام عليسة ومغامراتها في ملحمة مازالت تَرِقُّ لها القلوب عنوانها **الإنياذة** تقصّ سنفونية حب بين عليسة ديدون وبطل طروادي يدعى أنّياس. والقصيدة من خيال الشاعر لاتمتّ الى التاريخ بصلة.

وَرُّو (116-27 ق.م) : *Varron*

عالم روماني مختصّ في علوم الزّراعة بالإضافة الى اهتماماته الأدبية والفلسفية واللّغوية حتى أنّ مصنفاته تربو عن ستمائة سفرا . على أنّ الكتاب

الوحيد الذي وصلنا كاملا غير منقوص هو الذي يتعلّق بالزراعة وعنوانه **في شؤون الزراعة**. عيّنه قيصر على رأس مشروع المكتبة التّي قرّر بعثها. ولما حكم عليه من قبل أنطونيوس سنة 43 ق.م تمكّن من الفرار لكنّه خسر الكثير من أمواله وكتبه. وجاء في رواية مأثورة أنّه توفي والقلم بيده سنة 27 قبل ميلاد المسيح.

يمبصال : *Hiempsal*

ملك من أحْفَادِ مستنستن تبوّأ عرش المملكة النوميدية الشرقية في بداية القرن الأول قبل ميلاد المسيح.

يوبى الثاني (51 ق.م - 23 ب.م) : Juba II

أمِيرٌ نوميدي ابن يوبى الأول. قضّى طفولته اسيرا في روما إثر انتصار يوليوس قيصر على منافسيه وعلى من حالف معهم من الافريقيين أمثال يوبى الأول. اعتنى الرّومان بتربية الطفل الأسير ثم نصّبوه على عرش موريتانيا سنة 25 ق.م. وزوّجه الامبراطور اوجستوس من ابنة كليوبترة وكانت تدعى سيليني وقد تمّ ذلك سنة 19 ق.م. وبقي يوبى الثاني على العرش الموريتاني الى سنة 23 بعد ميلاد المسيح. ومّا عرف عن هذا الملك شغفه بالبحث العلمي والأدب فضلا عن ميوله الفنية وحبّه لجمع الأعلاق والتّحف، وقيل إنّه ألّف كتبا عديدة تناولت مواضيع مختلفة من الجغرافيا والنبات والطبّ وغيرها.

يوستينوس : *Justin*

مؤرّخ لاتيني عاش فيما بين القرن الثاني والقرن الثالث بعد الميلاد. أعد تلخيصا لكتاب في التاريخ صنّفه مؤرّخ جَلِّيٌّ يدعى تُرُوجُوس بُمْبِيُّوس وهو من القرن الأول بعد الميلاد. وفي هذا التأليف وردت أخبار عليسة ومعلومات عن تأسيس قرطاج.

أعـــلام جـغـرافيـــة

أبلونيا : Apollonia

اسـم حملته مدن عديدة في أقطار مختلفة ولا صلة بينها سوى ما قد يربطها بالإله أبلّو. ومن تلك المدن مدينة توجد بالقطر الليبي في منطقة الجبل الأخضر على ساحل البحر وتسـمّى اليوم سوسة. وعلى ساحل الأنضول بين مدينـة برجامون ومدينة سردايس نشأت مدينة اسمها أبـلّونيا. وفي مملكة مقدونيـا مدينة اسمها أبلّونيا وكانت تقع جنوب غربي مدينة تيسالونيك في اليو: ان. وفي جزيرة اقريتش مدينة اسمها أبلّونيا كما حملت نفس الإس.. مدن اقليم إلّوريا قرب مصب نهر آووس وكان لها "صوت" شهير يأتونه للاستشارة وكانت محل تنافس بين الرّومان والمقدونيين في أواخر القرن الثالث قبل ميلاد المسيح.

ابلّونية : Apollonia

إحدى المدن التي أسسها الإغـريق بربوع الجبل الأخضر بليبيا وقد غمر البحـر بعض أطلالها وتسمى اليوم سوسة.

إبيدمنة : Epidamne

وتسمّى أيضا دوركيوم وهي مدينة من مـدن إلّوريا على الضفّة الشرقية من البحر الأدراتيك. كان المسافـرون يترددون على مينائها قاصدين إيطاليا. توجـد اليوم في البانيا وتسمّى دوريس.

إبيسة : Ebissa

جزيرة من جزر البليار الاسبانية عثر فيها على أطلال فنيقية بونية يعود أقدمها الى القرن السابع ق.م منها قبور ودمى من طين مفخور ومجـوهـرات وجعلان وغيرها.

أُوبَه : Eubée

جزيرة اغريقية في بحر إيجة ساهمت بثرواتها المنجمية في نمو الاقتصاد وتطوّر الحضارة في الجزر الإيجية. وكانت أُوبَةُ من أهم مراكز الاستعمار اليوناني منذ القرن الثامن قبل ميلاد المسيح.

إثراقة : Thrace

اقليم يقع جنوب شرقي أوروبا وكان الإغريق يطلقون اسم إثراقة على كامل الربوع الشرقية من شبه جزيرة البلقان والتى تمتد من نهر الدانوب الى بحر إيجة وبحر مرمرة.

أرشقول : Rachgoun

موقع أثريّ بالجزائر الغربية في اقليم وهران. أثبتت الحفريات أنّ الفنيقيين أقاموا فيه مصرفا كان الهدف منه مساعدة السفن الفنيقية على القيام برحلاتها نحو الغرب في طريقها الى اسبانيا.

أرمبوس : Arymbus

مستوطنة أقامها حنّون القرطاجي على ساحل المغرب الأقصى أثناء رحلته الشهيرة في القرن الخامس ق.م ولعلّها كانت حول مصبّ واد أم الربيع.

أروادة : Arvad

مدينة فنيقية توجد أطلالها في جزيرة سورية تقع قبالة مدينة طرطوس ويبدو أنّها ذكرت في ألواح إبلة خلال الألف الثالثة ق.م. أمّا الجزيرة فهي على بعد كيلومترين ونصف من الساحل السّوري.

أَسِتْرُومْنِيد : Oestrymnides

الإسم العتيق للجزر السرلنجية وهي الواقعة جنوب بريطانيا العظمى. وتسمى أيضا سَقِيلي (بفتح السين).

أسورس (جزر أسورس) : Açores

أرخبيل في المحيط الأطلسي تابع لجمهورية البرتوغال.

أُفْرة : Ophir

اسم قطر أو اقليم كان الفنيقيون والإسرائليون يترددون عليه للحصول على الذهب وخاصّة في عهد سليمان وخلفائه. وسطرت عبارة "ذهب افره" كسرة من فخّار عثر عليها بتل قسيلة شمال مدينة يافا الفلسطينية.

وتعود هذه النقيشة الى ما بين القرن الثامن والقرن السابع ق.م. أمّا عن تحديد القطر المسمى أفرة فلقد تعدّدت الإفتراضات دون الحسم في المسألة : فبعضهم يشير الى منطقة باب المندب وآخرون يقترحون أفريقة أو ترشيش في اسبانيا.

أفريقة : Africa

علم جغرافي يطلق قديما على تونس وعلى شمال افريقيا عامّة. وفي استعمال صيغة أفْرِيقَةَ إشارة واضحة الى حدود جغرافية معينة في إطار زمني معيّن : فاستعمال هذه الصيغة يقف بنا عند نهاية العصور القديمة. فلمّا كان الفتح العربي الإسلامي ظهرت صيغة جديدة وهي افريقية. وتبقى صيغة افريقيا لتسمية القارة ككلّ.

أفْرِيقَةُ الجديدة : Africa Nova

أطلق هذا الإسم على الولاية الجديدة التي بعثها يوليوس قيصر بعد انتصاره على منافسيه وعلى الملك النوميدي يوبى الأول وقد بقي هذا الأخير على العرش من سنة 60 الى سنة 46 ق.م. فكانت أفريقة الجديدة تشمل مملكة يوبى الأول وعاصمتها كرطن وهي التي تسمّى اليوم قسنطينة ومن أهم مدن تلك المملكة زامة ودقّة وبلّه ريجيا الى جانب عديد القرى الريفية المزدهرة. وسميت افريقة الجديدة تمييزا لها عن افريقة القديمة تلك التي غزاها الرومان إثر الحرب القرطاجية الرومانية الثالثة (149-146 ق.م).

إفيروس : Epire

مملكة يونانية عريقة تنغمس جذور تاريخها في عمق الأساطير اليونانية. يحدّها اقليم إلّوريا شمالا والبحر اليوني غربا وتوجد اليوم ضمن الجمهورية الألبانية جنوبا. ومن تبوؤوا عرش هذه المملكة تجدر الإشارة الى بُرُّوس الثاني (319-272 ق.م) وهو الذي هاجم الرّومان في ايطاليا وحاول الإستلاء على صقلية ولكن بدون جدوى (انظر فهرس الأعلام تحت اسم برّوس).

أقرة : Acra

مستوطنة أقامها حنون على الساحل الغربي من افريقيا أثناء رحلته الشهيرة في منتصف القرن الخامس ق.م. حول مصب واد أم الربيع بالمغرب الأقصى.

إقنيدوس : Cnide

مستوطنة يونانية قد تكون من تأسيس مدينة اسبرطة في اقليم قارية بالأناضول.

إلقترومة : Electrum

اسم بحيرة ذكرها ابلينيوس الأكبر في السفر السابع والثلاثين من موسوعته "تاريخ الطبيعة" ومّا ذكره هذا الكاتب اللاّتيني أنّها توجد قرب الأطلس في بلاد الماووريين أي في المغرب الأقصى.

أَلْشِي : Elche

مدينة اسبانية قديمة تقع في اقليم ألقنطا.

أليسيدة : Aliseda

موقع يوجد في اسبانيا وفي إقليم مدينة قاسيراس بمنطقة اكستريمادورة، تلك التي يمرّ منها نهر التاج. عرفت أليسيدة بكنز من الجوهرات تحمل بصمات الحضارة الفنيقية.

أمَاثُنْتُ : Amathonte

مدينة تقع على الساحل الجنوبي لجزيرة قبرص. عثر فيها على أطلال فنيقية تشهد بإقامة الفنيقيين فيها ومنها نقيشة تعود الى القرن الثامن ق.م.

أَنْطَسُ : Antas

موقع اثرى بجزيرة سردانيا يوجد شمال مدينة إجْلَيْسِيَاس الواقعة جنوب غربي الجزيرة. عثر في خرائب أنطس على بقايا معبد أقيم إجلالا لإله فنيقي يدعى صِدُّ وهو نظير إله سرداني اسمه سَرْدُوسُ بَاتَيْر. وممّا منّت به حفريات أنطس مجموعة من النقائش البونية تشير الى هدايا قدّمت ابتهالا للاله صِدّ.

أوجاريت : Ugarit

مدينة كنعانية تمّ كشف الغطاء عن أطلالها قبيل الحرب العالمية الثانية ومازالت الحفريات متواصلة. تقع هذه المدينة برأس الشمراء على الساحل السّوري شمال اللاّذقية. تعود أطلالها الى الألف الثاني قبل الميلاد. حطمت ونهبت وأتى على قصورها ومعابدها حريق هائل من جراء زحف شعوب البحر حوالي 1200 ق.م. ومن أهمّ ما اكتشف فيها مجموعة ضخمة من الرّقم سطرت عليها نصوص عديدة مختلفة تتعلق بالسياسة والدين والأدب وغيرها.

إيركسة : Eryx

مدينة حصينة توجد في صقلية الغربية أي في المناطق التي كانت قرطاج تسيطر عليها. وممّا عرف عن إيركسة قلعتها القائمة على عرنين جبل وعر ومعبدها الخصص لعبادة إلهة قد تكون محلية الأصل أيْلُومية. على أنّ الفنيقيين البونيين نظّروها بعشترت إلهة الحب والخصب عندهم. وكان المعبد مفتوحا للّاتي كنّ يتعاطين العهر المقدّس.

إيرومنثة : Erymanthe

جبل بإقليم بَيْلُوبُونِيوسوس في بلاد الإغريق.

برجامونة : Pergame

مدينة قديمة كانت بآسيا الصغرى تسمى اليوم برجمة تقع في ولاية إزمير.

بريجي : Brigi

شناخ تابع لجزيرة صقلية قبالة جزيرة مطوة. توجد في شناج بريجي مدفنة بونية تابعة لسكان مطوة.

بَرِينَسْتُ : Preneste

مدينة إيطالية تدعى اليوم بالسترينة تقع في ربوع اللّاتيوم على بعد 38 كلم شرق مدينة روما. عثر في أحد قبورها العتيقة على طبق مزخرف بصور مزبورة. وهو من صنع فنيقي يعود الى القرن السابع قبل ميلاد المسيح. والصور تقص مغامرة أمير في يوم خرج فيه للصيد.

بلّة (بضمّ الباء وفتح اللّام) : Bulla

مدينة نوميدية الأصل ممّا جعل الرّومان يسندون اليها لقب "ريجيا" نسبة الى الملوك النوميديين. تقع بالشمال الغربي التونسي في ربوع جندوبة وقد اشتهرت في العهد الرّوماني بقصورها ذات الغرف المشيدة في بطن الأرض اتقاء حَرِّ الصيف كما أجلت الحفريات أطلال بنايات فخمة أخرى كالمسرح والحمام ومعبد أبلّو وغيرها وهي بنايات كانت تتحلى بالتماثيل والواح الفسيفساء. تألق نجم هذه المدينة من نهاية القرن الثالث ق.م الى عهد القدّيس أوجستنوس في منتصف القرن الخامس بعد الميلاد.

بناسة : *Banasa*

مدينة ماوورية توجد بالمغرب الأقصى تقع على نهر سبو في ربوع سهل الغرب على 30 كلم من الساحل. أقدم أطلالها تعود الى ما بين القرن السادس والقرن الخامس ق.م.

بنتلاّريا : *Pantellaria*

جزيرة إيطالية تقع بين صقلية وتونس وقد كانت تابعة لامبراطورية قرطاج ثم غزاها الرّومان وكان القرطاجيون يسمّونها إيرنم أمّا اسمها اللاّتيني فهو قوسرة وهو الاسم الذي نقله العرب فقالوا قوصرة. فيها أطلال تعود الى الفترة البونية.

بونتا دي لافاكا : *Punta de la Vaca*

موقع أثري يوجد بإسبانيا في ربوع مدينة قادس تلك التي سمّاها الفنيقيون المؤسسون لها جَدَيْرة.

بِيثُوقُوسَةُ : *Pithycusse*

جزيرة إيطالية تسمّى اليوم إسكيا. تقع في مدخل خليج مدينة نابولي الإيطالية. فيها أطلال تعود الى القرن الثامن قبل ميلاد المسيح وهي من شواهد التوسّع اليوناني وقد أقام فيها معمّرون يونانيون اتوا من كلقيس (انظر هذا الإسم) مصرفا للتجارة. وفي القبور عثر على بقايا تشير الى وجود عناصر ساميّة مشرقية إلى جانب الإغريق.

بيرصة : *Byrsa*

ربوة في قرطاج ذكرها المؤرّخون القدامى في حديثهم عن مغامرة عليسة وتأسيس قرت حدشت ويبدو أنّها كانت قلعة حصينة يشرف عليها معبد الإله أشمون وفيها تحصّن القرطاجيون أثناء الحرب الرّومانية البونية الثالثة وكانت من بينهم زوجة القائد القرطاجي عزر بعل. ولمّا أعاد الرّومان بنيان قرطاج في النصف الثاني من القرن الأول ق.م أقاموا على بيرصة مباني تشيد بالرّومنة ومن أهمّها معبد الكابيتول والباسيليقة. ومعلوم أنّ الحفريات في بيرصة كشفت الغطاء عن أطلال تعود الى مختلف العصور القديمة.

بَيْلُوبُونِيسُوس : *Péloponnèse*

اقليم في بلاد الإغريق يقع جنوب شبه جزيرة البلقان.

بويج ديس مولنس : *Puig des Molins*

موقع بجزيرة إبيسة وهو الذي توجد فيه مدفنة بونية شهيرة.

تراسيمانة : *Trasimène*

بحيرة إيطالية تقع في إقليم إتروريا قديما وتوجد اليوم في إقليم أمُبريا في وسط إيطاليا حيث توجد مدينة بيروجيا. واشتهرت بحيرة تراسيمانة بالمعركة التي كسبها حنّبعل ضدّ الجيش الرّوماني الذي كان تحت قيادة القنصل افلامينيوس نيبوس وكان ذلك سنة 217 ق.م.

ترّوس : *Tharros*

مدينة فنيقية بونية في جزيرة سردانيا على الساحل الغربي توجد على بعد 20 كلم من مدينة أُورسْتَانُو ومن أطلالها الفنيقية البونية معبد التوفاة المخصص لعبادة بعل حمّون. ومّا جادت به حفريات ترّوس مجموعة من الأنصاب والجوهرات البديعة.

تل قسيلة : *Tell Cassilé*

ميناء فلسطيني يقع شمال مدينة يافا. كانت تبحر منه سفن الملك سليمان الى إقليم أُفْرة حيث المعادن الثمينة والحجارة الكريمة والحيوانات والطيور العجيبة (انظر اسم أفرة).

تَمُودة : *Tamuda*

مدينة ماوورية تقع بالمغرب الأقصى على بعد 5 كلم جنوب غربي تتوان على الضفّة اليمنى من نهر تتوان. أمّا عن أقدم أطلالها فهي تعود الى القرن الثاني قبل ميلاد المسيح. وثبت في ضوء العديد من اللّقى المختلفة أنّها تأثرت بنسيم الحضارة البونية. ويبدو ذلك جليا في النقائش المسطورة على نقودها.

تنجي : *Tingi*

مدينة مغربية وهي التي تسمى اليوم طانجة. كانت إحدى عواصم المملكة الماوورية وتمّ العثور فيها على بقايا تشهد بتأثير الحضارة القرطاجية فيها.

ثُومَاتَيْرُيُون : *Thymiatérion*

مستوطنة أسّسها حنون الماجوني اثناء رحلته الشهيرة في منتصف القرن الخامس ق.م ومن المرجّح أنّها أقيمت على ساحل المغرب الأقصى ولعلّ أطلالها توجد تحت قلعة المهدية جنوب الأعراش.

ثيرة : *Théra*

جزيرة يونانية تسمى اليوم سَنْتُورين وهي إحدى جزر سيكلادس. ومن جزيرة ثيرة خرج مهاجرون وأسّسوا مدينة قورينة بليبيا (الشحّات).

جبيل : *Byblos*

مدينة فنيقية تقع شمال لبنان تتوزّع أطلالها التّاريخية القديمة على ما بين الألف الثالثة ق.م والقرن السابع بعد الميلاد وفيها عثر على نقائش فنيقية تعود الى بداية الألف الأولى ق.م. ومن أشهرها نقيشة سطرت على تابوت الملك أحرم.

الجدار القَرْيَوي : *Le mur Carien*

مستوطنة أقامها حنون الماجوني على ساحل المغرب الأقصى أثناء رحلته الشهيرة خلال القرن الخامس قبل ميلاد المسيح.

جُرْتونة : *Gortyne*

مدينة عتيقة من مدن جزيرة اقريتش تقع في الجنوب على نهر ليثي. مرّ بها حنّبعل ايام تنقلاته في بلدان المشرق بين سوريا ودول الأناضول وقتئذ أي فيما بين 196-183 ق.م.

جُرْجَنْت : *Agrigente*

مستوطنة يونانية تقع جنوب جزيرة صقلية وفيها روائع من اطلال المعابد. ومن سلاطينها تجدر الإشارة الى فَلَارِيسَ (570-540 ق.م). غزاها القرطاجيون وحطّموها سنة 406 ق.م.

جَدَيْرة : *Gadeira*

مستوطنة فنيقية اقيمت بالجنوب الغربي من اسبانيا تشرف على المحيط الأطلسي ويعود تأسيسها الى نهاية الألف الثانية ق.م. : حوالى 1110 ق.م. أمّا عن أقدم الأطلال التي تمكّن الأثاريون من كشف الغطاء عنها فهي لا تتعدّى حدود القرن الثامن قبل ميلاد المسيح ومازالت أعمال التنقيب متواصلة. مع العلم أنّ أطلال جديرة الفنيقية توجد في ضواحي مدينة قادس الإسبانية.

جلّية (بفتح الجيم وكسر اللاّم) : *La Gaule*

بلاد الجلّيين وجليّة هو الإسم القديم لفرنسا. تمّ التعريب انطلاقا من الصيغة اللاّتينية وهي Gallia مع العلم أنّ حرف G يساويه في العربية حرف ج.

جَلَيْرة : *Galéra*

مدينة اسبانية تقع في إقليم غرناطة وكان الإيبيريون يسمونها توتوجي فيها مدفنة قبورها تتوزع على ما بين القرن السادس والقرن الرابع قبل ميلاد المسيح وتمّ العثور فيها على تمثال من هيصم يصور إلهة جالسة على عرش يحفّ به سَفَنْكْسَان ويعود الى القرن السابع ق.م.

جُوتِي : *Gytté*

مستوطنة بونية أقامها حنون الماجوني على ساحل المغرب الأقصى أثناء رحلته الشهيرة خلال القرن الخامس قبل ميلاد المسيح وقد تكون اقيمت بين الرأس الأبيض شمالا ومدينة أزمّور جنوبا.

الخليجُ النّكرة : *La Baie sans nom*

يفتح هذا الخليج على مياه مدينة بنزرت بالشمال الشرقي التونسي.

سَاجُنْتُ : *Sagonte*

مدينة اسبانية إيبيرية تقع بين نهر الإِبْرُو ورأس ناو قرب الساحل. تصدّت الى التوسع القرطاجي تواطؤا مع الرّومان فحاصرها حنّبعل البرقي وغزاها وحطّم بنيانها ممّا أثار حفيظة الرّومان الذين كانوا يخافون ذاك التوسّع القرطاجي فحاولوا تكسير شوكة عدّوتهم حتّى لا تكون قادرة على منافستهم وهو ما أدّى الى الحرب الرّومانية القرطاجية الثانية (219-201 ق.م).

سَارَفْتُ : *Sarepta*

مدينة فنيقية توجد في لبنان وتقع عل شناخ يسمى رأس القنطرة على بعد 13 كلم جنوب صيدا. وتعرف اليوم باسم صرفند. فيها أطلال فنيقية متعددة: من بينها نقيشة اثبتت أنّ للالهة تانيت جذورا فنيقية. وتعود النقيشة الى القرن السابع قبل ميلاد المسيح. ومن عطاء هذه المدينة اطلال تُدْلِي بمعلومات مهمّة عن صناعة الخزف والأرجوان وسبك المعادن وغيرها فضلا عمّا قد يفيد منها المهتّم بالعمارة الدينية والمدنية.

سردايس : *Sardes*

مدينة قديمة كانت توجد في اقليم لوديا بآسيا الصغرى. وكانت عاصمة لمملكة لوديا في سلطان الملك قَرَيْسُوس الشهير بثرائه.

سرقوسة : *Syracuse*

مستوطنة إغريقية في صقلية يعود تأسيسها الى القرن الثامن قبل ميلاد المسيح وكانت تُضمِرُ العداوة للقرطاجيين فعمل سلاطينها على طردهم من الجزيرة ولكن الحروب بين المدينتين ظلت سجالا دون ان تتمكّن إحداهما من القضاء نهائيّا على الأخرى. على أنّ العدوان السياسي العسكري لم يحل دون التراشح الحضاري والتعامل التجاري. ومن سلاطين سرقوسة جَيْلُونُ الذي ساهم في معركة هِيمَيْرة (480 ق.م) وديونيسوس الذي حطّم مدينة مطوه (393 ق.م) وأجاتكلاس الذي رفع الحرب الى أفريقة (310 ق.م).

سقوان : *Sicyone*

مكان في أفريقة ورد ذكره في السفر السابع والثلاثين من موسوعة ابلينيوس الأكبر المعروفة باسم "تاريخ الطبيعة" أمّا عن موقعه بالضبط فيبقى السؤال مطروحا. والثابت أنّه يطل على المحيط الأطلسي في المغرب الأقصى.

سقوانة : *Sicyone*

مدينة يونانية تقع شمال اقليم بَيْلُوبُونيسوس لها تاريخ تليد تنغمس جذوره في أعمق طبقات الأساطير. ساهمت سقوانة في الحروب الميدية بتقديم مشاة مدجّجين بأسلحة ثقيلة . كما ساهمت بخمس عشرة سفينة حربية.

سلشيس : *Sulcis*

مستوطنة فنيقية بونية في جزيرة سردانيا وتسمّى اليوم سن انطيوكو. تقع في جنوب غربي الجزيرة وكان اسمها البوني "سُلْقِي" فيها أطلال مهمّة منها معبد التوفاة والمدفنة. كما تمّ التقاط مجموعة من الأنصاب والنقائش البونية وعناصر أخرى تحمل بصمات الحضارة القرطاجية.

سوسى : *Suse*

مدينة عيلامية. وعيلام دولة تكونت شرق وادي الرافدين وجنوب غربي إيران. وترقى جذور الدولة العلامية الى الألف الرابعة قبل ميلاد المسيح وكانت سوسى عاصمة لها.

سِيجَسْتُ : *Ségeste*

مدينة في صقلية الغربية تقع بين بالرمو غرب وشمال شرقي لَيْلُوبة.

سيجن : Siga

مدينة كانت توجد في نوميديا الغربية أي في الربوع التابعة للقبائل المُسَيْصُولية وكانت سيجن إحدى عواصم المملكة النوميدية الكبرى في عهد الملك شفق المعروف باسم سيفاكس. وفي قصر سيجن التأمت أول ندوة دولية ثلاثية الأطراف. فهي مبادرة يعود الفضل فيها الى الملك النوميدي سيفاكس الذي كان يريد من ورائها الوصول الى وضع حدّ لحرب ضروس وكأنّه كان يخاف عاقبة تحوّل المعارك الى أفريقة. تدخّل الملك سيفاكس ومكّن الخصمين من التّلاقي في قصره بسيجن وكان ذلك سنة 206 ق.م.

سِيلِيُنُنْتُ : Sélinonte

مستوطنة يونانية في صقلية يعود تأسيسها الى القرن السابع قبل ميلاد المسيح وهي أقرب المستوطنات اليونانية من التخوم الأيْلُومية (انظر أيلوميّون في فهرس القبائل والشعوب). كانت سيلينتت من المدن الثرية فازدانت بحلية معمارية بديعة بمعالمها المدنية والدينية بالخصوص. ولّما كانت من المدن اليونانية المنافسة لقرطاج حدث الإصطدام وكانت الغلبة لقرطاج سنة 409 فضمّت سيلينتت للربوع البونية وفتحت لتيارتها الحضارية.

الشناخ الجميل : Le Beau Promontoire

وهو الشناخ الذي يعرف اليوم باسم الوطن القبلي والشناخ الجميل تعريب للاسم كما ورد في الكتابات اليونانية واللاّتينية.

صُلُنْتو : Solunte

مصرف فنيقي بصقلية يقع على ساحل الجزيرة الشمالي بين مدينتي بَالَرْمُو وهيمَيْرة على أنّ صلنتو تهلّنت حتى غلبت على ملامحها ألوان الحضارة الهلّينستية.

صُولَيِّس : Soleis

شناخ يحمل هذا الإسم في رحلة حنّون الماجوني الذي أشار الى معبد أمر بإقامته على هذا الشناخ إجلالا لإله البحر. ويقع هذا الشناخ على ساحل المغرب الأقصى بين مصبّ واد أم الربيع شمالا وواد تنسفت جنوبا.

غورّية : Gourayya

موقع أثري يوجد بقبة سيدى ابراهيم بالجزائر وورد اسمه البوني مسطورا على نقود المدينة في صيغة **جنجن** وهو على بعد 33 كلم غرب مدينة شرشال

أثبتت الحفريات حضورا بونيا في هذا الموقع ومن مظاهره مدفنة تعود قبورها الى ما بين القرن الثالث والقرن الثاني قبل ميلاد المسيح. على أنّ أقدم الشواهد الأثرية على هذا الحضور ترقى الى القرن الخامس قبل الميلاد.

فاروس : Pharos

جزيرة مصرية تقع قرب مدينة الاسكندرية وفيها أقام بطليموس الثاني الفيلادلفي الناظور الشهير الذي يعتبر إحدى روائع الدنيا السبعة وكان ذلك فيما بين سنة 285 وسنة 246 قبل ميلاد المسيح.

قادس : Cadix

انظر جَدَيْرة.

قِتْيُون : Kition

مستوطنة فنيقية توجد بشمال جزيرة قبرص وهي التي توجد أطلالها بمدينة لرنقة ويبدو أنّها اتخذت ملامحها الفنيقية منذ القرن التّاسع قبل ميلاد المسيح وكانت علاقتها بمدينة صور متينة. ومن أهمّ الأطلال التي كشف الغطاء عنها في قِتْيُون الفنيقية فضاءات مقدّسة من معابد ومدافن لعلّ أقدمها يعود الى القرن التاسع ق.م. ومن أسباب ازدهارها التجارة وهي محطة أساسية في طريق الأساطيل الفنيقية نحو الغرب.

قراتيس : Crathis

جدول أشار اليه ابلينيوس الأكبر في السّفر السابع والثلاثين من موسوعته الشهيرة المعروفة باسم "تاريخ الطبيعة" وينسبه الكاتب الى بلاد الماووريين بالمغرب الأقصى دون ماتحديد مضبوط.

قُرْقُورة : Corcyre

جزيرة في البحر اليوني وهي التي تحمل اليوم اسم قُرْفُو شمال غربي بلاد اليونان توجد قبال مملكة إِيفِيرُوس (انظر هذا الإسم).

قِرْنة : Cerné

مستوطنة أقامها حنّون الماجوني أثناء رحلته الشهيرة في القرن الخامس قبل ميلاد المسيح. واقترح بعض الدارسين تحديد موقعها قرب مصب الساقية الحمراء.

قَرنْبُولُو : Carambolo

موقع أثري يوجد باسبانيا شمال غربي اشبيليا وكان السكان المقيمين فيه من الترشيشيين يتعاملون مع الفنيقيين المقيمين بـجَدَيْرة. ونال الموقع شهرته ممّا جاد به من مجوهرات تعود الى القرن السادس قبل ميلاد المسيح ويغلب على تلك الروائع الترشيشية مسحة فنيقية مشرقية تثبت مكانة العلاقات بين سكان اسبانيا الأصليين والوافدين عليهم من المشرق.

قُرْنُوال : Cornouaille

إقليم من أقاليم انجلترا يقع جنوب غربيها. له ملامح شبه جزيرة طويلة سواحلها مقطّعة رُؤوسا وخلجانا.

قُرُوتُونة : Crotone

مدينة إيطالية توجد في جنوب البلاد تقع في غربي خليج تارنت. وهي من المستوطنات اليونانية ويعود تأسيسها الى العقد الأخير من القرن الثامن قبل ميلاد المسيح.

قناة بريسطول : Canal de Bristol

برزخ يكّونه المحيط الأطلسي عند مصب نهر السيفرن فيفصل بين اقليم والس غرب انجلترا واقليم القرنوال.

قنّاي : Cannes

مدينة إيطالية تقع في الجنوب على ضفاف نهر الأُوفُنْتُو وكان هذا النهر يسمّى قديما أوفِيدُوس. شاع صيت المدينة إثر الإنتصار الباهر الذي سجّله القائد القرطاجي حنّبعل على الجيوش الرومانية سنة 216 قبل ميلاد المسيح زمن الحرب الرومانية القرطاجية الثانية (219-201 ق.م).

قَنِّيطة : Cannita

موقع أثري فنيقي بجزيرة صقليّة يوجد على بعد 10 كلم شرق مدينة بالرمو وفيه تمّ العثور على تابوتين من رخام غطاء كليهما مزدان بصورة امرأة. أمّا عن توريخهما فقد اقترح بعض الدّارسين تنزيلهما بين القرن السادس والقرن الخامس قبل ميلاد المسيح.

قُورينة : Cyrène

مستَوطنة يونانية بليبيا أقامها مهاجرون أتوا من جزيرة ثيرة سنة 630 ق.م

(انظر اسم ثيرة) توجد أطلالها على بعد ما ينيف عن 200 كلم شمال شرق مدينة بنغازي وكانت من المدن المنافسة لقرطاج.

قُونَيْفِسُ : *Cynips*

واد يجري في ربوع تقع جنوب مدينة الخمس حاليا وهي التي خلفت المدينة التي أسّسها الفنيقيون وكانت عندهم تسمى لِفْقِي أو لبقي وسماها الرومان لبتيس وعرّب الاسم في صيغة لبدة. أمّا واد قُونَيْفِسُ فيبدو أنه يتوافق مع واد أُكِرِّي أو واد كعّام على أنّه افتراض يستوجب مزيدا من التثبّت بالرجوع الى الميدان.

قَيْفَسِيسُ : *Cephisis*

بحيرة أورد ذكرها ابلينيوس الأكبر في السفر السابع والثلاثين من موسوعته الشهيرة المعروفة باسم "تاريخ الطبيعة" وتنسب هذه البحيرة الى ربوع الماووريين بالمغرب الأقصى دون ما تحديد مضبوط.

كرطن : *Cirta*

مدينة نوميدية توجد بالجزائر الشرقية وهي التي تحمل اليوم اسم قسنطينة كانت من أكبر عواصم المملكة النّوميدية المصولية. أطلالها تشهد بعمق الحضارة البونية فيها ويتجلّى ذلك في معالم دينية وجنائزية منها التوفاة والنصب التي اقيمت إجلالا لبعل حمون وتانيت ومنها ضريح الملك مسنسن. أمّا عن اسمها القديم كرطن فلقد ورد مسطورا على النقود التي ضربت في عهد الملوك النوميديين. وتتوزّع الأطلال النوميدية البونية التي أزيح عنها التراب في كرطن على ما بين القرن الثالث والقرن الأول ق.م.

كلقيس : *Chalcis*

مدينة يونانية تقع في جزيرة أُوبة ببحر إيجة وكانت أكبر مدنها وقد اشتهرت كلقيس بسياستها التوسعية داخل البلاد اليونانية وخارجها فلقد أقامت مستوطنات في ايطاليا وفي صقلية منذ القرن السابع ق.م.

لاخويا : *La Joya*

مدفنة ترشيشية توجد في مدينة هُوَالِبة (انظر هذا الاسم) تمّ العثور في قبور المدفنة على عناصر حضارية من أصل فنيقي او صنعت متأثرة بالحضارة الفنيقية.

لافاليت : *La Valette*

مدينة في مالطة وهي عاصمة الجزيرة السياسية والإقتصادية.

لامانش : *La manche*

بحر يمتد بين جنوب بريطانيا العظمى وشمال غربي فرنسا وهو تابع للمحيط الأطلسي ومتصل ببحر الشمال.

لِبْريخا : *Librija*

موقع اثري في اسبانيا يوجد جنوب مدينة اشبيليا الاسبانية وفي هذا الموقع تمّ العثور على أطلال فنيقية بونية.

لرنة : *Lerne*

بحيرة توجد في منطقة أرجوليد بإقليم بَيْلُوبُونيسُوس من بلاد الإغريق.

لمبساقة : *Lampsaque*

مستوطنة اغريقية يونية بآسيا الصغرى تقع في منطقة الدردنيل وهي من تأسيس فُوقِيّة ومِيلَيْتُوس حوالي 654 قبل ميلاد المسيح. وتسمّى اليوم لبسيكي.

لوبة : *Libye*

الاسم العتيق الذي كان يطلق على شمال افريقيا كما أطلقه القدماء على كامل القارة ومنهم هيرودوتس.

لوديا : *Lydie*

إقليم من أقاليم آسيا الصغرى. ولوديا مملكة تبوّأ عرشها قَرَيْسُوس الشهير.

لوقيا : *Lycie*

إقليم من اقاليم ساحل الأناضول بالجنوب الغربي يحدّه شمالا إقليم قاريا ويحدّه المتوسط غربا حيث تكون جزيرة رودس قبالته.

ليباري : *Lipari*

جزر إيطالية تقع شمال صقلية وتابعة لإقليم مسّينة.

ليجوريا : *Ligurie*

إقليم في ايطاليا الشمالية يفتح على خليج جنوة.

لِيكِش : *Lixus*

مستوطنة أقامها الفنيقيون في المغرب الأقصى على الضفّة الجنوبية من مضيق جبل طارق وكان في القديم يدعى عمودي هرقليس ولعل الفنيقيين كانوا يسمونه عمودي ملقرت. وتثبت النصوص أنّ مستوطنة لِيكِش يعود تأسيسها الى أواخر الألف الثانية حوالي 1115 قبل ميلاد المسيح. على أنّ أقدم الشواهد الأثرية المتوفّرة اليوم لا تتعدّى حدود القرن السابع ق.م.

لِيلُوبة : *Lilybée*

مدينة بونية في صقلية الغربية وهي التي توجد أطلالها بمدينة مرسالة. وكانت قاعدة بحرية بونية منيعة منذ تاسيسها في القرن الرابع قبل ميلاد المسيح.

ليماسول : *Limassol*

ميناء قبرصي يقع على الضفة الجنوبية من الجزيرة بالقرب من المدينة العتيقة أماثنت.

مرسالة : *Marsala*

مدينة إيطالية تقع على شناخ يوجد بأقصى غربي جزيرة صقلية.

مُطُوة : *Motyé-Mozia*

جزيرة ايطالية تابعة لصقلية الفنيقية وتوجد على 8 كلم من شناخ مرسالة حيث توجد أطلال مدينة لِيلُوبة. وكانت مُطُوة من أقدم المصارف الفنيقية التي ضربت نقودا. ومن اهمّ اطلالها الفنيقية البونية تجدر الإشارة الى معبد التوفاة ومدافن عديدة فضلا عن بقايا بيوت وأجزاء من سورها وتمّ العثور فيها على أنصاب وتحف أخرى عديدة تغطي حقبة زمنية تمتدّ من القرن الثامن الى سنة 397 ق.م وهو تاريخ تحطيمها من قبل ديونيسوس الأول (430-367 ق.م).سلطان سرقوسة.

مقدونيا : *Macédoine*

إقليم من اقاليم شبه جزيرة البلقان يوجد اليوم مقسّما بين اليونان ويوغسلافيا وبلغاريا. وكان في العصور القديمة مملكة تابعة لبوطقة الحضارة اليونانية . ومن اشهر ملوكه على الإطلاق اسكندر الثالث وقد لقّب بالأكبر (336-323 ق.م). وفي عهد حنّبعل كان على عرش مملكة مقدونيا فيلبّوس الخامس (221-179 ق.م) الذي ابرم معاهدة مع قرطاج سنة 215 ق.م.

مِلّيتا : *Mellita*

مستوطنة بونية أقامها حنون الماجوني أثناء رحلته الشهيرة في القرن الخامس قبل الميلاد ويبدو أنّها أقيمت على شاطئ المغرب الأقصى شمال نهر ام الرّبيع دون ما تحديد دقيق.

المنكّب : *Almunécar*

مستوطنة فنيقية أسّست خلال القرن الثامن قبل الميلاد وكانت تسمى سِكْسِي توجد في جنوب اسبانيا على البحر وتنتمي اليوم الى اقليم غرناطة.

مُوقِينِيا : *Mycène*

مدينة أكيّة (نسبة الى الأكيّين). أقاموا فيها قصرهم العتيق خلال القرن السابع عشر قبل ميلاد المسيح) تقع في اقليم بَيْلُوبُونيسُوس. وتعتبر موقينيا من أقدم مراكز الحضارة الإغريقية في بلاد اليونان وإذ ترتدي الوانا مميّزة اتّفق المؤرّخون على نسب تلك الحضارة الى مدينة موقينيا ويقولون "الحضارة الموقينية" التي عمّرت قرونا عديدة وأفل نجمها إثر زحف الدوريين حوالى 1200 ق.م.

ميجالوبوليس : *Mégalopolis*

مدينة عتيقة في بلاد الإغريق توجد في إقليم بَيْلُوبُونيسُوس. وكانت عاصمة أرقاديا وهي إحدى المناطق البَيْلُوبُونيسية.

مَيْجَرة الهُبْلية (بفتح الميم وسكون الياء) : Megara Hyblea

مستوطنة يونانية في صقلية توجد على البحر اليوني شمال مدينة سرقوسة يعود تأسيسها الى القرن الثامن ق.م . تمّ تحطيمها من قبل سرقوسة سنة 483 ق.م ومعلوم أنّ مدينة مَيْجَرة الهُبْلية (بضم الهاء وسكون الباء) أسست بدورها مدينة سيلينت على تخوم الربوع البونية بالجزيرة.

نمرود : *Nimrud*

مدينة عتيقة في العراق كانت إحدى عواصم المملكة الأشورية وكانت قديما تسمى كلخو. تمّ العثور فيها على عدّة أعلاق ثمينة تعود الى الحضارة الفنيقية من أواني برونزية وتحف عاجية وغيرها ممّا كانت المدن الفنيقية تقدّمه لملك أشور كجزية لتضمن لها البقاء وتتقي شرّ الأشوريين. مع العلم أنّ الهيمنة الأشورية على المدن الفنيقية دامت من أواخر الألف الثانية قبل الميلاد الى سقوط نينوى سنة 612 ق.م.

نيقيا : *Nicée*

مدينة توجد اليوم في تركيا وتسمى ازنيق ويعود تأسيس نيقيا العتيقة الى سنة 316 ق.م.

نَيْمي : *Némée*

قرية تابعة لمنطقة أرجوليد بإقليم بَيْلُوبُونيسُوس من بلاد الإغريق.

هَدْرِيم : *Hadrumète*

كانت مدينة سوسة عاصمة الساحل التونسي تسمى هَدُرِيم في العهد البوني ولمّا كان الغزو الرّوماني أصبحت تسمّى هدروميتوم بإضافة لاحق توم على الاسم العتيق وهدريم مدينة من تأسيس الفنيقيين على أنّ أقدم الشواهد المتوفرة اليوم لا يتجاوز حدود القرن السادس قبل ميلاد المسيح. أمّا بقايا تلك المدينة الفنيقية البونية فهي تتمثّل اساسا في معبد التوفاة ومدفنة وماتمّ العثور عليه أثناء تجلية هذين الفضاءين من أنصاب وفخار وغيرها.

هُوَالِبَة : *Huelva*

مدينة اسبانية ترشيشية تقع على المحيط الأطلسي وتتربّع على شبه الجزيرة الفاصلة بين مصب نهر تنتو ومصب نهر الأريال. ازدهرت هذه المدينة من جرّاء صناعة المعادن. كان الفنيقيون يتعاملون معها ويتاجرون فيأتونها من مالقة وجَدَيْرة كما ثبت في ضوء لقى تمّ العثور عليها في قبور مدفنة لاخويا التي تعود الى القرن السابع قبل الميلاد.

هيدلبارج : *Heidelberg*

مدينة ألمانية من أشهر المدن الجامعية في ألمانيا. وكانت مركزا مشعا للدراسات التاريخية والثيولوجية البروتستانية وخاصة في القرن السادس عشر.

هيمَيْرَةُ : *Himère*

مدينة أيْلُومية توجد في غربي جزيرة صقلية داخل مناطق النفوذ القرطاجية. وقد اشتهرت من جراء المعركة التي تقابلت فيها جيوش قرطاج و جيوش اغريق صقلية تحت زعامة سرقوسة وكان ذلك سنة 480 ق.م.

وليلي : *Volubilis*

مدينة ماوورية تقع بالمغرب الأقصى بالقرب من قرية مولاي ادريس وعلى 20 كلم شمال مكناس وكانت وليلي إحدى عواصم موريتانيا القديمة. وتعرف

خرائبها اليوم بقصر فرعون عثر فيها على بقايا سور محكم البناء عليه مسحة هلّينستية. ومن نتائج البحث والتنقيب أنصاب بعضها يحمل نقائش بونية.

مؤرخـــون ومبدعـــون

اسبيرنسا (ف.)	Sperenza (F.)
أستروك (مريم)	Astruc (Miriam)
إفويلّمُو (ج.)	Vuillemot (G.)
إكسال (ستيفان)	Gsell (Stéphane)
أكوارو (انريكو)	Acquaro (Enrico)
ألفياري (فتّوريو)	Alfieri (Vittorio)
ألماجرو جربيا (ماريا جوسي)	Almagro Gorbea (Maria Jose)
أمداسي (ماريا جوليا)	Amadasi (M.-G.)
أوبارتي (ماريا لويزه)	Uberti (Maria Luisa)
أوبنهايم (ليو)	Oppenheim (Léo)
أومسّيب (ج)	Aumassib (G.)
أورتا (إ.م)	Orta (E.-M.)
آووبت (ماريا أوجينيا)	Aubet (Maria Eugenia.)
أُيْكُو نُوميداس (أي.ن.)	Oikonomides (AI.N.)
بابلون (أرنست)	Babelon (Ernest)
بارترندي (ف.)	Bertrandy (F.)
بارتيياي (أندري)	Berthier (André)
لوبيز باردو (ف.)	Lopez Pardo (F.)
باريتي (ل.)	Pareti (L.)
برتلّيمي (جن جاك)	Barthellémy (Jean-Jacques)

Bertholon (L.)	برتولون (ل.)
Bartoloni (Piero)	برتولوني (بيرو)
Parrot (André)	برّو (أندري)
Barnett (R.-D.)	برنيت (ر.د.)
Briselance (Marie-France)	بريسلانس (ماري-فرانس)
Padro (J.)	بادرو (ج.)
Pesce (G.)	بشي (ج.)
Blazquez (J.-M.)	بلاسكاس (ج. م.)
Bondi (S.-F.)	بُنْدِي (س.ف.)
Poinssot (Louis)	بوا نسّو (لويز)
Bordman (J.)	بوردمان (ج.)
Bisi (Anna-Maria)	بيسي (أنّا ماريّا)
Bevelacqua (Fernanda)	بيفيلاكوا (فرنندا)
Picard (Gilbert-Charles)	بيكار (جلبار شارل)
Picard (Colette)	بيكار (كولات)
Tarradel (M.)	ترّادل (ميجال)
Tusa (Vincenzo)	توسا (فنشنزو)
Titoni (Enzo)	تيتوني (إنزو)
Tillot (Monique)	تِيُّو (مونيك)
Garbini (G.)	جربيني (ج.)
Garrido (J.-P.)	جرّيدو (ج.ب.)
Gordon (Cyrus H.)	جردن (سايروس هـ)
Gobert (E.-G.)	جوبار (إ. ج)
Gubel (Eric)	جوبل (إيريك)
Jodin (André)	جودين (أندري)
Gauckler (Paul)	جوكلير (بول)
Giveon (R.)	جيفيون(ر.)
Drappier (Louis)	درابياي (لويز)

Dussaud (René)	دوسّو (رينـي)
De Slane (Mac Guckin)	دي سلان (مك جوكين)
Desanges (Jéhan)	ديسنج (جيهن)
Di Vita (Antonino)	دي فيتا (أنطنينو)
De Villefosse (A. Héron)	دي فيليفوس (أ. هيرون)
Delattre (Adolphe-Louis)	ديلاتر (أدولف-لويز)
Rakob (Fredrich)	راكوب (فريدريش)
Roux (H.)	روكس (هـ)
Renan (Ernest)	رينان (أرنست)
Scandone (G.-M.)	سكندوني (ج.م)
Saladin (Henri)	سلادين (هنري)
Pilar San Nicolas Pedraz (Maria)	بيلارسن نيقولاس بيدراز (ماريا)
Cintas (Pierre)	سنتاس (بيار)
Solignac (Marcel)	سولينياك (مرسيل)
Saumagne (Charles)	سوماني (شارل)
Charlier (René)	شارلييای (ريني)
Ciasca (Antonia)	شاسكا (أنطونيا)
Sznycer (Maurice)	شنيسر موريس
Chéhab (Maurice)	شهاب موريس
Ferron (Jean)	فرّون (جن)
Vercoutter (Jean)	فركوتير (جن)
Fernandez (J.-H.)	فرننديز (ج.هـ)
Foucher (Louis)	فوشي (لويز)
Février (James Germain)	فيفريياي (جامس جرمن)
Caquot (André)	كاكو (أندري)
Camps (Gabriel)	كامبس (جبرائيل)
Carton (Louis)	كرتون (لويز)
Carcopino (Jérôme)	كركو بينو (جيروم)

Clermont-Ganneau (Charles)	كليرمون جنّو (شارل)
Quattrochi-Pisano (Giovanna)	كواتروكي بيسانو (جوفنّا)
Corneille (Pierre)	كورناي (بيار)
Culican (W.)	كوليكان (و.)
Quillard (Brigitte)	كيّارد (بريجيت)
Lapeyre (G.)	لابير (ج)
Lantier (R.)	لنتيياي (ر.)
Lancel (Serge)	لنسال (سارج)
Loreto (Luigi)	لوريتو (لويجي)
Lipinski (Edouard)	ليبنسكي (ادوارد)
Le Bohèc (Yann)	لي بوهاك (ين)
Lefébvre (G.)	ليفابفر (ج)
Levi Della Vida (G.)	ليفي دلاّ فيدا (جورجو)
Leclant (Jean)	ليكلان (جن)
Merlin (Alfred)	مرلين (ألفريد)
Mazard (Jean)	مزار (جن)
Mazza (F.)	مزّا (ف.)
Mazzarino (S.)	مزّرينو (س.)
Moscati (Sabatino)	مسكاتي (سباتينو)
Mori (Fabrizio)	موري (فابرزيو)
Morel (J.-P.)	موريل (ج.ب)
Mairet (Jean)	مَايِري (جن)
Nicolet (Claude)	نيكولي (كلود)
Harden (D.-B.)	هردن (د.ب)
Herdner (Andrée)	هردنير (أندري)
Hours-Miédan (Magdeleine)	هورس ميدن (مجدولين)
Whitaker (J.I.S.)	ويتاكير (ج.ي.س)
Julien (Charles-André)	يوليان (شارل. أندري)

البيبليوغرافيا

Acquaro (E.) : *Cartagine : un impero sul Mediterraneo*, Newton Compton editori, Roma, 1978.

Id. : "L'espansione fenicia in Africa", in *Fenici e Arabi nel Mediterraneo*, Roma, 1983, p. 23-61.

Alfaro Asins (C.) : "Una nueva ciudad punica en Hispania : Tglyt-Res Publica Tagilitana, Tijola (Almeria)", in *AEA*, 66, 1993, p. 229-243.

Aubet (M.-E.) : *Tiro y las colonias fenicias de Occidente*, Barcelona, 1994, p. 251-255.

Amadasi Guzzo (M.-G.) et Ali. : *Dizionario della Civiltà fenicia*, Gremese editore, Roma, 1992.

Baramki (D.) : *Phoenicia and the Phoenicians*, Beyrouth, Khayat, 1961.

Bartoloni (P.) : *Le stele archaiche di Cartagine*, Roma, CNR, 1976.

Id. : *Sulcis*, Libreria dello Stato, Roma, 1989.

Barnett (R.-D.) : "The Sea People" in *The Cambridge ancient History*, University Press, Cambridge, 1969.

Ben Younès Krandel (A.) : "Quelques métiers artisanaux à Carthage", in *Reppal*, II, 1986, p. 5-30.

Ben Younès (H.) : "Le vase de Smirat et le thème de la victoire sur la mort", in *Reppal*, III, 1987, p. 17-32.

Id. : "Askos lièvre du Musée du Bardo", in *Reppal*, V, 1991, p. 9-16.

Id. : "Découvertes de deux nouveaux éléments dans le mobilier de la tombe à la cuirasse de Ksour-Essaf au Sahel tunisien", in *Reppal*, X, 1997, p. 35-40.

Bérard (V.) : *Les Phéniciens et l'Odyssée*, 2 vol., (2ᵉ éd. 1927), A. Colin, Paris, 1902-1903.

Bondi (S.-F.) : "La frequentazione precoloniale fenicia", in *Storia dei Sardi e della Sardegna, I,Dalle origini alla fine dell'età bizantina*, Milano, 1988, p. 129-145 et 436-440.

Bondi (S.-F.) : "Le fondazioni fenicie d'Occidente : aspetti topografici e strutturali", in *Nuove fondazioni nel Vicino Oriente antico : realtà e ideologia*, Pisa, 1994, p. 357-368.

Id. : "Elmenti di Storia fenicia nell età dell' espansione mediterranea", in *ACFP*, III, Tunis. 1995, p. 51-58.
Bonnet (C.) : *Astarté*, CNR, Roma, 1996.
Briquel-Chatonnet (F.) : *Les relations entre les cités de la côte phénicienne et les royaumes d'Israël et de Juda*, Peters Press, Louvain, 1992.
Id. : "Arvad et l'empire assyrien" in *Festschrift Für Wolfgang Röllig*, 1997, p. 57-68.
Bron (F.) : *Recherches sur les inscriptions phéniciennes de Karatepe*,.Librairie Droz, Genève, 1979.
Bunnens (G.) : *L'expansion phénicienne en Méditerranée. Essai d'interprétation fondé sur une analyse des traditions littéraires*,.Institut historique belge de Rome, Bruxelles et Rome, 1979.
Caquot (A.) : "Rephaïm", in *SDB*, fasc. 55, Paris, 1981, col. 344-357.
Carriazo (J. de M.) : *El tesoro y las primeras excavaciones en el Carambolo (Camas, Sevilla)*, Madrid, 1970.
Chéhabe (M.) : "Tombes phéniciennes de Sin el Fil" in *Mélanges syriens offerts à M.R. Dussaud*, II, Paris, 1939, p. 487-494 et figs. 1-13.
Id. : "Tombes phéniciennes", in *BMB*, IV, 1940, p. 37-53.
Ciasca (A.) : "Mozia, Note sull architettura religiosa", in *Philèas chàrin*, II, Roma, 1980, p. 503-513.
Id. : "Sul tophet di Mozia", in *Kokalos*, 18-19, 1972-1973, p. 411-414.
Chelbi (F.) : "Oenochoés à bobèche de Carthage : typologie et chronologie", in *Reppal*, II, 1986, p. 173-255.
Id. : *Céramique à vernis noir de Carthage*, Tunis, 1992.
Chérif (Z.) : "Les bijoux carthaginois d'après les figurines de terre cuite", in *Reppal*, III, 1987, p. 117-150.
Ead. : "L'image du Sphinx sur les monuments carthaginois", in *Reppal*, IV, 1988, p. 171-204.
Ead. : "Une hachette-rasoir inédite du Musée National du Bardo", in *Reppal*, V, 1990, p. 57-67.
Ead. : "Documents précieux pour la connaissance d'un secteur de l'activité du potier, du costume, et de la parure de la femme à Carthage", in *Reppal*, VI, 1992-1993, p. 75-82.
Ead. : *Terres cuites puniques de Tunisie*, Roma, 1997.
Contenau (G.) : *Mission archéologique à Sidon (1914)*, P. Geuthner, Paris, 1921.
Id. : *La civilisation phénicienne*, Payot, Paris, 1949.
Benjami Costa - Jordi H. Fernandez : *Ibiza et Formentera de la préhitoire à l'époque islamique*, Imprenta Ibosim, Ibiza, 1995.
De Vaux (R.) : "La Phénicie et les peuples de la mer", in *MUSJ*, XLV, 1969, p. 481-498.

Di Vita (A.) : "Le date di fondazione di Leptis e di Sabrata", in *Hommages à Marcel Renard*, t. III (coll. Latomus, 103), Bruxelles, 1969, p. 196-202.
Dunand (M.) : *Fouilles de Byblos*. A. Maisonneuve, Paris, 1937-1970.
Id. : "Tombe peinte dans la compagne de Tyr", in *BMB*, XVIII, 1965, p. 5-51.
Id. : "Phénicie", in *SDB*, VII, 1961, col. 1141-1202.
Dunand (M.) et Duru (R.) : *Oumm el-Amed, une ville de l'époque hellénistique aux échelles de Tyr*, A. Maisonneuve, Paris, 1963.
Dunand (M.) : *Byblos, son histoire, ses ruines, ses légendes*, A. Maisonneuve, Paris, 1968.
Dussaud (R.) : "Le dieu phénicien Eshmoun" in *Journal des savants*, V, 1907, p. 36-47.
Id. : "Le rôle des Phéniciens dans la Méditerranée primitive" in *Scientia*, XIII, 1913, p. 81-90.
Elayi (J.) : "Recherches sur les cités phéniciennes à l'époque perse", *Supplément n°51 agli Annali*, vol. 47, 1987, fasc. 2, Napoli, 1987.
Ead. : *Pénétration grecque en Phénicie sous l'Empire perse*,.Presses universitaires de Nancy, Nancy, 1988.
Elayi (J.) et Haykal (M.-R.) : "Nouvelles découvertes sur les usages funéraires des Phéniciens d'Arwad", *Supplément n°4 à Transeuphratène*, Gabalda, Paris, 1996.
Fantar (M.-H.) : *Eschatologie phénicienne-punique*, INAA, Tunis, 1970.
Id. : *Kerkouane, cité punique du Cap-Bon (Tunisie)*, 3 vols., MTE, Tunis, 1984-1986.
Id. : "A propos du toponyme Hadrumetum", in *Reppal*, II, 1986, p. 267-276.
Id. : "Baal Hannon", in *Reppal*, IV, 1990, p. 67-106.
Id. : *Carthage : les lettres et les arts*,. Alif-Les Éditions de la Méditerranée, Tunis, 1991.
Id. : "A propos des stèles puniques de Constantine conservées au Musée du Louvre", in *Reppal*, VI, 1992-1993, p. 117-126.
Id. : *Carthage, approche d'une civilisation*, 2 vols., Alif-Les Éditions de la Méditerranée, Tunis, 1993.
Id. : "Stèles épigraphes du tophet de Sousse", in *Reppal*, IX, 1995, p. 25-48.
Id. : *Les Phéniciens en Méditerranée*, Alif-Les Éditions de la Méditerranée, Tunis, 1997.
Id. : *Kerkouane, cité punique au pays berbère de Tamezrat*, Alif-Les Éditions de la Méditerranée, Tunis, 1998.
Ferjaoui (A.) : "Fonctions et métiers de la Carthage punique à travers les Inscriptions", in *Reppal*, V, 1991, p. 71-86.
Id. : "Epigraphie phénicienne et punique : à propos de CIS. I, 97 et 4621", in *Reppal*, IV, 1988, p. 241-246.

Gragueb (A.) : "Une nouvelle station de représentations rupestres dans le Sud tunisien", in *Reppal*, IV, 1990. p. 153-162.
Ghaki (M.) : "Une nouvelle inscription libyque à Sicca Veneria (Le Kef) : libyque oriental et libyque occidental", in *Reppal*, II, 1986, p. 315-320.
Id. : Deux stèles néopuniques de Ksar-Lemsa", in *Reppal*, IV, 1998, p. 149-152.
Garelli (P.) : "Remarques sur les rapports entre l'Assyrie et les cités phéniciennes", in *ACFP*, I, 1983, p. 61-66.
Bellard (C. G.) : *La colonizacion fenicia de la isla de Ibiza*, Madrid, 1990.
Gras (M.), Rouillard (P.) et Teixidor (J.) : *L'univers phénicien*, Les Editions Arthaud, Paris, 1989.
Gubel (E.) : "Phoenician Furniture", *Studia Phoenicia*, Uitgeverij-Peters, Leuven, 1987.
Harden (D.) : *The Phoenicians*, Pelican Books, Harmondsworth, Middlesex, Penguin Books, 2e ed., 1971.
Krandel Ben Younès (A.) : "Le thème du banquet funéraire sur une hachette-rasoir punique", in *Reppal*, IX, 1995, p. 109-114.
Krings (V.) (édit.) : *La civilisation phénicienne et punique*, Manuel de recherche E.-J. Brill-Leiden, New York, Köln, 1995.
Katzenstein (H.-J.) : *The history of Tyre*, Jérusalem, 1973
Lancel (S.) : *Carthage*, Librairie Arthème Fayard, Paris, 1992.
Lipinski Ed. (édit.) : *Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique*, Brepols, 1992.
Liverani (M.) : "La fin d'Ougarit : Quand ? Comment ?", in *Le pays d'Ougarit autour de 1200 avant J.-C., Ras Shamra-Ougarit*, XI, Paris, 1995, p. 113-117.
Macridi-Bey (Th.) : *Le temple d'Eshmoun à Sidon*, Lecoffre, Paris, 1904.
Masson (O.) et Sznycer (M.) : *Recherches sur les Phéniciens à Chypre*, Librairie Droz, Genève-Paris, 1972.
Mayet (F.) et Tavares da Silva (C.) : "L'établissement phénicien d'Abul", in *les Dossiers de l'Archéologie*, n° 128, vovembre 1994.
Mayet (F.) et Tavares da Silva (C.) avec la collaboration de Mme Yasmine Makaroun (architecte). : "L'établissement phénicien d'Abul (Portugal)", in *CRAI*, 1994, p. 171-188.
Mayet (F.), Schmitt (A.), Tavares da Silva (C.) : *Les amphores du Sado* (Portugal), Paris, 1996.
Montet (P.) : *Byblos et l'Egypte*, P. Geuthner, Paris, 1928.
Moran (W.-L.) : *Les lettres d'El-Amarna, correspondance diplomatique du Pharaon*, Les Èditions du Cerf, Paris, 1987.
Moscati (S.) : *I predecessori d'Israële, studi sulle più antiche genti semitiche in Siria e Palestina*, Studi orientali, Roma, 1956.
Moscati (S.) : *Il mondo dei Fenici*, Il saggiatore, Milano, 1966.

Id. : *I Fenici e Cartagine*, Unione Tipografico Editrice Torinese, Torino, 1972.
Id. : *L'enigma dei Fenici*, Arnoldo Mondadori Editore, Milano, 1982.
Id. : "I Fenici in Potugallo", in *RANL*, 1994, p. 473-483.
Id. (édit.) : *I Fenici*, Gruppo editoriale Fabbri Bompiani, Milano, 1988.
Id. : *L'Ancora d'argento, I Fenici Sui mari*, Jaca Book, Milano, 1989.
Id. : *Gli adoratori di Moloch*, Jaca Book, Milano, 1991.
Id. (édit.) : *I Fenici : ieri, oggi, domani : Ricerche, scoperte, progetti (Roma, 3-5 marzo 1994)*, Roma, 1995.
Pellicer Catalan (M.) : *Excavaciones en la necropolis punica Laurita del Cerro de San Cristobal (Almunecar, Granada)*, Direccion general de Bellas Artes, Madrid, 1963.
Poidebard (A.) : *Tyr, un grand port disparu. Recherches aériennes et sous-marines (1934-1936)*, P. Geuthner, Paris, 1939.
Ponsich (M.) : *Nécropoles phéniciennes de la région de Tanger*, Editions marocaines et internationales, Tanger, 1967.
Pritchard (J.-B.) : *Recovering Sarepta, A Phoenician City*, Princeton university Press, Princeton, New Jersey, 1978.
Ramon (J.) : "Sobre els origines de la colonia fenicia d'Evissa", in *Evissa*, XII, 1981, p. 24-31.
Redissi (T.) : "Les amulettes de Carthage repésentant les divinités léontocéphales et les lions", in *Reppal*, IV, 1990, p. 163-207.
Id. : "Etude de quelques amulettes puniques de type égyptisant", in *Reppal*, V, 1991, p. 95-140.
Id. : "Les vases d'albâtre égyptiens de Carthage", in *Reppal*, X, 1997, p. 115-132.
Renan (E.) : Mission de Phénicie, Imprimerie impériale, Paris, 1864.
Ribichini (S.) : *Poenus Advena : Gli dei fenici e l'interpretazione classica*, CNR, Roma, 1985.
Röllig (W.) : "Über die Anfänge unseres Alphabets", in *Das Altertum*, Bd., 31, 1985, Heft, 2, p. 83-91.
Stella (L.A.) : "Chi furono i popoli del Mare", in *Rivista di Antropologia*, 39, 1951-1952, p.3-17.
Sznycer (M.) : "La littérature punique", in *Archéologie vivante*, I, 2, déc. 1968, p. 141-148.
Id. : "Ras Shamra : Textes administatifs et économiques", in *SDB.*, 53, Paris, 1979, col. 1417-1426.
Id. : "Les religions des Sémites occidentaux", in *Dictionnaire des religions*, Flamarion, Paris, 1981.
Id. : "Une inscription phénicienne inédite de l'ancienne Paphos", in *Centre d'Etudes chypriotes, Cahiers 26*, 1996, 2, p. 3-5.
Tillot (M.) : "Gutti et Askoi", in *Reppal*, V, 1991, p. 144-160.

William (A.) Ward (édit.) : *The role of the Phoenicians in the Interaction of Mediterranean Civilizations*, The American University of Beirut, Beirut, 1968.
Warmington (B.-H.) : *Histoire et civilisation de Carthage*, Payot, Paris, 1961.
Weill (R.) : *La Phénicie et l'Asie occidentale*, A. Colin, Paris, 1939.
Xella (P.) : *I Testi rituali di Ugarit, I*, CNR, Roma, 1981.
Id. : *Gli antenati di Dio, divinita e miti della tradizione di Canaan*, Essedue edizioni, Verona, 1982.
Yazidi Zeghal (S.) : "La femme carthaginoise. Ètat de la recherche", in *Reppal*, IX, 1993, p. 203-212.

Liste des abréviations

ACFP

Actes du Congrès international des Etudes phéniciennes et puniques.

AEA

Archivo Espanôl di Arqueologia.

ARAB

D.-D. Luckenbill, *Ancient Records of Assyria and Babylonia*, 2 vol., Chicago, 1926-1927.

BAA

Bulletin d'Archéologie Algérienne.

BAC

Bulletin Archéologique du comité.

BAM

Bulletin d'Archéologie Marocaine.

BCTH

Bulletin du comité des travaux historiques.

BMB

Bulletin du Musée de Beyrouth.

CEDAC

Centre d'Etudes et de Documentation Archéologique de la Conservation de Carthage (Carthage).

CIS

Corpus inscriptionum semiticarum.

CNR

Consiglio Nazionale delle Ricerche.

CRAI

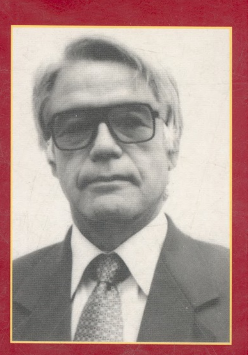
Comptes rendus de l'Académie des inscriptions et belles-lettres.

DISO

C.-F. Jean-J. Hoftijzer, *Dictionnaire des Inscriptions sémitiques de l'Ouest*, Leiden, 1965.

EA
Lettres d'El-Amarna.
JNES
Journal of Near Eastern Studies (Chicago).
MAF
Mémoires de la Société Nationale des Antiquaires de France (Paris).
MAP
P. Cintas, *Manuel d'Archéologie Punique*, 2 vol., Paris, 1970-1976.
MEFR
Mélanges de l'Ecole Française de Rome.
Monument Piot
Fondation Eugène Piot : *Monuments et mémoires publiés par l'Académie des inscriptions et belles-lettres* (Paris).
MTE
Maison Tunisienne de l'Edition.
MUSJ
Mélanges de l'université St. Joseph.
NP
P. Gauckler, *Nécropoles Puniques*. 2 vol., Paris, 1915.
RANL
Rendiconti dell' Accademia Nazionale Dei Lincei. Classe di Scienze Morali storiche e Filologiche.
RES
Répertoire d'Epigraphie Sémitique.
REPPAL
Revue des Etudes phéniciennes et puniques et des Antiquités libyques (Tunis).
REV. Afr.
Revue Africaine (Alger).
REV. Assyr.
Revue d'Assyriologie et d'Archéologie Orientale (Paris).
REV. Tun.
Revue Tunisienne (Tunis).
RSF
Rivista di Studi Fenici (Roma).
RSO
Rivista degli studi Orientali.
SDB
Supplément au Dictionnaire de la Bible.

الفهرس



د. محمد حسين فنطر

ولد بقصر هلال سنة 1936.

من مدرسة الحاج علي صوّة بقصر هلال إلى الصادقية بتونس ومنها إلى دار المعلّمين العليا (أستاذ في التاريخ والجغرافيا) ومنها إلى جامعة ستراسبور (ديبلوم الدراسات العليا في التاريخ القديم وأستاذية في تاريخ فنون الإغريق والمشرق القديم) ثم إلى جامعة السربون بباريس (دكتوراه الحلقة الثالثة في تاريخ الأديان سنة 1965. تحصل على دكتوراه الدولة في التاريخ القديم والآثار سنة 1982. أستاذ بالجامعات التونسية منذ سنة 1965.

باحث بالمعهد القومي للآثار والفنون (المعهد الوطني للتراث) منذ سنة 1966.

مدير بحوث بالمعهد الوطني للتراث منذ سنة 1982.

كاتب عام لمركز البحوث الأثرية والتاريخية (1970-1972).

مدير عام للمعهد الوطني للتراث (1982-1987).

مدير دائرة التنمية المتحفية منذ سنة 1988.

مدير مركز دراسة الحضارة الفنيقية البونية وآثار اللّوبيين منذ سنة 1987.

عضو قار بمؤسسة بيت الحكمة منذ تأسيسها.

عضو قار بأكادمية برلين.

عضو قار بأكادمية لِنْشاي بروما.

عضو لجنة تاريخ شمال افريقيا وآثارها بفرنسا (باريس).

عضو اتحاد الكتاب التونسيين.

تحصل على عدّة أوسمة وجوائز تونسية وأجنبية.

عدد مؤلفاته يفوق 300 من كتب ودراسات بالعربية والفرنسية. وله مساهمات أخرى في مختلف وسائل الاعلام.

الثمن : 19,500 د.ت.